

معالم التاريخ اليوناني القديم الجزء الأول

دكتور إبراهيم عبد العزيز جندى
كلية الآداب - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

القاهرة

١٩٨٨ - ١٩٩٩

الناشر

المكتب المصري لتوزيع المطبوعات

معالم التاريخ اليوناني القديم الجزء الأول

دكتور إبراهيم عبد العزيز جندى
كلية الآداب جامعة عين شمس

مفوق الطبع محفوظة

١٩٩٩-١٩٩٨

الناشر

المكتب المصري لتوزيع المطبوعات

٥ ش مصطفى طوم - المنيل - القاهرة

ت : ٣٦٥٥٤٨٧

رقم الإيداع ٩٨/١٤٢٧٢

الترقيم الدولي 1 - 15 - 5841 - 977



إلى رفيقة حياتي، إلى من كانت لي دافعاً
للنجاح... إلى زوجتي الغالية

تمهيد

مدلول : يوناني ، إغريقي ، هيليني :

يطلق المؤرخون هذه الكلمات بمعنى واحد بلا اختلاف على هذا الشعب اليوناني القديم منذ بداية عصوره التاريخية ، فأى الألفاظ أقرب إلى الدقة والحقيقة ؟ أهو (التاريخ اليوناني) أم (التاريخ الإغريقي) أم (التاريخ الهليني) ؟ وما التسمية التي سمي بها اهل البلاد أنفسهم ؟

لم تُعرف بلاد اليونان بأى تسمية من هذه التسميات في عصورها السحيقة ، وأول مصدر أدبي يطالعنا بأسماء لهذا الشعب هو الشاعر الملحمي هوميروس ، والذي قدم لنا أربع تسميات لشعبه ، ثلاث منها لا تشمل كل بلاد اليونان وهي :-

أولاً :- الأحيون Achaeoi نسبة إلى منطقة في إقليم تساليا عرفت باسم أخيا Achaia أو إفتيا Phthia أو أخيايا إفتيوتيس Achaia Phthiotes ، وهذه التسمية أكثر تسمياته الأربعة شيوعاً وترينا النصوص أنها عرفت طريقها للشعوب المجاورة مع تحويرها وفقاً للسان كل أمة ، إذ أسماهم الحيثيون الأحيوين أو الأهياوين Ahhawai وقد ورد ذكر هذه التسمية في عشرين لوحاً تم العثور عليها في بوغاز كوي Boghaz Kawi ، ويرى العلماء أن هذه التسمية هي طريقة الحيثيين في كتابة Akhaiwoi (الأخيين). الذين كانوا شعباً له السيادة في بلاد اليونان . كما نجد أن المصريين قد أطلقوا عليهم تسمية الأكيوشا Akawosha أو Ekwesh وقد حاول بعض العلماء مساواتهم بالأخيين السالفي الذكر في الألواح الحيثية ، وفي الواقع فإن تاريخ هذه التسميات أقدم من رواية هوميروس .

ثانيا : - الأرجيون نسبة إلى مدينة أرجوس ، وهي إحدى مدن إقليم أرجوليس في شبه جزيرة البوبونيز ، ويطلق عليهم أحيانا الدانائيين نسبة إلى دناؤس وقد وردت هذه التسمية مع تحوير في النصوص المصرية وهي Denyen وسوف نتحدث عنهم فيما بعد .

ثالثا : - يطلق اسم هيلاس Hellas على المنطقة الواقعة حول خليج ماليا عند الحدود الفاصلة بين وسط بلاد اليونان وشمالها .

رابعا : - يذكر مرة واحدة البانهلينيين Panhellones وهذا المصطلح يعني اتحاد الهلنيين ، ومنذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد فقد أطلقت تسمية الهلنيين على كل شعب تلك البلاد ، وقد استخدم هذه التسمية الشاعران أرخيلوخوس وهيسيود ، ومنذ هذا التاريخ وربما قبله أصبح أهل تلك البلاد يطلقون على أنفسهم هلنيين ويفخرون بأنهم هلينيون . ويشير بعض الكتاب القدامى إلى أن تسمية Hellenes مأخوذة من اسم شخص هو هيلين بن ديوكالون ، جد اليونان الأكبر جميعا في روايتهم الأسطورية ، بيد أن البعض الآخر يرى أن هذا تأويل اجتهادي يهدف إلى تأكيد أن اليونان أمة واحدة منحدره من عرق واحد ، وأن أصل الاشتقاق من اسم قبيلة هيلوس التي كانت تشرف على أقدم معابد زيوس في دودانا ، ولاندري لماذا فضل كتاب اليونان القدامى استخدام اسم الهلنيين على استخدام الأخيين Achaeoi .

أما عن اسم الإغريق Graeci فهو اسم أضفاه الرومان والشعوب الإيطالية عليهم واشتهروا به بعد ذلك في كل أوربا ، وهذا الاسم يعد نسبة إلى جماعة Graioi وكانت تقطن في إقليم بويوتيا ببلاد اليونان الأم ، وهذه الجماعة كانت قد شاركت في تأسيس مدينة كيمي Kume على الساحل الغربي لإيطاليا ، وهي أقدم

المستعمرات اليونانية هناك (٧٥٠ - ٧٢٥ ق.م) ، ولم يلبث الرومان أن أطلقوا على جميع سكان تلك المستوطنة والمستوطنات الأخرى بجنوب إيطاليا وصقلية اسم بلاد اليونان العظمى Magma Graecia ومن اللفظة اللاتينية جاءت تسميات اليونان في اللغة الأوربية الحديثة مثل Greeks في الإنجليزية و Grecs في الفرنسية و Griechisch في الألمانية... إلخ .

أما عن لفظة يونان فهي تحوير للفظ (أيونيون) Iones وكان الأيونيون يعرفون في اللغة اليونانية العتيقة باسم ياؤنيين Iaones فقد وردت في السواح المجموعة الخطية الثانية (linear 8) Ia-wo-ne كما ورد هذا الاسم عند هوميروس مرة واحدة وإن كان يظن أنه مقحم على البيت الوارد فيه . ولكن في ضوء ذكره المجموعة الخطية الثانية السالفة فإنه يرجح أنه من النص الأصلي وليس مقحما على النص .

وكان الأيونيون أول هلينيين احتكت بهم الممالك الشرقية المجاورة ، فقد أطلقت شعوب هذه الممالك اسم ياؤنيين مع تحوير يتفق وطبيعة لسان ولغة كل أمة من هذه الأمم ، وصار ينطق تارة يفاني Yavani كما ورد ذكرهم في التوراة (Yawan) وأسماهم الأشوريين Yawan و Yaman والفرس Yavna والمصريين في الخط الديموطيقي Wynn ، ولعل الاسم المحور (يونان) قد ظهر أولا في قبرص صاحبة الصلات الوثيقة مع أوجاريت (رأس شمرة) على الساحل السوري ، وكانت أسبق من مدن أيونيا ذاتها في إقامة صلات مع هذه المنطقة .

مما سبق عرضه نجد أن أكثر من تسمية أطلقت على هذا الشعب بفروعه ومناطقه الجغرافية ، وأدق هذه التسميات هي الهلينيون لأن كتاب هذا الشعب ومفكره قد استعملوها للدلالة على الشعب كله ، أما تسمية يونان ، وإغريق فقد

أطلقتها أمم أخرى على فروع هذا الشعب وعممت التسمية على كل الشعب اليوناني . وعلى الرغم من الأصالة الظاهرة في لفظ هليني فإنه الأقل شيوعا في لغتنا العربية ، أما لفظ يوناني فهو الاسم المستخدم عند الأكثرية من العرب وبه نأخذ في هذه الدراسة .

عندما ندرس التاريخ اليوناني فإننا لاندرس تاريخ دولة واحدة تشمل كل بلاد اليونان وإنما ندرس تاريخ دويلات أو مدن دول عديدة في العالم اليوناني ، قد عرف بعضها الوحدة المؤقتة في القرن الثالث عشر ق.م ولكنها كانت وحدة مفككة وهشة تحت قيادة الملك أجا ممنون ، وأنه لأدق أن نقول أنه حلف بين ممالك العالم الموكيني نشأ لظروف معينة سنذكرها فيما بعد . وإذا كانت بعض المدن الدول قد بذلت محاولات لتحقيق الوحدة بين اليونان فإن محاولاتها قد باءت بالفشل الذريع ، ولم يتيسر لليونانيين الاتحاد مرة أخرى حتى نجح فيليب المقدوني في توحيدهم وضمهم عنوة لمملكة مقدونيا ثم قادم ابنه الإسكندر الأكبر في القضاء على الإمبراطورية الفارسية وإن كانت بلاد اليونان قد تفككت عرى وحدتها بعد موت الإسكندر وتكونت بها أحلاف يصارع بعضها بعضا حتى نجحت روما في توحيدها وضمها للجمهورية الرومانية سنة ١٤٦ ق.م.

ويتبادر إلى ذهن الدارس السؤال التالي : لماذا لم تعرف بلاد اليونان الوحدة السياسية بين أقاليمها لفترة طويلة من الزمن ؟

نقول إن الطبيعة الجغرافية لبلاد اليونان و لظروف تاريخية بعينها قد فرضت على المناطق المختلفة من بلاد اليونان الانعزالية والانفصالية عن بعضها البعض ، فقد اقتضت تلك الطبيعة أن يعيش الناس في وديان يفصلها عن بعضها البعض الجبال من جهة والبحار من جهة أخرى ، أو نجاد لها قليل من المنافذ على العالم

الخارجي أو في جزيرة كانت تتمتع بالاستقلال ، ولما كانت تلك الأصقاع منفصلة بعضها عن بعض ، متكاملة بذاتها ومحصنة ضد أية سيطرة خارجية فإن كل منطقة منها طورت لها حياة وعادات خاصة بها واعتداد بالنفس له طابعه المحلي وأمام هذه الأمور التي صارت متأصلة في حياة الناس والجماعات ، فقد تكونت مئات المدن الدول ، لكل منها قانونها الخاص بها ودستورها الخاص وحكومتها الخاصة وشخصيتها المحلية المستقلة وقد كان هذا كافياً دون اندماج دويلة في دويلة أخرى، ولعل هذه الدويلات كانت بين الفينة والفينة تقع تحت سلطان جيران ذوي بأس شديد أو ترغم على الاتحاد قسراً مع بعضها البعض ولكنها كانت تبقى على قدر من استقلالها وكثير من مؤسساتها السياسية والتنفيذية وفي ضوء هذا فإننا سندرس السمات العامة والمشاركة بين المدن الدول وإن كنا سنركز حديثنا على مدينتين اعترفت الدول المدنية اليونانية المعاصرة لهما بأهميتهما في العصر الكلاسيكي وهما مدينة أثينا ومدينة اسبرطة . فعندما يتكلم أغلب الناس هذه الأيام عن بلاد اليونان فإنهم يخصصون بالعناية أثينا وربما اسبرطة لأننا نعرف الكثير عنهما ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فكل من المدينتين قد مرت بتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية تختلف عن تلك التي مرت بها الأخرى كل وفق ظروفها الخاصة . لقد مرت أثينا بتطورات متتالية في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ابتداءً من العصر العتيق انتهاءً بالعصر الكلاسيكي ، إذ نجدها قد مرت بكل أشكال نظم الحكم من ملكية أوليجرخية إلى أرستقراطية إلى تيموقراطية ، حكم الطغاة ، ديمقراطية وأخيراً ديماجوجية .

أما عن اسبرطة فقد ظلت تحت الحكم الملكي المحافظ مع تعديلات في هياكلها التنفيذية والدستورية بما يتلاءم مع ظروفها وأحوالها ، بحيث نجد أنفسنا أمام نظم متداخلة مع بعضها البعض - ملكية ، أوليجرخية ، أرستقراطية ، ديمقراطية -

من هنا تأتي أهمية دراسة المدينتين . وجدير بالتنويه أن الممدن الدول اليونانية الأخرى قد طبقت كل منها النظم التي تلائمها فكانت تغيروها وتعديلها وتطورها وفقا لظروفها ، وإذا ما نظر المرء لخريطة بلاد اليونان السياسية سيجد كل النظم السالفة الذكر متعاصرة مع بعضها البعض فبينما نجد دولة حكومتها ملكية نجد أخرى أوليجرخية أو أرسقراطية أو تيموقراطية... إلخ وإذا وجدت نظم الحكم واحدة في أكثر من مدينة دولة فإننا نجد اختلافات في الدساتير والسلطات التنفيذية وقوانينها ... إلخ .

التأثيرات المتبادلة بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية القديمة

أن التاريخ والحضارة اليونانية لهما أهمية قصوى للدارسين والمفكرين العرب نظرا للتأثير والتأثر بين حضارتنا القديمة والحضارة اليونانية ، إذ كانت هناك علاقات مباشرة بين بعض مواطن الحضارة في الوطن العربي وبين حضارة العالم اليوناني، ومن هذه المواطن نذكر مراكز الحضارة على الساحل السوري ، ومراكز الحضارة في بلاد الرافدين ، ومصر ، وحضارة وادي النيل ، وأخيرا العلاقات اليونانية القرطاجية في غرب البحر المتوسط .

وقد بدأت العلاقات اليونانية المباشرة مع شبه الجزيرة العربية والخليج العربي في العصر الهلينستي وإن كانت قد وجدت قبل ذلك على نطاق ضيق وبصورة غير مباشرة ، كما نجد أن اليونان أقاموا علاقات مباشرة مع الدولة الفارسية ، وهذه الحضارات المختلفة أثرت في الحضارة اليونانية وتأثرت بها واستمر الانصهار الحضاري بين تلك الحضارات بل زادت قوته في العصر الهلينستي والعصر الروماني إلى أن أتى الفتح العربي وانتشر الإسلام الذي رفع لواء وراية الحضارة عاليا خفاقا بعد أن استوعبها وهضمها وأضاف إليها ، وصارت معارفنا وعلومنا العربية هدف طالبي العلم من بقاع شتى . وقد دار جدل

بين الباحثين من الأسبق في التأثير في الآخر ؟

يرى نفر من الباحثين (مؤرخين ، فلاسفة ، أدباء) ان الحضارة اليونانية كانت فريدة في ذاتها أصيلة في نشأتها ، بل أطلقوا عليها المعجزة اليونانية التي يتضامل إلى جانبها ما قدمته حضارات الشرق القديم جميعها ، إذ يقول المؤرخ كتيو : (بينما كانت حضارات الشرق التي سبقت حضارة اليونان ذات كفاية بالغة في الأمور العملية ، وكانت أحيانا لا تقل في فنها عن اليونان إلا أنها كانت جديبا من الناحية العقلية ، لقد مارس ملايين الناس الحياة وخبروها قبل اليونان فماذا فعلوا بها ؟ لا شئ لقد ماتت خبرة كل جيل بانتهائه . إن اليونان هم الذين ابتكروا الأدب بكل صوره - ما عدا القصة - وأوصلوه إلى حد الكمال ، إن شعر الملاحم والتاريخ والمسرحية والفلسفة بكل فروعها بما في ذلك ما بعد الطبيعة ، والاقتصاد والرياضيات وكثير من العلوم الطبيعية كلها تبدأ باليونان (1) .

ويقول برتراند راسل (إنه لمن المدهش حقا ذلك الظهور المفاجئ للحضارة في بلاد اليونان ، فكثير من مقومات هذه الحضارة كان قائما منذ آلاف السنين في مصر ، أو بلاد الرافدين ، ثم تنتشر في البلاد المجاورة ، لكن عناصر ظلت تنقص تلك الحضارات حتى زودها بها اليونان ، إن ما ابتكروه في الفن والأدب يعد شيئا عاديا ، أما في المجال العقلي فشئ غير عادي ، لقد ابتكروا الرياضيات والعلم والفلسفة ، وهم أول من كتبوا التاريخ لا كمجرد حوليات ، بل تأملوا بحرية فكر في طبيعة العالم ونهاية الحياة دون أن يتقيدوا بسلطة موروثه ، فما حدث كان مثيرا للدهشة وحتى العصر الحديث لازال هناك من يتحدث عن العبقرية اليونانية كما لو

(1) كتيو ، الإغريق ، ترجمة عبد الرازق يسري ، القاهرة ، ص ٣-٤ .

كانت معجزة (١).

ويذكر الشاعر شيلي أن الفترة الواقعة بين مولد بيركلييس وموت أرسطو تعد بلا شك أهم فترة في تاريخ العالم كله ، سواء نظرنا إليها من حيث هي ذاتها أم من حيث أثرها في مصائر الإنسان المتحضر (٢).

ويضيف ول ديورنت قائلا ومؤكدا على فضل اليونان على الحضارة الغربية المعاصرة : (إننا لانكاد نجد شيئا في ثقافتنا الدنيوية - اللهم إلا الاتنا - لسنا مدينين به لليونان ، فالألفاظ الإنجليزية الدالة على المدارس والملاعب والحساب والهندسة والتاريخ والبلاغة وعلوم الطبيعة والأحياء والتشريح والفلسفة والدين كل هذه الألفاظ يونانية لصور من الثقافة لم ننشئها نحن إنشاء بل نضجت وترعرت - خيرا كان ذلك أم شرا - بفضل الحضارة اليونانية العظيمة (٣).

ويسأل توماس هيث نفسه قائلا : ما هو الاستعداد الخاص الذى توفر عند اليونان للرياضيات ؟ ويبادر دون تردد في الإجابة على سؤاله قائلا : إن عبقريتهم في الرياضيات ، لم تكن سوى جانب من عبقريتهم في الفلسفة ، فقد فاق اليونان كافة الأمم القديمة في شدة حبههم للمعرفة من أجل المعرفة ذاتها ، يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى أكثر أهمية من شغفهم بالمعرفة وهي أن اليونان كانوا قوما مفكرين (٤).

ويقرر المؤرخ أرنول ريمون (Arinold Rymod) : إذا ما قورن العلم اليوناني بالمعرفة التجريبية والجزئية التى جمعها أقوام الشرق قاطبة بعد جهود شاقة استغرقت قرون طويلة ، فإنه يعد معجزة حقة . هنا أدرك العقل البشري لأول مرة

(1) I.B Russell , History of western philosophy . p 21 .

(٢) ول . ديورنت ، قصة الحضارة ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) نفسة ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ١-٢ .

(٤) T. Heath , Greek Mathematics , Oxford , 1921 , vol . pp. 3-6 .

إمكان وضع عدد محدود من القواعد التي يمكن أن يستخلص منها عدد من الحقائق التي تعتبر نتائج قاطعة لها^(١).

نكتفي بهذا القدر من الآراء التي تحبر عن نماذج للمبالغة الكبيرة في تعظيم وإعلاء شأن الحضارة اليونانية مع غيرها من حضارات ، ولعل السبب في ذلك أنها الحضارة الأم بالنسبة للحضارة الغربية الحديثة ، وإذا كان هناك نفر من الباحثين قد بالغ في قيمة الحضارة اليونانية ، فإن لدينا نفرا أخسر نظر بموضوعية لتلك الحضارة وأرجع الكثير من أصولها إلى أصحاب الفضل من أمم وحضارات الشرق القديم وهؤلاء على حق فيما فعلوه ، وينبغي أن ننوه إلى أن كتاب العصور اليونانية والهلينسية والرومانية قد شهدوا بما نقله اليونان من تراث وحضارة الشرق وأقروا بفضل الحضارات الشرقية كما ينبغي علينا أن نذكر في هذا المقام أن الكثيرين ممن تعصبوا للحضارة اليونانية في مقارنتهم لها بالحضارة الشرقية قد أقروا بما قدمه الشرق من فكر وحضارة للإنسانية ، وسنحاول في عرضنا الآتي أن نبين ما أثبتته الكتاب المفكرون القدامى من فضل الشرق وما نهله اليونان الأقدمون من علومها ومعارفها . إذ تذكر لنا الروايات عن الزيارات التي قام بها كبار المفكرين اليونانيين لمراكز الحضارة في الشرق ومن بين هؤلاء طاليس ، وفيثاغورس ، ووصولون ، وأفلاطون ، وديموقريطس ، وهيردوت ، ويودكسوس ، ولوكورجوس .. إلخ .

فقد رحل طاليس إلى مصر حيث اجتذب اهتمامه الآراء الفلكية والرياضة بها فتعلم هناك دورة الكسوف المتعاقبة وتعلم أيضا طائفة من الحقائق الهندسية التي اعتمد عليها في صياغة فكره الهندسي وكما يقال فقد استفاد من النظرية المصرية عن أصل الوجود وهي الماء في صياغة نظريته عن أن الماء هو أصل كل شيء .

(١) بنيامين فارنين : العلم الإغريقي ، ترجمة أحمد شكري سالم ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٧ .

وقد روى كل من أرسطوكسينوس التارنتي وباميليوخوس أن فيثاغورس قد رحل إلى ملطية حيث عرفه طاليس وأدرك عبقريته وعلمه كل ما يعرفه ثم زار بعد ذلك فينيقيا ، حيث مكث بها زمنا يكفي لأن يتعلم طقوس السوريين وهناك قويت رغبته في الرحيل إلى مصر التي كانت تعد حينذاك مهد التعاليم المضمنون بها ، فانتقل إليها ومكث بها مالا يقل عن إثني عشر عاما يدرس الهندسة والفلك والأسرار الكهنوتية ، وبعد أن غزا قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م رحل معه فيثاغورس إلى بابل وأنفق هناك إثني عشر عاما أخرى يدرس الحساب والموسيقى وتعاليم أخرى للمجوس ثم عاد إلى ساموس وهو في الخامسة والستين من العمر .

ويقول بلوتارخ وبعد أن سن صولون تشريعاته واعتزل العمل السياسي ورحل إلى الشرق فاتجه إلى مصر حيث أقام كما يقال زمنا طويلا على ناحية من النيل بالقرب من شاطئ كانوب وكان يكثر في المحادثات الفلسفية مع تسانوفينس من عين شمس وسونيس الصاوي أكبر علماء الكهنة ، كما نجد في رواية أفلاطون والتي أوردها في محاورته تيمايوس حديثا دار بين صولون وكاهن مصري أدركته السن العالية ، قال كاهن صا الحجر sais : يا صولون أنتم معشر اليونان لاتزالون أبد الدهر أطفالا ، لا وجود لشيخ يوناني ، فلما سمع صولون هذا قال ماذا تعني بقولك هذا ؟ فأجاب الكاهن أن روح كل منكم روح شابة ، إذ ليس في قلوبكم معتقد واحد قديم أو مستمر من تقليد قديم ، بل ليس لديكم علم واحد عريق القدم . وأخذ يشرح له بلطف ووداعة ما يتحلى به المجتمع المصري من مزايا جميلة ، ويفسر له تشعب المجتمع المصري إلى طوائف ونحو ذلك ، فدهش صولون (١).

أما عن أفلاطون فقد ارتحل إلى مصر على شكل تاجر معه شحنة من الزيت

(١) Timaios ; 55-56

الذى استخرجه من زيتون ضيعته . وهنا في مصر باع ما كان معه في مدينة
نقراطيس وقد ورد في معرض محاوراته ذكر مصر وما كان يكتفه لها من تقدير
واحترام ، ففي محاوره فيدروس يقول سقراط : سمعت أنه كان في نوكراتيس من
أرض مصر إله من الآلهة القدماء في تلك البلاد ، وهو الذى كان طائرته المقدس
يسمى أبيس واسم ذلك الإله نفسه تحوت هو الذى اخترع الأعداد والحساب والهندسة
والفلك والرسم واللعب بفصوص النرد ، وأهم من ذلك كله أنه هو الذى اخترع
رموز الكتابة ويذكر أن الإله تحوت قال لملك مصر : إن هذا الإختراع ، أيها الملك
سيؤتي المصريون من الحكمة فوق ما لهم ، وسيجعل ذاكرتهم خيرا مما هي عليه ،
لأن الذى اخترعته أكسير الذاكرة والحكمة ولكن لم يفتتح بذلك ، وخشي أن يؤدي
اختراع الكتابة إلى إفساد الذاكرة بدلا من أن يؤدي إلى تقدمها ، كما أشفق من أن
يقرأ الناس من غير أن يحفظوا ما يقرأون^(١) ، كما أنه قد ذكرها في محاوره تيمايوس
التي سبق أن ذكرناها عند الحديث عن صولون ، ويذكر هنا فيها أيضا أن أثينا
أسسها كيكروبس^(٢) المصري من سايس في غرب الدلتا ويقر أن نيت إلهة المدينة
هي نفسها أثينا^(٣) . وفي مكان آخر نجده بمتدح الفن المصري والموسيقى ويذكر أن
الإغريق قد تبناوا هذه الفنون^(٤) . وفي الإيبينموس نجده يقول : للعدد أهمية بالغة ،
وأبلغ ما تكون في الحركات المنتظمة للأجرام السماوية من نجوم وشمس وقمر
وكواكب والمجسمات المنتظمة أعدل العناصر الخمسة ، والعنصر الخامس هو
الأثير ، والروح أقدم من الجسد وأكثر منه قدسية ، والنظام عدل العقل ، والفوضى

(1) Phaidrás iv 274 D .

(٢) انظر عبد المعطى شعراوى ، ص ٢٠ .

(3) Herd . II 21, 62 ,Temaïos 21 E , Bernal . Plack . Athena , 1987 . pp . 78-90

(4) Davis , plrio in Egypt . JEA . 1979 . pp. 121-127 .

عدل اللاعقل والنظام الأعظم للحركات السماوية يمثل العقل الأسمى ، والكواكب
أرباب لا محالة ، لقد عرف هذا المصريون والسريان (يعني البابليين) من آلاف
السنين ، وعلينا أن نتقبل معلوماتهم ودياناتهم بعد تهذيبها ، مع الإبقاء على ما يليق
بالأرباب الأقدمين من الحرمة تمثيا مع التقاليد وجلالها . ويجب أن تكون عبادة
الأجرام السماوية وهي الأرباب المرئية ديانة الدولة وهذه الديانة تمد الإغريق بفكرة
الوحدانية فضلا عن إمدادهم برابطة شاملة غير مادية (١).

وقد شكك معاصرو أفلاطون في أن جمهوريته تستند إلى أصل مصري وأنه
ليس مؤلفها وإنما نسخها من الدساتير المصرية وسار على هذا الرأي نفر من
الباحثين المحدثين إذ يقول كارل ماركس إن جمهورية أفلاطون فيما يخص تقسيم
العمل كمكون أساسي للدولة هو فقط نموذج أثيني للنظام المصري .

والمطالع للجمهورية سيجد أن أفلاطون تأثر واستعار أفكاراً شرقية ، إما
بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال تلامذته ومحبيه المجوس والكلدانيين
فذكره للأسطورة إر ER البامفيلية ترجع إلى أصل كلداني إيراني (٢).

وأسطورة ولادة الأرض للناس تعد في النص نوع من القصص الفينيقي
وشأنها في ذلك شأن رواية كرلوس (٣) . كما نجد آراءه (المثنوية) وهي (المثل
الكامنة) في محاوراته الأخيرة فلعلها مستقاه من الديانة الإيرانية فقد ورد اسم
زرادشت المجوسي في محاوره الكبياديس (٤) ، ويرى البعض أن هناك وجوه شبه

(١) سارتون ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٩-١٠٠ .

(2) Republic , x 616 .

(3) Republic . III , 414 .

(4) Alcibiades , I , 121A-122A .

كثيرة بين الفلسفة الأفلاطونية من ناحية وفلسفة الساماكيا Samakhya وفيدانتا Vedanta الهندية^(١) .

ويقول ديموقراتيس الأبادري لقد طفت معظم أرض كل ملك من الملوك في زمني ، باحثا أقصى الأنحاء ، ورأيت معظم الأجواء والبلاد ، وسمعت من العلماء الكثيرين ، ولم يفقن أحد فيما كتبت ، ولم يفقن في بيان البراهين أحد حتى المصريون الذين يسمون مادي الحبال وهم الذين عشت معهم جميعا غريبا حتى بلغت الثمانين^(٢) .

وممن رحلوا أيضا إلى مصر والشرق هيردوت الذي أفرد لها كتابا من مؤلفه عن الحروب الفارسية إذ نجده يشرح فيه انتقال العلوم والمعارف المصرية إلى بلاد اليونان ، فعندما يتحدث عن اختراع علم الهندسة وانتقاله إلى بلاد اليونان نجده يقول : ثم إن هذا الملك (على ما قيل) قسم البلاد بين المصريين جميعا بأن

(1) R. Reitzenstien H.H schacder , studien zum antiken synkretismus aus Ilan , lips 1926 p 235 . Joseph Bidez & Franz Cumont , les mages hellenises , Paris . 1938 , Simon Petrement , le dualisme chez Platon , les Gnvoltques et les Manicheens , Paris . 1947 . pp. 354 . Franz Cumont , dux Perpetua , Paris . 1949 , pp. 558 .

(2) T. Heath , Op. cit , p. 122

في الواقع أنه كان من أسرة ميسورة الحال فبعد وفاه والده قرر أن ينفق تركته الضخمة على البحث والدراسة في الخارج . ولم يكن هذا بدعا في اليونان ، فقد سبقه في هذا فلاسفة وشعراء وأطباء ، فمنهم من طاف في بلاد اليونان والمناطق الناطقة باليونانية ، ومنهم من جذبته سحر الشرق وأسراه ففرروا السفر والترحال طلبا للعلم والمعرفة فيه ، ومن بين هؤلاء كاد ديموكرتيس الذي سافر إلى مصر واستقر بها خمس سنوات يدرس الرياضيات وبلغ مروى ، ثم بعد ذلك سافر إلى بلاد الكلدان ووصل إلى بابل ومنها إلى فارس ولعله وصل إلى الهند ولم يكن في ترحاله وتجواله سانحا متفرجا ولا تاجرا ، إنما كان طالب علم وفيلسوف باحث عن الحكمة والمعرفة .

أعطى كل واحد منهم قطعة مربعة من الأرض تساوي ما أعطاه للآخر ، وجعل ذلك مصدر دخله ، بأن حدد ضريبة تدفع كل عام وكان إذا طغى فيضان النهر وغمر جزءاً من أرض أحدهم ذهب إلى سيزوستريس وأخبره بما أصابه ، فبيعت الملك رجالاً ليروا الأرض ويقسموا المساحة التي نقصت كي تدفع الضريبة المحددة على قدر ما أصاب صاحب الأرض من خسارة .. ومن هنا أرى أن اليونان تعلموا فن تقدير مساحة الأرض ، أما الساعة الشمسية والمزولة وقسمة النهار إلى اثني عشر قسماً فجاءت اليونان من بابل لا من مصر^(١).

وإذا كان قد ذكر فضل مصر وبابل في مجال الهندسة والفلك فإنه فيما يضيف ما قدمته مصر من فضل لليونان في مجال الديانة فيذكر أن بنات دناؤس قد قمن بتأسيس معبد للآلهة أثينا في لندوس بجزيرة رودس وكان ذلك أثناء هروبهن من أبناء عمهن أيحبثوس^(٢). وفي موضع آخر يقرر أن بنات دناؤس قد أدخلن الاحتفالات والشعائر السرية للإلهة ديميتر وهذه الشعائر قد جلبتها من مصر وعلمن نساء البلاسجين إياها^(٣)، ويضيف في مقام آخر أنه لدينا فكرة عن أن ميلامبوس Melampous قد أدخل عبادة ديونيسوس إلى بلاد اليونان مع الأضاحي لتكريمه وهذا من ضمن أشياء كان قد تعلمها في مصر . ويضيف قائلاً إن أسماء الآلهة كلها أتت من مصر وتم اقتباسها من قبل اليونانيين فيقول : أنه تم اخباري في دودنا أن البلاسجيين قد قدموا القرابين من كل نوع وابتهلوا للآلهة ولكن دون تمييز للاسم أو اللقب لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بمثل هذه الأمور . فقد سمو الآلهة Theoi (المخلصين) وبعد فترة طويلة فقد أتت أسماء الآلهة إلى بلاد اليونان من مصر .

(1) Herd . II , 109 .

(2) Herd . II , 182 .

(3) Herd . II , 171 .

وأن البلاسيجيين قد تعلموها ، ثم بمرور الوقت أرسلوا إلى دودنا يسألون النصيحة حول ملائمة تبني الأسماء التي أتت إلى الوطن من الخارج وكانت إجابة النبوءة انه من المناسب استخدامها . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا فقد استخدم البلاسيجيون أسماء الآلهة عند تقديمهم للأضاحي ، ومن البلاسيجيين انتقلت أسماء الآلهة إلى الإغريق^(١). وفي موضع اخر يذكر أن هناك أصولا مصرية وليبية لنبوءة دودنا في إبيروس Iperus، ويعتمد في هذا على تقارير الكاهنات هناك والكهنة المصريين في طيبة المدينة المصرية^(٢).

وإذا كان قد ذكر فضل مصر وبلاد الرافدين فإنه يذكر فضل الفينيقيين على اليونان إذ يقرر أن كادموس بن إجينور قد نزل فيها (ثيرا) عندما كان يبحث عن أوربا^(٣)، وأن الفينيقيين الذين أتوا مع كادموس أدخلوا إلى بلاد اليونان بعد استقرارهم في هذا البلد عدداً من الأمور أهمها الأبجدية الفينيقية ، وهذا الفن الذي لم يكن معروفاً حتى هذا الزمان^(٤).

وممن زاروا مصر أيضا يودكسوس الكندي وهو من تلامذة أفلاطون ، مع الطبيب خريسبوس الكندي حاملا خطاب توصية من الملك أجسيلاتوس إلى الفرعون نتحتانابيس (نحت-حار-حبي) أول ملوك الأسرة السمندية (٣٧٨-٣٥٠) وأوصى هذا الفرعون الكهنة به (وهم أرباب العلم في مصر) وبقي في مصر ستة عشر شهرا تعود فيها على عادات المصريين مضيفيه فحلق لحيته وحاجبيه ، ويذكر فافورنيوس (من عهد هادريان ١١٧-١١٨) أنه حينما كان يودكسوس في مصر

(1) Herd , II , 49-52 .

(2) Herd , II , 55-58 .

(3) Herd , IV , 147 .

(4) Herd , V , 50-55 , Diod . III , 61 , 1 .

مع خونوفيس وهو من عين شمس لحس العجل أبيس عبايته فنتبأ له الكهنهه ببعده الصيت وبأنه لن يعمر طويلا ، وكان قد درس الفلك الفيثاغوري والأفلاطوني والمصري ويقال أنه أقام مرصدا في مصر بين هيليوبوليس وكركيسورا على النيل وظل مرصده هذا حتى عهد الإمبراطور أغسطس^(١) .

ومن بين من ذكروا فضل مصر الخطيب أيسوكرتيس إذ نجده يقول في الزمن الماضي كثير من الأجانب سينو الحظ في بلادهم ، يفترض أنهم حكموا المدن اليونانية ومن هؤلاء دناوس ، المنفي من مصر ، تولى ملك أرجوس ، وكادموس قد صار ملكا على طيبة^(٢) . ويسوق في عمل آخر مدحا عظيما لمصر في شخص ملكها كمشرع ويثني على كمال دستور بوزيريس Bousiris ، ويقول إن أرض مصر وشعبها أكثر الأرض مباركة في العالم^(٣) ، ويضيف قائلا إن الفلسفة هي نتاج المصريين ويقرر أن فيثاغورس ، الذي صار تلميذا لديانة هذا الشعب هو أول من أحضر الفلسفة للإغريق^(٤) . ويذكر حسب رواية هيردوت أن الإسبرطيين مديين بدستورهم لمصر ، ويقرر أن الإسبرطيين فشلوا في أن يتموا مبدأ تقسيم العمل ، وأن دستورهم كان يعتربه النقص والقصور ، مقارنة بالدستور المصري ، وأن الفلاسفة الذين ناقشوا الدساتير فضلوا الدستور والنظام المصري^(٥) .

أما عن أرسطو الذي لم يدرس مع أفلاطون فحسب ، بل درس أيضا مع يودكسوس الكندي السالف الذكر وتأثر كثيرا بهيردوت ووصفه لمصر ، ومن

(١) جورج سارتون ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٩٩-١٠٠ .

(2) Helen , x , 68 .

(3) Bousiris , 30 .

(4) Bousiris , 28 .

(5) Bousiris , 18 .

الواضح أنه قد انبهر بمصر وحضارتها ، وإن كنا نجده في بعض الأحيان قد ركز على قدم وعراقة بلاد الرافدين والحضارة الإيرانية ، إلا أنه في رأيه أن المصريين كانوا أقدم الشعوب (١).

ويذكر في موضع آخر أن مصر كانت مهد الرياضيات وأن الكهنة اخترعوا فنون الرياضيات mathematikai technai وعلوم المساحة والحساب والفلك التي كان الإغريق قد بدأوا في معرفتها(٢). وفي الواقع فإن إعجابه بمصر قد فاق إعجاب هيردوت في هذا المجال فبينما يعتقد هيردوت أن المصريين قد طوروا علم المساحة مفتاح العلوم لأسباب عملية أى قياس الأرض بعد أن تطمس علامات الحدود بمياه الفيضان السنوية ، فإن أرسطو يؤيد أنها قد نمت وتطورت بشكل نظري عقلي بحث من قبل الكهان(٣).

كما تذكر المصادر أن الشرقيين قد استقروا وأقاموا في بلاد اليونان والجزر ويقرر ثيوكيدديس أن الكاريين والفينيقيين قد استوطنوا أغلب الجزر وأشار إلى الدانائيين والكاموسيين كاسم قديم لبويوتيا ، وبضيف أن ملوك أرجوس المنحدرين من برسبوس الذي يذكره هيردوت إما كمصري أو آشوري .

ولدينا أخبار عن زيارة رواد ومفكرين يونان زاروا مصر والشرق ونهلوا من علوم أهل تلك المناطق ومن هؤلاء فركيدس وهيراكليتوس وأناكساجوراس ولوكورجوس وأناكسماندز .

(1) Arst , Mebrologika , I 14 , 351b , 28 .

(2) De caelo , II . 14 . 298a .

(3) Froidefond . le mirage egyptien dans la litterature grecques d'Homere a Aristote , Paris . 1971 . pp. 347-350 , motc. 61

بعد أن عرضنا لبعض الأقوال المأثورة للمفكرين والكتاب اليونان حول فضل الشرق على حضاراتهم ننتقل الآن لمناقشة قضية أثارها اليهود حول استفادة اليونان من التراث اليهودي في العصور العتيقة والكلاسيكية .

ونطرح السؤال التالي : هل اقتبس اليونان حضارتهم من الحضارة اليهودية حسب زعم اليهود ومن شايحهم من رجالات الكنيسة ؟

لدينا سلسلة من المزاعم التي ترى أن الحضارة اليهودية هي الأصل والينبوع الذي استمدت منه الحضارة اليونانية ، إذ يزعم أريستو بوليس اليهودي (كان معاصرا للملك بطليموس السادس) في تعليقه باللغة اليونانية على أسفار التوراة الخمسة أن هوميروس ، وهيسيود ، وفيثاغورس ، وأفلاطون وأرسطو. قد اقتبسوا الكثير من التراث العبري ، ويزعم لوكيوس كورينيليوس الإسكندر اليهودي بأن الحضارة اليهودية هي أقدم حضارة في العالم وأن أفضل المعارف والعلوم التي كان اليونان يعرفونها مقتبسة عن مصادر يهودية ، ومن مزاعمهم أيضا أن اللغة العبرية هي لغة الإنسان الأولى⁽¹⁾.

وقد سائر وعضد آباء الكنيسة هذه الفرية إذ نجد جوستين يحاول ان يقرن أفلاطون بالنبي موسى ، وحاول كلمنت أن يؤكد ويثبت أن العهد القديم أقدم بكثير من نشوء الفلسفة عند اليونان ، وأن فلاسفة اليونان يجب أن يكونوا قد نهلوا من المعين اليهودي ، وفي موضع اخر يقول : (إن أصالة التعليم الخلقى وسموه في

(1) Sarton . Introduction . vol. 3 . pp.363 , Holger Pedersen , Lingvstic science in ninetenth century , cambridge . 1931. pp. 7-9 .sleo.

وانظر أيضا سارتون نفسه ، ج ٥ ، ص ٥٨ .

العهد القديم أرفع وأنبل مما هي عند اليونان^(١) وتستمر هذه الادعاءات والمزاعم بأصالة الفكر اليهودي وقدمه عند كل من كتاب العصور الوسطى والنهضة الحديثة، ففي الرسالة الحادية والعشرين من رسائل إخوان الصفا والتي يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من القرن العاشر نجد أحدهم يسأل خطيباً يونانياً شديد الزهو والإعجاب بالفلسفة والعلوم اليونانية من أين كل هذه العلوم والحكمة التي ذكرتها وافتخرت بها لولا أنكم أخذتم بعضها من بني إسرائيل أيام بطليموس وبعضها من علماء أهل مصر^(٢)، ونادى بهذا الرأي كاتب عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وهو روجر بايكون إذ يقول إن الحضارة العبرية هي الحضارة الأولى الأصيلة والتي نقل عنها اليونان، وتزعم روايات يهودية بأن أرسطو قد اقتبس علمه وفلسفته من مصادر يهودية وأن أرسطو حسب هذه الروايات والمزاعم يهودي بالسلالة أو ممن ارتدوا واعتنقوا الدين اليهودي^(٣).

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر نجد كاتبين يهوديين، أولهما: منير بن سليمان الطليطلي وقد زعم بأن العلوم اليونانية عبرية في أصلها، والثاني: منير بن سليمان القاضي وزعم بأن أرسطو قد حاول في كتابه الأخلاق لنيكوماخوس إيضاح التعاليم الدينية كما وردت في التوراة، أي أنه اقتبس أفكاره من التوراة^(٤).

(١) سارتون نفسه، ج ٥، ص ٥٩-٦٠.

(٢) رسائل إخوان الصفا، تحقيق خير الدين الزركلي، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٣) سارتون نفسه، ج ٥، ص ٦٠. أنظر حاشية ٢٦.

(٤) سارتون نفسه، ج ٥، ص ٦٠.

وإبان عصر النهضة استمرت هذه الادعاءات والمزاعم فنجد أحد رجالات الكنيسة يقول للملك هنري الثامن : (أنا لا أعارض ما جاء في هذه الكتب اليونانية ولا أقف منها موقف العداة مادامت هي مستمدة من العبرية ⁽¹⁾ .

وحاول أتين جيشار في مطلع القرن السابع عشر أن يثبت أن جميع اللغات بما فيها الفرنسية تم اشتقاقها من اللغة العبرية ⁽²⁾ . وفي النصف الثاني من نفس القرن نجد كاتباً يهودياً هو (زحازي بوجان) Z. Bogan قد ألف كتاباً بعنوان Homerus Hebraizon الأمور العبرية عند هوميروس وقد حاول أن يدلل فيه على أن العلوم والمعارف اليونانية مصدرها الأم هو الحضارة العبرية ⁽³⁾ ، وسار على نفس النهج جايمس ديپورت في كتابه العلوم والمعارف الهومرية ؛ إذ نجده يحاول أن يثبت وينقضى أوجه الشبه بين الشعر الهومري والتوراة ⁽⁴⁾ .

ثم نجد الكاتب جوشوا بارنز Joshua Barnes يذهب أبعد من ذلك عندما حاول أن يثبت أن الإلياذة والأوديسة هما من تأليف الملك سليمان ⁽⁵⁾ .

وفي النصف الأول من القرن الثامن عشر نجد باحثاً يحاول أن يؤكد في كتابه أن الحضارة العبرية وأن اليهود ، لا المصريين القدماء هم بناء الحضارة الأصليين ⁽⁶⁾ ، وسار على نفس النهج كاتب آخر حاول أن يبرهن على أصالة

(1) Frances Hactet . Henry the VIII (Garden city) , 1931 , p.105 .

(2) E. Guichard . Harmonie etymologique des langues , Paris , 1606 : louis petit de julleville . Hestoire de la langue Francaise , paris (1896) vol. 5 , p.III .

(3) Z. Bogan . Homerus Hebraizon . Oxford , 1658

(4) Gnomologca Homericca , Cambridge . 1660 .

(5) Martin Lowther Clarke , Greek studies in England , 1700-1830 , Cambridge Univ . , press. 1945 , Isis 57 (1947) p.2 } .

(6) C. Noblot , L'origine et le progres des arts et sciences , Paris , 1740 , pp.428 .

الحضارة العبرية وعلى أنها مصدر استقى منه اليونان ، وقد استخدم الحجج التي كان قد استخدمها من قبله كلمنت السكندري (١).

وهكذا نجد أنفسنا أمام فرية أو زعم تم ترديده لحقبة طويلة من الزمن تمتد من العصور القديمة (الهلينستية) حتى العصر الحديث وهذه المزاعم - العلوم والفلسفة اليونانية عبرية الأصل - تشويه للحقيقة . ثم إن الذين سبقوا اليونان في العلوم والحكمة والفنون لم يكونوا يهوداً ، وإنما كانوا من المصريين القدماء وبلاد الرافدين ، وبلاد الشام وإذا كان آباء الكنيسة قد عضدوا وناصروا عراقة الحضارة اليهودية فإن ذلك كان بهدف إعلاء شأن المسيحية والحط في نفس الوقت من مكانة الوثنية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، كما أن في هذه المزاعم غلوّاً وتمادياً إذ تدعي أن التوراة قديمة للغاية وأنها انتقلت قبل هوميروس إلى اللغة اليونانية ومن ثم استطاع الشعراء والفلاسفة والعلماء أن يقرأوها وهذا شيء في رأينا لم يحدث ويكفي أن ندلل على أن البطالمة استفدوا سبعين مترجماً لترجمة التوراة في عهد بطليموس الثاني ، وهذا جهد لم يكن متاحاً للحضارات القديمة في بلاد اليونان قبل هوميروس. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المفكرين اليونان كانوا يتفاخرون بأنهم درسوا في مصر وبابل ولم يذكروا شيئاً عن الحضارة اليهودية ، في الوقت الذي كان اليوناني القديم ينسب الفضل لأهله فالواقع أن الحضارات الشرقية كانت ضاربة في القدم مقارنة بالحضارة اليهودية كما أن القول بأن الإلياذة والأوديسة من تأليف الملك سليمان مردود عليه فالملك سليمان النبي كان لا يقبل أن يروج للفكر الوثني وأن يعرض لآلهة من الذكور والإناث وصراعها وتآمرها ضد بعضها البعض !

(1) S. Spinner , Herkuafst . Entstehung und antihe Umwelt des hebraischen volkes : ein neuer Beitrag zur Geschichte der volker vorderasiens . Vienna , 1933 . pp. 548; (Isis 24 , 1935 . p. 262) .

وفي ضوء ما سبق عرضه نخرج بعدد من الحقائق وهي :-

١- أن الصلات بين بلاد اليونان وحضارات الشرق القديمة كانت على قدم وساق منذ أقدم الفترات .

٢- أن حضارات الشرق كانت متقدمة في فروع العلم العديدة لدرجة أنها جذب كبار علماء ومفكري اليونان للسفر والترحال طلبا للعلم والمعرفة ونقل ما تعلموا واستفادوا منه .

٣- أن الأفكار الشرقية قد انتقلت إلى بلاد اليونان من خلال رحلات التجارة وربما كانت هناك هجرات انتقلت من الشرق واستقرت في بلاد اليونان ولعل أسطورة كادموس الفينيقي ، ودناؤس وبناته أكبر دليل على ذلك فلم ينكره الكتاب اليونان (مؤرخون وفلاسفة) بل أكدوها .

٤- أن علوم الشرق لم تكن علوما تجريبية فحسب بل كانت علوما تجريدية أيضا ولعل قول أرسطو خير دليل على ذلك .

وفي ضوء ما سبق فإنه يمكننا أن نقرر أن مفكري اليونان كانوا يعترفوا بفضل أمم الشرق عليهم ومعرفة حقيقة أنفسهم ، وإذا كان هناك مفكرون محدثون يتعصبون للحضارة اليونانية ولم يروا سواها ، بل أنكروا كل فضل للشرق وحضارته عليها ، فإن هناك العديد من الدارسين المحدثين أصحاب النظر الموضوعية والذين نسبوا الفضل لأهله فأقروا باستفادة الحضارة اليونانية من حضارات الشرق ومن أمثال هؤلاء هيجل الذي يقول : إن الأصول الأولى للحضارة اليونانية كانت مرتبطة بقدم الأجنبي وكان الإغريق يشعرون تجاهه بشيء من الامتنان فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد ، وصنّوا الغزل والنسيج واستئناس الخيل ، بل إن كثيراً من مدنهم الهامة قد أسسها أجناب

فأتينا وهي لفظ عبر يوناني قد أسسها مصري يدعى كيكروبس Kekrops وطبيعة أسسها كادموس وهو أمير فينيقي ويقول سارتون : إن أصولاً شرقية كانت منهل الإغريق ولولاها لما كان نبوغهم فيما نبغوا فيه وأنه من السذاجة بمكان أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق ، ذلك أن معجزة الإغريق سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد الرافدين وغيرها من الأقاليم ، وأن العلم الإغريقي كان إحياء أكثر منه اختراعاً وأن التقدم الإغريقي ما كان مستطاعاً بدون الأصول الشرقية .

كما يقدم لنا مارتن برنال وجهة نظر شاملة وموثقة في سفره الرائع Black Athens حول استفادة اليونان من التراث الحضاري الشرقي المصري الفينيقي وهو بذلك يناقض الرأي القائل بأصالة حضارة التراث اليوناني وأن الاستفادة من الشوق وهم باطل ، وأنه يتعين محو نظرة القدماء القائلة أن الأفارقة وسكان الشرق الأدنى هم الذين أدخلوا الحضارة إلى اليونان ، وأن الهوس بالمصرييات Egyptomania والأجانب أدى إلى وهم وضلال . وقد أثر هذا في اليونانيين العقلاء وغرس فيهم اعتقاداً بأن مصر هي ركيزة ومحور ثقافتهم . ويعزو الباحث هذا الرأي إلى عنجهية التعصب والفكر القومي والكرهية العرقية ضد اليهود ، وأن سبب دراسته هو دحض وتفنيذ عزلة أوروبا عن بقية العالم وتفوقها عليه ، وهو زعم خاطئ ومضلل تاريخياً وضار وخبيث سياسياً . وقد استخدم برنال كل ما أتيج له من مصادر وثائقية وأدبية ولغوية لدحض هذه الزاعم ، وقد بدأ تفنيذ مزاعم هذا التيار الفكري الذي يقلل من شأن وأصالة وصدق روايات كتاب اليونان القدماء الذين زاروا الشرق بأنهم لم يكونوا على دراية بلغاته ، وانهم لم يستفيدوا من علومه وثقافته ومعارفه الاستفادة الكاملة . ويرد على هذا الأمر قائلاً : حقا إن علماء المصريين المحدثين عليهم أن يقرءوا اللغة المصرية القديمة أفضل من اليونانيين الذين قصدوا مصر إلا أنهم لا يستطيعون أن يقرءوها شأن الرواة المصريين القدماء

والمحدثين بلغة يونانية ، كما أن المؤرخين المحدثين على خلاف اليونان الأقدمين لا يمكنهم أن يستشعروا المجتمع المصري القديم بصورة واقعية وأن يسألوا ويتعاملوا مع المصريين القدماء مباشرة ، يضاف إلى هذا أن هؤلاء الكتاب القدماء قد عاشوا في الفترة من عام ٥٠٠ ق.م إلى ٥٠٠ م ، وكانوا أقرب للحقبة التي اقتبس فيها اليونان من حضارات الشرق هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كان متاحا لهم مصادر مادية وهي السجلات التي كتبها مواطنون محليون وأكملتھا الوثائق المصرية والفينيقية ، وتراث شفاهي تم تناقله عبر الأجيال وبقايا ومخلفات أثرية وآثار معمارية قدمت جميعها للمؤرخين اليونان بعد القرن الخامس - معلومات التي تعد معلومات مهمة وكافية عن ماضيهم ، كما أن زيارتهم لمصر وفينيقيا كانت تعطيهم المعلومات التي كانوا تواقين لمعرفة ، ويقول إن هؤلاء الكتاب قد سرّوا عندما اهتموا إلى الجذور التاريخية العميقة لثقافتهم عبر الحضارتين المصرية والفينيقية على الرغم من نزعتهم العرقية والعنصرية .

وبعد هذا التفنيد من قبل برنال في عرض وجهة نظره بصحة ما قاله الأقدمون من مفكرى اليونان بشأن الحضارة الشرقية وأثرها في حضارتهم وأن هذا الأثر قد كشفت عنه المصادر الوثائقية والتي تكشف عن عمق وقدم العلاقات بين مصر وحوض بحر إيجه ابتداء من القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد أي من العصر البرنزي القديم (٣٠٠٠-٢١٠٠ ق.م) وأن المصريين كانوا على دراية ومعرفة بمنطقة بحر إيجه وبلاد اليونان ، وأن هناك علاقات قامت في عهد الدولة الوسطى واستمرت ، وأنه في عصر الهكسوس حدث تحالف بين المصريين وحكام هاو-نبو (Haw-Nbw) (منطقة بحر إيجه) ، ثم توافدت البعثات من تلك المنطقة إلى مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كما حاول الربط بين ما ذكره ديودوروس

بأن كيكروبس هو مؤسس أثينا وأنه قد وفد من مصر وربط بينه وبين سنوسرت الأول إذ إن اسمه الأول هو خبر كارع (Kheper-Kare) .

كما نجده أيضا يحاول الربط بين الروايات المتواترة الخاصة بخروج الهكسوس الساميين وبين هجرة الدنائيين إلى اليونان كما يوردها التراث اليوناني ، ويقول إن وراء الأسطورة جانباً من الحقيقة أو أنها تحتوي على بذور للحقيقة .

ولم تكن العلاقات اليونانية قاصرة على مصر بل نجد هناك علاقات وثيقة بين الساحل السوري وبلاد اليونان وخاصة أوجاريت وصور ، وأن هذه المناطق كانت على معرفة بأحوال منطقة بحر إيجه واليونان وهذا ما تكشف عنه الألواح الطينية من المجموعة الخطية الثانية (Linear B) ، من فترة القرنين الرابع عشر والثالث قبل الميلاد ، التي كتبت بلغة يونانية عتيقة والتي تحتوي على الكثير من الكلمات السامية والمصرية ، ومن هذه الأسماء إيكو.بيتيجو Aikupitijo وميزاريجو Misarijo ، كما ورد بها ذكر اسم مدينة صور (توريجو) Turijo وتوريان بمعنى صوري أو من بلدة صور . كما تكشف هذه الألواح عن تشابه وتمائل مذهل مع الألواح المكتشفة ببلاد الرافدين من حيث نظام الأوزان والعبارات الإدارية التي تعالج كل منها اقتصاداً قاصياً .

ونستخلص مما سبق ذكره أن هناك شعباً وفد من هذه المناطق خلال العصر البرنزي إلى منطقة بحر إيجه ، وإن كان لا توجد قرينة تشهد على وجود مستوطنات أو غزو لها ، ويحاول أن يستخدم الأدلة والقرائن الأثرية لتأكيد رأيه حول وجود حركة هجرة واستيطان وغزو قبل الهكسوس في كريت ، وأن المقابر الموكينية كانت مقابر مصريين وفينيقين . واستخدم أيضا الدليل اللغوي لتأكيد عمق العلاقات بين بلاد اليونان والشرق فيقول : ان خمسين في المائة من الكلمات الدالة

على السلع الترفيحية والمداومات السياسية ليست هندوأوربية ؛ ويرى أن اللغة اليونانية هي أحد الأشكال الناتجة عن احتلال مصري فينيقي ، وأن أغلب الكلمات والعناصر غير الهندوأوربية في اليونانية يمكن تفسيرها أيضا على أساس مصري سامي غربي ، فنجد عدداً من الكلمات الدالة على الترف مثل العجاج Ibony من الكلمة المصرية Hbny وكلمة سمس Sesama من الكلمة السامية ومنها جلباب Khiton وذهب Khryses ، وفي مجال الدين اقتبست مذبح أو مكان مرتفع Bomas مقتبسة من Bamah السامية ، والشراب أو الرحيق الإلهي niktar من niqtar وتعني نبيذ مقطر أو متبخر ، والمجد الإلهي Kudos مقتبسة من Kds والفعل Kudazo وكلمة حياة haima مأخوذة من hayim الكنعانية وقدس الأقداس Naio أو Naos مأخوذة من Vnwh (Nwti) ويضحي Sphag من سبك Spk وصادق Makarios مأخوذة من ماكرو Makhrw .

وفي مجال القانون اقتبست كلمات منها الشاهد Martyros من Mtrw والشرف Tima من Dema . وفي مجال السياسة يرى أن كلمتي الملك Wanax و Basileus لا يوجد لها أصل في اللغة اليونانية ولا اللغات الهندوأوربية ويرجح أن الكلمتين تم اقتباسهما واشتقاقهما من المصرية ويربط بين الأولى والكلمة المصرية عنخ جت Nh dt وتعني عاش للأبد ، الثانية يربطها بالكلمة P3sr وتعني تابع الملك أو الوزير .

وفي مجال الحكمة Sophia يرى أن هذه الكلمة لا يوجد لها أصول هندوأوربية مقبولة ويرى أنه من الأوفق أنها مشتقة من الكلمة المصرية سبا Sha بمعنى يعلم أو تعليم ، ولما كان حرف b يكتب في اليونانية ph ويستنتج هذا من اسم الربة المصرية Nbt-ht نجدها بعد نقلها لليونانية naphthys وقياسا على ذلك فقد اقتبست كلمة Sophia من مصر .

وفي مجال الأسلحة فقد اُفتبست كلمة سيف إكسيفوس Xiphos من المصرية Sft ومرادفها Phisganos من السامية بسج Psq بمعنى قطع أو شق وكلمة Harma مأخوذة من الجذر HRM في المصرية والسامية .

ويستخدم أسماء المدن أيضا للدلالة على التأثير الشرقي فنجد يربط مدينة أثينا وربتها أثينا يربطها بمدينة سايس والربة نبت ويستخدم ما قاله الأقدمون بشأن ربطهما ويقول أن هناك تطابق في وظائف واختصاصات الربتين كما أن صورهما متطابقة ، ويربط إسبرطة بالأصل المصري وهي مأخوذة من سباط Spat بمعنى ولاية أو عاصمة ، كما يربط بين عقيدة إسبرطة وعبادتها لهرميس والكلاب وعبادة أنوبيس ، كما نجده قد حاول الربط بين كلمة لأكديمون وكانوب وكلاهما يعني بوابة العالم السفلي والروح والهانة ؛ ثم يورد التراث والروايات التي تذكر أن ليكورجوس قد زار الشرق ومصر ودرس مؤسستها . ويقول إن الأثر المصري يظهر واضحا في الفن الإسبرطي ، كما يحاول ربطهم بالهكسوس وأسطورة عودة الهيرقليين ؛ ويذكر رسالة أحد ملوك إسبرطة إلى الحبر الأعظم في القدس يذكر فيها أن الملك يقول للحبر إننا أقارب ، ويذكر مثال آخر أن طيبة مأخوذة عن الأصل المصري db3t db3 . وأن أسماء الأماكن المنتهية sos أو nthas ليست يونانية وأن الكلمات ذات النهايات السابقة قد وفدت من مصر والشام إلى منطقة الأناضول وبلاد اليونان ومن هذه الكلمات أبيدوس Abydos وسينوب Sinopo على الساحل الشمالي في تركيا الحديثة ، وكلمة Pontos بمعنى المحيط البعيد والأرض التي وراءه مأخوذة من بونت Pwnt وتعني أيضا الأرض البعيدة التي يتم الوصول إليها بحرا .

كما يورد أسماء جبال في بلاد اليونان ذات أصل مصري وسامي ومنها جبل بيليون Pelion ومقتبسة من P3rw بمعنى الأسد ، وجبل سايتا Saita في إركادبا المؤخوذ من اسم مدينة سايس Sais ، وأسماء الجبال البادئة Sam هي

سامية ومنها ساموس Samos وساميكون Samikon وساموثراكييا Samothrace مشتقة من كلمة سام Sam بمعنى سام أو سماء وأسماء المدن المرتفعة مثل هرميون Hermione مشتقة من حرمن السامية Hermn بمعنى الجبل المقدس .

وأطلقت أسماء أنهار مصرية وسامية على أنهار في كريت والبولونيز ومنها نهر ياردانوس Jardanos في كريت وفي البولونيز ومشتق من ياردان Jordan وكذلك الاسم Anigros مشتق من جذر سامي (ن) جر (N) GR بمعنى واحه أو نهر في الصحراء وكلمة فينوس Phencus من بانوي panwy بمعنى ماء أو فيضان وأكثر أسماء الأنهار اليونانية شيوعا وهو كيفيسوس Kephisos وهو مأخوذ من اسم مكان مصري كبح Kbh أو بمعنى رقبة أو نبع عذب بارد أو نبع النهر مع إضافة النهاية Sos .

وإذا كنا قد ذكرنا من قبل بعض أسماء الآلهة والالهات فنضيف بعض الآلهة التي ذكرها ومنها : هيكات وهى هكت المصرية ، والإله ايوبس كان يسمى في المجموعة الثانية Linear B وأيضا عند هوميروس إيناليوس Inyalios أو إينو وهو مأخوذ من أونوريس إله الحرب عند المصريين ، كما يعتقد فى كل ما ذهب إليه هيردوت بشأن التشابهات العقائدية الكثيرة بين النظام الدينى المصرى والنظام الدينى اليونانى ، ويقرر صراحة أن الرابطة بينهما وثيقة وأن النظام الدينى المصرى أقدم كثيرا ولهذا فإن مصر هي منشأ النظم الدينية ، ويستطرد قائلا : إن هناك تماثلاً وتشابهاً بين منظومة الأساطير المصرية والكنعانية واليونانية مثال ذلك أسماء أشهر أبطال اليونان إذ تفتقر إلى جذور هندوأوربية ولكنها جذور سامية مصرية ومنها بلليروفون Bellerophn مأخوذة من الأصل السامي بعل لرافون ، وأجاممنون مأخوذة من الأصل المصري ممنون (أمنحات) والبادنة أجا تعني العظيم أي ممنون العظيم وهذا ينطبق على أخيلليوس فهو اسم يصعب تفسيره في ضوء لغة

هندوأوربية وأصله سامي حيث نجد تكراراً كثيراً للبادنة Ahi أهي بمعنى أخي يكون ، ونجدها في أحرام Aheram ، ويلاحظ أيضاً أن الاسمين الآخرين له وهما بليوس Peleus وبلباديس Peliades مشتقان من الاسم المصري بارو P3rw بمعنى الأسد .

ويستمر في عرض قرائنه للتدليل على الأصل الشرقي للحضارة اليونانية بالحديث عن التأثيرات الدينية الشرقية على الديانة اليونانية ويعقد مقارنة بين العبادات المصرية في عهد الدولة الوسطى والحديثة وبين عبادات كريت واليونان ويقول إن هناك تطابقاً في العبادات ، كما يقول إن مراكز النبوءات المصرية قد انتشرت في نفس الوقت في المنطقة الإيجية أي في القرن العشرين قبل الميلاد كما يقرر أيضاً أن هناك صلات بين الأورفية وكتاب الموتى ويقول إنه في العصور الكلاسيكية كان هناك اعتقاد بأن أورفوس تراقي الأصل ولكنه تعلم الأسرار الملعونة في مصر ، كما يقول إن علاقة فيثاغورث يعرفها الجميع ويقول إن هناك تشابهاً كبيراً في العبادة المصرية وبين الأورفية والفيثاغورثية .

**** جملة القول إن مارتز برنال قد عرض لنظرية فحواها أن حضارة اليونان استقت علومها ومعارفها من الشرق ومن الساميين والمصريين على وجه الخصوص وقد استخدم كل ما أتيج له من مصادر أثرية ووثائقية وأدبية لإثبات أن الحضارة الشرقية كان لها الفضل على اليونان وحضارتهم ، وإن كان قد أغفل أثر بلاد الرافدين إغفالاً شبه تام كما أنه أراد أن يثبت ويؤكد أن وراء اسطورتى كادموس ودناؤوس جانباً من الحقيقة وأن هناك هجرات خرجت من مصر وبلاد الشام واستقرت في كريت واليونان مستخدماً الأدلة الأدبية والوثائقية واللغوية (1).**

(1) M. Bernal . Op. Cit , pp. 22 ~ .

وفي ضوء ما سبق يمكننا القول أن اليونان أقدموا على أصول الحضارة السابقة عليهم ينهلون منها ما وسعهم أن ينهلوا إذ لم ينشئوا كل عناصر حضارتهم إنشاءً ، بل إن هذه الحضارة هي وليدة أفكار سابقة مرت بمراحل متعددة من التلاحم والتفاعل والتطور فتناولتها أيادٍ حاذقة ماهرة حللتها وصقلتها بالتأمل والدراسة وأخرجت منها ما قدمه اليونان للتراث الإنساني ويصدق هنا قول ول ديورنت : إن ماورثه اليونان من الحضارات القديمة أكبر مما ابتدعوه ، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين وجاءت مدائنهم مع مغامر التجارة والحرب ، فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظمتنا شأنه فإننا بذلك نعترف بما علينا من دين لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوروبية والأمريكية ، وهو دين كان يجب أن يؤدي منذ زمن بعيد (١) .

ولنحاول الآن أن نوضح ما اقتبسه اليونان من الشرق في المصادر المتاحة ، فقد كان تأثير الشرق جلياً في مناحي العلم والمعرفة ، وإذا ما بدأنا في ذكر تأثير الشرق في مجال العلوم فقد كان الشرق متقدماً بألاف السنين في مجال الطب أي في الألف الثالث قبل الميلاد سواء أكانت في بلاد الرافدين أم كانت في مصر ، فقد أخذ اليونانيون مبادئ الطب والتشريح المصري والتي دونها المصري القديم وتركها لنا لحسن الحظ مدونة على أوراق البردي ومنها بردية إيبيرس وبردية هيرست وأردين سميث وبردية برلين ويظهر أثر هذه البرديات في كتابات ديوسكوريديس ، وجالينوس ، وهيبوكراتيس (أبقراط) .

أما عن مجال علم الأحياء والحيوان ، فقد استخدموا المعارف الشرقية في هذا المجال وخاصة أرسطو ، فقد ذكر لنا معلومات تدل على أنها قديمة للغاية

(١) ديورنت ، نفسه ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ١٠ .

وبعضها قد وصلته بطريقة خاطئة دون أن يقوم بتصحيحها ، ويقول العلامة تومسون إن أرسطو أخطأ خطأ فاحشاً في معلوماته عن بعض الحيوانات ويقول إن هذه المعلومات أتت من الشرق الأقصى عبر فارس ، وأن بعضها نصادفه عند حورأبولو الكاهن المصري ، ومن المعلومات الخاطئة ما رواه عن القنفذ البحري الذي ينمو نمواً كبيراً عندما يكون القمر بدرًا وقد قام أحد العلماء بدراسة قنفاذ البحر المتوسط ، فوجد أن هذه المعلومة غير دقيقة ، ولكن دراسته للقنفاذ بالبحر الأحمر أثبتت أنها تبيض على نحو مطرد عند كل بدر ، كما أن ترويض وتدريب الخيول أخذه اليونان عن الحيثيين .

كما نجد أن الكثير من المعارف الزراعية وأسماء الحاصلات قد انتقلت إلى اليونان من بلاد الرافدين ومصر والفينيقيين ومنها القاسيا ، والكمون ، والكركم ، والناردين ، واللبنان . وإذا كان لدينا آثار عن تأثير الشرق في الحضارة اليونانية فإن اليونان قد ساروا بهذه العلوم إلى أبعد ما وصلوا به من تطور في مجال الطب ، وعلم الحيوان وعلم النبات ولهم إضافاتهم التي لا ينكرها أحد .

التراث الرياضي استفاد اليونان من علوم ومعارف الشرق الرياضية المتقدمة ، فقد نهلوا من منابع الفكر الرياضي في بلاد الرافدين ومصر والذين كلنوا قد وصلوا إلى مرحلة التنظير ووضع النظريات ، ومن أمثلة ذلك أن نظرية فيثاغورث الرياضية قد سبقه إليها أهل بلاد الرافدين بعدة آلاف من السنين وهذا ما كشف عنه لوح من الطين المحروق محفوظ بمتحف بغداد للآثار ، كما نجد أن كلاً من : هيرودوت ودموكريتس وأرسطو قد مدحوا الرياضيات المصرية وبيّنوا مدى ما استفاده الإغريق منها . كما نجد أن مفكرى الإغريق بعد أن استوعبوا تجارب ومعلومات الشرق في المجال الرياضي أضافوا الكثير إلى جهود الحضارات السابقة .

وفي مجال الهندسة كان التأثير المصري عظيماً في علم الهندسة ، إذ شرح هيردوت اختراع علم الهندسة وانتقاله لبلاد اليونان والذي سبق أن ذكرناه ، كما ذكره سقراط إذ يشير إلى رقي وسمو علم الهندسة والرياضيات ، وتعد محسر عند كتاب اليونان الأولين مهد العلوم ومن ثم فقد قام كل منهم بالترحال ونقل العلم بها على يد سدنته من الكهان . وفي هذا الحقل نقلوا الكثير من العلوم المصرية وأيضاً البابلية وأضافوا إليه الكثير ، ونفس الشيء فقد نهلوا من علوم الفلك المصرية والبابلية ، فقد وردت عندهم أفكاراً مصرية قديمة لا تعي قدمها ذاكرة التاريخ أما ما تلقوه من التراث البابلي فكان عظيماً ، إذ نقلوا طريقة الرصد الفلكي من الشرق والساعة الشمسية وغيرها وسنجد أنهم أضافوا الكثير لهذا العلم .

أما عن مجال علم التنجيم فقد نقل اليونان هذا العلم من مصر ومن بلاد الرافدين إذ زار الإغريق مصر وبلاد الرافدين وفارس ونقلوا معارف تلك الأمم في هذا المجال ، بل نجد بعض منجمي بلاد الرافدين قد زاروا بلاد اليونان ويسروى أن أحد المجوس تنبأ بموت سقراط وعن كلدانى قرأ طالع يوربيديس ونجد أن هناك أفكاراً بابلية في الجمهورية⁽¹⁾ في محاوره تيمايوس عن العقيدة القائلة بأن كل روح تنتمي إلى نجم معين ، وعليه يمكن القول بأن هذا التأثير العميق على الفكر اليوناني يرجع إلى عام ٢٦٠ ق.م عندما أسس الكاهن والفلكي البابلي بيروسس مدرسة في جزيرة كوس وكتب كتابه بابيلونيكاً فقد اقتنع اليونان بعد ذلك كما يقول ديودور⁽²⁾ بأنه من طبيعة الكواكب أساساً ودراستها يمكن التعرف على ما يخفيه القدر للإنسان، وأنهم قد قاموا بنبوءات لا للعديد من الملوك فحسب . ومن المعتاد أنهم أصابوا كبد الحقيقة في كل نبوءاتهم بل أنهم تنبأوا للناس بما سيحل بهم في حياتهم الخاصة .

(1) Reput . s . 616

(2) Dirod . II , 40

وفي مجال الأدب نجد أن التأثير الشرقي يكون واضحا في الآداب والفنون اليونانية، فنجد شعر الملاحم قد ظهر عند السومريين والبابليين في عدد من الملاحم الشعرية أبرزها ملحمة جلجاميش وملحمة إيوماليليس (Eumaelish) .

ويرى نفر من الباحثين أن الأفكار والآداب البابلية قد أعطت للفكر اليوناني زادا قويا وهذا ما ظهر جليا في بعض الأعمال الشعرية والمسرحية المتأثرة بالمحتمتين السالفتي الذكر لكل من هوميروس وهيسيود وإسخيلوس وسوفوكليس ، ويرفع أحد الكتاب منزلة ملحمة جلجاميش وأثرها بقوله : إن ملحمة جلجاميش لهي ملحمة رائعة وينبغي أن يتم دراستها لمن نذروا أنفسهم لدراسة الثقافة اليونانية (1) .

ويرى البعض أن ملحمة جلجاميش قد أثرت في هوميروس وهذا يظهر جليا في الإلياذة والأوديسة ويبدو التشابه - في رأيهم - بين ملحمة جلجاميش وأسطورة ثيسبيوس ، وبين جلجاميش وأخيلليوس إذ عندما نقارن التشابه في قصة جلجاميش والأم نينسون Ninsun وصديقه أنكيدو Enkidu في الملحمة السومرية وهي ملحمة جلجاميش ، وبين أخيلليوس وأمه الآلهة ثيتس Thetis وصديقه باتروكلوتس في الإلياذة نجد أنه قد تم قتل الصديق بدلا من البطل بقرار من الآلهة ، وأن الموت أعقبه حزناً عميقاً للبطل على صديقه .

وكذلك التشابه بين جلجاميش وهيركليس ، ووفقا لجوزيف شيبان Joseph Sheban فإن لفظة هيركليس هي لفظة مركبة من كلمة (Herk) والتي قد تكون مشتقة من (Uruk) مدينة جلجاميش وكلمة (Les) والتي تعني أسد في اللغة اليونانية ، وبتركيب الكلمتين يكون لدينا مدينة الأسد ، وهو الاسم الذي كان يوصف

(1) G.S. Kirk , Myth , Cambridge unv. press , 1970 . p. 133 .

به هيركليس^(١) ويرى والكوت Walcot أن ملحمة أيومايليس كان لها تأثير عظيم على فكر هيسيوود ويظهر هذا في قصيدته عن أصل الآلهة Theogena ، إذ نجد أن قضية الخلق تطابق بين ما فعله الإله ماردوخ في ملحمة أيومايليس وبين ما فعله زيوس في قصيدة الثيوجينا لهيسيوود^(٢) .

ويرى باخثون آخرون أن كلاً من الشعراء المسرحيين أسخيلوس وسوفوكليس قد تأثرا بملحمتي أيومايليس وجلجاميش فقد تأثر أسخيلوس بملحمة أيومايليس في مسرحيته أورستيا وبرموثيوس في الأغلال في معالجته لكل من Theosnachy و Theogony أما سوفوكليس فقد تأثر بأسخيلوس في هذا المجال ثم نجده قد تأثر بملحمة جلجاميس في مسرحيته أوديب^(٣) .

كما توضح دراسات علماء المصريات أن هوميروس قد اقتبس الكثير من الأدب المصري ، ويرى هؤلاء العلماء أن دار النعيم في الأوديسة كانت هي نفسها داراً مصرية وتم تبرير هذا الرأي بأن مصر هي الأرض التي ينطبق عليها هذا القول بأنها لاتلج فيها ولامطر وبردها غير قارس ، بينما اليونان معروفة بكثرة تلوجها وغزارة أمطارها ، هذا فضلاً عن أن ريح الشمال التي يقول عنها هوميروس كانت تهب على دار النعيم لا تدع مجالاً للشك في أن هذه الدار كانت مصرية وليست يونانية لأن الريح التي تهب على مصر من جهة الشمال تكون علية تستريح لها النفس أما في اليونان فهذه الريح نفسها كانت تهب مصحوبة بعواصف وأمطار وتلوج ، ولذا فإن المصريين يحبون هذه الريح ، بينما الإغريق يخشونها ،

(1) Joseph Sheban , Following the Gods , New York . 1963 , p. 51 .

(2) Walcot , Op cit . p. 27-54 .

(3) Munzer Mohammed . Babylonian Dimensions in Greek Mythology : A compartive study of Eumaclish , The Orestia , Gilgamesh and Oedepal Saga , Damascus , 1996 , p. 111 .

أما الإله دارامنتوس الذى قاد منيلاوس زوج هلييني إلى دار النعيم ، فهو إله مصري
أى أوزيريس .

ويقال أيضا أن هوميروس أخذ قصة مصرية وأدخلها في الأوديسة بعد أن
غلفها بثوب يوناني لكنه ثوب شفاف ظهر منه ملامح القصة المصرية المنقولة
بموضوعها وسياقها وأيضا نصوصها ، وقد درس العالم الروسي جولنيستيف ملفا
من أوراق البردي الذى يحتوي على قصة مصرية مكتوبة بالهيراطيقية ومن عصر
الأسرة الثانية عشرة ، وفحوى هذه القصة أن سائحا مصرية ركب البحر وغرقت
سفينته وقذفت به الأمواج إلى جزيرة خرافية ، أما القصة اليونانية الواردة في
الأوديسة فهي تحكي لنا موضوع غرق سفينة أوديسيوس وإقامته في جزيرة ، وهذا
يعني أن هوميروس نقل القصة المصرية بكل ما فيها من الأوصاف والعبارات
ولبيان ذلك سنورد هنا بعض الفقرات من القصة المصرية والمنقولة إلى الأوديسة:-

١- موضوع القصة واحد - كل من القصة المصرية واليونانية - وهو غرق سفينة
الملاح في القصة المصرية وغرق سفينة أوديسيوس في القصة اليونانية .

٢- تعرض سفينة كل من المصري واليوناني للعاصفة .

٣- تعلق الملاح وكذلك أوديسيوس بقطعة من خشب السفينة .

٤- الأمواج قذفت بالملاح المصري إلى جزيرة خرافية مثلما قذفت بأوديسيوس
ودفعته الأمواج إلى شاطئ جزيرة.

٥- عبر مؤلف القصة المصري عن وحدة بطلها في الجزيرة ، ولم يكن معه رفيق
غير قلبه وهوميروس يقول أن أوديسيوس عندما كان على قطعة الخشب كان
يتحدث إلى قلبه .

٦- البطل المصري ظل ثلاثة أيام في الجزيرة وحيدا ، وأوديسيوس هو الآخر بقى
على قطعة الخشب ثلاثة أيام بلياليها .

- ٧- لجوء الملاح المصري إلى غابة الجزيرة التي تشبه المخبأ وأديسيوس لجأ إلى غابة الجزيرة وصنع لنفسه مخبأ بين شجرتين .
- ٨- الملاح المصري نام في الغابة التي التجأ إليها وأن ظلها كان يحيط به ، وأديسيوس نام في المأوى الذي صنعه لنفسه وأوراق الشجر كانت تحميه .
- ٩- الملاح بحث عما حوله ، فوجد أنواعا كثيرة من النباتات والفاكهة والبذور ، وأديسيوس وجد حوله الكثير من أشجار الفاكهة .
- ١٠- شكر الملاح الآلهة بإشعاله النيران وألقى فيها قربانا لها ، بينما أديسيوس ورفاقه قد أشعلوا نارا وألقوا فيها قربانا ثم عرفانا للآلهة .
- ١١- يذكر الملاح المصري أنه نام ، ولم يشعر بشيء ولكنه استيقظ فجأة فور سماعه دويا كدوي الرعد فكشف عن وجهه فرأى ثعبانا بالقرب منه وسأله هذا الثعبان عدة أسئلة وأجاب عليها ، بينما نجد رفاق أديسيوس قد كشفوا عن وجوههم عندما ناداهم أديسيوس .
- ١٢- يرد في القصة المصرية أن الملاح يجلس متربعا أمام النار التي أشعلها لتقديم القربان وأن الثعبان يطلب منه الجلوس بالقرب منه ، وأديسيوس يجلس متربعا بالقرب من موقد ملك الجزيرة الذي كان قد دعاه للجلوس على عرش براق وكل من الثعبان والملك يسألان نفس الأسئلة سواء للملاح أو لأديسيوس والأسئلة من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ فيجيب كلاهما بنفس الطريقة .
- ١٣- الرواية المصرية تقص عطف الثعبان على الملاح المصري ويتمنى له مستقبلا باهرا وفي الأوديسة نجد حديث ناوليسكا ابنة ملك الجزيرة إلى أديسيوس وتطمئنه على مستقبله وتتمنى عودة حميدا إلى وطنه .
- ١٤- يملأ الفرع قلب الملاح فور سماعه بأنه سيعود إلى وطنه امنا ، وأيضا أديسيوس يطير فرحا ويشكر ناوليسكا على دعواتها وتمنياتها له والعودة .

- ١٥- في القصة يسأل الثعبان من قبل الملاح ويجيبه أنه سيد بلاد تونت وأنه يتمنى الرحيل عن الجزيرة البعيدة التي لم يعرفها الناس ، بينما في الأوديسة تتكلم ناوسيكاً عن جزيرتها فنقول أنها في أطراف الأرض البعيدة عن الناس .
- ١٦- في الرواية المصرية نجد أن هذه الجزيرة ستختفي بين الأمواج بعد رحيل الملاح المصري ، وفي الأوديسة نجد أن هذه الجزيرة ستدمر بعد سفر أوديسيوس عنها .
- ١٧- في الرواية المصرية نجد أن الثعبان يخبر الملاح المصري بمصير الجزيرة بعد رحيله عنها ، وهذا أيضا في الأوديسة نجد أن ملكها يخبر أوديسيوس بمصيرها بعد رحيله عنها .
- ١٨- يودع الثعبان الملاح المصري ويدعو له بدوام الصحة ويعطيه الهدايا ، ويشكره الملاح على حسن معاملته ، بينما في الأوديسة نجد أن ملك الجزيرة وأسرته يتمنون له ولأسرته الصحة والسعادة ويمنحونه الهدايا ويشكرهم أوديسيوس .
- ١٩- في الرواية المصرية تتحطم سفينة الملاح أثناء عودته إلى وطنه ، ونفس الأمر في الأوديسة حيث تحطمت سفينة أوديسيوس .
- ٢٠- دخل الملاح المصري على الفرعون في شكل رجل مجهول ومجهد حيث رأى في رحلته الكثير من المحن أثناء محاربتة للرجال والأمواج ، وفي الأوديسة يعود أوديسيوس إلى وطنه وهو غير معروف الهوية ، ويقول أنا الذي مررت بالكثير من المحن أثناء محاربتني للرجال والأمواج .
- ولدينا مثال اخر على تأثر هوميروس بالأدب والأساطير المصرية ، فروايته عن أسطورة الآلهة ديميتير تكاد تكون متطابقة مع كثير من أحداث أسطورة إيزيس وأوزيريس ؛ فكلتا الأسطورتين تتشابه في البحث عن عزيز اختفى ، فديميتير تبحث

عن ابنتها المختطفة في كل الأنحاء والبلاد ، وإيزيس تبحث عن جثمان أوزيريس في كل مكان ، وتعلم إيزيس بمكان الأخ والزوج وتساfer إلى بيبيلوس على الساحل السوري حيث يوجد جثمان أخيها الموضوع في الصندوق الذي ابتلعته شجرة في جوفها وقطع هذه الشجرة ملك المدينة لاستخدامها كعمود في قصره ، وتستمر الأسطورة في سرد الأحداث بوصول إيزيس إلى المدينة وجلسها بجوار نبع تبكي أخاها وزوجها أوزيريس ، وأثناء جلوسها مرت عليها خادمة الملكة ورفقتها وعرضت إيزيس خدماتها عليها ومن كن معها ، وعندما علمت الملكة بهذا الأمر دعت إيزيس لتكون مربية لابنها ، وتبدأ المهمة الموكلة إليها وكانت عارفة بالجميل ورغبت أن تمنح الطفل نعمة الخلود فكلما أرادت إيزيس إرضاع الطفل وضعت له إصبعه في فمه ، وإذا جاء الليل أشعلت النار فيما يحتويه من جسمه من عناصر الفناء ، ويقال إن إيزيس كانت تتخذ أشكالا مختلفة مثل الفراشة وأخذت تحوم حول العمود الذي فيه الصندوق ، وذات مرة شاهدت الملكة ذلك الأمر وإلقاء ابنها في النار فأسرعت لإنقاذه ومن ثم فقد حرمت ولبدها من نعمة السرمدية ، وهنا كشفت إيزيس عن نفسها وطلبت أخذ العمود وبالفعل انتزعت بنفسها وغطت أشلاء أخيها بالكتان وطيبته بروائح زكية .. الخ .

وهنا أخذ هوميروس هذه القصة - على ما يبدو - ودبجها بالنسبة للآلهة ديميتير فيقول : إن الآلهة بمجرد أن علمت باختطاف ابنتها اعتصر الألم قلبها ولبست السواد حزنا عليها ومزقت بيدها شرائط شعرها وهو نفس المشهد في الأسطورة المصرية إذ نجد أن إيزيس بمجرد أن علمت بقتل أخيها قطعت خصلة من شعرها ولبست ثوب الحداد وتجولت في كل مكان معلنة حزنها . ويصف هوميروس أن الآلهة ديميتير بحثت عن ابنتها في كل صوب وحذب وأخيراً استقر بها المطاف قرب قصر للراحة من عناء البحث ، واستدعتها الملكة لتربية ابنها ،

ونما الطفل وكأنه إله بدون رضاعة أو طعام بين يدي هذه الآلهة ، وكانت ديميوتر تدهن جسم الطفل بالعطر وتتفخ عليه بأنفاسها برفق وعندما يأتي الليل تضعه في النار ، وشهدت الملكة هذا المشهد وذعرت فأنقذته وبذلك حرمته أمه من غير قصد نعمة الخلود لأن النار كانت تطهره من عناصر الفناء . وفي ضوء ما سبق يتضح الاقتباس من الأسطورة المصرية .

نقطة أخرى ننقل إليها ، وهي تأثير عقيدة البعث والخلود والحساب المصرية ومدى تأثير مفكرى اليونان بها ، فنجد هذه العقيدة جلية عند مطالعة أوديسة هوميروس . إذ أثرت قصة الأمير ساتني الذي تلقى تعليماً وبلغ درجة عظيمة من الحكمة . وتزوج هذا الأمير بيد أنه لم يرزق الولد ، واتجهت زوجته إلى المعبد مبتهلة إلى الإله كي يهبها الولد . ونامت ليلتها في المعبد فرأت رؤيا بأن ابتهالها سيجاب وأنها هاتف يخبرها بأنها ستحمل ابناً مباركاً صاحب معجزات وطلب منها أن تسميه سينوزيرس وبالفعل ولدت طفلاً تعلم الحكمة والسحر وهو في عمر الزهور ، وتستمر القصة في القول بأنه لما بلغ رشده كان هو ووالده يسيران ذات يوم وأثناء سيرهما شاهدا جنازة رجل غني يصاحبها موكب حافل وخلفه النادبات والكثير من المشيعين ، ثم شاهدا في الوقت نفسه جنازة رجل فقير مدرج في الحصير لا موكب له ولا مشيعين وراءه ، فنظر الأب إلى ابنه وتمنى أن يكون مصيره مثل مصير الغني لا كمصير الفقير ، فرد الابن متمنياً لأبيه مصير الفقير مما أغضب والده ، لكن الابن أراد أن يبرهن لوالده أنه على حق ثم أخذه - بعد أن قرأ بعض التمانم والأدعية الدينية - ونزلاً معاً إلى الدار الآخرة . فوجداها عبارة عن سبع قاعات مملوءة أناساً من جميع الطبقات ثم وصلاً إلى القاعة الرابعة فإذا هما يجدان أناساً يذهبون ويجيئون بينما حمير تأكل من خلفهم ثم شاهدا أناساً غيرهم يحاولون الوثوب نحو الطعام المعلق فوق رؤوسهم فلا يمكنهم إدراكه ، فمن تحتهم

كان هناك حفارون يحفرون تحت أقدامهم ليزيدوا بعد المسافة بينهم وبين الطعام . ثم شاهدنا رجلا منطرحا تحت الباب على ظهره ومنحور الباب في عينه اليمنى يدور عليها كلما فتح الباب أو أغلق ، ولا يستطيع الرجل الخروج ويصرخ من شدة الألم ، ثم دخلا القاعة السابعة فوجدا الهة الحساب جالسين والحجاب ينادون قضايا الموتى قضية بعد أخرى والإله أوزيريس حالس على عرشه الذهبي بينما الإله أنوبيس واقفا على يساره . والإله تحوت على يمينه والآلهة الأخرى الذين يتألف منهم مجلس دار الحساب والميزان منصوب أمامه . فنظر الابن إلى والده وقال له هل تعرف من الذى يجلس بجانب أوزيريس ؟ إنه الفقير الذى شاهدته مدرجا في الحصير بلا أهل ولا مشيعين ولقد جئ به إلى هنا لرجحان كفة حسناته ، أما الرجل الذى سبق إلى دار الحساب وتمنيت أن يكون مصيرك كميصره هو نفسه الذى رأيته يصيح من الألم .

وبعد أن عرضنا لهذه القصة فوجد تشابها بين ما قصه هو ميروس عند نزول أوديسيوس إلى العالم السفلى ، حيث وجد الملك مينوس يقضى بين الأموات وبجانبه الإله هاديس وهو الواقف أمام داره ذات الأبواب الواسعة .

ونجد في هذه الرواية قاسما مشتركا مع الرواية المصرية وذلك كما يلي :-

١) الابن يصحب والده إلى الدار الآخرة وأيضاً نزل أوديسيوس إلى الدار الآخرة.

٢) جلس أوزيريس على عرشه وقبض بيده على صولجانه ، وفي الأوديسة تجد مينوس في يده الصولجان الذهبي .

٣) الحجاب في الرواية المصرية نجدهم ينادون الموتى لعرض أعمالهم في حضرة أوزيريس وفي الأوديسة نجد مينوس تعرض عليه هذه القضايا .

في الرواية المصرية نجد الموتى بين واقفين وجالسين في سبع قاعات ، وفي الأوديسة نجد الموتى بين واقفين وجالسين في دار هاديس الواسعة الأبواب .
في ضوء ما سبق عرضه يتضح التشابه بين القصة المصرية ورواية هوميروس عن تصور الحياة في الدار الآخرة .

وفي الإلياذة نجد الأخذ والتأثر بالتراث المصري إذ نجد هوميروس يحدثنا أن الإله زيوس يريد أن يقضي في مصير إحدى المعارك بين الأخيين الطرواديين فيضع حظ الأولين في كفة ميزان وحظ الآخرين في الكفة الأخرى ، فترجح كفة الإغريق ويكون هذا إيذانا بالنصر . وبنفس الطريقة يحكم زيوس بين أخيليوس وهيكتور فترجح كفة إخيليوس وينتصر ويصرع خصمه . وأوجه التشابه هنا أن زيوس يمارس نفس الدور الذي يمارسه أوزيريس المصري .

كما نجد أن فكرة الحساب قد وردت في كتابات مفكرين تالين لهوميروس ومنهم بنداروس ، إذ يقول في إحدى قصائده : سجد العظماء في الأرض قاضيا في الجحيم ، والذين ارتكبوا أعمالاً محرمة فستحاكمهم الآلهة ، بينما نجد أفلاطون يذكر في مدحه لسقراط أن في الجحيم قضاة يحكمون بالعدل وهم مينوس ورادامنتوس ، وفي محاوراة جورجياس يستمر في القول حينما كان الحكم للإله ساتيرنوس في السنتين الأوليين من حكم زيوس كانت محاكمة الناس تجرى وهم أحياء على أيدي قضاة أحياء .

وفي ضوء ما سبق أيضاً يتضح لنا أن أفلاطون صور عقيدة الحساب بعد الموت ولعل المطالع لمحاوراته يجد أنه ذكر الآلهة الثلاثة الذين ورد ذكرهم عند هوميروس وهم مينوس ورادامنتوس وإيباكوس ، ولكن هؤلاء كانوا عند هيرودوتوس يقضون بين الأموات ، وصاروا يحاسبون الأموات على أعمالهم في

الحياة - كما تقوم الآلهة المصرية بذلك ، وهي أوزيريس ، ونوت ، وأنوبيس ، ولهذا فإن للحساب عند أفلاطون ثلاث نتائج

(١) إثابة الصالحين من الأموات بإرسالهم إلى الجزر السعيدة .

(٢) معاقبة الطالحين في قاع الجحيم إلى الأبد إذا كانت ذنوبهم لا تغتفر .

(٣) يعذب المذنب على قدر الذنب الذي اقترفه .

.. ومن يستعرض الخطوات التي تنتج عن عقيدة الحساب عند المصريين سيجدها هي نفس الخطوات التي أوردها أفلاطون ، ولهذا فإن العقيدة نجدها متطابقة، ومما هو جدير بالذكر أن أفلاطون قد روج لعبادة النجوم وهي عبادة مصرية سبق أن ذكرناها عند الحديث عن أفلاطون .

وبرى فريق من الباحثين أن هيسود في كتابته لمؤلفه الثيوجينا (أصل الآلهة) قد تأثر بالأفكار الشرقية الخاصة بالعائلات الإلهية وحضارات الشرق القديم وشجرة الأنساب الإلهية قبل اليونان بألاف السنين ، ويرجح أن بلاد اليونان قد عرفتها إما عن طريق مستعمرة المينا على الساحل السوري أو عن طريق فينيقيا وإن كان الطريق الثاني هو الأرجح ، وكان ذلك بعد سنة ٨٠٠ ق.م وتأثر بها هيسود عند إنشاده لقصيدته (١).

وإذا انتقلنا إلى مجال آخر تأثر به اليونان من حضارات الشرق ، نجد أن الديانة الشرقية قد أثرت بشكل جلي في ديانة الإغريق فكثير من الأفكار اليونانية

(1) W.G.G Forrest , Central Greece and Thessaly , CAH , 4rd , ed . vol . , 3p3 , The expansion of the Greek world , Eighth to Sixth centuries B.C . , pp. 286-290 ; P. Walcot , Hesiod and the Near East . Cardiff . 1960 , p 16 , pp. 22-30 . Bernal , Op.Cit , pp. 87-88 .

أنظر أيضا خان بيار فرنان ، أصول الفكر اليوناني ، ترجمة سليم حداد ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٩٦ وما بعدها .

الدينية قد اقتبسها اليونان من الشرق ولعل روايات هيردوت وما ذكره بعض الكتاب القدماء عن الآلهة المصرية وعقيدة الحساب تشير بجلاء إلى اقتباس اليونان لأفكار شرقية ومنها الأسرار السرية في اليوسيس التي كانت ذاتة الصيت في بلاد اليونان فقد نقلت من عبادة إيزيس وأوزيريس كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن كل من هيردوت وهوميروس ، كما تعلم اليونان عن طريق المصريين عملية التنبؤ من الحيوانات المضحاة ، وكذلك إنشاء الجمعيات الدينية والموكب والصلوات ، وأن مجمع الآلهة الأوليمبية مأخوذ من مصر . كما أن عقيدة خلود السروح وتقمصها واعتقاد أن السروح تظهر على شكل طائر برأس إنسان كانت مصرية . كما أن لفظة الجحيم اليونانية أخذ أصلها من الكلمة المصرية ، وكما ذكرنا فإن أسماء الآلهة اليونانية قد ساواها هيردوت بالآلهة المصرية إذ ربط بين زيوس وأمون وبين وحي دودنا اليونانية ووحى كل من سيوة وطيبة بمصر ، ومن الجدير بالذكر أن وحي الإله أمون في سيوة قد ذاعت شهرته بين اليونانيين وتجشموا عناء السفر لاستشارته، فقد استشاره كل من الملك فيليب وابنه الإسكندر الأكبر . وقد ساواه اليونان بالإله زيوس ويقول بلوتارخوس أن لفظة زيوس كبير الآلهة في اليونانية تعني من يخفي نفسه ، وهذا المعنى كان ترجمة للمعنى المصري لاسم أمون كبير الآلهة المصرية . وربط الكتاب الإغريق بين أنساب الهة هليوبوليس وبين آلهة هيردوت ومن هؤلاء كرونوس الذي شبيهه هؤلاء الإغريق بالإله المصري جب على اعتبار أن وظائف واختصاصات كل منهما الدينية واحدة وتخص السماء والأرض وقد شابه هيردوت أيضا بين حورس المصري وأبوللو وأن عملية التشبيه جاءت على أساس أن كلا منهما كان إلها للشمس ، والآلهة أرتميس شبيهت بالآلهة باستت، ويروي الكتاب اليونان أن الربة أثينا مصرية الأصل وأن سايس كانت مسقط رأسها وأن اسمها اشتق من الآلهة المصرية نيت فكانت أثينا ربة الحرب ونيت أيضا ،

والإله إيزيس اليوناني شبه بالإله المصري أنوبيس إله الحرب ، وأفروديتي شُبهت بالآلهة حتجور فكلتاها إلهة الحب ، والإله بان شُبيهه بالإله من المصري ، وأوزيريس شُبيهه بالإله ديونيسوس ، وإسكليبوس شُبيهه للإله بتاح وإيمحوتب ، وهيراقليس شُبيهه بخنو ، وهرميس شُبيهه تحوت ، وهيفايستوس شُبيهه بتاح (١)

كما نجد هناك تأثيراً بفكر الشرق الأدنى في المجال الديني سواء من هوميروس ، وهيسيود وأفلاطون. وقد سبق أن ذكرنا ذلك . وإذا كان الكتاب واليهفكرون يشارون إلى اقتباس وتأثر اليونان بالديانة المصرية والشرقية ، فإن التوقيات الأثرية أمابت اللثام عن تماثيل إلهة مصرية في كريتو الجزر الإيجية ، وتمثيل الإلهة التي عثر عليها في بقية الأصقاع هي للإله امون رع ، وباستت ، وسخبت ، وبس .

ووجود هذه الإلهة في منطقة الجزر وكريت في العصر العتيق والكلاسيكي يكشف لنا عن دراية اليونان بهذه الآلهة المصرية سواء عرفوها كتجار أو جنود مرتزقة خدموا في صفوف الجيش المصري .

كما نجد أن الدراسات الحديثة تشير إلى دخول الكثير من المفردات اللغوية لحضارات الشرق في اللغة اليونانية فأسماء بعض الجبال وبعض الأنهار وبعض المدن اليونانية والكثير من المفردات قد انتقلت من اللغات الشرقية إلى اليونانية التي تبنتها واستوعبتها كما هي أو بعد تحويرها سواء من المصرية ، أو من الكنعانية الفينيقية والعبرية ، أو من بلاد الرافدين (٢).

(1) Herd II . 42 . 156 ; F. Dunand & C. ziviccoche , Dieux et Hommes en Egypte 3000 B.C , 395 apr. J.C. Paris . 1991, p. 238 , M. Bernal , op. cit p 81 Bernal , op. cit , pp. 63-73 .

(2) Bernal , Op. cit . pp. 46 - .

وإذا انتقلنا إلى مجال آخر تأثر فيه اليونان بالفكر الشرقي وهو التفكير الفلسفي وكما سبق أن ذكرنا فإن إيسوكراتيس يذكر أن الفلسفة هي نتاج المصريين وأن فيثاغورث هو أول من أحضرها للإغريق^(١)، ويقول ديوجينيس اللارتيسي أن أول فلسفة قامت عند الشرقيين والمصريين^(٢). كما نجد أفلاطون في محاورته فيدروس يذكر على لسان سقراط أن الإله ثوت قال لملك مصر أن اختراع الكتابة سيأتي المصريين من الحكمة فوق مالهم ، وسيجعل ذاكرتهم خيرا مما هي عليه ، لأن الذي اخترعته إكسير الذاكرة والحكمة^(٣) .

كما نجد في ملحمة الخلق البابلية أن أيومايليس تشابه مع ما قال به طاليس ، إذ تقول الملحمة أنه قبل أن يكون للماء اسم ، وقبل أن يكون للأرض اسم ، كانت الأشياء كلها مختلطة في الماء وذا يكون مشابهاً لكلام طاليس ، والجدير بالقول أيضا أن أساطير الخلق المصرية قد ناقشت نفس الفكر الطاليسي ، ولما كان طاليس على دراية بالفكر الشرقي فيظن أنه أخذ نظرية الخلق عن الشرق ويكون بهذا أرسطو على حق عندما يقول أن طاليس هو أول من تفلسف ليس بالنسبة للعالم وإنما بالنسبة لليونانية . وإذا كان اليونان قد تأثروا بالفلسفة الشرقية فقد ساروا أشواطاً نحو السمو العقلي بها وكانت إسهاماتهم من أهم ما أضفاه اليونان للحضارة والإنسانية .

أما فيما يتعلق بالمسرح ، نجد أن بدايات المسرح اليوناني قد بدأت بالاحتفالات الدينية المقامة في مناطق بلاد اليونان المختلفة وهذه الاحتفالات كانت تدور حول عقيدة الإله ديونيسوس ، وكان الغرض من الاحتفالات إظهار الابتهاج

(1) Bousiris . 28 .

(٢) عبد الرحمن بدوي ، ربيع الفكر اليوناني ، ص ٨ .

(3) Phaidras , II 274 D .

والشكر للقوى الإلهية التي تتحكم في الطبيعة إذا ما كان المحصول وافرا أو كنوع من الإبتهال والتضرع لهذه القوى الإلهية إذا ما كان المحصول قليلا ، ولم تكن هذه الاحتفالات بدعة اقتصرت على بلاد اليونان ، وإنما عرفتها المجتمعات الشرقي (مصر وسوريا) ففي مصر كان يقام في بداية الربيع احتفالات تمثل تناوب الفصول ، تدور حول الإله أوزيريس تمجد عودته للحياة بعد أن قتله أخوه الإله الشرير ست ، وفي هذه الاحتفالات كانت تمثل القصة في شكل ديني شعبي تبين كيف قتل ست أخاه أوزيريس ، ثم كيف سعت الآلهة إيزيس بكافة الطرق حتى استعادت جثة زوجها وأعدت إليه الحياة ، وكيف تم الانتقام من ست ، وفي بلاد الشام كانت تقام احتفالات مماثلة مؤداها أن الإله بعل قد قتله خنزير بري ، حاولت زوجته الربة عشتار إعادته للحياة حتى تعود الحياة للطبيعة التي ماتت في الشتاء وإذا كانت احتفالات الشرق لم تتعد هذا الأمر ، نجد أن اليونان قد طوروا في المسرح بما يتفق مع طبيعتهم وجعلوا فهم المسرحي يدور حول الإنسان وأفعاله ولكن وصلوا إلى هذا المفهوم بعد أن مر الفن المسرحي بسلسلة من التطورات وساعد على ازدهار الفنون المسرحية وتطورها عندهم ظروف بلادهم الطبيعية والسياسية والاستعداد الفطري عندهم .

وفي مجال الأساطير سنجد أن أساطير اليونان قد تأثرت بأساطير الشرق وظواهر الكون المحيط به ، مثل ظواهر الخلق والحياة والموت والخصوبة والإجداب وغيرها ، ومن ثم يحدد علاقته بها وموقفه منها وهنا نجد الكثير من الأساطير اليونانية تكاد تتطابق فكرة وتفصيلا مع الأساطير التي سبقتها في وادي الرافدين مثل الأساطير المتعلقة بقصة الطوفان وقصة خلق الإنسان من طين وماء

وروح إلهية ، وأسطورة أنانا ودوموزي البابلية ونظيرتها أسطورة أفروديتي وأدونيس اليونانية التي وصلت إليهم عن طريق الفينيقين (١).

وفي مجال النحت والعمارة فقد كان تأثير الشرق جليا على بلاد اليونان والحضارة اليونانية ، إذ أخذ اليونان المبادئ الأولى لفن النحت فجاءت التماثيل اليونانية في عصرها المبكر نسخة من النمط المصري حيث الوقفة المتصلبة والنظرة المتجهمة إلى الأمام والذراعان الملتصقتان إلى الجانبين واليدين المقبوضتان ، والقدم اليسرى المتقدمة قليلا على القدم اليمنى وهذه التماثيل أطلق عليها (الكوري) . وإن اختلفت عن التماثيل المصرية والأولى كانت عارية بينما المصرية كانت مستورة العورة ولعل السبب في ذلك هو الطبيعة والعادات والتقاليد في كل من البلدين .

أما في مجال العمارة فقد اقتبس اليونان عمارة الأعمدة والأبهاء خاصة الأعمدة الأيونية والدورية ، وقد صارت النمط السائد ابتداء من عصر الطغاة وهذا ما توضحه مقارنة معبد الكرنك أو بقايا معبد سقارة في مصر بمعبد البارثيون في أثينا أو بقايا معبد أبوللون في اولمبيا ، وقد اقتبس اليونان أيضا نظام القوائم التي تحل محل الجدران لحمل السقف في بعض أجزاء المبنى ونظام العارضات ، والعارضة هي الحجر المستعرض فوق فتحة الباب لتحمل ثقل البناء الذي يقوم فوق هذه الفتحة وكلا النسقين امتاز به فن العمارة المصري منذ عصر بناء الأهرام في الألف الثالثة قبل الميلاد ، ثم كرسوا هذا الاقتباس حين اتخذت القوائم عندهم شكل الأعمدة كعنصر أساسي في المبنى ولكن سنجد أنهم صبغوا هذا المجال أيضا بصبغتهم الشخصية .

(1) R. Graves , Greck Myths , Pelican , 1962 , p. 34 .

سارتون نفسه ، ج ١ ، ص ٢٦٧ وما بعدها .

وفي مجال الصناعات سجد أن التأثير الشرقي كان جلياً في مجال المنسوجات ؛ فقد تم اختراع الأنوال الأفقية والرأسية ، واخترعت في سوريا وبلاد الرافدين فنون جديدة للنسيج والصبغة وانتقلت بعد ذلك هذه الفنون إلى بلاد اليونان . وفي مجال صناعة الزجاج فقد بدأت في الشرق إذ عرفه الأشوريون والمصريون ومنهم تعلمت الأمم الأخرى هذه الصناعة .

وبعد هذا العرض يتضح أن اليونان قد استفادوا في كافة فروع العلوم والمعرفة والفنون والصناعات الحرفية المختلفة ، وقد زادوا على ما اقتبسوه أو نقلوه من أمم الشرق بعدما هضموه ونجحوا في صبغه بصبغة جديدة تتواءم مع فكرهم وطبيعتهم ، وبجهودهم الحثيثة وصلوا بعلومهم وفنونهم إلى مكانة عالية . وقد بلغوا قمة نضجهم في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وشهد القرن الرابع فتوحات الإسكندر الأكبر للشرق مهد الحضارات إذ نجح في ضم مصر وبلاد الشام والرافدين وفارس ووصل بفتوحاته إلى الهند وكان من نتيجة هذه الفتوحات هو فتح أبواب الشرق وحضارته على مصراعيها أمام اليونان ، فتقاطرت هجراتهم إليها ؛ إما للاستقرار أو الاتجار أو كسب لقمة العيش وإما للتعلم أو النهل من منابع العلم الشرقي . لقد نُقل الكثير من العلوم والمعارف والفنون الشرقية إلى اللغة اليونانية ، وسأهم هذا النقل في دفع عجلة التقدم العلمي والفني في العصر الجديد الذي كان لليونان اليد الطولى فيه ، وبدأت دورة حضارية جديدة بدأ فيها التأثير والتأثر بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية وانصهرت الحضارتان وكان من ثمارها هو ميلاد حضارة شرقية يونانية اصطلاح الباحثون على تسميتها بالحضارة الهلينستية ، وكانت عوامل تقدم ورقي العلوم والفنون في هذه الفترة كلها متوافرة بفضل التشجيع من قبل حكام هذا العصر ، إذ تأسست مراكز علمية في الممالك الهلينستية ويأتي على رأس هذه المراكز الإسكندرية عروس البحر المتوسط

وعاصمة الفكر والثقافة والفنون لعدة قرون ، وكان هذا بفضل التشجيع الذي نالته جامعتها ومكتبتها من رعاية وعناية الملوك البطالمة الذين أجزلوا العطاء لعلمائها ومفكرها وشجعوا هجرة مشاهير العلماء والمفكرين من بقاع العالم اليوناني المختلفة إليها ، فصارت كعبة العلماء وواحة أمان لهم وكعبة لطلاب العلم والمعرفة الذين تقاطروا إليها من كافة الأصقاع للنهل من العلوم والفنون التي طورتها عقول نذرت نفسها للعلم والمعرفة . ومن ثم فقد صارت الإسكندرية مركزاً للإشعاع الفكري والثقافي لقرون عديدة ولعبت المراكز الثقافية في سوريا دوراً في دفع وتطور العلوم والفنون بفضل تشجيع الملوك السلوقيين وظلت حركة التطور والدفح والانصهار العلمي والفكري والفني على قدم وساق في هذه المراكز العلمية مما أثمر لنا حضارة لها سمات شرقية ويونانية استمر فيها التأثير والتأثر بين الحضارات وإن كان تأثير الحضارة اليونانية أعمق وأكبر في الحضارات الشرقية ، وعلى كل حال فقد استمر الانصهار الحضاري بين الحضارات المختلفة.

واستمر الأخذ والعطاء بينها إبان العصر الروماني الذي استمر فيه الانصهار الحضاري على قدم وساق في مراكز الحضارة الشرقية والتي انتقل تأثيرها إلى الغرب الروماني الأقل حضارة وبفضل السلام الروماني وبفضل التشجيع الذي استمر للمدارس والمعاهد الشرقية على يد الرومان وإذا كانت روما مدينة بحضارتها للشرق فإنها في فترة سيادتها على المناطق الشرقية قد كان لها إسهاماتها العظيمة في مجالات فكرية بعينها وأهمها على وجه الخصوص القانون الروماني الذي بدأ تأثيره على القوانين الشرقية وإن كان تأثير الأخير ظاهراً في بعض المجالات القانونية ، ثم استمر الانصهار بين القوانين وبلغ أوجه بعد منح الجنسية الرومانية لكل سكان الإمبراطورية عدا المستسلمين في عهد الإمبراطور كاركلا .

ولم يكن التأثير في مجال الفنون فحسب ، بل نجد من اثار التأثير ، التأثيرات الفنية للفن اليوناني مباشرة أو عن طريق الفن الروماني المتأثر بدوره بالفن اليوناني تأثيراً كبيراً وفي بعض الأحيان تأثراً يصل إلى حد التطابق ، ويظهر جلياً في البتراء بالأردن ، حيث نجد المقابر المنحوتة في الصخر بواجهاتها وأفريزاتها وأعمدتها التي تتبع الطراز المعماري اليوناني بشكل كامل ، وهذا نجده يتكرر في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية عند مدينة العلا ومغائر شعيب ومدائن صالح ، ونجد الفن اليوناني يصل إلى اليمن حيث يظهر الطراز الفني اليوناني واضحاً في عدد من التماثيل التي عثر عليها هناك وتخص الآلهة العربية القديمة وفي قطع العملة اليونانية وبخاصة العملة الأثينية كما نجد في قطع العملة اليونانية ، وبخاصة العملة الأثينية تقليداً كاملاً في الرسوم والرموز وحتى الحروف اليونانية المنقوشة عليها طوال فترة غير قصيرة من التاريخ اليمني القديم (١).

ونجد أيضاً أن التأثيرات اليونانية امتدت إلى منطقة الخليج العربي ، إذ نجد بجزيرة فيلكة الكويتية معبدتين ، رؤوس أعمدة إحداهما أيونية الطراز والآخر دورية الطراز ، كما نجد أن خطة المعبدتين كانت يونانية الطابع كما وجدت تماثيل يونانية الطراز (٢).

وسنجد أن الفن اليوناني كان له تأثيره الجلى على الفنون اليهودية وهذا مما كشفت عنه الرسوم والصور على معبد يهودي في دورايوربوس (٣) ، ولم يكن التأثير

(١) لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٣٧ ، ١٤١ - ١٤٣ ، أ ، ب .

(2) D.T. Potts , The Arabian Gulf in Antiquity , Vol. II , 1990 , pp. 155 .

(٣) نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط في الفترات الهلينستية - الساسانية ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٤٥ وما بعدها .

اليوناني على اليهود في مجال الفن فحسب ، بل نجد ذلك في مجال الفلسفة ولعل فلسفة فيلون هي خير شاهد على ذلك ، فقد كان يؤمن بما قاله الفلاسفة اليونانيون ، وخصوصا ما قاله أفلاطون ، بل لا ينكر أى فضل وقيمة للدين الشعبي اليوناني ، وتأثر كثيرا بالمعتقدات الشعبية عند اليونان (١).

ولم يقتصر تأثير فلسفات العصور اليونانية الرومانية على اليهودية بل نجد هذا التأثير يمتد إلى آباء وبطارق وفلاسفة الكنيسة الأولى ومن بين هؤلاء أورجين وكلمنت وغيرهما (٢).

وهكذا فإن الثقافة والعلوم والفنون اليونانية قد انتشرت في ربوع الشرق في العصر الهلينستي والعصر الروماني وأصبحت عنصراً هاماً ساهم في تشكيل شخصيته الحضارية ونمط حياة أممه واستمر هذا العطاء بعد الفتح الإسلامي ، إذ تبنى المسلمون الكثير من مظاهر النظم الإدارية والمالية السائدة في البلدان التي فتحوها ، واستمرت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في الكثير من المناطق التي كانت قد دخلت في حوزة الخلافة الإسلامية ، مصر بجانب القبطية ، وبلاد الشام بجانب الآرامية والسريانية ، مع إضافة اللغة العربية التي ستصبح اللغة الرسمية لدولة الخلافة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي أمر بتعريب الدواوين والإدارات الحكومية وكانت حركة الترجمة قد بدأت على نطاق ضيق في عهد الخلافة الأموية .

(١) عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٩١ وما يليها .

(٢) هـ . أ . بل ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ص ١٣٥ ، ١٦٩ ،

J.M. Creed , The Egyptian Contribution to Christianity legacy of Egypt , ed. by Glanville , 1942 , pp. 300--316.

واستقى العرب الكثير من الفكر والعلوم اليونانية من بعض مراكز الحضارة ومنها :-

١) جند نيسابور في جنوب إيران والتي اشتهرت بمدرستها الطبية وكان أسرى الروم قد أسسوها في عهد سابور الأول وظلت العلوم اليونانية تدرس بها بعد ترجمتها إلى الآرامية حتى العصر العباسي الأول.

٢) مدينة حران في منطقة الجزيرة وكانت تسمى هيلينوبوليس وقام نفر من أبنائها بترجمة الكثير من المؤلفات اليونانية إلى العربية من هؤلاء ثبت بن قره ، وابن سنان ، وعائلة هلال الصابي.

٣) الإسكندرية حيث وجد بها واحدة من أقدم الجامعات وحافظت على التراث اليوناني والهلينستي ، وكان العرب في العصر الأموي يقدرونها حق قدرها ، إذ نجد أسطافن السكندري قد ترجم بعض كتب الكيمياء ، وكان الخلفاء يستعينون بأطبائها .

وقد بدأت نهضة علمية حقيقية إسلامية في العصر العباسي الأول بعد أن تبنى الخلفاء العباسيون حركة الترجمة وكفلوها بالرعاية والعناية ، فتم ترجمة كتب الطب اليونانية ، والطبيعة ، والرياضيات ، والمنطق والفلسفة ، بينما أعرض المسلمون عن ترجمة الآداب والأعمال الفنية وكتب التاريخ والخطباء اليونان .

ولعل السبب في ذلك هو الروح الوثنية في الأدب والفن اليوناني وذكر الألهتهم المتعددة وعبادة الأبطال وهذه الأمور لم يستسيغها العقل الإسلامي . إذ يقول المستشرق بيكر : (لقد كانت هناك عوامل تاريخية وعرقية ونفسية جعلت العرب لا يعينهم من كتب اليونان إلا ما كان معترفاً به من الجميع ، وما كان في الوقت نفسه يلائم طبيعتهم وأعني بذلك النزعة العقلية المنطقية . ولذلك فإن كل شيء كان من نصيب الروح اليونانية في صدورهم أكثر من نصيب العقل اليوناني مثل الشعر

الغنائي والأدب الروائي وما كان يونانيا بحتا كألهة (هوميروس) ومؤلفات المؤرخين اليونان - إن كل هذه الأشياء ظلت أبوابها موصدة أمام الشرق ، وقد اقتصررت حاجة الشرق الفنية من تراث اليونان على هندسة البناء وما يشبهها من الفنون غير الشخصية . وقد ظل الشرق الإسلامي ينظر إلى النحت نظرة عار وحمق لمخالفة الشرع ، وبينما أصبح جمال عالم الصور القديم وصورة الإنسان الكامل العاري نموذجاً حياً لصورة الإنسان الجديد عند الأوربيين ، ويرى عالم الحس الحي في الشرق قد اختفى وراء التجريدات العقلية أو في العلاقات الغرامية الفردية.

ولكن لسوء الحظ فإن العلماء المسلمين لم يطلعوا على جانب مهم من التراث اليوناني وهو كتابات المؤرخين ولاسيما هيرودوت وثوكويديس وبوليبيوس ؛ كما لم يستفيدوا كثيراً من الفلسفة السياسية والفكر السياسي.

في ضوء ما سبق فقد نقل العرب من التراث اليوناني علوماً معينة شعروا بحاجتهم إليها وانها تتلاءم مع طبيعتهم وتتفق مع نظريتهم في الحياة ، فقد كان اهتمامهم بترجمة كتب المنطق والفلسفة نتيجة لما شعر به علماء الإسلام من الحاجة إلى مجادلة خصومهم المسيحيين واليهود والمجوس بالحجج والبراهين ذاتها ، وكان أكثر علماء المسلمين يجمعون بين هذه العلوم المختلفة ، فقد كان الكندي وهو أول مشاهير الفلاسفة المسلمين في الوقت نفسه عالماً بالفلك والكيمياء والطبيعة والرياضيات وكان أيضاً كل من الفارابي وابن سينا وابن رشد من كبار الفلاسفة وممن اشتغلوا بالطب والطبيعة والرياضيات.

وقد أقر مفكرو المسلمين بفضل الحضارة اليونانية في بعض الوجوه ، ومن بين هؤلاء الجاحظ إذ يقول : (لولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها

وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عند
وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن
لندركه إلا بهم ، لما حسن حظنا من الحكمة ولضعف سبيلنا إلى المعرفة)

ويقول الفارابي في كتابه (الجمع بين رأي الحكيمين) : (لولا ما أنقذ الله
أهل العقول والأذهان بهذين الحكيمين - أي أفلاطون وأرسطو - ومن سلك سبيلهما
من أوضحوا أمر الإبداع بحجج واضحة مقنعة لكان الناس في حيرة لبس)

ويضيف أبو حيان التوحيدي خلاصة مذهب اخوان الصفا بقوله : (وكانت
هذه العصابة قد تألفت بال عشرة وتصافت بال صداقة واجتمعت على القدس والطهارة
والبصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قرّبوا به الطريق إلى الفوز برضوان
الله ، وذلك أنهم قالوا الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا
سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حص
الكمال ... وصنفوا خمسين رسالة في أجزاء الفلسفة علميها وعمليها)

وحمل الشرق الإسلامي وعلماء المسلمين راية ولواء الفكر الحضارة
وأضافوا إلى علومه في كافة الأفرع الكثير والكثير وبدورهم قد نقلوه إلى العالم
الأوربي الحديث عبر الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية وما نقله الأوربيون أنفسهم
من بلاد الشام أثناء الحروب الصليبية.

واندفع العالم الأوربي إلى إحياء التراث اليوناني بكافة علومه ومعارفه وفنونه
وأدابه في عصر النهضة بغرض فهم منابع حضارتهم وجذورها ، فإذا كان
الأوربيون المحدثون قد نقبوا في التراث اليوناني لتأصيل حضارتهم الحديثة،
فالأجدد بنا نحن العرب اليوم أن نعود إلى هذا التراث الضخم الذي أسهم في تكوين
الشخصية العربية الإسلامية في عصور ازدهارها .

الموقع الجغرافي لبلاد اليونان وأثره على الشعب اليوناني وحضارته

الإنسان وليد البيئة يتأثر بها ويؤثر فيها ، فهي تدفع الإنسان إلى العمل والنشاط تحفزه إلى استغلال الموارد المتاحة في ضوء إمكاناته وقدراته. وتعد دراسة البيئة الطبيعية في العصور القديمة ضرورة للباحث لأن العوامل الطبيعية في تلك العصور كانت تؤثر في توجيه النشاط الإنساني وجهوده وجهة محددة وذلك لأنه لم يكن قد بلغ درجة التقدم والرقي التي تمكنه من السيطرة عليها ، ولذا وجب علينا أن نلقي نظرة سريعة على بيئة اليونان الطبيعية حتى نتمكن من تفهم خصائص الشعب اليوناني وحضارته ، وفهم العلاقة بين اليونان بعضهم ببعض في بلادهم وعلاقتهم بالعالم الخارجي.

تقع بلاد اليونان في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من القارة الأوروبية والمطلية على البحر المتوسط وتكاد تلامس شبه جزيرة الأناضول عبر مئات الجُزُر المنتشرة في المنطقة الفاصلة بينهما وهذا ما جعل اليوناني يولي وجهه شطر الشرق دائماً في فترات حضارته الأولى.

أما عن طبيعة بلاد اليونان فهي طبيعة جبلية بحرية جزرية ، وسنحاول أولاً أن نتحدث عن الطبيعة الجبلية وأثرها على الشعب اليوناني.

إن طبيعة شبه جزيرة البلقان هي طبيعة جبلية بحرية فالجبال تغطي حوالي ٨٠% من مساحة اليونان وهي منتشرة في شكل سلاسل جبلية تمتد عبر بلاد اليونان وأشهر هذه الجبال هي جبال بندوس (Pendos) التي تمتد في شكل قوس ضخم من البلقان الغربية إلى بلاد اليونان وجزر البحر الإيجي وغرب اسيا ، ويتفرع من هذه السلسلة عدة شعاب جبلية تكتنف الجانب الشرقي من بلاد اليونان ، هذه الطبيعة أدت إلى التمزق الشديد للسطح بالجبال والمرتفعات والوديان والسهول ،

ومع أن هذه الجبال غير شاهقة الارتفاع فمتوسط ارتفاعها لا يزيد على ٨٠٠٠ قدم في أغلبها ، فإنها تعمل كحواجز طبيعية بين السهول وتحول دون الاتصال بين الجماعات المختلفة ، وتجعل التنقل شاقا بين منطقة وأخرى .

ومن ثم فقد انقسمت بلاد اليونان إلى أقاليم تكاد تكون معزولة عن بعضها البعض إلا من ممر ضيق بين المرتفعات الجبلية أو شريط على ساحل البحر ، وحتى هذه الممرات لم تكن يسيرة العبور . ولنضرب بعض الأمثلة عن عبور البعض منها فلدينا جبال جرانيا Geranea وجبال كراتيه Karata الفاصلة بين منطقتي كورينثا وأتيكا ويوجد ممر على الحافة الشرقية لهذه الجبال ويتراوح ارتفاعه بين ٦٠٠-٧٠٠ قدما مما يخلق صعوبة لعبريه من المسافرين بسبب الرياح الشديدة الاندفاع في أحيان كثيرة نحو البحر وليست هذه الرياح هي العقبة الوحيدة التي كان يواجهها عابرو هذا الممر فقد كان يضيق في بعض أجزائه حتى لا يكاد يكفي إلا لمرور عابر واحد وإن كان عبوره يتم بعد جهد ومشقة ، وجبل كيثاريون Kithareon الذي يمتد على حافته ممر يصل بين منطقتي كورينثا وبؤوتيا ، وكان المرور في هذا الممر يمثل مشقة كبيرة تواجه سالكيه إذ يذكر إكسيفون أن قوة اسبرطية قد اضطرت أمام خطر الرياح الشديدة أن تلقي بدروعها جانبا حتى يستطيع الجنود أن يعبروا على أيديهم وأقدامهم^(١).

ويشكل عبور جبال هيلكون الواقعة بين بؤوتيا وفوكيس عقبة كأداء لسالكيه وينطبق هذا القول أيضا على عبور جبال بندوس الواقعة بين تساليا وإبيروس ، فدروب هذه الجبال كانت تتجه إلى الارتفاع الذي يصل في المتوسط إلى ٣٠٠٠

(1) Xenophon , Hellenica , V. 17-8 .

قدما فوق سطح البحر ، كما أن هذه الممرات والدروب كانت تغطيها الثلوج في فصل الشتاء مما يعوق حركة الانتقال بين الجماعات المختلفة.

وإذا كانت الجبال تمثل عنصر فصل لاوصل بين المناطق المختلفة وحتى ممراتها على الرغم من صعوبتها فإن السكان لم يهتموا بالعناية بها وتعييدها وذلك حتى لا يتعرضوا لغزو عبرها من قبل الجماعات المجاورة ، فإن البحر هو الآخر كان له بصماته القوية على بلاد اليونان وشخصيتها ، فقد كانت لحركة الانكسارات الجيولوجية في هذه المنطقة أبعاد الأثر عليها حيث غزا البحر العديد من الوديان وحولها إلى خلجان تمتد لمسافات بعيدة في اليابسة ، وفي المقابل فإن سلاسل الجبال أصبحت تمتد داخل البحر مكونة أشباه جزر بارزة ثم تستمر بعد ذلك في صورة جزر متناثرة وهكذا صار البحر يكتنف بلاد اليونان من أغلب جوانبها ويتوغل في أراضيها توغلاً شديداً ويقطع سواحلها تقطيعاً ولا نجد شاطئاً آخر في أوربا غريب التكوين مثل هذا الشاطئ ولا حتى شواطئ دالماتيا Dalmatia أو السروبيج ذات الخلجان الكثيرة العدد والتي تقع كلها في نفس الاتجاه وليس فيها تنوع مثل التنوع الشديد في الشواطئ اليونانية. وأمام التداخل الشديد بين اليابسة والبحر فإن البحر لا يكون بعيداً أبداً عن أعين المسافر ويمكنه رؤيته أثناء رحلته إلى الداخل ، فكان البحر لا يبعد عن أي بقعة في بلاد اليونان إلا لمسافة بسيطة ، فلا يوجد مكان في بلاد اليونان الوسطى يبعد عن البحر بأكثر من واحد وستين كيلومتراً ، ولما كان في البلوبونيز يبعد عنه بأكثر من ثلاثة وخمسين كيلومتراً.

وأمام هذه الظاهرة كان البحر أحياناً هو طريق المواصلات الوحيد بين مدينة وأخرى وبخاصة في الجزر وأشباه الجزر ، ولكن إذا كانت أرض اليونان مقطعة في كل مكان فإن الوصف نفسه ينطبق أيضاً على البحر المحيط بها حيث لا تكاد تغيب اليابسة عن عين الملاح. وقد أثمرت الانكسارات الجيولوجية عن غرق

المناطق المنخفضة من السلاسل الجبلية وبقيت المناطق المرتفعة هلى هيئة جزر فكان يوجد في البحر الإيجي ٤٨٣ جزيرة ، وفي غرب بلاد اليونان حوالي ١١٦ جزيرة ، ولم تكن الملاحة والإبحار أمراً يسيراً في العصور القديمة ومن ثم فإن البحر هو الآخر سيؤثر على اتجاه السكان نحو العزلة السياسية ، وإن كانت كثرة الجزر في البحر الإيجي ستساعد على الملاحة والإبحار وهذا سيحكم توجه اليونان نحو الشرق وحضاراته في العصور السحيقة والعتيقة والكلاسيكية ، ثم الاتجاه نحو الغرب حيث الأراضي البكر .

وإذا كانت الجبال والبحار تمنع تحقيق الوحدة فإن الأنهار هي الأخرى لم تكن تساعد على تحقيقها ، فهي أنهار قصيرة المجرى قليلة الماء والكبير منها - مثل نهر بينيوس Peneus في تساليا ، ونهر ألفيوس Alpheus في البولونيز ، ونهر أخيلوس Achelous عند حدود إقليمي أكارنانيا وأيتوليا ، ونهر بميسوس في إقليم مسنيا - لا يصلح للملاحة إلا في فترة قصيرة من العام وإبان فصل الشتاء ، أما بقية الأنهار الأخرى فهي لاتزيد عن أن تكون سيولاً تمتلئ بالماء إلا بعد العواصف الشديدة أو خلال فصل الشتاء وتجف مجاريها بقية فصول السنة ، وإذا كانت هذه الأنهار غير صالحة للملاحة فإنه يتعذر عبورها واجتيازها عندما تفيض مياهها في فصل الشتاء ، وغالبا ما يجرى الانتقال البري على الطرق المحاذية لمجاري الأنهار .

وأمام الأثر السلبي للغاية لهذه الطبيعة الجبلية البحرية الجزرية المعقدة ، فإننا نجد انقسام الشعب اليوناني إلى جماعات كثيرة صغيرة منفصلة عن بعضها البعض ، وكل واحدة منها حريصة على استقلالها التام والتي كان بإمكانها أن تدافع عنه بسهولة كما أنها تمسكت بسيادتها Autonomy ولم تقبل أبدا نظام حكم مشترك أو حتى اتحادي فيما بينها كما سبق أن بينا . ولذلك فشلت كل المحاولات الرامية

للوحدة أحيانا والتي اضطروا إليها اضطرارا تحت إبحاح الخطر ولكن سرعان ما تزول . كذلك كان مع هذه التضاريس الوعرة من الصعوبة بمكان انشاء نظام جيد للطرق وهو القاعدة الأولى والأساسية لتوحيد أي دولة ، ولم تكن الطرق البرية بين المدن إلا طرقا رديئة لا تساعد على الانتقال والاتصال .

وأمام هذه الظواهر فقد تأصلت النزعة الانفصالية السياسية عند الجماعات حتى ذهبت إلى أبعد مما كان تمليه الطبيعة ، وتكونت المدن الدول التي استمسكت بحياة الاستقلال ولا ترضى عنها بديلا وقد أشاد مفكرو اليونان بهذا النظام وعدوه النظام الوحيد الذي يستطيع العيش في ظلله الإنسان الحر فقد عبر أرسطو عن قوة وفاعلية نظام المدينة الدولة في قوله : (لقد ظهر هذا النظام إلى حيز الوجود من أجل الحياة لاغير ، ثم بقي موجودا من أجل حياة خيرة)

وكان لهذا تأثيره أيضا عند خروجهم من بلاد اليونان وتأسيسهم للمستعمرات في الأراضي السهلية الخصبة الفسيحة أنهم أقاموا نظام المدن الدول وهذا ما سنلمسه في مستعمرات سواحل اسيا الصغرى ، وإيطاليا وصقلية ، بل سنجد أن بعض الجزر كان بها أكثر من مدينة دولة وسنتناول هذا عند حديثنا عن حركة الهجرة الكبرى شرقا وغربا لليونان.

المناخ وأثره في اليونان :

كان للمناخ أثر بالغ في حياة وشخصية اليونان ، فمناخ اليونان هو مناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل ، فصيفها حار جاف وشتاؤها ممطر دافئ . ويرجع اعتدال المناخ في بلاد اليونان إلى اعتدال البحر المتوسط حيث تهب الرياح العكسية الغربية في فصل الشتاء مما يلطف من برودة الجو ، بينما يجذب في الصيف الرياح الشمالية الشرقية الجافة الباردة فيلطف من درجة حرارته ، وإن كان هناك اختلاف

وتنوع في مناخ المناطق المختلفة من اليونان فكلما توغلنا في داخل بلاد اليونان وابتعدنا عن البحر فإننا نلمس وبصورة جلية اختلاف المناخ الذي يبعد عن تأثيرات البحر ويصبح أكثر شبهاً بمناخ قلب القارة الأوربية ، وفي الغالب الأعم فقد كان مناخ بلاد اليونان ثابتاً منتظماً نسبياً وهو مناخ ملائم لنشأة الحضارات وسيكون لهذا المناخ تأثير واضح على الحضارات الأولى وحدد قيامها على الأطراف وليس في الداخل وهذا ينطبق على حضارة الجزر (الكوكلايس وكريت) وعلى الحضارة الموكينية ، وكذلك على انتشار المستعمرات اليونانية على السواحل الآسيوية وفي جنوب إيطاليا وصقلية.

إن اعتدال المناخ وكثرة سطوع الشمس لساعات طويلة صيفاً وشتاءً كان له عظيم الأثر في حياة اليونان الجماعية فكان اليوناني يقضي ساعات طويلة من فراغه خارج المنزل ويلتقي ببقية الجماعة ، حيث يمكنه تبادل الأفكار وشحذ القدرات العقلية ونمو فكرة الحياة المشتركة ، وكان صهر وصقل الأفكار المشتركة موضحة ساحة المدينة العامة أو السوق (agora) فقد كانت ساحة متعددة الأغراض لتبادل السلع والمنافع ، وللتقاضي وتبادل الأفكار والحوار ، وكان ثمرة هذا كله النضج السياسي ، كما أن سطوع الضوء لساعات طويلة سواء على الجبال أو البحار والأنهار والغابات والمراعي المروج والمزروعات وكلها غالباً ما تكون في مرمى البصر اليوناني ويؤدي إلى تباين وتقابل الألوان كل هذا كان له الأثر البالغ في التأثير على حواس اليونان التي ظلت حية متوثبة ، وعندما تكون الحواس نشطة مشحونة في حماس فنتيجة ذلك أن العقل يكون متوقداً متأهباً لتفحص وتامل كل شيء وتفسير ما حول الإنسان من أمور وأحوال فلا عجب إذاً من شغف اليونان بالتأمل الطويل ، فقد أثر عن سقراط أنه كان يظل واقفاً ساعات طويلة ذاهلاً عن حوله من

الناس ، وغير عابئ بمضي الوقت ، وكانت نتيجة هذا كله تشكيل الفكر اليوناني الفلسفي والسياسي وازدهار الفكر المسرحي بشقيه التراجيدي والكوميدي... إلخ وإذا كان المناخ قد لعب دوراً حيوياً في حياة اليونان فعلياً أن ننتقل الآن لمناقشة موارد الثروة عند اليونان وعدم كفايتها وأثر ذلك عليهم .

موارد الدخل والثروة في بلاد اليونان :

لم تكن طبيعة بلاد اليونان سخية في عطائها من الناحية الاقتصادية ، إذ كانت نسبة الأرض السهلية حوالي ٢٠% من مساحة اليونان الكلية ، بينما المساحة الباقية عبارة عن ٨٠% أراضي جبلية ، وكان على اليونان أن يقيموا ويستغلوا المناطق السهلية المحدودة التي لم تكن درجة خصوبتها واحدة فقد تباينت بين منطقة وأخرى ، كما تباينت مساحة السهول في مناطق اليونان المختلفة. وأمام نقص المساحة الزراعية السهلية في بعض المناطق فقد لجأ اليونان القدماء إلى استغلال سفوح الجبال ذات التربة الضئيلة السمك وبدلوا جهوداً كبيرة لاستزراعها بعد أن درجوها ، وهذا يظهر جلياً في جزر الكوكلايس.

وتتركز السهول الرئيسية في المناطق الآتية :-

- ١) منطقة تساليا حول لاريسا وشرق فارسالوس وسهول نهر إسبرخيوس شرق ماليس وفي فوكيس جنوب إلاتيا.
- ٢) سهول بوؤتيا.
- ٣) سهول أتিকা ومنها سهل اليوسيس وسهل ميسوجيا Mcsogaca الواقع بين هيمنتوس وجبال الساحل الشرقي والسهول حول ماراثون.
- ٤) سهول أرجوليس وهي موجودة حول أرجوس والسهل المتاخم لمانتينا وتجيا ، وسهل لاكونيا والسهل الساحلي الغربي بإقليم إيليس.

٥) سهول جزيرة يوبويا .

وقد انتشرت في هذه السهول المزارع ومناطق رعوية وكما زادت حاجة اليونان وزاد عددهم ، توسعوا في زراعة واستصلاح جانباً من أراضي المراعي ، وإذا شحت الأرض في المناطق السهلية كان عليهم إما أن يقوموا بتدريج سفوح الجبال وزراعتها ، وإما أن يخرجوا من منطقتهم مهاجرين ساعين للانتقال إلى مناطق أكثر رخاءً وازدهاراً فيما وراء البحار . كما لجأ اليوناني للحفاظ على خصوبة التربة وذلك بتقسيمها إلى قسمين ، أحدهما : يزرع ، والآخر : يترك خلاء ، على أن يزرع في العام التالي مع ترك الأول بغير زرع وهكذا كانت تتناوب العملية الزراعية .

ومن أهم الحاصلات الزراعية القمح والشعير ، وكانا يمثلان الغذاء الرئيسي عند اليونان وكانت كل مدينة دولة تحاول زراعة ما يكفي حاجتها من القمح ، وإذا قل العرض عن الطلب وعجزت المدينة الدولة عن تحقيق الاكتفاء الذاتي كانت مجبرة على استيراده . لقد كانت زراعات الأعناب توجد في اليونان التي عرفتُها منذ فجر تاريخها ، وكانت زراعته تسد حاجة الاستهلاك المحلي ، إذ كان عصيره هو الشراب الشعبي عند اليونانيين ، وما يفيض عن حاجتهم كان يصدر إلى الخارج .

كما أن زراعة الزيتون قد جادت في الأرض اليونانية ، وكان من المحاصيل الرأسمالية في اليونان ، إذ كان يستخدم زيتُه في عدة أغراض حيوية فزيت العصرة الأولى للطعام ، وزيت العصرة الثانية للاستحمام والنظافة ، وزيت العصرة الثالثة للإضاءة ، أما بقية مخلفاته فكانت تستخدم كوقود وكان يتم إنتاجه بكميات كبيرة نظراً لملائمة التربة اليونانية والأحوال المناخية لزراعته ، وإن كانت أشجاره لا تبدأ في الإثمار إلا بعد ستة عشر عاماً أو ثمانية عشر عاماً ، ويزداد إنتاجها تباعاً ،

وتعطي أعلى إنتاج عندما يصل عمرها أربعين عاما أو ستين عاما ، وأمام طول فترة انتظار المحصول الوافر فقد كان من العسير زراعته إلا في ظل حكومة قوية وعند زراع يتسمون بالصبر ولديهم المال الكافي للاستثمار في الزراعة.

وعرفت بلاد اليونان زراعات التين والكمثرى والتفاح والبرتقال ، وفي الغالب الأعم فإن موارد بلاد اليونان في الحبوب لم تكن تكفي لسد حاجة السكان وكان عليهم استيراده بينما كان يوجد عندهم فائض في النبيذ وزيت الزيتون وكان عليهم تصديره إلى الأسواق الخارجية.

ولم تكن الزراعة هي مصدر الثراء الوحيد فقد كانت حرفة الرعي تمثل مصدر الدخل الثاني لليونان وقد استغل اليونان أراضي المراعي في السهول وعلى سفوح الجبال وعلى الجبال نفسها ، فقد اعتنوا بتربية الحيوانات ، مثل : الأبقار والأغنام والماعز والخيول والبغال والخنازير.

كما استغل اليونان أخشاب الغابات المحلية لسد احتياجاتهم ولكن بمرور الوقت قلت مساحة الغابات إذ امتدت يد الإنسان اليوناني واجتثت جانبا منها وأحلت زراعة الحاصلات محلها كما كان للماعز دور كبير في إتلاف الكثير منها ، وأمام نقص الأخشاب فقد استوردوها من البلاد المجاورة.

أما عن ثروة بلاد اليونان من المعادن والأحجار ، فهي متعددة الأنواع وإن كانت غير وفيرة ، فكان الرخام المتعدد الأنواع يتم قطعه من باروس بكميات كبيرة، كما كان يتم استخراج الذهب من مناجمه في تراقيا ومقدونيا وجزيرة ثاسوس Thasos ، والفضة من مناجمها في لوريوم Laurium في أتيكا ، والنحاس من مناجمه بالقرب من خالكيس بجزيرة يوبويا وقبرص ، والحديد من مناجمه في

لاكونيا. وهذه المعادن كما نرى كانت تستخرج من بعض المدن الدول وتصدر إلى دول مدن أخرى وكان يسد النقص بالاستيراد من خارج المدن الدول .

قصارى القول أنه في ضوء ما فرضته الظروف الجغرافية - التضاريسية والمناخية - وفي ضوء نقص الموارد نجد أن اليونان قد كان عليهم العيش في جماعات صغيرة ، يعرف كل جماعة بعضهم بعضا ، وتعيش هذه الجماعة حياة منطقتة يتبادلون الرأي والمشورة في كافة القضايا التي تواجههم أو تعن لهم ، وأمام سياسة الاكتفاء الذاتي لكل جماعة ، فإن هذا سيؤدي إلى ترسيخ الروح الفردية الانعزالية لدى كل جماعة بمرور الوقت ، وصارت هذه الجماعات لاتقبل العيش إلا في جماعات صغيرة وهذا ما ستؤكده حركة الاستعمار والهجرة عندما ضاقت عليهم الأرض وأصبحت لا تفي باحتياجاتهم الضرورية في أحايين كثيرة ، فهاجروا إلى مناطق جديدة نقلوا إليها نظمهم وأفكارهم التي اعتادوها في مواطنهم أو مساقط رأسهم ، وأقاموا تنظيمات وكيانات منفصلة بشكل تام عن مدنهم الأم المنحدرين منها ، وهذا ما سنشرحه في الفصول التالية.

* * * * *

بداية التاريخ اليونانى :

كان اليونانى فى العصور القديمة يعتبر أن التاريخ محفوظ فى ملحمتى الالياذة والأوديسة ، وفى القصص والأساطير ، التى وصلت إليه من الماضى البعيد ، الخاصة ببعض مراكز الحضارة التى مازالت بعض آثارها شاخصة للعيان أمامه وتذكره بمجدها الأفل ، مثل موكيناي وتزينس ، ولم يضع المفكرون القدماء حداً فاصلاً بين الماضى الأسطورى والأحداث الواقعية الملموسة فى التاريخ ، فعلى سبيل المثال يقص علينا هيرودوت أن حرب طروادة قد اندلعت فى زمن الجيل الثالث بعد وفاة الملك مينوس . وكانت الحرب بالنسبة له حدثاً تاريخياً غير قابل للجدل ، كما كان الحال عليه بالنسبة لحملة ياسون إلى كولخيس لاحضار الفروة الذهبية ، وحتى المؤرخ الناقد والمدقق ثيوكيدديس قد افتتح روايته للتاريخ اليونانى بالإشارة إلى الملك مينوس ؛ إذ يقول " مينوس هو أول من اشتهر عندنا عن طريق الروايات المأثورة . بأنه أنشأ أسطولاً ، إذ جعل نفسه سيداً على جزء كبير مما يسمى الآن البحر الهلنى ، وصار سيد الكوكلايس وهو أول من استعمر معظمها وذلك بأن طرد الكاريين ونصب أبناءه حكماً لها . وعمل مينوس طبعاً على تطهير البحر من القراصنة قدر استطاعته ، لكى يصل إليه خراج مملكته بسهولة ، مع ادراك ثيوكيدديس المؤرخ الناقد والمدقق أن اشعار هوميروس تؤرخ بفترة متأخرة عن الأحداث المحيطة والمفترض حدوثها بسقوط طروادة ، نجده لا يشك فى أصالة الشاعر قط ، أو فى أن أجامنون كان ملكاً على موكيناي ، كما نجد المؤرخ الموسوعى أراتوستثيس القورينى قد بدأ مسحه للأحداث التاريخية فى بلاد اليونان بحرب طروادة والتى أرخها بعام ١١٨٤ ق.م . ومن الكتاب القدامى الذين خصوا كريت وحضارتها بالذكر والتقدير ، هوميروس ، وهيرودوت ، وثيوكيدديس وافلاطون وأرسطو ، وكانت معلوماتهم عنها مقتضبة ولكنها دقيقة فى تفاصيلها .

فمن أقوال هوميروس فى الياذة أن الجزيرة كان بها ١٠٠ مدينة وسبع منها أورد ذكرها فى قلب الجزيرة وهى كنوسوس ، وجورثين ، وليكتوس ، وميلنوس وفايستوس ورينثيون Rhytion ، كما نجده يذكرها فى الأوديسة قائلاً : " فى قلب البحر القانى فى لون النبيذ توجد أرض تسمى كريت ، وهى واسعة وخصبة ، ومحاطة بالبحر ، ويستمر فى القول أن إناس كثيرين يعيشون هناك ، وأن بها ٩٠ مدينة ولغات مختلفة ، وهؤلاء الناس كانوا من الاخيين ، والايثوكريتيين (Etocretans) والكيدونيين (Kydonians) والدوريين والبلاسيجين ، وأيضاً توجد مدينة كنوسوس حيث مينوس ، رفيق الإله الأكبر زيوس قد اعتاد أن يكون ملكاً لمدة تسع سنوات ، كما نجد أن الكتاب اليونانيين ومنهم افلاطون يذكرون أن مينوس كان يذهب كل تسع سنوات إلى كهف زيوس حتى يمكنه تجديد الرقعة والصحبة سواء مع زيوس أو مع الالهة الأم كى يتسلم سلطته منها . وقد أشاد أرسطو فى كتاباته بنظم كريت وحضارتها . وهكذا نجد أن الشعراء والكتاب والفلاسفة امنوا إيماناً صادقاً بوجود هذه الحضارات ، فما هو موقف المفكرين والدارسين المحدثين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الحضارات السالفة الذكر ؟ لقد اتخذ المؤرخون المحدثون موقفاً ناقداً من الحقائق المأخوذة من الملاحم وكتب المؤرخين القدامى ومن الاساطير ورفضوا أن يقبلوا العصر البطولى كعصر تاريخى واعتادوا أن يبدأوا كتبهم بقسم يخصصونه لدراسة الاساطير اليونانية التى كتبها الكتاب القدامى ، وعمدة هذا الاتجاه هو المؤرخ الانجليزى جورج جورنى G. Grote الذى كتب فى منتصف القرن التاسع عشر سफراً ضخماً عن التاريخ اليونانى ، وميز فيه بين الأسطورة والتاريخ الحقيقى ويعتقد أن التاريخ اليونانى يبدأ بالهجرة الدوربية ، وان كان قد بدأ تاريخه بأول دورة للألعاب الاولمبية عام ٧٧٦ ق.م لكون تلك الاعاب تمثل نقطة انتقال من عالم الأسطورة والخرافة إلى التاريخ الحقيقى ، ولم

تكن الحفائر الاثرية قد بدأت بعد بشكل منتظم وعلمي ، وبدأ العلماء فى الثالث الأخير من القرن التاسع عشر تنقيباتهم الأثرية ، والتي ما تزال مستمرة ، وقد أتت أكلها وما تزال تجود بالكشف عن جوانب من حضارات عتيقة " ابتداء من العصور الحجرية والبرونزية " غير مشكوك فى صحة وجودها ، وهذه الحضارات قامت ووصلت ذروة مجدها فى المنطقة الايجية وبلاد اليونان القارية ، كما كشفت لنا عن أن حضارات عصر البرونز قد عرفت الكتابة وتركت لنا رقماً مكتوباً ، ومن هذه الحضارات حضارة جزر الكوكلايس ، والحضارة الهيلادية .

وقد بدأت الحفائر فى عالم بحر إيجيه تميظ اللثام عن حضارة رائعة على يد المنقب الألماني هينرش شليمان (Heinrich Schliemann) . إذ كشفت تنقيباته عن وجود حضارات سابقة بزمان طويل عن التاريخ المتعارف عليه عند المؤرخين المحدثين وهو ٧٧٦ ق.م . لقد قام هذا الرجل العظيم بعد جمعه ثروة طائلة من أعماله التجارية والتي مكنته من الانفاق على إجراء حفائر فى منطقة طروادة وفى مناطق أخرى من بلاد اليونان مسترشداً بالوصف المسجل فى الإلياذة والوديسة ، وكان يؤمن بهما ايماناً عميقاً ويوقن أنهما يعكسان تاريخاً لحضارات قديمة ولاحداث تاريخية حقيقية ولا تمثلان أساطير ، وكان يؤمن أن حرب طروادة كانت واقعاً لا خيالاً . وقد بدأ حفائره فى طيبة فى عام ١٨٧٠ وفى موكناي ١٨٧٤ ، وفى أورخومينوس Orchomenos عام ١٨٨٠ ، وفى ترينس عام ١٨٨٥ . وكان من ثمار حفائره أنها كشفت عن دول قوية زاهرة لقرون قبل التاريخ المقبول لبداية التاريخ اليونانى وأن بعض اللقى والمخلفات الأثرية كانت متطابقة مع وصف هوميروس وأن حرب طروادة كانت حقيقية وواقعاً فى حياة اليونان ، وتحت تأثير الروايات المتواترة فى العصور القديمة لهوميروس والكتاب الآخرين عن قوة الملك مينوس Minos ملك كريت وأنه قد حكم وسيطر على البحر الإيجى ؛ فقد حاول

هنيرش سليمان الكشف عن الحضارة المينوية ، ولكنه فشل فى شراء الأرض من مالكةا والتي كان يرى أنها تخفى بقايا قصر كنوسوس وكان على حق فى اعتقاده ، وإذا كان سليمان قد فشل فى شراء هذه الأرض ، فإن محاولات وجهود العالم الانجليزى آرثر ايفانز قد نجحت وتوجت بشراء الأرض من مالكةا ، وبدأ فى إجراء حفائره فى المنطقة عام ١٨٩٩ م. وكانت نتائجها رائعة إذ كشفت عن حضارة زاهرة فى كريت وأنها كانت أكثر رفياً وازدهاراً وروعة من تلك التى عرفتها بلاد اليونان الهيلادية ، وأنها كانت سابقة عليها وأن الحضارة الهيلادية قد تأثرت بها فى مجالى الفكر والدين ، وكان ذلك خلال الألف الثانية قبل الميلاد . وكان لهذه الكشوف الأثرية فى الدوائر العلمية صداها الكبير إذ حفزت الجمعيات العلمية والجامعات على إجراء الحفائر فى كريت ومنطقة بحر إيجه واسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان والمناطق المجاورة ، وكان ثمرة كل هذا نتائج رائعة غيرت لنا الكثير من الآراء ومازالت تغير مع كل نشر جديد وكل كشف جديد عن حضارة اليونان وأصولهم . وهكذا فقد نسخت نتائج الحفائر الأثرية آراء مؤرخى القرنين الثامن والتاسع عشر ، وكان لابد من إعادة كتابة فصول تاريخ هذه الفترة فى ضوء اللقى الأثرية والآثار المعمارية . فتحركت الهمم والاقلام واثمر هذا عن كتب ومقالات بلغات شتى عن هذه الحقبة . وبعد أن عرضنا فى عجالة لبداية التاريخ اليونانى ننقل الآن للحديث عن أصول الشعب اليونانى :

أصل الشعب اليونانى :

من هم سكان بلاد اليونان والجزر وكريت الأول؟ وهل كانوا ينتمون لجنس واحد أم عدة أجناس؟ وهل كانوا أجداداً لليونان؟ وهل كانوا يتكلمون لغة هندوأوربية أم لغة أو لغات أخرى؟ وهل نزلوا المنطقة فى موجة واحدة من الهجرة أم فى موجات متتالية أم متقطعة من الهجرات؟

كشفت لنا التنقيبات الأثرية أن بلاد اليونان والجزر قد شهدت سكنى الانسان من العصر الحجري القديم ، إذ سكن الإنسان مناطق تساليا فى وادى نهر بنىوس Peneus ، وفى مناطق شمال ووسط اليونان والجزر ، وزادت مستوطناته فى هذه المناطق فى العصر الحجري الوسيط ، وفى الفترة الانتقالية بين العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث زادت أعداده عندما عرف الزراعة واستأنس الحيوان وصار زارعاً مستقراً وراعياً لقطعان وأعداد كبيرة من الحيوانات ، وزادت محلات سكناه فى العصر الحجري الحديث ، ويرى البعض أن هذه الزيادة فى عدد المستوطنات فى تلك المناطق ناتج عن موجات من الهجرة وفدت إلى تلك المناطق ، وبعد الاستقرار فقد طور الإنسان أدواته الحجرية وصنع فخاره ، وأطلق كتاب اليونان القدامى على أصحاب حضارة العصر الحجري الحديث البلاسيجيين Pelasgoi أو الليليجيين Leleges ، والكاريين ، ويرجح أن هؤلاء قد وفدوا من جنوب غرب اسيا الصغرى ، ودخلوا عبر الجزر اليونان من سواحلها الشرقية والجنوبية ، ولعلمهم كانوا يمتون بالصلة للسكان الأوائل فى كريت وجزر البحر الايغى ، ولم تكن لغة البلاسيجيين تنتمى إلى العائلة الهندوأوربية ، ويتضح ذلك من نهايات أسماء كثير من الأماكن والنباتات والطيور والملاحة وصيد الأسماك ، ومن هذه النهايات ، النهاية (SOS) والنهاية "ene" والنهاية thos مثل كورنيثوس وموكينى ، برناسوس ... الخ . ومما هو جدير بالذكر أن الكثير من مفرداتهم قد تبناها مهاجرون هندأورييون جدد وفدوا أو توافدوا على المنطقة - فى رأى بعض الباحثين - فى خواتيم الالف الثالثة أو فى بداية الالف الثانية بعد الميلاد ، ولكن لا نعرف من أين أتوا ، فلعلمهم وفدوا من منطقة حوض الدانوب أو شمال أوربا الشرقى أو من منطقة أكثر بعداً من ذلك ، وأغلب الظن أنهم لم يدخلوا فى هجرة واحدة ، وإنما دخلوها فى أفواج متعاقبة وأن هجرتهم قد استغرقت عدة قرون ،

وكان ثمرة هذه الهجرة أن عناصرها قد طغت على السكان القدامى وأصبحوا الطبقة الحاكمة بفضل تفوقهم العسكى ، ولكنهم فى نفس الوقت قد امتزجوا بالسكان الأصليين ، وسنحاول أن نلقى الضوء على تاريخ وصولهم الدقيق قدر ما تمكننا به المصادر الوثائقية ، يرى العالم نلسون أن هذه الهجرات لم تتوافد على العالم اليونانى قبل عام ١٦٠٠ ق.م ولكن جل الأثاريين والمؤرخين يرون أنهم توافدوا على المنطقة مع فاتحة الألف الثانية ، وأن هذه المرحلة تمثل مرحلة العصر الهيلادى الوسيط فى بلاد اليونان ويرى بول كرتشمير P. Kertschmer أن الهجرات الهنداورية إلى بلاد اليونان كانت توافدت فى ثلاث موجات من الهجرة وهى الايونية والأخية والدورية ، والايونيون هم الذين توافدت هجرتهم فى القرن العشرين ، بينما توافدت جموع الأخيين فى القرن السادس عشر والدوريون فى القرن الثانى عشر^(٥) . فماذا عما تتبناؤه المصادر الوثائقية ؟ نقدم لنا الألواح المكتوبة التى تم العثور عليها فى مناطق مختلفة من كريت وبلاد اليونان . معلومات عن وجود العنصر اليونانى فى بلاد اليونان والجزر وكريت ولكن فى فترة متأخرة فقد وجدت أعداد وفيرة من المجموعة الخطية الثانية ، فقد عثر على ٣٠٠٠ لوح منها فى كنوسوس ويعود تاريخها إلى عام ١٤٠٠ ق.م ، وفى بيلوس تم العثور عام ١٩٣٩ م. على حوالى ١٢٥٠ لوحاً منها وعثر على ٥٠ لوحاً فى موكيناى فى علم ١٩٥٢ م. ويعود تاريخها إلى عام ١٢٠٠ ق.م وعثر على ٢٠ لوحاً فى طيبة سنة ١٩٦٤ ويعود تاريخها إلى حوالى عام ١٣٢٠ ق.م .

وفى ضوء هذه الألواح نعرف أن اليونان كانوا يعيشون فى بلاد اليونان فى القرن الرابع عشر ، فماذا عن الفترة السابقة ؟ لعل نقص المادة المكتوبة من نفس المجموعة للفترة السابقة راجع إلى أن أصحاب الحضارة اليونانية كانوا يستخدمون

(*) هذا رأى يشوبه بعض الأخطاء التى سنصحها فى الصفحات التالية .

رقماً طينية غير محروقة وبعد الانتهاء من أغراضهم منها كانوا يعيدون استخدامها بعد نقعها فى الماء مرات ومرات ، وما وصلنا من رقمهم فقد وصلنا نتيجة لحرائق شبت فى العصور المختلفة ومن ثم حفظتها لنا . فقد شبت حرائق هائلة فى كفوسوس عام ١٤٠٠ وفى طيبة عام ١٣٢٠ ق.م وفى بيلوس عام ١٢٠٠ ق.م .

وإذا كان أقدم الرقم من المجموعة الخطية الثانية يعود تاريخه إلى عام ١٤٠٠ ق.م فهو لا يقدم لنا معلومات عن موعد وتاريخ وصول هؤلاء الناس إلى بلاد اليونان ، ولعلمهم قد استخدموا المجموعة الخطية الأولى (Linear A) والتي يعود تاريخها إلى الفترة ما بين ١٧٥٠ - ١٤٠٠ ق.م ، وهذه المجموعة ماتزال لسوء الحظ مُغلقة على العلماء فلم يتم قراءتها بعد ولم تفك طلاسمها الأمر الذى يدعونا إلى الأخذ بالدليل الاثرى واللقى الاثرية فى المواقع المختلفة التى عاش فيها هؤلاء القوم . لقد سبق أن ذكرنا أن اللقى الاثرية فى تلك المواقع يعود بنا إلى أن سكنى الإنسان فى بلاد اليونان إلى العصور الحجرية ، ونضيف هنا أن فترة التحول من العصر الحجرى الحديث إلى عصر البرونز العتيق قد حدثت فى بداية الألف الثالثة ق.م . فى منطقة بحر إيجه ومن المرجح أن مهاجرين من وسط اسيا الصغرى ومن سكان منطقة البحر المتوسط قد حملوا معهم معدن النحاس أولاً ثم البرونز إلى بلاد اليونان الأم والكوكلايس وكريت واستمر العصر البرونزى الباكر لمدة ألف عام تقريباً . وفى نهاية هذه الفترة أو بداية الألف الثانية وفقاً لأغلب العلماء كان أول ظهور لهجرة هنداوربية فى المنطقة والمناطق المجاورة فالالواح المكتوبة التى تم العثور عليها فى كانش (كولتيتى) فى قلب اسيا الصغرى تكشف عن أن عناصر هنداوربية عاشت فى القرن العشرين والقرن التاسع عشر وربما فى فترة أسبق ، ربما فى أواخر الألف الثالثة ، وأن هؤلاء الجائلين من العناصر الناطقة باللغة الهنداوربية قد بدأوا فى الهجرة ، لأسباب عديدة ، وفى أوقات مختلفة إلى

الهند وهضبة إيران واسيا الصغرى والبلقان بما فيها اليونان وإيطاليا وأجزاء أخرى من أوروبا . وبعد استقرار تلك الجماعات بدأت تنفصل عن بعضها البعض وتطورت لغتها بشكل منفصل ومختلف عن الجماعات الأخرى ، وكان أول وصول لليونان فى عام ٢٠٠٠ ق.م تقريباً . وفى غضون بضعة قرون فقد انتشروا فى بلاد اليونان . ويكشف علم الآثار عن وجود العديد من التجمعات السكانية فى هذه الفترة فى البلوبونيز ووسط بلاد اليونان وتساليا . ونذكر مثلاً واحداً من موكناي حيث كشف شليمان عن ست مقابر تحتوى على ست عشرة جثة لرجال ونساء وأطفال ودفن معهم لقى ذهبية وتحتوى على أقنعة ذهبية للرجال . ويرجع تاريخ هذه المقابر إلى القرن السابع عشر والسادس عشر ، ويكشف لنا هذا عن تواجدهم فى القرن السابع عشر ومن المؤكد أنهم تواجدوا فى موكناي من عدة أجيال سابقة ومن المرجح أنها نزلت بأرض اليونان فى خواتيم الألف الثالثة ٢٢-- وفاتحة الألف الثانية قبل الميلاد ٢٢. وجملة القول أن العناصر الهنداورية قد تواجدت فى بلاد اليونان فى الفترة السابقة على القرن السابع عشر . فى ضوء ما لدينا من أدلة أثرية ، وهذه العناصر كانت تتكلم لغة يونانية عتيقة .

وإذا كان من الثابت أن بلاد اليونان قد عرفت عنصر البحر الأبيض المتوسط والعنصر الهندوأوربي ، فإن البعض يفترض أنها قد عرفت هجرات سامية افريقية أو غزاة شريقيين ارفع حضارة وأعلى شأناً فى نهاية العصر الهيلادى العتيق أى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م ووفقاً لهذا رأى فقد غشت موكناي وغيرها من مراكز الحضارة الهيلادية هجرة أو هجرات سامية وأقامت أسر حاكمة بتلك المناطق . وهذا ما تعضده الروايات اليونانية المتواترة ، فكان من بين القصص الرائجة فى القرن الخامس عند الكتّاب القدامى قصة تقول إن زعيماً من زعماء عصر البطولة الباكر يدعى دناوس جاء من مصر إلى بلاد اليونان ونزل بمدينة أرجوس حيث

أصبح ملكاً عليها فيما بعد ، وهناك قصة أخرى تقرر بين دناؤس وكادموس وبيلوبس بوصفهم جميعاً أجانب . فالأول من مصر والثاني من فينيقيا والثالث من آسيا الصغرى ، ان مثل هذا القصص عن الغزو والهجرة الأجنبية لا يمكن أن يكون خيلاً ، إذ تذكر المصادر الأدبية أن دناؤس كان جداً لدناى Danae وهى والدة برسويوس مؤسس موكيناي وهو جد هيراكليس ويورستيسوس Euryotheus ، وانه عاش في القرن السادس عشر ونقش باروس يضع عام ١٥١١ كتاريخ لحكم دناؤس. كما أن ابن عمه الأمير كادموس الفينيقي هو الآخر قد جاء إلى بؤوتيا واستقر فى طيبة - وأسس أسرة حاكمة بها - وأصبحت طيبة تعرف فى الأساطير القديمة باسم كاداميا أى مدينة كادموس ويعرف أهلها بالكادميين . ويرى البعض أن هجرة كادموس قد خرجت من آسيا الصغرى ، كما أن الحفائر الاثرية قد كشفت منطقة سكنية تحمل الطابع المصرى ، فى عمارة مبانيها من أشكال هرمية وأبار وهمية سحيقة فى نفس منطقة كاداميا ، وتؤرخ بنهايات الألف لثة قبل الميلاد كما أن اللقى الاثرية من المزهريات تكشف لنا عن صور أيور Europa فى لباس شرقى، وهناك صور للدائيين مشابهة لها . وهكذا على ما يبدو ان بلاد اليونان قد عرفت حركة هجرة شرقية سامية وربما يكون ذلك فى بداية الالف الثانية وربما تكون هجرة أخرى فى القرن السادس عشر ، ولعل ما ذكره الكتاب اليونان بشأن هذا هو خير دليل على هذه الهجرة ، لأنهم عاشوا فترة كانت فترة نضج وثفاخر الكتاب اليونان بتقافتهم وحضارتهم ، وأنه كان الأجدر بهم أن يرفضوا التأثير الشرقى والاستيطان من الشرق ، ولكن نجدهم مع تعصبهم القومى يقررون أن هناك هجرات شرقية وفدت إلى بلاد اليونان ، ويعد اندماج هذه العناصر المختلفة واستقرارها لفترة طويلة علا أو سما نجم حضارتها وأصبحت هى السائدة فى بلاد اليونان وفى منطقة بحر إيجه وجزره . ولكن مع مطلع القرن الحادى عشر وجدنا

موجة من الهجرات الجديدة من العناصر الهنداورية - التسالية والأرنية والدورية -
تغشى بلاد اليونان وتسيطر على مناطق واسعة منها ، من بلاد اليونان ومنطقة بحر
إيجة ، وكان لقدمها وسيطرتها أن هاجرت عناصر أخية سواء من الأبوليين أو
الأيونيين إلى منطقة الجزر وسواحل اسيا الصغرى ، كما أن هذه الفترة شهدت
اندماج وامتزاج العناصر اليونانية المختلفة وكونت الأمة اليونانية ، وصار لدينا
ثلاث لهجات رئيسية هي الأيولية والايونية والدورية للغة اليونانية .

وبعد أن عرضنا لأصل الاغريق وهجراتهم ابان العصور الحجرية
والبرونزية ننتقل لدراسة حضارات عصر البرنز .

عالم بحر إيجه وحضارته فى عصر البرنز

نعتمد فى دراستنا لهذه الحضارة على المصادر الأدبية بمعلوماتها المتكسبة
والمصادر الوثائقية التى جادت علينا التفتقيات الأثرية وما تزال تجود بها . لقد
كانت ثمرتها اكداس من اللقى الأثرية والاف الألواح المكتوبة التى كشفت عن جانب
من حضارة هذا العصر العتيق الذى أسماه العلماء حضارة بحر إيجه لأنها نشأت
وتطورت بشكل رئيسى فى كريت وجزر الكوكلايس وطرودة على الساحل
الأسبوى وموكيناي ومراكز أخرى فى بلاد اليونان .

ومعلوماتنا عن هذه الحضارة تبدأ من الألف الثالثة قبل الميلاد . إذ قامت
أطوارها الأولى على أكتاف عناصر بشرية من جنس البحر المتوسط إلى أن بدأت
موجات من الهجرات الهندوأوروبية ، ومن المرجح أيضاً هجرات سامية افريقية
غشت المنطقة بشكل تدريجى من خواتيم الألف الثالثة وبداية الألف الثانية قبل
الميلاد . وسنحاول أن نلقى الضوء على أهم مراكز هذه الحضارة .

١ - الحضارة الكريتية

أطلق السير آرثر إيفانز تسمية الحضارة المينوية نسبة إلى مينوس ، بينما يطلق عليها آخرون الحضارة الكريتية التي استمر ازدهارها قرابة ١٥٠٠ عام . وتقدم لنا المصادر الأدبية نتفاً من المعلومات عن الجزيرة إذ نجد أول ذكر لها عند هوميروس في رائعته الإلياذة والأوديسة ، فنجده يذكرها تلميحا . لقد أورد في الإلياذة بعض الذكر عنها ومنه أن الجزيرة كان بها ١٠٠ مدينة ويذكر سبعا منها في قلب الجزيرة وهي كنوسوس وجورتين وليكنوس وميلتوس وفايستوس واخيراً ريتيون ، ويذكر في مكان آخر أن كريت قدمت ٨٠ سفينة عسكرية في الحملة الطروادية ، ويتناولها بالذكر في الأوديسة إذ يصف الجزيرة بما يلي "في قلب البحر ذات اللون القاني في لون النبيذ توجد أرض محاطة بالبحر تسمى كريت، فسيحة وخصبة ، ويسكنها أناس كثيرون مختلطى الأعراق ، وأن بها ٩٠ مدينة ولغاتها مختلطة ، وسكانها من الآخين والابنوكرتيين والكيدنيين والدوريين والبلاسيجين ، وأيضاً توجد مدينة كنوسوس حيث مينوس ، رفيق الاله الأكبر زيوس ، الذي اعتاد أن يكون ملكاً لمدة تسع سنوات " ، وهكذا نجد أن هوميروس يؤكد على كثافة وغنى وثراء وازدهار كريت في نهاية عصر البرنز .

ويقدم لنا كتاب العصر الكلاسيكى والهانيستى - من شعراء ومؤرخين وفلاسفة - معلومات تكون في بعض الأحيان دقيقة في تفصيلاتها ولكنها مقتضبة عموماً أى أنها لا تقدم لنا تفصيلات مسهبة لأوجه الحياة الكريتية المختلفة . فيذكر هيردوت أن الحرب الطروادية قد اندلعت في زمن الجيل الثالث بعد موت مينوس . كما يستهل ثيوكديدس روايته التاريخية لبداية التاريخ اليونانى بالإشارة إلى مينوس ، إذ يقول "مينوس هو أول من اشتهر عندنا عن طريق الروايات الماثورة أنه أنشأ أسطولا ، إذ جعل نفسه سيداً على جزء

كبير مما يسمى الآن البحر الهليني ، وصار سيد الكوكلاديس ، وهو اول من استعمر معظمها ، وذلك بأن طرد الكاريين ونصب أبناءه حكاماً لها ، وعمل مينوس طبعاً على تطهير البحر من القراصنة قدر استطاعته لكي يصل إليه خراج مملكته بسهولة" . وهكذا نجد أن كلاً من هيردوت وثيوكيدديس يوافقان على أنه كان هناك ملك قوى يدعى مينوس كان لديه أسطول قوى وملك متين ويمتد نفوذه على المناطق المجاورة ، ويخبرنا أفلاطون عن كيفية ذهاب الملك مينوس كل تسع سنوات إلى كهف زيوس حيث يمكنه تجديد الرفقة والصحبة مع الاله زيوس ومن بعده الألهة الأم . ويرى البعض أن افلاطون قد وضع مؤسسات كريت في قالب مثالي في كثير من أعماله ويرى الكثير من الباحثين أن ما قدمه من وصف لحضارة الجزيرة المفقودة هي "اطلنتيس" وأنه اعتمد على الأساطير حول كريت المينوية . وأن كتابه القوانين احتوى على بعض المؤسسات الاجتماعية الكريتية . كما يشير الفيلسوف أرسطو عن نظام الحكم الطبقي الذي كان يوجد في كريت في عصره والذي استقر لأول مرة بتشريعات مينوس .

وتقدم لنا الاساطير معلومات قيمة عن كريت وتؤكد قوة ملكها وامتداد نفوذه ، فنجد الملك مينوس زوج الملكة باسيفاي ابنة إله الشمس ، ووالد كل من ديوكالون ، اندروجينوس ، أريادنى وفايدرا . وتذكر الروايات أن أندروجينوس تغلب على كل منافسيه في الألعاب في أثينا وتم قتله وفقاً لأمر الملك الأثيني إيجوس ، وللانتقام من هذه الجريمة البشعة ، فقد اشعل الملك مينوس الحرب ضد الأثينيين ، وأجبرهم على أن يرسلوا إلى كريت على فترات جزية مكونة من سبع فتيات وسبعة فتيان لتقديمها ضحية للمينتوروس (المخلوق النصف إنسانى النصف نور) وهو ثمرة العلاقة الاثمة بين الملكة باسيفاي والثور الذى وهبه الاله بوسيدون للملك مينوس كى يقدمه أضحية لتوكيد سلطانه الدينى ، ولكن الملك حنث وأخلف الوعد واحتفظ بالثور وكان الانتقام

الالهى هو تلك العلاقة الأئمة التى كانت ثمرتها مخيفة مرعبة ، ووفقاً للأسطورة فقد تم بناء قصر التيه على يد المهندس ديدالوس ليحفظ فيه هذا المخلوق والمسوخ البشع ولم تتخلص أثينا من هذه الجزية الثقيلة إلا بعد أن رحل ثيسيبوس ابن الملك إيجوس إلى كريت ونجح فى قتل المينوتوروس بمساعدة أدريانى ابنة الملك التى أحبته حباً جما فأعطته لفافة من الخيط وسلاحاً ، ومن خلال الخيط الذى استخدمه كى يعرف طريقة خروجه بعد انجاز مهمته بالخلص من المينوتوروس والخروج من القصر . وكان الأثينيون يحتفلون بذكرى خلاصهم من الجزية الثقيلة التى كان قد فرضها عليهم الملك مينوس بالحج إلى ديلوس ، كما أن الاساطير والقصص الشعبية حول ديدالوس المعمارى والفنان الداهية تكشف لنا عن مدى ما وصلت إليه الفنون التشكيلية والمعمارية فى عصره .

هذا ما تقدمه المصادر الأدبية من أخبار ومعلومات عن كريت والتى نستشف منها معلومات قيمة عن كريت وقوتها ورخائها الاقتصادى وارتقاء فنونها . ولكنها معلومات غير كاملة وسنحاول أن نستخدم المصادر الوثائقية لإكمال النقص فى معلوماتنا عن تلك الحضارة قدر ما نستطيع .

كان لعلم الآثار الفضل الأكبر فى توكيد بعض المعلومات الواردة عند مفكرى اليونان القدماء ، بل نقضت اراء العلماء المحدثين الذين كانوا قد شككوا فى الروايات القديمة والأساطير . لقد كان ثمرة جهد الأثاريين وضربات معاولهم أن زاد كم المعلومات عن كريت ومضاريتها التى بدونها لا يمكننا إلا أن نرى بعض الاشارات والمعلومات القليلة عن كريت فى عصر البرنز والعصور التاريخية التالية عندما بدأت المصادر المكتوبة فى الوفرة ومن ثم فإن أهمية الاكتشافات الأثرية ليس فقط للحضارة الكريتية بل ايضاً للحضارة الأوربية عموماً ، لقد كشفت أعمال الحفائر الاثرية ، التى كانت قد بدأت فى السبعينيات من القرن التاسع عشر فى

كريت ، عندما زار العالم كالوكايرينوس Kalokairinos موقع قصر مينوس بكنوسوس ، وأتى هينرش شليمان من بعده إلى المنطقة وعابن منطقة القصر وساو م مالك الأرض على تراثها ولكن محاولاته باءت بالفشل ، وأتى آرثر إيفانز من بعده ، الذي كان قد زار الجزيرة لأول مرة ١٨٩٣ لبحث الاختام الحجرية ولفحص الكتابات عليها ، ونجح في شراء الأرض من مالكها وبدأ في إجراء حفائره والتي أثمرت عن كشف رائع وهو العثور على بقايا قصر كنوسوس واستمر العمل الرئيسي في الحفائر في الفترة ما بين ١٩٠٠ - ١٩٠٥م أي لمدة ستة مواسم وإن استمرت حفائره وتنقيباته سنوياً حتى عام ١٩١٤ ثم توقفت بسبب الحرب العالمية الأولى ، وبعد توقف الحرب استأنف آرثر إيفانز من جديد تنقيباته في الفترة ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٢ وقد أخرج لنا نتائج دراسته الرائعة في سفر مفصل من أربعة أجزاء وهو بعنوان قصر مينوس "The palace of Minos" وقد بدأ نشره في الفترة ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٥ .

شارك آرثر إيفانز علماء اخرون في الريادة والكشف عن مواطن الحضارة الكريتية في عصر البرنز في جزيرة كريت ومن بين هؤلاء العلماء جوزيف هتريداكيس Joseph Hazzidakis مؤسس جمعية الآثار الكريتية وسيلوجوس Syllogos والعالم الإيطالي فيديريجو هالبهير Federigo Halbaheer وكانت تنقيباتهم ملهمة لغيرهم ثم توالى البعثات الأثرية وأجرت تنقيباتها في أنحاء الجزيرة المختلفة وأضافت نتائج حفائرها أبعاداً جديدة لمعلوماتنا عن عصر البرنز وسجلاته .

وقد واجهت السير آرثر إيفانز معضلة تأريخ اللقى الأثرية الكثيرة العدد والتي عثر عليها في حفائره ولجأ إلى منهج فريد فذ في عصره وهو تقسيمها إلى مراحل وانتهج الأسلوب التالي :

أولاً : تاريخ اللقى الأثرية وفقاً لطبقات الأرض Strata وذلك بترتيبها ترتيباً تاريخياً حسب عمق الطبقات الأرضية التي عثر عليها فيها ، فالطبقة الأعمق هي الأقدم بطبيعة الحال ، وحسبما طرأ على صناعة الفخار من تطور ، فمن أوانى بداية مصنوعة باليد إلى أوانى مصنوعة بعجلة الفخوري ، إلى أوانى متقنة الصنع والزينة .

ثانياً : لقد ربط بين مراحل الحضارة الكريتية المجهولة التاريخ وبين تواريخ معلومة ومدروسة لحضارات شعوب ثبت قيام علاقات بينها وبين كريت ، إذ لجأ إلى استخدام اللقى المصرية المعروفة تاريخها ، التي عثر عليها في كريت واللقى الكريتية المجهول تاريخها التي عثر عليها في مواقع أثرية مصرية معروفة التاريخ . ولنضرب على هذا مثالين متقابلين ؛ المثال الأول أنه عثر في مقبرة الفرعون سيزوستريس الثاني على انية كريتية ملونة وهو واحد من فراعنة الأسرة الثانية عشر وقد مات في عام ١٨٨٠ ق.م . وعندما نقارن هذه الأنية مع مثيلاتها من حيث الغرض الذي تستخدم فيه ومن حيث الدقنة في الصنع والإتقان الفني . أما التي تم الكشف عنها في كنوسوس فيمكن أن نرجع الطبقة الأرضية التي عثر فيها عليها إلى عهد الفرعون سيزوستريس أي أوائل القرن التاسع عشر ق.م . والمثال الآخر المقابل . فقد تم العثور على ختم وجعران للملكة تي امرأة الفرعون امنحتب الثالث الذي حكم في الفترة ما بين (١٤١٢ - ١٣٧٦ ق.م) ومن ثم فإن الطبقة التي عثر فيها على الختم والجعران تعود إلى التاريخ المذكور تقريباً .

ووفقاً لهذا المنهج الذي اتبعه ايفانز ومقارناته ، والذي توصل إليه بعد ست سنوات (١٩٠٠ - ١٩٠٥) من تنقيباته المتواصلة . فقد وصل إلى تقسيم حضارة

عصر البرنز في كريت إلى ثلاث فترات ونود أن نشير إلى أن تواريخ هذه المراحل والفترات تكون تقريبية .

والعصور المينوية في عصر البرنز هي :

أولاً : العصر المينوي العتيق ٣٠٠٠ - ٢١٠٠

وينقسم هذا العصر إلى الفترات التالية :

العصر المينوي العتيق الأول ٣٠٠٠ - ٢٨٠٠

العصر المينوي العتيق الثاني ٢٨٠٠ - ٢٤٠٠

العصر المينوي العتيق الثالث ٢٤٠٠ - ٢١٠٠

ثانياً العصر المينوي الوسيط ٢١٠٠ - ١٥٨٠

وينقسم هذا العصر أيضا ثلاث أقسام هي

العصر المينوي الوسيط الأول ٢١٠٠ - ١٩٠٠

العصر المينوي الوسيط الثاني ١٩٠٠ - ١٧٥٠

العصر المينوي الوسيط الثالث ١٧٥٠ - ١٥٨٠

ثالثاً : العصر المينوي الحديث ١٥٨٠ - ١٢٠٠

وينقسم هذا العصر إلى الفترات التالية :

العصر المينوي الحديث الأول ١٥٨٠ - ١٤٥٠

العصر المينوي الحديث الثاني ١٤٥٠ - ١٤٠٠

العصر المينوي الحديث الثالث ١٤٠٠ - ١٢٠٠

ولكن التقسيمات التي توصل إليها ارثر إيفانز يعيبها أنه اعتمد على موقع

واحد ومن شواهدة أنه عم نتائج على الحضارة بالجزيرة .

وفى ضوء التقسيمات السالفة الذكر سنحاول أن نرسم صورة للحضارة الكريتية من خلال هذه الفترة ولكننا لن نستطيع كتابة تاريخ كريت السياسى نظراً لأننا لا نملك وقائعه ، أو حينما تكون المعلومات متوافرة من خلال وثائق "مثل: الجدران ، الرسوم ، الأواني ، أو بعض النصوص التى لم تحل طلاسمها ، لقد تم تقسيم الفخار إلى مجموعات ، ولكن هذا التقسيم . سعياً فى تصنيف وعرض تلك الاكتشافات إلا أنها اصطلاحية بطبيعة الحال كما لا يوجد ما يثبت تطابقها مع أحداث محددة ، ولذا سنحاول أن نرسم السمات الحضارية التى تميزت بها الحضارة الكريتية فى عصر البرنز بعصوره الثلاثة .

أولاً : السمات الحضارية لعصر البرنز العتيق هي :

١- أن هذه الفترة قد شهدت التحول من العصر الحجري الحديث إلى العصر الحجري النحاسى ثم البرنز .

٢- لقد اثبت نفر من العلماء أن هناك علاقات بين كريت والحضارة المصرية فى عصر الدولة القديمة ، ولم يكن الاتصال مباشراً بين الحضارتين وإنما من خلال وسيط ، وهو الفينيقيون والمدن السورية الساحلية .

٣- أن الحضارة الكريتية تمثل الطرف المتلقى والمتأثر والمقتبس من الحضارة المصرية ومن الحضارات الشرقية ، وكان من اقتباساتها المصنوعات من النحاس والبرنز والفخار . وقد بدأت العلاقات وفقاً لرأى ارثر ايفانز لفترة عصر ما قبل الاسرات حيث خرجت هجرة من غرب الدلتا حوالى ٣٠٠٠ ق.م أو قبل ذلك إلى كريت فراراً وتخوفاً من بطش الملك نارمر موحد القطرين وعقب سيطرته على الدلتا ، ويرى البعض أيضاً أن هجرة أخرى خرجت من فلسطين إلى كريت فراراً من غزو نارمر .

رابعاً : إن أهم مراكز الحضارة الكريتية في هذا العصر يقع في الطرف الشرقي للجزيرة .

ثانياً : أهم سمات عصر البرنز الوسيط

١- أن هذه الفترة تتزامن مع عصر الدولة الوسطى وفترة حكم الهكسوس في مصر
٢- نلاحظ أن مراكز التقل الحضارى قد انتقلت رويداً رويداً من الطرف الشرقي للجزيرة إلى الوسط حيث بدأت كنوسوس وفايسستوس وتيليسوس (Tylissos) وماليا (Mallia) وبناء القصور الضخمة في مدن الجزيرة المختلفة .

٣- نلاحظ أن سلطة الملك مينوس بكتوسوس ، وهو صاحب قصر اللابرانث ، قد زادت إذ تكشف السجلات الأثرية الصامتة كما لو كان هناك نوع من الاتحاد الثقافي والسياسى قد شهدته الجزيرة تحت زعامة الملك مينوس .

٤- نلاحظ انتشار الرخاء والترف سبجة لظهور طبقة من التجار والأغنياء ، إذ كشفت التنقيبات الأثرية في المقابر الكريتية عن وجود صلات كثيرة لهم مع حضارات الشرق القديم ومنها مصر وسوريا والأناضول ، فعلى سبيل المثال فقد كشفت البعثة الفرنسية عن مدينة مارى " تل الحريرى " فى منطقة الفرات الوسطى ، ومن خلال نتائج تنقيباتها عرفنا أن هناك صلات بين مدينة مارى ومدينة الإلاخ وكريت ، إذ كانت خطة القصر فى كل من مارى والإلاخ معقدة، فكانت الأقسام الملكية ضخمة للغاية ، وكانت المكاتب الادارية والورش مشابهة بصورة مدهشة لقصر كنوسوس فى خطته العامة وفى الكثير من المظاهر المعمارية ، وعلاوة على ذلك فإن لرسوم الفرسك المحفوظة فى قصر مارى كان قد اتبع الفنان فيها نفس الاساليب والطرق المستعملة فى قصر كنوسوس ؛ وإذا كان قصر مارى قد دمره الملك حمورابى فى عام ١٧٥٩ ق.م، بينما قصو كنوسوس وزخرفته الرائعة لم يتم بناؤه قبل القرن السابع عشر ، ومن هنا يبدو

التأثير الشرقى واضحاً ، ولعل مدن شرقية أخرى قد تجود علينا بأدلة علمية جديدة ، وعلى ما يبدو فإن هذا التأثير أتى عبر أوجاريت ، على الساحل السوري ، والتي كانت بمثابة همزة الوصل بين حضارات الشرق والحضارة الكريتية ، فقد كانت نقطة تلاقى لمنتجات وافكار المصريين والحِيثيين والسوريين والكريتيين والموكينيين .

٥- فى عام ١٤٥٠ حدث زلزال مدمر أدى إلى تدمير قصور وبيوت كنوسوس تدميراً جزئياً والتي أعيد ترميمها ، ويرى البعض أن اضطرابات اجتماعية كانت سبباً فى هذا التدمير الذى لحق ببيوت الطبقة الحاكمة ، ولكن العلماء أثبتوا أن الدمار كان بسبب كارثة طبيعية ولم يكن الدمار متعمداً وأنه لم يكن هناك مثل هذه الاضطرابات .

ثالثاً : أهم سمات وملامح عصر البرنز الحديث

١- يتزامن هذا العصر مع فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة - فى مصر .

٢- زيادة الاتصالات بين مصر من جهة والكريتيين من جهة أخرى والذين اسمتهم الوثائق المصرية " حاو - نبوت " و " كيفتو " وبحل محلهم فيما بعد الآخايوشا "Akawsha" بعد أن غشى الموكينيون جزيرة كريت .

٣- تبرز الوثائق والرسوم الجدارية الهيمنة المصرية وما فرضته من سلام على منطقة شرق البحر المتوسط وجزره ؛ إذ اعترف الكريتيون بقوة مصر وسيطرتها فقدموا الهدايا للفرعون المصرى رمزاً للسلام وحفاظاً على تجارتهم سواء مع مصر أو مع مناطق النفوذ المصرى .

٤- سيطرة الملك مينوس على جزر بحر إيجه وموانئ بلاد اليونان وذلك من خلال اسطوله القوى .

٥- تكشف التقنيات الاثرية عن ان الحضارة الكريتية كانت قد بلغت ذروة رقيها ومجدها . وامتد تأثيرها إلى جزر الكوكلايس والبلوبونيز وسط بلاد اليونان ، فهل هذا التأثير ناتج عن غزو كريتى كما يرى ايفانز أم انه يعود إلى رغبة سادة مملكة موكيناي والممالك الأخرى الاقوياء فى تقليد الفن الكريتى الذى بهرهم فاستخدموا الفنانين والحرفيين الكريتيين وجعلوهم يعلمون السكان المحليين .

٦- تعرض الجزيرة للدمار الشامل والمتعمد ويعزو العلماء هذا الدمار والتخريب لهجوم شعب معاد من شعوب البحر ويرى البعض أن الموكينييين هم المسؤولون عن هذا الخراب والدمار الذى حل بكريت . ولكن هذا الدمار والخراب قد ربطه علماء آخرون بكارثة الانفجار البركانى بجزيرة ثيرا علم ١٤٥٠ ق.م فمن الثابت أنه نتيجة للحمم البركانية العارمة وأيضاً نتيجة للرماد البركانى فقد تحطمت السفن الكريتية فى المياه الضحلة فى الموانئ الشمالية وقضت على الملاحة لعدد من السنين فيها .

٧- لقد بدأت قوة الموكينييين فى التنامى ابتداء من القرن الخامس عشر فى المناطق التى كانت تضعف فيها السيطرة الكريتية ؛ وهذا ما توضحه الكشوف الأثرية فى ميلتوس على ساحل اسيا الصغرى والمستعمرات الكريتية فى رودس فى القرن السادس عشر قد صارت هذه المناطق محلات ومستوطنات موكينية فى القرن الخامس عشر . فإبان هذا القرن حدث تحول فى ميزان القوى بين الكريتيين والموكينييين ولعل سبب ما حاق من ضعف بكريت هو نتيجة لكارثة الانفجار البركانى المدمر فى جزيرة ثيرا والتى انتهزها الموكينيون للسيطرة على كريت

نفسها . ومن السهل أن نناقش فى ضوءها اسطورة البطل ثيسوس وانعتاق اليونان من سيطرة كريت وحتى فقدان كريت لسيطرتها البحرية . وهنا أنتهز الموكينيون هذه الظروف فغزوا الجزيرة بعد عام ١٤٥٠ ودمروا الكثير من المدن وأقاموا هم أنفسهم فى كنوسوس ولأسباب غير معروفة فقد دمرت كنوسوس كلية عام ١٤٠٠ ق.م أو بعد ذلك بقليل ، فالبعض يرى أن حريقاً ناتجاً عن هزة أرضية سبب دمارها والبعض الآخر يرى أن الحريق ناجم عن غزو مدمر .

٨- تكشف الحفائر عن أن مركز الثقل والتأثير فى عالم البحر الإيجى قد انتقل من أيدى الكريتيين إلى أيدى الموكينيين إبان القرنين الرابع عشر والثالث عشر ، فقد انتشرت السلع الموكينية فى رودس وقبرص وأوجاريت وببلوس بل وصلت سلعهم إلى مصر .

٩- شهدت نهاية الفترة الموكينية قدوم القبائل الدورية وسيطرتها على الجزيرة .

الأصل العرقى للكريتيين

يواجه الدارس مشكلة أصل هذا الشعب من أين أتى ؟ لقد كشفت الحفائر الاثرية عن سكنى الإنسان الكهوف الكريتية فى الفترة ما بين ٦٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق.م وكان يعيش إنسان هذا العصر فى أسر كبيرة العدد . وكانت مواطن سكناه فى الغالب فى شرق الجزيرة ، وينتمى إنسان ذلك العصر إلى عنصر البحر الأبيض المتوسط ، إذ وفدت هجراته للجزيرة من منطقة شرق البحر الابيض وجلبوا معهم الخنازير والأغنام والماشية وكانوا يدفنون موتاهم فى الكهوف وخارجها ، ومع نهاية العصر الحجري الحديث فقد وفدت جماعة بشرية إلى الجزيرة لعلها تكون قد جاءت من شمال سوريا أو من آسيا الصغرى ودخلت إلى الجزيرة فى موجات متتالية .

ويرى البعض أن هناك هجرة خرجت من غرب دلتا النيل حوالي ٣٠٠٠ ق.م هرباً وخوفاً من بطش نارمر موحد القطرين عقب سيطرته على الدلتا ، ويرى البعض الآخر أن هناك هجرة أخرى خرجت من فلسطين في نفس الوقت وأبحرت إلى كريت فراراً من غزو نارمر . ويرى باحث آخر أن هجرة من سوريا وفلسطين قد خرجت إلى كريت أمام غزو من آسيا الصغرى لبلادهم . ويرى باحثون آخرون أن هجرة جديدة قد خرجت من ليبيا حوالي ٢٣٠٠ ق.م أي في عصر البرنز العتيق وأقام المهاجرون في جنوب الجزيرة في منطقة فالشيوس . وفي الفترة الأخيرة من عصر البرنز وفي عصر الحديد وفدت هجرات هندوأوربية إلى الجزيرة إذ توافدت هجرات الآخيين والموكينييين في الفترة ١٤٥٠ - ١٢٠٠ ق.م على الجزيرة ثم كانت موجة الهجرة الدورية التي اعقبتها . وسيطرت العناصر الهندوأوربية على الجزيرة بعد أن زادت أعدادهم فيها وأصبح التكوين العرقي في الجزيرة مكوناً من عناصر من البحر الابيض المتوسط وعناصر هندوأوربية ، وربما عناصر سامية حامية . ولعل وصف هوميروس للتركيبة السكانية الكريتية هو خير عون لمعرفة اعراق سكان الجزيرة إذ يذكر أن هناك ٩٠ مدينة ولغاتها مختلطة وسكانها من الآخيين والايثوكريتيين والكيدنيونيين والدوريين والبلاسيجيين .

أما عن لغة أهل كريت الأولى فلا نعرف عنها شيئاً ، وهي ليست لغة هندوأوربية ولا سامية ، ويبدو أنها قريبة من لغة الليكيين ومن جاورهم من الشعوب القديمة بآسيا الصغرى وتذكر الروايات ان قسماً كبيراً من سكان شرق كريت كانوا يتكلمون لغة في العصر الكلاسيكي غريبة ، وليس من المستبعد أن تكون لغة الكريتيين القدماء . ونحن في انتظار فك طلاسم مجموعة الخطوط التي لم يتم قراءتها حتى اليوم من اللوح الكريتية ، فلعلها تنير الطريق وتكشف عن لغة هؤلاء القوم ، ومع قدوم الآخيين والدوريين من بعدهم فقد عرفت الجزيرة اللغة اليونانية

وهذا ما كشفت عنه قراءة ألواح المجموعه الخطية الثانية . وبعد أن عرضنا لأصل
هذا الشعب ننتقل الآن للحديث عن المجتمع الكريتي .

المجتمع الكريتي :

لقد رأينا أن المجتمع المينوى كان يتكون من أعراق شتى ، فكيف كانت حياة
هذا المجتمع ؟ فى ضوء ما جادت به الحفائر الأثرية نلاحظ ما يأتى :

أولاً : أن المجتمع الكريتي فى عصور ازدهاره كان مجتمعاً عرف الغنى والفقير ،
فكان به أناس أغنياء واخرون فقراء . الأول يعيشون فى بيوت أو قصور
رحبة فسيحة زاخرة بكل ألوان الترف ووسائل اللهو ، وكانت هذه البيوت
والقصور تحيط وتجاور قصر الحاكم أى أنها منطقة يسكنها عليه القوم
وسراته ، بينما بيوت الآخرين هى بيوت حضرية فقيرة مكدسة على جانبي
الشوارع والأزقة وتكون مكتظة بالسكان . أما عن البيوت الريفية فقد وجدت
بعض القرى التى تحتوى على بضعة بيوت ، بينما قرى أخرى تحتوى على
بيوت كثيرة ، وعموماً فإن هذه البيوت الريفية كانت فقيرة وإن وجدت فى
الريف فيلات لكبار الملاك أصحاب الضياع وكانت هذه الضياع تضم بجوار
الفيلات ورشاً ومصانع وقد وجد عدد من هذه الفيلات فى منطقة بالقرب
ارخانس (Arkhanes) ، كما وجدت قصور ريفية بالقرب من جورتين وكلن
هذا القصر يحتوى على مخازن وحجرة عبادة أو محراب .

ثانياً : عرف المجتمع الكريتي فى بواكير تاريخه العائلات الممتدة والأسر الكبيرة
وكما تقدم بنا الزمن وجدنا تضاؤل وصغر حجم هذه العائلات ، وهذا ما
تؤكداه الكشوف الأثرية بالنسبة للمنازل والمقابر أما عن المنازل فقد كشف
الآثارىون عن بيت فى فاسيليكي يعود تاريخه إلى عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد

مكون من عشرين غرفة ، ومن المؤكد أنه كان سر طابقين ، وبعد مضي ثلاثمائة عام نجد بيوتاً أخرى تم الكشف عنها كانت أصغر مساحة وأقل غرفاً ، وتتكون من حوالي اثنتى عشرة حجرة ، وفي العصر المينوى الحديث نرى البيوت قد أعيد بناؤها على مساحة أقل وأصبح عدد الغرف لا يزيد على بضع غرف . اما عن المقابر كشفت لنا معاول المنقبين على أكثر من عشرين قبراً ، فى مدينة مسارا ، يبلغ قطر الواحد منها عتسرة أمتار ونصف المتر ويضم عدداً كبيراً من الهياكل العظمية وأوانى ، بينما نجد أن مقابر العصر المينوى المتأخر فى رامز بابورا لا يضم الواحد منها أكثر من ثلاثة أشخاص .

ثالثاً : كانت الأسرة هى نواة المجتمع الكريتى وكان للأب و الأم مكانة متميزة فى الأسرة ، فإذا كان للأب سلطة مطلقة فإن للأم مكانة اجتماعية سامية ، ولعل وجود حجرات خاصة فى المنازل التى تحتوى على عمدان قصيرة كان على رب الأسرة وربما الأسرة هى الأخرى تقديم القرابين للإلهة والأرواح التى تسكن فى هذه الأعمدة حسبما كان يعتقد الكريتيون القدماء . وهذا يسوقنا إلى دور ومكانة المرأة فى المجتمع الكريتى . ترينا اللقى الأثرية والأثار والرسوم الجدارية أن المرأة الكريتيّة من مختلف الطبقات احتلت مكانة عليا فى المجتمع الكريتى ، وأنها كانت تدانى مكانة الرجل إن لم تكن أفضل منها ، فترينا الرسوم الجدارية أن النساء كن يفعدن فى المقاعد الأسامية فى المسارح وأنهن كن يشاركن الرجال فى رحلات الصيد والقنص ويركبن العجلات فى السباقات يقمن ببعض الألعاب الرياضية و البهلوانية ومصارعة الثيران ، كمل نجد المرأة التى تقوم بالمهام الأسرية من نسج الملابس ، وطحن الحبوب ، وعجن الدقيق وصنع الخبز ، بالإضافة إلى مشاركتها للرجال فى الأعمال

الزراعية والصناعية مثل صناعة الفخار . ويتضح سمو مكانة المرأة الكريتية فى أن المعبود الرئيسى للجزيرة كان الالهة الأم ، وكانت الكاهنات يقمن بالدور الأول فى إقامة الطقوس والشعائر الدينية وفى الاحتفالات وفى الرسوم الجدارية يمكننا القول أن المرأة الكريتية كانت تهتم بأناقتهأ ، إذ شاع بين النساء الكريتيات ارتداء التنورات ذات الاطار الواسع والقمصان التى تكشف عن العنق والكتفين والنحور ، كما كانت الأكمام فضفاضة ومنفتحة . وتغضى ثلاثة أرباع الذراع ، وأحزمة أحكم شددا حول الوسط حتى يبدو الخصر نحيلاً بصورة كبيرة ، وتبدو النساء فى المناظر مصنفات الشعر تصفيفاً دقيقاً ويكثرن من لبس الحلى والزينة، وقد أطلق الأثاريون على صورة لإحدى السيدات الكريتيات اسم " الباريزية " لرشاقتهأ وأناقتهأ فى زينتهأ وزيهأ وكأنهأ إحدى بنات باريس المتأنقات .

رابعاً : كانت حياة المجتمع الكريتى حياة منطلقة سعيدة هانئة . يخالط فيها الرجال النساء ، فترينا الرسوم الجدارية حفلات الرقص والألعاب البهلوانية ومصارعة الثيران بينما يجلس مئات المشاهدين والمتفرجين بين أشجار الزيتون يراقبون الألعاب والرقصات المختلفة على أنغام الموسيقى . وبعد أن عرضنا لحياة المجتمع ننقل الآن للحديث عن معتقداته وديانته التى أمن بها .

الديانة الكريتية :

تكشف لنا الآثار والرسوم الجدارية واللقى الأثرية عن جانب من ديانة المينويين . وقد تساعد الألواح المكتوبة والتى لم تفك طلاسمها بعد فى إضفاء المزيد من الوضوح على تلك الديانة وتعطينا معلومات لتأكيد ما نعرف من الآثار والأساطير . ويتبادر إلى ذهننا الأسئلة التالية : ما هى آلهتهم ؟ كيف حاولوا إرضاءها وجلب عطفها ، وما هى طقوسهم وشعائرههم ؟ فى ضوء ما لدينا من آثار

يمكننا القول أن الكريتيين فد عبدوا الهة عديدة مرتبطة بالطبيعة فنجدهم قد قدسوا الجبال والمغارات والاحجار ، والشمس والقمر ، والماعز والافاعي والثيران والحمام ، وقدسوا العدد ٣ واعتقدوا بوجود الأرواح فى كل شىء ومجدوا القوى الخفية وقسموا الأرواح إلى طيبة خيرة وشريرة خبيثة ، واعتقدوا فى وجود الجن والعفاريت وعرائس البحر .. وعندما صوروا ألتهتم فقد صوروها فى ثوب إنسانى ، فقد صوروا الالهة الأم فى ثوب امرأة ذات تديين بارزين تمسك بالأفاعي ومحاطة بأفاعي كثيرة تتلوى على ذراعيها وتتسلل إلى تدييها وتختلط بشعرها وتتدلى من رأسها وكان الكريتيون يرون ربتهم أنها ربة شاملة فهى رمز الخصوبة ، حامية الحرب ، ملكة الأرض والسماء سيدة الخلق ... الخ ، كانوا يرون فى الأمومة سر الطبيعة وقوة سحر المرأة فى قدرتها على الإنجاب مما جعلهم يقومون بتأليه هذه القوة التى هى ينبوع الحياة فى النباتات والحيوان والإنسان وقد صوروها وبين ذراعيها ابنا الالهى وفى البداية كانوا يعدونه تابعاً لها ودونها فى المرتبة ، ولكنه بمرور الوقت زادت مكانته وأصبح رمزاً لقوة الخصب وهو يموت ويعود إلى الحياة ، وكانوا يصورونه أحياناً متجسداً فى الثور المقدس الذى يتجلى فيه الخصب ، وقد لعب الثور دوراً كبيراً فى الديانة الكريتيية إذ تظهر قرونه فى الرسومات ، كما وجدت فى العديد من مقاصير أو محاريب العبادة ، وكان حيواناً مقدساً ، ومؤلهاً أيضاً ورمزاً للخصوبة ، وهو الذى استمد منه اليونان فيما بعد شخصية الملك مينوس وأيضاً وبالتأكيد المسخ البشع المينوكوروس . وقد أطلق اليونان فيما بعد على الالهة الأم " ريا " والابن " زيوس "

كما تكشف الآثار عن تقديس الكريتيين للأعمدة والأشجار وأن الهة الطبيعة يعيشون فيها . وأن الإنسان فى وسعه أن يناديهم بواسطة الرقص والطقوس الدينية الأخرى .

وكانت البلطة المزدوجة Labru ترمز " كأداة في ذبح القرابين المقدسة " إلى روح إله معين أو إلهة ويعتقد أنها ربة الأرض أو " الأرض الأم " وعبادتها منقولة من ليديا ، كما ساد الاعتقاد بينهم بأن البلطة المزدوجة تبسط على البيوت وغيرها من الأشكال نوعاً من الحماية .

وكانت الأفعى في نظر الكريتي بمثابة حارسة البيت وجالبة الحظ .

ويرى البعض أن بعض الآلهة قد دخلت كريت " من ليديا والشرق " مثل عبادة الثور والبلطة وعبادة الأفاعى ، ويرى البعض الآخر أن بعض الآلهة والمعتقدات المصرية قد وصلت إلى كريت ، ومنها باستت ويرى إيفانز وهو أن الختم المنقوش عليه صورة القطة اتخذت كتميمة لحماية حملها من الشرور وبالذات من لدغ العقارب . ويلاحظ أيضاً أن هناك تشابهاً في طقوس الدفن ومنها تقديم القرابين للميت عند المصريين والكريتيين . وتقديم أضحية أمام الميت وهى عادة شرقية ومصرية كذلك . كما أن تقديم مركب للميت إذ ستساعده فى رحلة العالم السفلى ، وهى عادة مصرية تتعلق برحلة الميت فى موكب الشمس . كما أن وقوف الميت فى شكل أوزيرى ، على هيئة مومياء وهى عادة مصرية ، كما أننا نجد الكهنة المشرفين على إقامة وتمام طقوس الدفن وتقديم القرابين يلبسون جلود حيوانات . كما أن التأثير الشرقى والمصرى نجده فى دفن الموتى فى توابيت خاصة ، كما نجد أن عمارة المقابر تشبه عمارة المقابر المصرية .

وكان الكريتي يلجأ لارضاء الآلهة من خلال الأدعية والطقوس والشعائر والتعاويد ، ويقومون بطقوس خاصة تحت إشراف الكاهنات ، كما كانوا يستخدمون البخور لطرد الأرواح الشريرة وكانوا يقيمون شعائرهم وطقوسهم فى محاريب أو مقاصير فى كهوف على قمم الجبال وفى المغارات المقدسة ، وفى حجرات خاصة

بمنازلهم الخاصة تحتوى على عمدان قصيرة ، وفى محاريب القصور . ويلاحظ أن محاريب المنازل الصغيرة يتوسطها منضدة مستديرة مثلثة الأرجل توضع فوقها القرايين ، كما كان يوجد فى خلفها بجوار الحائط مقعد ربما كان يوضع عليه تماثيل على هيئة الأجراس وبلطة مزدوجة بين قرنى التقديس وعثر على محراب فى قصر مينوس بكنوسوس على صورة جميلة من القيشانى تمثل " الربة الأفعى " وفيها تظهر الكاهنة وهى ممسكة فى يديها بثعابين وحولها صور الملابس المختلفة وأصداف ملونة وثلاث حمامات وصليب رخامى وحوض تطهير ولوحات من القيشانى على تصاوير عنزة وبقرة وصغارها .

وفى ضوء هذه الشواهد من رسوم الأرسك ومن المنظر الفريد المصور على تابوت ملون تم العثور عليه فى هاجيا تريادا نجد أن النساء كن يقمن بدور رئيسى فى إقامة الطقوس والشعائر الدينية الكريتية ، هذا فضلاً عن دور الكهنة ودور الملك الكاهن وما كان يجريه من طقوس وشعائر .

أما الأعياد الدينية فهى تظهر فى المراحل الكبرى من الحياة الزراعية ولاسيما الحصاد وجنى الثمار ، وتتخللها الرقصات الدينية العنيفة أحياناً على أنغام الموسيقى ، وكان يتخلل الأعياد والاحتفالات الدينية الألعاب الشعبية مع ما يرافقها من مباريات فى الملاكمة والمصارعة وسباق الثيران .

وكان الكريتى يظهر عناية خاصة بموتاه ، فقد كان يدفن موتاه (ولا يحرقها) ويضعهم فى توابيت من الفخار ويضعون معهم كميات من الأطعمة وبعض المتعلقات الشخصية التى كان الميت يستعملها ويحبها مثل لوحة الشطرنج أو آلة موسيقية أو تماثيل نسائية صغيرة أو تماثيل حيوانات . كما أن هناك مناظر تقديم القرايين للمتوفى ، ففى إحدى الصور نجد المتوفى منتصباً أمام قبره ناظراً إلى

حاملى القرابين وهم يتقدمون نحوه ، ونرى أيضاً فى الصورة عربة قطر بها أحصنة من جهة والعنقاوات من جهة أخرى . وفى ضوء ما سبق عرضه يمكننا القول أن الكريتى كان يؤمن باستمرار الحياة بعد الموت .

وكان الكريتى يقدم قرابين من السوائل والأضاحى من الحيوانات ، وعرف الكريتى أيضاً بتقديم القرابين البشرية فقد عثر الأثرى وارن P. Warren فى منطقة برايترا بجنوب كريت على اثار داخل مكان مقدس ، لتقديم قرابين بشرية ويعود تاريخ هذه الآثار إلى حوالى الألف الثانية قبل الميلاد ، كما عثر الأثرى ساكيلاراكيس على قرائن جديدة حول تقديم القرابين البشرية فى منطقة أرخانيس فى كريت ، وهذا يؤكد ما ورد فى الأساطير القديمة من تقديم قرابين بشرية وأنه كان من عادة أهل كريت ما ورد فى الأساطير القديمة من تقديم قرابين من البشر ووفقاً لاسطورة المينثور وفرض الجزية على أثينا من قبل مينوس . فقد كانت تقدم سبع فتيات وسبع فتیان لتقديمهم للمسح الخرافى كى يلتهمهم فلماذا كان يتم تقديم قرابين من البشر ؟ يرى العالم نيلسون أن القرابين البشرية هى أعلى أنواع القرابين ولا تدانيه أى صور لقرابين من الحيوانات ولجأ اليونانيون إليه عند الشدة أو عند اتخاذ القرارات المصيرية .

وبعد أن عرضنا لآلهة الكريتيين ومعتقداتهم وطقوسهم وشعائهم وأفكارهم عن الموت . وننتقل الآن للحديث عن نظامهم السياسى فى ضوء ما يتاح لنا من مصادر .

النظام السياسى :

عُرفت كريت بكثرة مدنها وضخامتها وازدهارها ، ويظهر من النصوص الأدبية والحفائر الأثرية أن عددها كان يزيد على مائة مدينة وانها كانت مكتظة

بالسكان الذين كانوا يتجمعون أو يسيرون في الأسواق ، وكانت بيوتها مكدسة على جانبي الشوارع والأزقة لمسافات بعيدة وكانت شوارع تلك المدن ممهدة ومعبدة بالحجارة والحصى كما حفرت المجارى على جانبيها لتصريف المياه ، كما كانت الطرق بين المدن المختلفة معبدة وممهدة .

كانت السلطة الحاكمة في هذه المدن سلطة ملكية ، وتعدد القصور فى النصف الأول من الألف الثانية يحدو بنا إلى الاعتقاد بتعدد الممالك ومع ذلك فليس من مدينة احيطت بالأسوار ، ولم تظهر القصور بمظهر الحصون إلا لفترة قصيرة ، حيث كانت السلطة هناك بأيدي أمراء القصور الذين يحكمون البلاد حكماً اقطاعياً ، وتظهر رسوم العصر البرنزى الوسيط فى عصره الأول كيف كان أفراد طبقة الأشراف والأمراء لا يخرجون بين الناس إلا وهم يحملون الخناجر ، ولكن على ما يبدو فى العصر المينوى الحديث أن مدينة كنوسوس كان لها اليد العليا فى شؤون الجزيرة فقد امتد سلطان ملكها على بقية المدن الكريتية الأخرى ولم يعد للأمراء والأشراف إلا سيطرة اسمية ؛ ولم يمد ملك كنوسوس سيطرته وهيمنته على مدن الجزيرة فحسب بل أيضاً امتد نفوذه فى البحر الإيغى وسواحل ذلك من خلال اسطوله القوى .

وترينا المصادر الأدبية والروايات الماثورة أن اليونان قد أطلقوا على ملك كريت ، ولا ندرى ماذا تعنى الكلمة " مينوس " فهل تعنى اسم ملك معين وسلالته أم لقباً مثل فرعون ؛ والأرجح أن تكون كلمة مينوس لقباً وليست اسماً ، وأن اللقب كان يحمله كل من يجلس على عرش كنوسوس كما هو الحال بالنسبة لكلمة فرعون ، وفى ضوء المصادر الأدبية واللقى والاكتشافات الاثرية يمكننا القول أن سلطة مينوس كانت مستمدة من الاله فهو الكاهن الأعظم للاله الثور وشاراته هي : العصا وزهرة الزنبق والبلطة المزدوجة ، وتشير الاساطير إلى أنه ابن الاله زيوس ، ولما

كان من نسل الاله فانه لا ينطق عن الهوى ، إنما توحى إليه القوانين من الاله ، كما أنه كان قاضياً على الجحيم . وكان عليه أن يجدد سلطته الإلهية مرة كل تسع سنوات وذلك بأن يصعد إلى الجبل المقدس ويدخل مغارة الإله زيوس الثور ويتصل به ، وفي غضون هذه الفترة كانت جموع الشعب تجتمع عند مدخل المغارة يبتهلون ويقيمون الشعائر ويقدمون القرابين ، فإذا كان الملك قديراً وكريماً يخرج من المغارة إلى جموع الشعب وقد أصبح مقدساً لدورة جديدة ، وإذا ما كان العكس فإن أثره يزول ، ويتولى غيره العرش . ولا ندرى ما هي سلطته المدنية والعسكرية وذلك لنقص المعلومات وإن كان آرثر ايفانز يصف الملك بالحاكم المحسن وحامي الفنون ومؤسس القصور وواضع أسس الحضارة ومن جهة أخرى يصفه بالطاغية والمدمر ، ولا ندرى ما هو وضع الملكة وكيفية وراثته العرش . وتكشف لنا المصادر أن الملك كان يعاونه في إدارة شئون قصره ومملكته عدد كبير من الموظفين والكتبة الذين يشرفون على مصانعه وورشه ومخازنه ، وكان عليهم أن يقوموا بتسجيل الأعمال اليومية وتصريف شئون المواطنين وينهون الأعمال الصغيرة والبت فيها دون الرجوع للملك وكان لكبار الموظفين أختامهم التي يستعملونها في ختم تلك المعاملات ، بيد أن المشاكل والقضايا والمعاملات الهامة كان يرجع فيها للملك والتي كان يختمها بختمه . وتكشف لنا الآثار والألواح المكتوبة بالمجموعة الخطية الأولى والثانية عن معاملات مالية معقدة وأن الاقتصاد الكريتي كان اقتصاداً قصرياً .

وتكشف الرسوم عن أن للملك جيشاً دائماً يلبس أفراده الخوذات ، ويحمل بعضهم الحراب وبعضهم القسي ، كما كان يضم الجيش فرقة العجلات الحربية ، وكان له قوة بحرية لا يستهان بها إذ بدونها يصبح تحصين الموانئ والمدن والقصور أمراً لا غنى عنه ، ويعد مينوس وفقاً للروايات المأثورة أول مؤسس

لامبراطورية بحرية إيجية ، وأنه قد طهر البحر من القراصنة وبعد طرده للكاريين ولى أبنائه على الجزر ، ولعل أسطورة ثيسوس والمينثور هي خير دليل على اتساع نفوذ كريت في حوض بحر إيجه وسواحه . وهذا قد ساعد على انتشار السلع والمواد الكريتيّة في جزر بحر إيجه وفي الساحل السوري ومصر وفي بلاد اليونان القارية . وبعد أن عرضنا السلطة الملكية والنظام السياسي ننقل الآن للحديث عن الاقتصاد الكريتي .

الحياة الاقتصادية :

أ- الزراعة : كانت الزراعة هي الحرفة الأساسية في كريت وازدهرت في الأودية النهرية والمناطق السهلية ، بينما كانت نسبة كبيرة من مساحة كريت جبلية ويُعطى جانب منها بالغابات . وفي المناطق السهلية وأودية الأنهار فقد زرع الكريتي الحبوب وخرس الأعناب والزيتون والتين وحدائق الأزهار ، وكان إنتاج كريت من الحبوب لا يكفي احتياجات السكان ، بينما إنتاجها من النبيذ وزيت الزيتون يفرض عن استهلاك السكان ، ولذا سنجد كريت تستورد الحبوب وتصدر في المقابل زيت الزيتون والنبيذ إلى أسواق الاستهلاك في المناطق المجاورة ، وكان لتصدير زيت الزيتون والنبيذ أعظم الأثر في ازدهار صناعة الفخار .

ب- تربية الحيوان : فقد قام الكريتي بتربية الماشية والأغنام والماعز والخنازير والطيور الداجنة ، وعرف سكان الجزيرة الحمار منذ زمن بعيد ، كما عرف الكريتي الحصان قبيل الألف الثانية قبل الميلاد وإن كان استخدامه على نطاق ضيق .

ج- الصيد : تكشف لنا المصادر الوثائقية أن الكريتي كان يمارس حرفة الصيد والقنص، فنرى الرسوم الجدارية صور صائدى الاسماك بأنواعها العديدة ، والحصول على الأصداف ، ونجد الرسوم الجدارية تظهر صور القنص للارانب البرية والظباء والخنازير والطيور .

د- الصناعة : كما تكشف الحفائر واللقى الاثرية أن الورش كانت ملحقة بالقصور والفيلات وضياعها ، وأيضاً فى مدينة الحرفيين فى جرونيا الواقعة فى أقصى طرف الخليج الشمالى الشرقى للجزيرة وقد وصل الحرفيون إلى درجة عالية من المهارة والاتقان ، وانتجوا الأنيقة الفخارية والمزهريات الجميلة الصنع والزخرفة، وعرفوا استخدموا عجلة الفخراى ، كما عرفوا استخدام المعادن وصهرها فسبكوا البرنز وتشكيل وصياغة الحلى والمجوهرات ، وصناعة الاسلحة التى شهدت تطورات مطردة فكانت الخناجر فى البداية لا يزيد طولها عن ١٢ سم بلغت فى العصر المينوى الوسيط ٣١ سم وفى العصر المينوى الحديث بلغت طولها ٤٢سم ، وفى هذا العصر أيضاً انتجوا سيوفاً حسنة الصنعة ويبلغ طولها ٩٥سم وصدروها إلى البلدان المجاورة ، ورضعوا السيوف والخناجر والحلى بالذهب والفضة ، والأحجار الكريمة ، كما شكلوا التماثيل من المعادن النفيسة ومن العاج ومن أشهر هذه التماثيل تمثال الالهة الأفعى المصنوع من الذهب والعاج . وصنعوا الأكواب والكؤوس من المعادن . كما نجدهم قد صنعوا القوارب والسفن الحربية .

هـ- التجارة : كان لموقع كريت الهام والقريب من بلاد شرق البحر المتوسط والساحل الأفريقى وبلاد اليونان عظيم الأثر فى ازدهار علاقاتها مع شعوب وحضارات تلك المناطق سواء أكانت متفوقة عليها فى السبق والازدهار أم أدنى منها فى الرقى والتقدم . فنجدها تقتبس من فنون الشرق وصناعاته وتطور ما

تقتبسه وتصبغه بمذاقها الفنى الخاص ، وتنقل ما طورته وصبغته بشخصيتها إلى بلاد اليونان الأدنى منها حضارة ورقياً .

وإذا كان موقع كريت قد جعلها قريبة من مراكز الحضارة فى الشرق أو الجنوب ، فإنها قد ملكت أسطولاً قوياً مكنها من الاتصال بسهولة ويسر ببلدان الشرق وخاصة الساحل السورى وبلاد اليونان أو أن أساطيل الدول الأخرى الفينيقيين والأسطول المصرى فى عصر الدولة الحديثة وافرغت شحناتها بالجزيرة، ونقلت ما يفيض من إنتاجها إلى مصر وبلاد الشام وشواطئ آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه ، وبلاد اليونان القارية وفى نفس الوقت حملت ما تحتاجه الجزر من مواد وسلع تحتاجها لصناعتها أو لاستهلاكها الغذائى .

هذا فيما يتعلق بالتجارة الخارجية وعلى ما يبدو أن التجارة الداخلية كانت راجحة وذلك لأن الجزيرة قد بنت شبكة طرق ممهدة ومعبدة بين المدن وهذه الشبكة قد سهلت الاتصال بين مدن الجزيرة فى سهولة ويسر ، كما أن الأمن والأمان كان قد انتشر فى ربوع الجزيرة وسهل هذا حركة الانتقال بين ربوع الجزيرة وليس أدل على انتشار السلام والأمان من أن مدن الجزيرة لم تكن محصنة ولا مسورة . وفى ظلال السلام والأمان راجت التجارة الداخلية فى الجزيرة .

وتكشف الآثار لنا عن استخدام الكريتيين لموازين ومكاييل إذ كانت هناك سبائك واسطوانات من معدن نفيس تسهل المقايضات ، وقد وسمت هذه السبائك أحياناً بعلامات للدلالة على قانونيتها .

و - العمارة الكريتية : تكشف لنا الحفائر الاثرية وما تزال تكشف عن مخلفات المبانى من منازل وفيلات وقصور وقبور ، وترينا أن المعمارى أو البناء الكريتى قد استخدم الحجارة والطوب اللبن والأخشاب فى البناء فقد استخدم

الحجارة فى إقامة قواعد المنازل ، وأما بقية جدران المنازل فكان يشيدها من الطوب اللبن ، وكان يقوم بنبليط المنزل ، وكما سبق أن ذكرنا أن الفيلات الريفية انتشرت فى الضياع الكبيرة ، أما عن القصور فقد شيد منها ما هو فى المدينة أو فى الريف أحياناً .

وكانت المنازل تتفاوت مساحتها وعدد غرفها وفقاً للمستوى الاجتماعى والاقتصادى لملاكها سواء كانوا فى الريف أو الحضر ، وكانت الفيلات الريفية هى الأخرى تختلف فى رحابتها وفخامتها من فيلا إلى فيلا ، كما أن هذه الفيلات تضم بجانبها ورش للحرفيين .

وكانت القصور تنتشر فى أرجاء الجزيرة ، فنجدها فى زاكرو ، وتيليسوس وماليا وفابستوس وهاجياتريادا وكنوسوس . فقد بدأ المعماريون الكريتيون فى تشييد القصور ابتداء من العصر المينوى الوسيط فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م فقد شُيد قصر كنوسوس على منحدر أحد التلال ، ولكن هذا القصر تعرض لكارثة زلزال مدمر فى عام ١٧٠٠ واعد بناؤه حوالى عام ١٦٠٠ ق.م على مساحة أكبر إذ بلغت مساحته خمسة أفدنة ونصف فدان ، وحدثت تغيرات أخرى فى هذا القصر فى العصر المينوى الحديث على يد الموكيين بعد تعرضه لدمار جزئى بعد كارثة الانفجار البركانى فى ثيرا حوالى ١٤٥٠ ق.م .

والقصر يتألف من فناء كبير مساحته ٢٠٠ قدم وعرضه ٨٥ قدماً تقريباً يحيط به فى عدة محاور عدد من الأبهاء التى تضم عدداً كبيراً من الممرات والغرف ، ولم يكن القصر مسوراً ؛ ويضم القصر معصرة زيت الزيتون ومصانع ومخازن ودار للسلاح ، وحمامات ودورات مياه وحجرة مدرسية وعدد من الغرف الفخمة سواء لكبار الموظفين أو للانتظار أو للنوم ومسرح وجناح خاص للملكة

وحجرات للعبادة ، والقصر كان يتكون من أكثر من طابق . ولعل أهم ما يثير عجب المعماري المعاصر فى هذا القصر هو نظام صرف المياه وتغذيته بالمياه النقية فقد كانت تجلب المياه من الينابيع فى الجبال وتمدد إلى دورات المياه والحمامات داخل القصر كما وجدت بالوعات لتصريف مياه الأمطار .

وكانت جدران القصور تزدان برسوم الافرسك وحاول الفنان أن يقوم بتصوير المناظر الطبيعية ، فنجده يصور الحيوانات والأسماك والزهور ومن ابداع رسوم الافرسك منظر كطف الزعفران من روض مليئ بالكركم والطائر الأزرق وسط الصخور والورود ، ومنظر قطة تزحف بين البوص لتصيد ديكاً برياً . وهناك منظر اخر لرسم بارز يمثل الملك الكاهن نفسه ومنظر الساقى ومنظر اخر يمثل سمكة طائرة .

ويرى فريق من الباحثين وعلى رأسهم أرثر ايفانز أن أصول هذه القصور ينبغى البحث عنها خارج كريت ، وقد وجد الأثاريون فى الألاخ وفى بيسولتان Beyceoultan فى غرب تركيا وفى مارى تشابهاً مع القصور الكريتية وهذا التشابه يوجد أيضاً مع العمارة المصرية سواء فى خطتها أو فى رسوم الافرسك بها . ولكن يقول الباحث جرام J.W Graham أنه على الرغم من امكانية تتبع التأثيرات الشرقية إلا أن القصور الكريتية كانت ابتكاراً كريتياً اصيلاً وأن بها سمات لا توجد فى سواها الا أنه يستطرد قائلاً أن المعماري الكريتى عندما بدأ يشيد القصور كان على علم بعمارة القصور فى أماكن أخرى ، وأنه قد استخدم اساليب وتقنيات البناء الشرقية التقليدية التى كان على دراية وعلم تام بها .

وبعد أن تناولنا العمارة الكريتية ننقل الآن إلى علاقة كريت بجيرانها وما قدموه لها فى مجال الحضارة وما قدمته لهم .

العلاقات المصرية الكريتية :

تكشف لنا الآثار واللقى الأثرية والسجلات المكتوبة فى كل من مصر والمنطقة الإيجية عن عمق العلاقات بينهما وأنها كانت ضاربة فى القدم ، ويرى نفر من الباحثين وعمدتهم آرثر ايفانز أن العلاقات الثقافية والحضارية بين مصر وكريت تعود إلى خواتيم العصر الحجرى الحديث (٣٠٠٠ق.م) . وبرروا رأيهم بما يأتى :-

١- وجود حقائق وأدلة أثرية من عصر ما قبل وبداية الأسرات (آخر الالف الرابع وبداية الالف الثالث) فى مصر وفى نفس الوقت الذى كانت توجد فى كريت. ويرى البعض أنه لا يمكن تفسير هذه الحقائق إلا بالهجرة من أفريقيا إلى كريت.

٢- تشير النصوص المصرية من عصر الدولة القديمة إلى سكان المنطقة الإيجية ، والذين يتم وصفهم فى تلك النصوص بلفظتى "حانيبوت" و "كفيتو" من عام ٢٢٠٠ ق.م .

٣- وجود أوانى حجرية صلبة فى كريت مصنوعة على غرار الأوانى المصرية ، ووجود تشابه بين طراز المقابر المستديرة فى البلدين وأيضاً الجعارين والاختام.

ولدينا رأى يقول أن هذه الأنية الحجرية قد وصلت إلى كريت فى عصر الانتقال الأول ٢٣٠٠ ق.م عندما هوجمت مصر وغزاها معتدون من الشمال ونهبت مقابر ملوكها ونبلائها فى عصر الدولة القديمة . ويرى جان فركوتيه أن الاوانى المصرية الموجودة فى طبقات ليس لها تاريخ فى كنوسوس من الممكن أن تكون قد حملت إلى كريت ولكنها لم تصل إليها فى عهد ما قبل الأسرات أو بداية الدولة القديمة ، بل فى نهاية الدولة القديمة وبداية عصر الانتقال الأول أى فى الفترة التى بدأ فيها الصناع الكريتيون يصنعون بأنفسهم أوانى من الحجر ، ويقول ان التأثير

المصرية على كريت أتى عن طريق الساحل السوري ، كما يبدو أن الأوانى التى عثر عليها فى مقابر ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس التى تنتمى إلى الحضارة الإيجية كان مصدرها فى الغالب سوريا ، ويستطرد قائلاً أنه على ما يبدو أن بداية العلاقات والاتصالات بين كل من مصر وكريت قد بدأت فى سوريا وأن النصوص المصرية تؤكد ذلك الاحتمال ، ويقر أن كل من مصر وكريت كان على دراية ومعرفة كل منهما بالآخر فى نهاية عصر الدولة القديمة من خلال الساحل السوري، وان كان لا يستبعد تصور أن الملاحين المصريين قد عملوا كوسطاء بين كريت وسوريا . وجملة القول أن جان فوكوتيه يميل إلى القول بأن العلاقات المصرية الكريتية لم تكن مباشرة وذلك لصعوبة الملاحة والإبحار فى تلك الأزمنة الباكرة ولذا كان الاتصال بصورة غير مباشرة عبر سوريا ، فنقلت السلع والأوات المصرية والمتمصرة من سوريا إلى كريت .

واستمرت العلاقات وتوثقت عراها بين البلدين إبان عصر الدولة الوسطى فى صر المقابل للعصر المينوى الوسيط الأول والثانى . فكانت احوال كندا البلدين مزدهرة ، وفى كريت كانت هناك فترة العصور الأولى وتلتها فترة العصور الثانية ، وفى مصر كانت الملكية قد استردت قوتها ودخل الفن المصرى مرحلته الثانية الكبرى أى فى الفترة ما بين عام ٢٠٠٠ و ١٧٥٠ ق.م . فقد وجد فى كريت اوانى من احجار صلبة مستوردة من مصر أو مقلدة من نماذج مصرية وعلى كثير من الجعارين وتمثال صغير من الديوريت لموظف مصرى يسمى أويسر Ouser وفى المقابل وجد الآثاريون اوانى كريتية من طراز كاماريس Kamares ، ونتساءل كيف وصلت هذه السلع لكل من البلدين ؟ وهل ما تزال العلاقة غير مباشرة مثل الحقبـة السابقة ؟ أن اللقى الاثرية فى البلدين لا تنهض دليلاً على أن الكريتيين قد جاءوا إلى مصر أو أن المصريين ذهبوا إلى كريت فى عهد الأسرة الثانية عشرة أو أن أويسر

الموظف المذكور قام بدور هام في محيط العلاقات الدولية بين البلدين ، وإنما القضية أبسط من هذا ، إذ نجد أن فراعنة الأسرة الثانية عشرة قد مدوا نفوذهم إلى فلسطين وفينيقيا ، واقاموا علاقات مع سوريا ، ونتيجة لهذا فقد انتشرت السلع المصرية الرخيصة والمتقنة الصنع في فلسطين والمدن الفينيقية وفي سوريا وبخاصة الجعارين والتماثيل الصغيرة من أحجار الديوريت والجرانيت ، ولما كان الإبحار المباشر بين مصر وكريت في ذلك الوقت ما يزال صعباً ، فإنه من المرجح أن تكون سوريا قد لعبت دور الوسيط بين كل من كريت ومصر ولذا فقد كانت العلاقات بينهما ما تزال غير مباشرة وإن كان لا يستبعد تلاقى المصريين والكريتيين في سوريا أو في كريت أو في مصر .

استمرت العلاقات الحضارية والتجارية بين البلدين إبان عصر الهكسوس ١٧٥٠ - ١٥٨٠ ق.م فقد عثر في كنوسوس على إناء من الحجر يحمل شارة الملك الهكسوسى خيان من عام ١٦٦٣ ق.م ، وفي هذه الفترة كانت كريت قد ظهرت كقوة بحرية كبيرة ، وهى تقابل فترة القصور الثانية ، ويرى جان فوكوتيه أن العلاقة إبان هذه الفترة بين كل من مصر وكريت كانت مباشرة ، وأنها قد تمت من قبل البحارة الكريتيين وليس من قبل الهكسوس .

وفي عصر الدولة الحديثة أى في عصر الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٢٦٠ ق.م) فقد زادت العلاقات بشكل كبير وصارت علاقة مصر مباشرة ليس فقط بجزيرة كريت بل بكثير من الجزر وبلاد اليونان نفسها . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن كريت كانت تابعة لمصر ، ويستند هؤلاء إلى صورة من عهد تحتمس الثالث (١٤٧٥ - ١٤٣٥) تمثل وفود الأمم الاجنبية التى جاءت تقدم للفرعون الهدايا الثمينة من مصنوعات بلادها وبينها وفد كريت ، ويمكن التعرف عليه بسهولة من سيماء وجوه الاعضاء وملابسهم ونوع الهدايا التى كانوا يحملونها

والكتابة بجانب الصورة تذكر بين الوفود. وقدأ من أمراء جزر كفييتو فى وسط البحر، والمقصود بالاسم هو جزيرة كريت وتوابعها ، وتذكر هذه الكتابات أن اسطول كفييتو قد اشترك مع اسطول بيبولوس فى نقل الاخشاب إلى مصر لحساب الفرعون .

انتظمت العلاقات المباشرة بين البلدين بفضل قوة الاسطول المصرى الذى جاب منطقة شرق البحر الابيض وفرض السلام فيها كما وصلت السفن الكريتية والفينيقية إلى مصر كما شاهدنا . وسنجد أن تطوراً قد حدث ابتداء من القرن الخامس عشر فقد بدأت قوة الموكينيين الأخيين فى الظهور فى عالم بحر ايجة وحلوا محل الكريتيين فى كثير من المناطق ، وأيضاً فى التجارة مع مصر وبلاد الشام . وتظهر الآثار انهم كانوا يحضرون مع الكريتيين فى العصر المينوى الحديث " الثانى " عام ١٤٥٠ ق.م . ولم يقض توسع الموكينيين فى العصر المينوى الحديث مطلقاً على التجارة الكريتية فى الشرق ومصر ، بل يبدو أنه لم يكن هناك كما كان يظن احتكار مينوى أو موكينى فى العلاقات التجارية بين مدن بحر ايجة واسيا الصغرى وافريقيا ، لأن التوسع الموكينى استند فيما يبدو إلى السيطرة البحرية الميفوية ولم يتغلب عليها أو يحطمها . فقد وجدت لقى أثرية مصرية من نفس الفترة فى هاجيا تريادا . فى العصر المينوى الحديث الأول والثانى فقد انتشرت الصادرات المصرية فى كريت انتشاراً واسعاً . ومنذ بداية عصر المينوى الحديث الثالث فقد انتشرت السلع المصرية على نطاق واسع فى بلاد اليونان .

وفى ضوء ما عرضناه سابقاً يمكننا القول أيضاً أن العلاقات الكريتية السورية والساحل الفينيقى وفلسطين استمرت منذ فترة باكرة ، ولعبت بلاد الشام دور الوسيط بين الكريتيين والمصريين ونقل الكريتيون كثيراً من فنون بلاد الشام ومنها فن عمارة القصور الذى تحدثنا عنه سابقاً هذا فضلاً عن الفنون الصغرى .

وإذا كانت كريت قد تأثرت بالشرق بصورة كبيرة فنجد أنها أثرت في بلاد اليونان تأثيراً بالغاً في كافة المجالات سواء أكان ذلك عن طريق السيطرة المباشرة أو بالانتباس من قبل تلك المناطق أو باستخدام واستخدام الفنانين الكريتيين .

أقول نجم كريت السياسى :

تقدم لنا المواد الاثرية والروايات الماثورة معلومات قيمة عن العوامل الخارجية والداخلية التى ادت إلى انهيار وافول نجم كريت السياسى . فى نفس الوقت الذى بدأ فيه نجم الموكينيين الآخيين فى الصعود وتحدث الآن عن عوامل ضعفها وهى :

أ- العوامل الخارجية فيمكن إيجازها فى النقاط الآتية :

أولاً : بروز الموكينيين كقوة بحرية وعسكرية لا يستهان بها فى القرون الخامس والرابع والثالث عشر ، وقد اتسعت مناطق نفوذهم فى بلاد اليونان الأم وجزر البحر الايجى ، بل نجدهم قد حلوا محل الكريتيين فى الكثير من الجزر مثل رودس وقبرص ، وراجت تجارتهم وصناعاتهم وانتشرت فى تلك المناطق ومع كل من سوريا ومصر ، وكان ذلك على حساب تجارة وصناعة كريت .

ثانياً : أن الصدام والتنافس بين القوى الكبرى فى الشام أى بين الإمبراطورية الحيثية ومصر قد أدى إلى اضطراب الأحوال ليس فى شرق البحر المتوسط فحسب بل سنجد آثار هذا واضحة على مصر أيضاً وبالتالى فإن هذه الأحوال قد أثرت على تجارة الكريتيين .

ثالثاً : كان لكارثة الانفجار البركانى المروع فى جزيرة ثيرا حوالى ١٤٥٠ ق.م أثره البالغ ليس على حركة الملاحة والإبحار فى المنطقة فحسب بل أدى

على الأرجح إلى توقف التجارة وقضى على الكثير من السفن الكرينية ذلك للحمم البركانية الهائلة التي قذفت بها البركان ، هذا فضلاً عن الرماد البركاني الذي انطلق من فوهة البركان كان له اثره على الحياة فى المنطقة هو الآخر .

ب- أما العوامل الداخلية ونجملها فى النقاط الآتية :

أولاً : تعرضت الجزيرة لكارثة طبيعية فى الغالب الأعم فى حوالى عام ١٤٥٠ ادت إلى تدمير كل مدن الجزيرة تدميراً شاملاً عدا كنوسوس الذى دمر قصرها بشكل جزئى .

ثانياً : كان لزيادة الثروة والرفاهية والانصراف إلى الترف والملذات أثره فى ضعف النفوس والانحلال والتفسخ .

ثالثاً : ضعف موارد كريت سواء فى الزراعة أو تدهور وتراجع كل من الصناعة والتجارة ، وذلك نظراً لبروز قوة اساطيل الموكينيين التى تنقل تجارتهم وسلعهم والتى زاحمت الأساطيل والسلع والبضائع الكريتية .

رابعاً : أن كريت كانت تعتمد على قوة أسطولها فى حماية مدنها غير المحصنة فلما ضعف هذا الاسطول أصبحت الفرصة سانحة للشعوب مقاتلة لمهاجمة الجزيرة ودخول موجات من الهجرة الموكينية الأخية إلى الجزيرة . وبمرور الوقت صار المهاجرون يمثلون اكثرية عددية بالنسبة للسكان الأصليين والذين صاروا أقلية ، ونتيجة هذا الأمر أن أمسك الآخيون بزمام السلطة فى قصر كنوسوس وتم ترميمه بعد ادخال بعض التعديلات وفقاً للطراز الموكينى فى عمارته . ولكن تعرض هذا القصر لكارثة مدمرة إذ تعرض القصر للحريق ، ولا ندرى هل كان سبب ذلك الزلزال كما يرى البعض أم كان نتيجة لغزو مدمر كان سبباً فى حريق القصر ونهب بعض محتوياته حسب رأى البعض الآخر ، ولم يرمم القصر مرة أخرى ، وعلى الرغم من

هذه الاحداث يحدثنا هوميروس عن إسهام كريت بثمانين سفينة حربية فى
حملة الأخيين ضد طروادة ، وتعرضت الجزيرة بعد ذلك لموجة من الهجرة
الدورية غشت الجزيرة ضمن موجة الهجرة الدورية الكبرى فى القرن
الحادى عشر قبل الميلاد .

ب - حضارة بلاد اليونان القارية فى عصر البرنز

نعتمد فى دراستنا لهذه الحضارة على ما تقدمه المصادر الأدبية من معلومات وخاصة أشعار الشاعر هوميروس (الإلياذة والأوديسة) والتي تقدم لنا أوصافاً وأخباراً عن العصر الأخرى سواء فيما يتعلق بطرق الحياة وأساليب العمارة والبناء ، والديانة ، وبعض سمات نظم الحكم ، وقد استخدم المنقبون هذه الأشعار كهادى لهم فى تنقيباتهم ، وعمدة هؤلاء ورائدهم الالماني الشهير هيرش شليمان الذى نجح فى الكشف عن طروادة وموكيناي وتيرنيس ... الخ وقد أثبتت تنقيباته أن بعض الأوصاف الهوميرية قد صدقت على جانب من هذا العصر وأدواته . كما يقدم لنا كتاب قدامى اخرون أخباراً عن تلك الحقبة ، مثل الحرب بين أرجوس وطيبة وتدمير طيبة ، ووصفاً لخرائب طيبة وعن أخبار الأسر الحاكمة فى ذلك العصر وعلاقتها مع بعضها بعضاً سواء أكانت علاقات ود ووثام أم حرب وخصام . كما يردد الكتاب القدامى ، - اساطير وروايات - بشأن نشأة بعض مدن هذا العصر ، والصراع بين الحكام المحليين، وكثير من المعلومات الواردة فى المصادر الأدبية اكدتها التنقيبات الأثرية والمصادر الوثائقية وإن كنا أحياناً نجد هذه المعلومات تنقضها وتدحضها نتائج الحفائر والمصادر الوثائقية . أو بعبارة أخرى ينقض بعضها بعضاً .

وتقدم لنا المصادر الوثائقية أيضاً من الأدلة والقرائن لهذه الحضارة وتطورها ، فيقدم لنا علم الآثار بقايا قصور وبيوت ومقابر وقلاع ، ومن اللقى الأثرية الكثير من الأدوات التى استخدمها الناس فى حياتهم اليومية مثل المصنوعات المعدنية أو الفخارية وأدوات الزينة ، وتمائيل ... الخ . والألواح المكتوبة وخاصة الواح المجموعة الخطية الثانية (Linear B) وإن كان أقدم هذه الألواح لدينا يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر،

وكان لقراءة هذه الألواح الفضل فى إعطائنا معلومات كثيرة عن هذه الحضارة ، كما أنها غيرت الكثير من مفاهيمنا عنها ، وأكدت أيضاً معلومات وردت فى المصادر الأدبية وقدمت لنا معلومات عن القصور وحكامها ومعاونيها ومعلومات عسكرية ودينية واقتصادية سنتحدث عنها فى الصفحات التالية .

ويطلق العلماء المحدثون على هذه الحضارة " الحضارة الموكينية " نسبة إلى مدينة موكيناي فى سهل أرجوليس ، لأنها كانت أقوى المدن فى العصر البرنزى المتأخر ، وأيضاً لأنها أول مدينة أجرى بها تنقيبات كشفت عن جانب من حضارة هذا العصر ونقضت آراء مؤرخى القرن التاسع عشر ، بيد أن نفرأ من الباحثين وهم على حق يفضلون اطلاق اسم الحضارة الهيلادية على حضارة بلاد اليونان القارية فى عصر البرنز نسبة إلى هيلاس . وقد درج هؤلاء العلماء على تقسيم هذه الحضارة إلى ثلاثة عصور وقسموا كل عصر إلى ثلاث فترات . وإن اختلفوا فيما بينهم حول بداية ونهاية كل عصر وكل فترة . ومن بين هذه التقسيمات التقسيم الآتى :

العصر الهيلادى العتيق :	٣٠٠٠ - ٢٠٠٠	قبل الميلاد
العصر الهيلادى الوسيط :	٢٠٠٠ - ١٦٠٠	قبل الميلاد
العصر الهيلادى الحديث :	١٦٠٠ - ١١٠٠	قبل الميلاد

ولما كان العصر الهيلادى الحديث يمثل أزهى تلك العصور إذ بلغت فيه اليونان ذروة قوتها ومجدها فإننا نذكر تقسيماته إذ ينقسم إلى :

العصر الهيلادى الحديث الأول : ١٦٠٠ - ١٥٥٠

العصر الهيلادى الحديث الثانى : ١٥٥٠ - ١٤٠٠

العصر الهيلادى الحديث الثالث : ١٤٠٠ - ١١٠٠

وسنحاول أن نوجز أهم السمات والملاح الخاصة بكل عصر من العصور

السالفة الذكر . ونبدأ الآن بذكر أهم سمات العصر الهيلادى القديم هي :-

أولاً : وصول هجرة جديدة مع مطلع هذا العصر من الشعوب التى أطلق عليها الكتاب

القدامى اسم البلاسيجيين ، وقد وفدوا من جنوب غرب اسيا الصغرى ، وكانوا

يمتون بصلة القربى لسكان منطقة طروادة ، وجزر الكوكلايس وكريت ،

وهؤلاء المهاجرون كما لاحظنا من قبل لا يمتون بصلة للعناصر الهندوأوربية

انما ينتمون إلى شعوب البحر المتوسط ، وكانوا يتكلمون لغة لا تنتمى إلى عائلة

اللغات الهندوأوربية وإن بقيت اثارها فى اللغة اليونانية فى شكل مفردات كثيرة

منها ما يخص اسماء المدن والأماكن مثل كورينثوس وبرناسوس وهيمتوس ،

وأخرنا ، وميكينى ، وأثينى (فى بلاد اليونان) وكاليندا واسبندلوس (فى اسيا

الصغرى) ، وأسماء الأفراد مثل : اخيللوس ، وتثيوس وأتريوس ، وأسماء

لبعض النباتات والزهور والطيور جذورها غريبة عن اليونانيين مثل أشجار

الكروم والزيتون والتين والسرو والغار والنرجس . narkissos ، وأسماء بعض

المعادن مثل : البرنز والقصدير والرصاص والحديد وكلمة منجم metillon

والكثير من هذه المفردات السالفة نجدها فى جنوب غرب اسيا الصغرى .

ثانياً : امتزج واختلط هؤلاء المهاجرون الجدد بالسكان الأصليين (من العصر الحجرى

الحديث) وعلموهم أساليب صناعة المعادن وحرق الأتية الفخارية فى أفران وهذه

الاساليب كانوا قد جلبوها معهم ، وإن كان انتاج الفخار قد شهد اختلافاً في طرزه بين مناطق اليونان المختلفة والجزر ، كما نجدهم قد استزرعوا بعض النباتات والأشجار مثل غرس الأعناب في أتيكا ، وأدخلوا معهم استعمال الخيل .

ثالثاً : عاش هؤلاء في البداية في منازل ريفية متناثرة ، وبمرور الوقت فقد مالوا للعيش في تجمعات ، وبدأوا يميلون نحو التحضر والتمدين ، إذ نجدهم قد بنوا قرأهم أو مدنهم على سفوح التلال ، ثم أحاطوها بالأسوار ، كما شهدت الفترة بناء بعض القصور ، ولعل إحاطتهم لمدنهم بالأسوار كان بسبب هجوم من قبل جماعات مجاورة عليهم أو حروب فيما بينهم أو لهجرة وفدت إلى تلك المناطق وكان مهاجروها يخبون ويسلبون وينهبون فلجأت جماعات السكان إلى تحصين قرأهم ومدنهم .

رابعاً : كان السكان يتعبدون إلى إلهة أنثى شاملة الخصائص مثلما كان الحال في كريت .

وبعد أن عرضنا لأهم سمات العصر الهيلادي العتيق ننتقل إلى الحديث عن العصر الهيلادي الوسيط مع الأخذ في الاعتبار استمرار السمات السالفة في هذا العصر مع بروز سمات جديدة :

أولها : وصول أولى موجات الهجرة الهندوأوربية إلى بلاد اليونان والتي على ما يبدو أنها قد بدأت في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد واستمرت في شكل موجات غازية ومتقطعة ، وأهم هذه الهجرات الأيونية والأولية وأخيراً الآخية وسبق أن ذكرنا هذه الهجرات عند الحديث عن أصل اليونان .

ثانيها : يمثل هذا العصر أول ظهور للعناصر اليونانية فى بلاد اليونان والذين سيطلق عليهم هوميروس الأخيين وتسميات أخرى سبق ذكرها .

ثالثها : كان مستوى التحضر والتمدين لهؤلاء المهاجرين أدنى من السكان الأصليين الذين استقروا بينهم ، فأخذوا بأساليب حضارتهم وإن أدخلوا بعض السمات الجديدة إذ تكشف لنا التنقيبات الأثرية عن استمرار التطور الحضارى وظهور عناصر جديدة فى صناعة الأبنية الفخارية وأشهرها الفخار المينواسى Menyas ، كما شهد العصر استخدام عجلة الفاخورى على نطاق واسع ، ثم اتمام عملية حرق الأبنية الفخارية فى أفران . وشهد هذا العصر أيضاً طرازاً جديداً فى عمارة المنازل إذ جلبه المهاجرون معهم وهذا الطراز كان يتلاءم مع مواطنهم الأولى إذ كانت أسقف المنازل تبنى من القرميد بشكل مائل على الجانبين حتى لا تبقى عليه مياه الأمطار والثلوج ، وكانت عمارة منازلهم بسيطة وكانت حجرات المنزل تفتح على فناء megorwn ، كما نجد أن مقابرهم قد حدثت بها تطور وتغيير إذ نجد فى البداية مقابر فردية وكان منها لحدود كالصناديق من طراز الناووس وتخلوا من القرايين الجنائزية . ونجد أيضاً تطوراً آخر إذ ظهرت مقابر جماعية أودعوا فيها أدوات بسيطة بجانب موتاهم مثل إناء واحد أو اثنين وبعض السكاكين الصغيرة والحلى الرخيصة . ونجد تطوراً آخر فى طراز المقابر خواتيم الفترة إذ انتشر استخدام المقابر البثرية أو العمودية وكانت مقابر فردية ويلاحظ أن الجثث كانت تدفن فى وضع متقلص ، ، ومودع معها بعض الأوانى الفخارية من الطراز المنواسى .

رابعها : شهد هذا العصر وضع اللبنة الأولى من قبل الملوك الممالك فى ارخومينوس وطيبة وأثينا وموكيناى وتيرنيس وميديا وبروسينا وأسينى. (فى إقليم ارجوليس)، وفى بيلوس (غرب مسينيا) وغيرها من مدن البلوبونيز وكذلك فى جزيرة ايجينا وغيرها من الجزر .

وبعد أن عرضنا لأهم سمات العصر الوسيط ننتقل للحديث إلى العصر الهيلادى الحديث وهو أزهى فترات العصر البرنزى وسنجد فى هذه الفترة أن نجم ممالك بلاد اليونان القارية فى صعود وازدهار ، بينما كان نجم كريت السياسى يتجه نحو الأفول والانحدار . ويطلق نفر من العلماء على حضارة هذه الفترة عصر الأبطال ويطلق نفر آخر عليها الحضارة الموكينية نسبة إلى موكيناى وهم على حق وذلك لانتشار مظاهر حضارتها فى داخل بلاد ابيونان فى تسييرنيس وأسينى Asine وميديا (فى إقليم ارجوليس) وفى كورينثة وكوراكو ، وليرنا (بمنطقة البرزخ الكورينثى) وفى بيلوس (غرب مسينيا) وفى كاكوفاتوس (باقليم ايليس) وفى أثينا وإيوسيس وثوريكوس (باتيكا) وفى طيبة وأرخومينوس وجلا (فى بؤونيا) وفى ايوبكوس (بتساليا) وانتشرت هذه الحضارة فى معظم جزر البحر الايجى وبعندذ إلى جزر البحر الأيونى ثم امتدت إلى مناطق أبعد . وتتمثل مظاهر الحضارة فى القصور والمقابر والآنية الفخارية والقرائن والنقى الأثرية الأخرى التى تكشف عن حضارة متجانسة وثقافة مشتركة . ومن سمات هذه الفترة :

أولاً : شهدت هذه الفترة هجرة جديدة اختلف الباحثون بشأن منبعها فالبعض رأى أنها هجرة شمالية والبعض الآخر رأى أنها هجرة سامية والبعض الآخر رأى أنها هجرة مصرية والبعض الآخر يرى أن الفترة لم تشهد هجرة وانما قامت

الحضارة فى مركزها موكيناي على يد حكام وطنيين استغلوا المناجم المجاورة وكانت سبباً فى ثروتهم وسبق لنا أن عرضنا لهذا الأمر عند حديثنا عن أصل اليونان .

ثانياً : شهدت هذه الفترة أيضاً ممالك قوية وقصوراً ضخمة فى مناطق مختلفة من بلاد اليونان والتي سبق أن ذكرنا أنها كانت قد بدأت فى التشكل مع نهاية العصر الهيلادى الوسيط .

ثالثاً : يلاحظ أن بلاد اليونان قد شهدت أنواعاً جديدة من المقابر فقد اخذت المقابر البثرية أو العمودية فى الانتشار بكثرة ، وقد كشف المنقبون فى هذه المقابر عن كنوز ثمينة ، إذ كانت هذه المقابر غنية بمتعلقات الموتى مثل الأواني البديعة الفخارية والبرنزىة والفضية والذهبية ومن الالبستر ، والحلى الذهبية أو المشكلة من الذهب والفضة " الاليكترون " ومنها أقراط وأساور وأختام ونيجان وأقنعة والأسلحة ومنها الأسلحة البرنزىة مثل الحراب والسيوف والخناجر ذات المقابض الذهبية والعاجية والدروع ومنها أدوات من البلور والقيشانى . ويلاحظ أن الموتى كانوا يرقدون ممددى القامة ويدفنون بكامل ملابسهم وقد زينت رؤوسهم ورقابهم وأذرعهم فى كثير من الأحيان بحلى من الذهب .

نلاحظ أيضاً ظهور طراز جديد من المقابر وانتشاره فى حوالى عام ١٥٠٠ ق.م وهى مقابر الغرف المستديرة ذات القباب Thalos Tombs أو مقابر خليّة النحل ، ويرى البعض أنها تمثل مجيء اسرة جديدة ، ولكن البعض يرى أنه اختلاف فقط فى الطراز المعمارى ، وأنه كان ابتكار موكينى ، ولا يوجد تأثير خارجى عليهم فيه ، كما

يرى البعض بأن هناك تأثير مينووى قوى . وقد عثر المنقبون على عدد منها فى كاردتسا بتساليا ، وفى كورينا سيون ومويرا بمسينيا وفى بؤوتيا ومناطق باتيكا واسبرطة وأرجوس .

ونلاحظ أيضاً أنه وجد نوع اخر من القبور ذات الغرف المستديرة محفورة فى الصخر وهى مقابر ذات القباب وإن كانت أصغر حجماً وهى مقابر عائلية استخدمت لأجيال فى أرجوليس وبروسيمنا ويوبويا ورووس . وكان أصحاب هذه القبور يسرفون فى وضع الهدايا مع الموتى وهذه الهدايا من الأوانى الفخارية والمعدنية والأدوات البرنزية والحنى الذهبية أو من الأحجار شبه الكريمة أو من العاج ومن الأسلحة .

رابعاً : تأثرت حضارة بلاد اليونان القارية فى هذا العصر بحضارات أرقى منها وأعلى مرتبة ومنها الحضارة الكريتية التى كان تأثيرها الطاغى قد امتد إلى كافة جوانب الحياة فى بلاد اليونان فقد تأثرت بالفكر الدينى والعقائد المينووية وأيضاً امتد إلى زخرفة وتزيين الحلى الموكينية وصناعة الأوانى المعدنية والأوانى من القيشانى وفن صناعة الأختام . وامتد أيضاً إلى فن العمارة إذ تم اقتباس بعض طرزهم المعمارية واستخدام الأحجار والأعمدة وطلاء المدخل والحفر الزخرفى واستعمال الجص والألوان المتعددة والأفرسك فى زخرفة الجدران بأسلوب فنى وقد شهدت حضارة بلاد اليونان تأثيرات مصرية واضحة فى طراز المقابر البثرية وتقاليد الدفن واستخدام الأقنعة وفى عمارة القصور واستعمال العجلات الحربية هذا فضلاً عن أدوات ومواد مصرية تم استيرادها من مواقع قريبة منها لعلها كريت .

خامساً : شهدت هذه الفترة بناء القصور الملكية على نطاق واسع فى بلاد اليونان ، إذ نجدها فى موكيناي وتيرنيس وأرخومينوس وبيلوس وطيبة ... الخ . وكانت هذه القصور تبنى داخل قلاع وحصون شيدت فى موقع تسهل طبيعته الدفاع عنها . وغالباً ما يكون هذا الموقع مشرفاً على السهل المحيط ويصعد إليها بسلاالم خارجية تتخللها العراقيل والأبواب ، وبسلاالم محفورة فى الصخر وقد بنيت الجدران بالصخور الضخمة وكان يبلغ سمك الجدران ستة أمتار وبها سراديب كما هو الحال فى قصر تيرنيس ، وهذه التحصينات للقصور الموكينية كانت عكس القصور المينوية غير المحصنة ، كما أن خطتها مخالفة لخطة القصور المينوية . وكانت القلعة تضم إلى جانب القصر بيوت الأتباع والمقربين من الملك مثل القادة العسكريين وكبار رجالات القصر . وكانت القصور الحصينة تلعب دوراً دفاعياً فهى تحمى الثروات الملكية المكدسة من حلى ومجوهرات وكؤوس وركائز وسبائك معدنية وقدر معدنية وأسلحة ومخازن مكتظة بمواد الاعاشة من حبوب وزيت ونبيد معنق ، وجدير بالقول أن هذه الثروات كانت تمثل الغنى والثراء كمظهر ملكى صرف ، فكانت مادة للتجارة تتعدى حدود المملكة ومادة للهبات والهبات المقابلة وتؤدى إلى عقد تحالفات وزيجات سياسية ، وتنشئ واجبات الخدمة وتكافئ الأتباع وتقيم روابط الضيافة بين أبعد البلدان والممالك ، وهى كذلك موضوع للتنافس والنزاع فكما يتم تلقيها كهدايا يتم اكتسابها بواسطة السلاح فكانت تجرد الحملات الحربية وتدمر المدن بسببها وتستمر أيضاً حيازتها بعد الممات فتودع بجانب الجثث كملكية فردية تتبع صاحبها فى قبره . وقد اتخذ ملوك هذه الفترة من هذه القصور مكاناً لسكناهم ومقرأ لحكمهم وإداراتهم لتسيير

وإدارة شئون ممالكهم .

سادساً : ان كثرة القصور والقلاع الحصينة يكشف عن قيام ممالك قوية كل منها مستقل عن الآخر وكان البعض منها يصارع وينافس الآخر وتكشف لنا اللقى والمخلفات الأثرية أن أمراء وملوك هذا العصر كانوا يهونون الحرب ويخوضون غمارها فى ظروف كثيرة ويدفنون مع أسلحتهم وسيوفهم وخنابجرهم وجرابهم كما أتاحت لنا رسوماتهم الجدارية معرفة دروعهم وثروتهم أيضاً ، وكانوا فى فترات السلم والاسترخاء يمارسون عادة القنص ويعتمدون على النهب والسلب كمصدر لجمع ثروتهم .

سابعاً : تصور الأثعار الهومرية أحوال الملوك العظام وأتباعهم وبطانتهم فى بعض الممالك مثل موكيناي وأميكلاى وبيلوس وأرجوس ... الخ فترسم لهم صورة كطبقة متميزة مستأثرة بالامتيازات ، كطبقة وراثية يعتز أفرادها بمكانتهم ويتفاخرون بالأنساب . ويعيشون على الثروة الموروثة وقد يدينون بولاء متين أو ولاء لملك أقوى وأعظم سطوة منهم ، ويلتزمون بقواعد الشرف ويوصفون بالشجاعة الشخصية والنبالة فى المقام الأول فكان عليهم أن يكونوا سباقين لصنع الجميل ومساعدة المحتاجين بمروءة وبشهامة والمبادرة إلى حمل السلاح فى ساعة الخطر دون تردد وتقدم صفوف المقاتلين بشجاعة .

ولدينا رواية قوية عن ولاء المدن لموكيناي على الأقل فى زمن الحرب الطروادية ؛ إذ كان منيلاوس ملك اسبرطة حليفاً لأخيه أجامنون ملك موكيناي وكذلك نستور ملك بيلوس ، بالرغم من انتسابه إلى أسرة أخرى ، حليفاً لموكيناي عن طيب

خاطر وبالمثل كان موقف بقية الأمراء والملوك في عصر البطولة نحو أجامنون ، ولكننا لا نعرف مدى احتفاظ هؤلاء الحكام بالاستقلال وبالعلاقات الودية فيما بينهم زمن السلم كما أنه ليس من المحتمل أن موكيناي كانت تمارس أى سلطة مركزية محكمة على الأصقاع النائية حتى في البلوبونيز ذاتها حيث أن المواصلات لم تكن داخل بلاد اليونان سهلة ميسورة .

ثامناً : تكشف لنا الألواح المكتوبة عن بعض المعلومات عن إدارة شئون الممالك وأداة الحكم ويأتى فى المقام الأول الملك الذى كان يأتى على رأس التنظيم السياسى والاجتماعى وكان يحمل لقب wanax وكان له سلطة فردية مطلقة فى المجالات العسكرية ، فالقصر هو الذى ينظم طلبات الأسلحة وتجهيز العربات وتجنيد الرجال وتعيين الضباط والتشكيلات وحركة القوات ، وهو المسئول عن الحياة الدينية فهو بمثابة الكاهن الأعظم ، فكان عليه أن ينظم وبشرف على إقامة الشعائر والطقوس والاحتفالات فى الأعياد المقامة للآلهة ويحدد الأضاحى والقزابين بمختلف أنواعها ويحدد معدل التقدّمات المطلوبة من كل فرد حسب مركزه ويعاونه فى هذه المهام جماعة مكونة من عدد كبير من الكهان والكاهنات. وقد بقيت ذكرى السلطة الدينية للملك إذ كان مقدساً وساحراً وسيد الأزمان وموزع الخصوبة فى إطار دولة المدينة فى العصور التالية ، كما أن الاسطورة الكريتية الخاصة بمينوس والذى كان يخضع كل تسع سنوات فى كهف ايدا للامتحان الذى ينبغى أن يجدد سلطته الملكية عبر اتصال مباشر بالاله زيوس ويمكننا ربطها ومقارنتها بالمحاكمة التى كان يتعرض لها الملوك الاسبرطيون كل تسع سنوات من توليهم لسلطتهم فقد كان الاسبرطيون يتفحصون السماء فى

جوف الليل ليقرءوا فيها ما إذا كان الملكان لم يرتكبا إثماً ينزع عنهما صفة ممارسة الوظيفة الملكية . وكان الملك أيضاً فى ظل نظام الاقتصاد القصرى يركز كل مظاهر السلطة والسلطان فى يديه فكان يراقب وينظم جميع قطاعات الحياة الاقتصادية وكل مجالات النشاط الاجتماعى . وكان يعاونه حكومة بيروقراطية مركزية وجهاز ادارى فى إدارة شئون البلاد ويأتى على رأس هذه الحكومة بعد الملك فى المرتبة قائد الشعب (اللاجيتاس) la - wa - je - tas وهو قائد "الشعب المسلح أو مجموعة من المحاربين " "Laos" ورفاق السلاح equeta وأغلب الظن أن مهمته هى حماية الشعب والمملكة من خطر الغزاة ، وكان له حاشية وإقطاع temenso وكان هناك كبار رجالات الدولة والقصر ويشكلون حاشية للملك وكانوا قادة للوحدات العسكرية (okha) أو ضباطاً يؤمنون الاتصال بين البلاط والقادة المحليين ، وكان هناك الجنود te - re - ta أصحاب الاقطاعات . وكان يعاون الملك فى تنظيم شئون اقتصاده القصرى جيش من الكتبة وكبار الموظفين والمشرفين والمفتشين وكان الكتبة الكريتيون الذين نقلوا معارفهم وتجاربهم إلى القصور الملكية الموكينية التى خدموا فيها ، مثل استخدامهم للسجلات ونقلهم للأساليب والطرق الادارية المينوية إلى بلاد اليونان ، وقد مكن هذا النظام المقتبس من الاشراف الدقيق من قبل الدولة على اقليم واسع ، وتكشف لنا الوثائق أن هؤلاء الكتبة كانوا ينظمون سجلات الحسابات الخاصة بالحيوانات والمزروعات والاقطاعات ومختلف المهن والحرف مع تقديم الحصص الواجب تقديمها من مواد أولية والطلبات من المنتجات المصنعة والأيدى العاملة والأرقاء من الرجال والنساء والأولاد ،

ويدونون أيضاً فى سجلات كل الفروض المحصلة من الأفراد والجماعات ،
وتسجيل قوائم بالأفراد الذين ستقدمهم قراهم لتجهيز السفن الملكية بالمجدفين ،
وتشكيل الوحدات العسكرية وقيادتها وحركتها وسجلات بالتقدمات للآلهة . كما
نجدهم يقومون بمسح الأرض ، وإحصاء كل شىء ، وتوزيع الأجور النوعية ،
وإصدار الأوامر لمرءوسيههم . وتكشف لنا وثائق بيلوس عن وجود جيش من
الأواريين الذين كانوا يرفعون تقارير دورية إلى رؤسائهم ، وتقديم البيانات
والاحصاءات إلى سكرتير مقيم فى القصر يتولى قيدها فى السجلات .

هذا عن القصر وأجهزته الادارية أما عن الريف وإدارة شئوننه قد تطالعنا الألواح
بجهاز ادارى خاص بالفقرى يأتى على رأسه رئيس القرية ولقبه "pa - si - re - u"
(وهذه الكلمة يقابلها Basileus الهومرية وتعنى ملك فى قصر) وهو بمثابة سيد تمتد
سلطته على منطقة ريفية وهو من أتباع الملك ومسئول أمامه من الناحية الادارية ، إذ
كان عليه مراقبة توزيع حصص البرنز المخصصة للحدادين الذين يعملون لصالح
القصر فى منطقته ، وكان يساهم هو وأثرياء منطقته فى هذه الفروض من المعادن وفقاً
لحصص محددة .

ويعاون رئيس القرية موظف اخر يحمل لقب "ko - re - te" ، وهو بمثابة
النقيب ، وربما مارس هذا الموظف سلطات ومسئوليات عسكرية مثل اللواجيتاس ، إذ
يرينا لوح من بيلوس أن أحد "الكورتى" كان قائداً لكتيبة ، بينما فى لوح اخر نجده يتم
وصفه بلفظة "mo - ro - pa" (وهى مالك الإقطاع) ، ويعاون رئيس القرية أيضاً
مجلس الشيوخ "ke - ro - si - ja" "Gerousia" ، وكان مكوناً من أرباب الأسر

الشريفة ، بينما بقية الشعب Damas كانوا مشاهدين ومستمعين فقط ليس لهم حق الحديث ولا يعبرون عن آرائهم ومشاعرهم سوى بضوضاء مؤيدة أو مستنكرة .

تاسعاً : تكشف لنا الوثائق والآثار عن بعض المعلومات عن المجتمع وطبقاته ، وان كنا لا نعرف شيئاً عن العلاقة بين السكان الأصليين الذين لا يعقل أن يكون المهاجرون والمستوطنون الهندو اورييون قد قضاوا عليهم ، ويرى البعض أنهم قد استغلوا من قبل هؤلاء المهاجرين في زراعة الأرض وكانوا مربوطين بها ، ولعل الفئات العليا منهم قد امتزجت بالمهاجرين . وتمدنا الوثائق بمعلومات منها: (١) أن جانباً من السكان كان يقيم في المدن أو القلاع وهم حاشية الملك ورفاقه وجهاز إدارته وأقاربه والكهان والكاهنات . (٢) أن جانباً آخر من السكان كان يعيش في تجمعات ريفية أو محلات وقيمون بالقرب من القلعة ويلجأون إليها عند الشعور بالخطر وطلباً للأمان . وكان السكان ينقسمون إلى قسمين الأحرار منهم والعبيد ، أما عن الأحرار فكانوا ينقسمون إلى طبقات والطبقات إلى طوائف حرفية ولكل طائفة اسم يميزها عن غيرها ولكل منها نصيب معين من القوات يوزع عليها بدقة ، ولكل منها تخصص دقيق معروف في العمل ومن هؤلاء الحرفيين صناعات السفن والفاخورية والخزاليين والنساجين والقصارين وصناعات العطور وصناعات الذهب والبرنز . ومن المهنيين الأطباء أو الحجاب ، أما عن العبيد فقد كانوا مملوكين للأفراد والجانب الأكبر مملوكاً للإله أو الآلهة .

وكان النظام السائد في موكيناي نظاماً اقطاعياً إذ كان يسود فيه طبقة من الاقطاعيين الذين كان لكل منهم جيش خاص يرقد جيش الملك عند الحاجة ويؤدي بعض الواجبات الضرورية للصالح العام .

وتكشف لنا رسوم الافرسك أو الرسوم الجدارية عن أن النساء فى المجتمع الموكينى قد ظهرن فى ملابسهن الأنيقة وترتيب شعرهن وحليهن مثلما كانت تظهر المرأة الكريتية وفى أحد الرسوم من موكيناي نجد بعض النساء يتبخترن فى المسرح عند مقدمة مقصورتهن ولكنهن على ما يبدو قد أهملن التمارين الرياضية وأثر هذا على قوامهن وحرية سلوكهن الخارجى .

عاشراً : تقدم لنا الوثائق والآثار بعض المعلومات عن أماكن العبادة وأدوات الشعائر والطقوس وصور الآلهة المصورة على الأختام أو رسوم الافرسك أو على الفخار أو شواهد القبور . كما تقدم لنا الرقم المكتوبة أسماء آلهتهم ومنها بعض الهة الاوليمبوس مقرونة بالقرابين المقدمة إليهم ، وإن كانت لا تتضمن أى نصوص دينية أو فى سجلات معابد . ونستخلص من مصادرنا الوثائقية المعلومات الآتية :

١- هناك تشابه بين الديانة الموكينية والديانة الكريتية فمناظر الشعائر وأدوات العبادة تكاد تكون واحدة ومن مظاهر الوحدة والتماثل بينهما أن الإله الأكبر فى كليهما أنثى ويأتى بعدها ذكر أقل منها مرتبة وكان يُذكر كشقيق لها حيناً ويُذكر كزوج لها حيناً آخر .

٢- اعتقد أهل كل من كريت وموكيناي فى عبادة الأشجار والتسك للأعمدة وأن الآلهة تتجسد وتحل فيها كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن الديانة المينوية .

٣- كانت الديانة الموكينية والكريتية تقدس قوى الطبيعة ، وتحتوى على أفكار نابذة من البيئة الزراعية ، فقد اعتاد الكريتيون والموكينيون الاحتفال وإقامة الطقوس والشعائر بمناسبة وفاة الإله الزوج فى ريعان شبابه مقدماً نفسه قرباناً من أجل رفاهية شعبه

الذى من أجله جاء ، وبمناسبة زواجه المقدس بعد بعثه من الالهة الأم حيث يتم اللقاء
ويجتمع الشمل وكانت شعائر الموت والزواج التمثيلية من أهم ملامح الديانتين .

٤- كانت الالهة الأم عند الكريتيين إلهة شاملة وجامعة لكل الخصائص بينما وزع
الموكينيون هذه الخصائص على الهة أخرى كثير ومن هذه الالهة ديمتر (ربة الزرع
والحرث) التى ورثت عنها أسرار ضاحية اليوسس فى أثينا وورثت عنها ارتيميس
(ربة الصيد والحيوان) ظهورها فى رفقة الحيوانات المفترسة وكربة للبرارى ،
وورثت عنها أثينا (حامية الدار) الثعبان واليمامة والدرع الذى كانت تحمى به القلعة
والأبطال الصناضيد .

٥- تكشف لنا الرقم المكتوبة عن بعض أسماء الالهة ومنها الالهة : زيوس وهيرا وأثينا
وارتيميس وأبولون وبوسيدون وارىس (انوالىوس Enealios) . ويتردد فى الرقم
ذكر إلهة كبيرة الشأن ، ولكنها لا تذكر بالاسم بل بلقب po - te - ni - ja بمعنى
السيدة هذا فضلاً عن الهة وإلهات صغيرات قليلات الشأن . وتمدنا اللقى الأثرية
والآثار أيضاً ببعض المعلومات عن عبادة الهة أخرى ، مثل سيدة الحيوانات وربة
الثعبان وربة البركة وربة الشجرة وربة الحرب .

٦- كانت أماكن العبادة عند الموكينيين والمينيويين عبارة عن محاريب صغيرة تقدم فيها
القرابين والتى ستتحول فيما بعد إلى معابد وهذا ما أظهرته التنقيبات الأثرية .

٧- أولى الموكينيون عبادة الأموات اهتماماً كبيراً لاسيما ما يتعلق منها بأموات عائلات
الأمراء والملوك وأدى هذا إلى تطور فى المدافن وكان الميت فى نظرهم يستمر فى
الحياة بعد الممات ويرى البعض أن الملوك رفعوا إلى مصاف الالهة اما أثناء حياتهم

أو بعد مماتهم . وان كان البعض يرى أنه لم يكن لديهم فكرة عن الحياة الآخرة بعد الموت . وقد وجدت أضحى وتقديمات من الحيوانات من الكلاب والخيول والانعام كشف الآثاريون عن تقديم أضحى بشرية في أنحاء متفرقة من بلاد اليونان في موكيناي وبروسيمنا وأرجوس وندرا وكازاراما وتساليا وأثينا ومسينيا واليارتوس ولينكاوا واسبرطة وارشومينوس .

٨- كشف الآثاريون لنا عن أكداش من المتعلقات الشخصية التي كانت تودع مع الموتى ولعل هذا يؤكد اعتقادهم في حياة أخرى .

حادى عشر : تقدم لنا الآثار والرقم المكتوبة معلومات كثيرة إلى حد ما بشأن أوجه الحياة الاقتصادية وهي :

١- الزراعة ونظام ملكية الأرض : تكشف لنا الرقم المكتوبة أن نظام ملكية الأرض الزراعية كان معقداً للغاية إذ تقدم بعض المصطلحات الخاصة بالأرض والتي هي محل نقاش وجدل بين الدارسين ومنها (أ) ko - to - no - o - ko ، (ب) kama (ج) wo - wo ، (د) on a - to والأخيرة تعنى الإيجار . وتقدم لنا أيضاً مصطلحات قد أمكن للعلماء تعريفها وهي "kitimena" والتي يحسبون أنها تعنى الأرض الخاصة والتي يمتلكها الأفراد . ويترجم العلماء مصطلح kikemena بالأرض العامة . أما عن الأرض الخاصة فقد نشأت من الاقطاعات الممنوحة والتي كان يتم امتلاكها ملكية رقبة وحيازة في نفس الوقت وكان يقابل تملكها وحيازتها خدمات يقدمها المقطع ونظيرها يحصل على الاقطاع "ko-to- na" وتقدم لنا الرقم المكتوبة بعض المعلومات عن الأرض الخاصة إذ نجدها مقسمة إلى

اقطاعات ويأتى على رأس هذه الاقطاعات : ١- إقطاع الملك temenas وهو مكون من الاراضى الزراعية وأراضى الحدائق ٢- إقطاعات الآلهة ٣- إقطاعات كبار رجال الدولة والجنود . وكانت تمنح لهم نظير خدماتهم الاستثنائية وانجازاتهم الحربية . وكانت هذه الأراضى تمنح للمقطع مع مزارعيها وكان يمكن لأصحابها تأجيرها لآخرين والانتفاع بما يحصلوا من ايجار لسد حاجاتهم الشخصية .

وتكشف لنا الرقم المكتوبة أيضاً بعض المعلومات الخاصة بالأرض العامة أو الأرض المملوكة للشعب "damus" وأطلق عليها فى السجلات أيضاً لفظة k1- t1- one-na-ko-to-na وهذه الأراضى كانت مملوكة ملكية عامة للجماعات القروية وكانت تزرع وفقاً لنظام الحقول المفتوحة والتي ربما كان يجرى توزيعها دورياً وتنظم أعمالها الزراعية وأنشطتها الرعوية .

وقد كشفت لنا الحفائر الأثرية عن أن الموكيين قد بذلوا جهوداً كبيرة من أجل تنمية الموارد الطبيعية فى بلاد اليونان ومن بينها حفر الآبار وإنشاء نظام للرى فى سهل أرجوس حيث وجدت قنوات تصريف مياه وتجفيف بحيرة كوباتيس وقد استصلحوا واستزرعوها أرضها المجففة .

وقد شكلت الزراعة الحرفة الأساسية لشعوب الممالك فى بلاد اليونان إذ عمل بها جل السكان وتقدم لنا الرقم المكتوبة سجلات سجل بها المحاصيل وأنواعها ونصيب القصور والآلهة منها وأهم المحاصيل القمح والشعير والأعشاب والزيتون .

٢- الرعى : اشتغل نفر من سكان ممالك هذا العصر برعى الثيران والأبقار والأغنم والماعز والخنازير وكان الثور يستخدم كوحدة التعامل الذى يقوم على نظام

المقايضة. وكان الرعاة يرعون فى الأراضى العامة التى لا تزرع .

٣- الصناعة : اشتغل نفر آخر من السكان فى الحرف والصناعات المختلفة من صناعة الأوانى الفخارية والحجرية والمعدنية البرنزىة والذهبية وصناعة الغزل والنسيج والتقصير وخاصة صناعة الملابس الصوفية وعصر الزيوت وعصر النبيذ . وصياغة وسبك المعادن من حلى وسيوف وخناجر ورؤوس الحراب والدروع من الذهب والفضة والبرنز ، وصناعة العطور والدهون والمستحضرات الطبية وبناء السفن .

٤- التجارة : تكشف لنا مصادرنا الوثائقية عن اهتمام الممالك المختلفة بإنشاء وبناء شبكات الطرق التى تربط بين ممالكهم وبعضها البعض وبين المدن الكبرى وبين المراكز التجارية والثقافية التابعة فى المملكة الواحدة . وكان الغرض من بناء وتعميد الطرق هو تسهيل حركة التجارة وتسيير الجيوش الحربية . وكشفت لنا التقييات الأثرية عن بعض هذه الطرق وأشهرها الطريق الواصل بين بلدة بردسيما حيث يوجد معبد الربة هيرا وبين موكيناي وكورينثة ، وقد أقام الموكينيون قلاعاً للحراسة على جانبى الطريق الرئيسية ضمناً لسلامة القوافل التجارية والمسافرين ومن أشهر هذه القلاع قلعة جبل الياس المطل على موكيناي هذا فيما يخص التجارة الداخلية البرية ، أما عن التجارة البحرية فقد اهتمت الممالك المختلفة بإنشاء الموانئ البحرية ومارسوا الابحار والملاحة والقرصنة . ونجح الموكينيون فى السيطرة على البحر بعد انحسار السيادة والهيمنة الكريتية ، فحلت الأسفار والزحلات التجارية محل الغزو والسلب والقرصنة ، ونجحوا فى الوصول إلى أماكن بعيدة وأقاموا معها علاقات تجارية ناجحة. وجابت السفن الموكينية البحار البعيدة والقريبة فنقلت السلع

الموكينية من مصنوعات معدنية و انية فخارية إلى صقلية وجنوب إيطاليا وجزر ليبارى وأغلب الظن أن السفن الموكينية كانت قد وصلت إلى شواطئ جزيرة ايبيريا، وقد أمكن التعرف على بعض شذرات الفخار والآثار الموكينية في شمال وجنوب فرنسا وبريطانيا ومنطقة وسط أوروبا . ووصلت سفنهم أيضاً إلى سواحل آسيا الصغرى وفينيقيا وأوجاريت والمانيا مع سواحل بلاد الشام حيث وجدت لقي أثرية موكينية في هذه المناطق وخاصة الأنية الفخارية حيث أن الصادرات الموكينية من زيوت ونيذ كانت توضع في جرار ، وقد عثر على شذرات من هذه الجرار في فينيقيا وفلسطين ومصر ، ويرجح أنهم قد صدروا الصوف والمنسوجات والمصنوعات النحاسية ، كما كانت هناك تجارة العبيد ، ولتأمين التجارة والتجار أقام الموكينيون عدداً من المحطات التجارية لتوزيع الصادرات وشحن الواردات ، وقد أمكن التعرف على بعض هذه المحطات في ميلتوس ورودس وقبرص وأوجاريت . والتي كانت قد نجحت في تقليد الأواني الموكينية بشكل متقن . وإذا كان الانتاج الصناعي الموكيني قد انتشر على نطاق واسع وبلغ أبعد الأصقاع ، فإن الموكينيين قد استوردوا النحاس من اتروريا وجزيرة سردينيا ، والتوابل والعاج من بلدان الشرق الأوسط ، كما استوردوا الأواني المرمرية المصرية .

وتكشف لنا ألواح كنوسوس المكتوبة بالمجموعة الخطية الثانية من هذا العصر عن عدد من أسماء الشعوب الشرقية ومن بينها مصرى Misiraya ومرادفها Ackapitayo وقبرص (Arasiya) وأرادي (Aradayo) وبيروتى (Perita) وصورى (Tariyo) وفينيقي (po - ni - ki - ya) po - ni - koi وتعرف علماء اللغة على عدد كبير من أسماء ذات الأصول السامية خاصة أسماء التوابل .

جملة القول أن الموكيين قد بلغوا اوج مجدهم وقوتهم فى العصر الهيلادى الحديث وحلوا محل الكريين فى كثير من المناطق بل انطلقوا شرقاً نحو اسيا الصغرى بل سيطروا على كريت نفسها . وهذا بفضل قوتهم العسكرية وميلهم وحبهم للقتال والنزال وعن شخصيتهم العدوانية وهذا ما تظهره وتؤكدده :

١- اللقى الأثرية بالمقابر من أسلحة من دروع وسيوف وحراب ونبال وسهام وخناجر مطعمة بالعاج والذهب .

٢- الرسوم الجدرانبة بالقصور والرسومات على الأنية التى تبرز وتسجل جانباً من معارك حامية الوطيس .

٣- ترينا الرقم المكتوبة أهمية الجيش والأسطول واستخدام العربات الحربية والارستقراطية العسكرية فى المجتمع الموكينى .

٤- تكشف الأشعار الهومرية عن الروح القتال والنزعة العدوانية للأخيين وهذا ما سنوضحه فى الحديث عن حرب طروادة .

ج - حرب طروادة وعصر الأبطال

طروادة :

يطلق هوميروس عليها عدة تسميات هي إليوس واليون وطروية (Thaie) وبعده عصر هوميروس اشتهرت المدينة ومنطقتها باسم طرواس Traos وأسماها الرومان طرويا ، ومن اللفظة طرواس اقتبس الجزع Troad ومنه الاسم العربى الشائع طروادة. تقع طروادة فى إقليم ميسيا Mysia شمال غرب اسيا الصغرى ويحدها غرباً البحر الابجى وشرقاً جبل ايدا وشمالاً غرب مضيق الهلليسيونت وجنوباً خليج أراميثيوم . وتقع المدينة على بعد حوالى أربعة أميال من البحر .

وقد أجريت عدة تنقيبات أثرية للكشف عن طروادة وكان الرائد فى هذا المجال الالمانى هينرش شليمان وحقق نتائج رائعة فى الكشف عن المدينة وإثبات أن طروادة حقيقية لا خيال كما كان يزعم البعض ، بيد أن كشفه آثار العديد من القضايا حول تحديد أى المدن التسع التى نشأت فى الموقع هى التى شهدت الحرب ، فقد نشأ فى الموقع تسع طروادات يعلو بعضها بعضاً وكشفت التنقيبات أنها كانت مطمورة واحدة تحت الأخرى وأقدمها هى الأولى ويرجع تاريخها إلى أوائل عصر البرنز وقد ظن شليمان أن طروادة الثانية التى تعلو الأولى والتى يعود تاريخها إلى حوالى ٢٥٠٠ - ٢٢٥٠ هى طروادة التى أتى وصفها فى الإلياذة ، لكن العالم الالمانى والآثارى دُربفلد W. Doerpfeld ومساعد شليمان فى حفائره قد نجح فى اثبات أن طروادة الثانية ليست هى التى شهدت الحرب وإنما طروادة السادسة (١٨٠٠ - ١٣٠٠) وأورد أدلة وبراهين كثيرة على رأيه، بيد أن العالم كارل بلجن قد نجح فى الوصول إلى أن طروادة السابعة (١) هى طروادة التى شهدت الحرب والتى حاصرها الآخيون لمدة تسع سنوات ثم نهبها بعد سقوطها فى السنة العاشرة واضرموا فيها النيران .

ويختلف الباحثون أيضاً حول بداية ونهاية تواريخ المدن التسع ويمتد تاريخ طروادة الأولى ما بين ٢٩٠٠ - ٢٤٠٠ ق.م ، تقريباً وطروادة الثانية ما بين ٢٤٠٠ - ٢٢٠٠ تقريباً ... الخ ، وقد قامت حضارة طروادة الأولى والثانية على أكتاف الآسيويين الذين تأثروا بحضارة بلاد الرافدين ، وقد نمت وتطورت كل من طروادة الأولى والثانية وذلك لسيطرتها على الطريق البحرى المار بالدرديل والطرق التجارية التى تربط بين بلاد اليونان وأسيا الصغرى ، وبسبب قربها من مناجم الفضة ، فقد نشطت تجارتها فى المعادن النفيسة والأحجار الكريمة . ولكن يبدو أن طروادة الثانية قد سقطت لمجئ الفوج الأول من الهجرات الهندأوربية والمعروفة باسم اللوفيين أو اللوبين الذين جاءوا من مناطق الاستبس المتاخمة لبحر قزوين والبحر الأسود واقتحموا آسيا الصغرى واستقروا فى ليكيا وبامفيليا وكيليكيا حوالى عام ٢٢٠٠ وهم الذين بنوا طروادة الثالثة وتوالت موجات الهجرة من العناصر الهندأوربية إلى المنطقة ، ومن هذه الهجرات هجرة عناصر جلبت معها الخيول وأسست طروادة السادسة التى كانت قلعة حصينة ذات أسوار متينة ضخمة وتمتعت بقدر كبير من السيطرة والثراء وأحرزت تقدماً مطرداً وعلى الأخص فى فن العمارة وأقامت علاقات قوية مع بلاد اليونان وجزر البحر الايجى وأقاموا علاقات تجارية مع الموكيين ، فاستوردوا الأوانى الفخارية من كؤوس وجرار وخناجر برنزية ... الخ . وكانت حضارتها تشابه حضارة الموكيين ولعل السبب فى ذلك أن المهاجرين إلى كل من منطقة طروادة وبلاد اليونان ينتمون إلى أصل واحد ، وقد تعرضت المدينة للدمار بسبب الزلازل . وسرعان ما نشأت طروادة السابعة فى نفس الموقع وإن كانت أقل حجماً وثراء من سابقتها وكانت على صلات قوية باليونان ووفقاً للأخبار المتواترة فى الالياذة ، فقد كانت تتشابه فى حضارتها المادية وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ولغتها مع بلاد اليونان كما أن الآخيين تتشابه أيضاً حيث

أنها كانت مزيجاً من عناصر يونانية وأجنبية ، فقد ظهرت فى ألواح بيلوس أسماء طروادية مثل هكتور وأنتينور كما أن الالهة الرئيسية فى المدينة وربتها الحارسة هى أثينا كما هو الحال فى مدينة أثينا . وإذا كانت هناك اختلافات بينهما فلعل سببها أن طروادة كانت محاطة بشعوب آسيوية وتأثرت بها .

وقد أطلق هوميروس على الطرواديين اسم الدردنوى Dardenoi وورد ذكرهم فى الوثائق المصرية كحلفاء للحثيين بنفس الاسم " دردنوى " ويطلق عليهم هيرودوت "تومريان" . ويسمون أيضاً بالتىوكريين نسبة لأقدم ملوكها تيوكروس Teukros الذى تزوجت ابنته من دردانوس الذى ارتقى العرش بعد تيوكروس وأسس مدينة دردانيا Dardania وسميت منطقة طروادة نسبة إليه وخلفه ابنه اليوس الذى أسس اليوس أو اليون التى صارت أعظم مدينة فى المنطقة وخلفه لاؤميدون الذى شيد أسوار طروادة الضخمة وأنجب ابنة هى هيسيونى وإبنا هو برياموس الذى خلفه على عرش طروادة والذى قامت الحرب الشهيرة فى أواخر سنى حكمه وكان هذا الملك يحكم شعبه بطريقة عشائرية فكان لديه عدد كبير من الزوجات اقترن بهن لزيادة النسل وتقوية رابطة العصبية ، أما أولاده فكان كل واحد منهم يقتصر على امرأة واحدة ويعيش بعيداً عن الملذات والملاهى عدا باريس الذى لم يتمسك بقواعد الاخلاق . وكان الطرواديون أطف معشراً وأكثر نبلاً وأقرب إلى الفضيلة من اليونانيين الذين أغاروا عليهم فى حرب طويلة ، فما هى قصة هذه الحرب وما هى الدوافع الحقيقية لها ؟ هل نشبت لأسباب أخلاقية أم عرقية أم تحت تأثير عوامل أخرى ؟

مرجعنا الأول فى هذه الحرب هو أشعار هوميروس إذ تحدثنا أن حرباً نشبت بين الأخيين وبين مدينة طروادة من أجل سبب أخلاقى ، ذلك أن أميراً طروادياً هو باريس نزل ضيفاً على منيلاوس ملك اسبرطة ، وهناك وقع نظر الأمير الطروادى على هيلينا

زوجة الملك وأجمل نساء الأرض في زمانه . فهم بها حباً وصمم على أن يستأثر بها لنفسه ، وهامت هي الأخرى به حباً وفرا هارين إلى طروادة ، منتهزين غياب الملك مينلاوس ولما علم هذا الملك المطعون في شرفه بهذه الفعلة النكراء استشاط غضباً واستصرخ ملوك الآخيين للانتقام بالغاير وأهله والرحيل لطرودة لتدميرها وتكون حلف عسكري من الملوك والأمراء الآخيين لنصرة مينلاوس ولاسترداد زوجته الجميلة بقيادة أجاممنون ملك موكيناي الذي قاد حملة عسكرية ضد طروادة والتي تم محاصرتها لمدة تسع سنوات ودمرت في السنة العاشرة من الحصار . ولكن يبدو أن السبب الذي ساقه هوميروس للحرب كان سبباً واهياً لنشوبها وهو خطف امرأة ، حقاً أن حرباً قد تقع بسبب اختطاف امرأة جميلة ليست أمراً مستبعد الحدوث ، ولكن هذا السبب العاطفي يبدو أقرب إلى حكايات التسرية خاصة إذا ساق لنا الشاعر هذا السبب مقترباً بحديث أسطوري عن خلاف وقع بين الإهات يونانية ثلاث حول تفاحة ذهبية وأقحم فيه باريس ليفصل بينهن وانتهى بأن الإلهة أفروديتي هي التي حظيت بها مقابل وعد قطعه على نفسها لباريس بأن تمنحه أجمل نساء الأرض . كما أن هذا السبب قد شكك فيه هيردوت ويقول هل من المعقول أن يحارب الطرواديين مدة عشر سنوات في سبيل امرأة ؟ ويحل يوريديس حرب طروادة بأنها نتيجة لتضخم وتكاثر السكان في بلاد اليونان وحاجتهم إلى التوسع . ويرى العلماء المحدثون أن هناك تأثيراً ملحماً لجلجاميس على الإلياذة حيث يوجد فيها عناصر قصصية واردة في الإلياذة ومنها اختطاف المرأة التي تثير ثائرة المدينة ويحرك رغبتها في الانتقام ومعنى هذا أن السبب العاطفي والاخلاقي غير مقبول من الناحية المنطقية . وإذا كنا لا نقبل أن نعتبر حادث اختطاف هيلينا سبباً لوقوع حرب طروادة ، فعلينا أن نبحث عن أسباب أخرى لوقوعها في مصادر أخرى

غير الأشعار الهوميرية مثل الألواح الحيثية التي تم العثور عليها في بلدة بوغاز كوى في آسيا الصغرى ومن الافتراضات العلمية التي تقدمها الدراسات الأثرية واللغوية وبعض الأساطير ومن مشاهدات في الظروف الجغرافية لشمال بحر ايجة .

ونستخلص من الوثائق الحيثية أن الأخيين قد زادت قوتهم وسطوتهم في منتصف القرن الثالث عشر وبدأوا يعتدون على أملاك الامبراطورية الحيثية في المنطقة الساحلية لآسيا الصغرى ومنها اعتداءات المغامر ارتاريسياس الآخى ومادوراتاس كما نجد أن تلك الألواح تذكر اسم أخيا في صورة أهياوا أو أهيا Ahhaya = Ahhaya ، واختلف الباحثون حول موقع هذه المملكة فالبعض رأى أنها مملكة أجامنون في بلاد اليونان نفسها ، ويرى البعض أن أهيا ليست أخيا وأنها تقع في آسيا الصغرى فى كليكيا أو طروادة وأنها كانت تمثل جزءاً من الامبراطورية الحيثية . والبعض الآخر يرى أنها تقع في جزيرة قبرص أو كريت ، ويرى البعض أنها جزيرة رودس وكان الآخيون قد أقاموا بها وشيدوا بها قلعة تسمى قلعة أخيا ، وأنها سيطرت على جزء من ساحل آسيا الصغرى ، وكان لانهباء الامبراطورية الحيثية مع خواتيم القرن الثالث عشر أثره فى تشجيع الهجوم على طروادة وتدميرها ، وكانت طروادة مدينة تجارية ذات مصالح تجارية فى المنطقة الايجية ، إذ كان إنتاجها الزراعى يفيض عن احتياجاتها ويتم تصديره كما اشتهرت المدينة بجيادها السريعة وبأصوافها وهذا ما أكدته الحفائر الأثرية، فلا بد أن يكون هناك تنافس بين الطرفين وما يجره صراع المصالح فى مجال صلدرات الأصواف التى كانت تنتجها بلاد اليونان . ولعل من الأسباب الحقيقية للحرب هو محاولة السيطرة على المضائق والطريق إلى السهول الغنية فى البحر الأسود ، إذ كانت مدينة طروادة تقف حجر عثرة فى سبيل مشروعات الأخيين التجارية فى منطقة البحر

الأسود وبحر مرمرية وسواحل اسيا الصغرى وبعض الجزر القريبة من تلك السواحل حيث أغلق حكام اسيا الصغرى أيام الآخيين باب التجارة فى منطقتهم ، وخير شاهد على هذا هو أن الفخار الموكينى انتشر فى المناطق الواقعة جنوب طروادة بعد سقوطها، وتدميرها على يد الآخيين . كما أن موقع طروادة الاستراتيجية جعلها تتحكم فى الطريق البرى المار بها حيث أجبر التجار على أن يسلكوه وذلك لخطورة ومشقة الإبحار حول رأس سجيوم حيث تشتد سرعة التيارات المائية اشتداداً يجعل السفن الصغيرة لا تقوى على الاستدارة حول هذا الرأس . ومن ثم فقد كانت تفرغ شحناتها فى الخليج الصغير المواجه لجزيرة تنيديوس ثم تنقل الشحنات بطريق البر إلى الخليج الواقع على الجانب الآخر . وكانت طروادة بحكم موقعها يمكنها فرض المكوس على تجارة العبور المارة بأراضيها كما استفادت المدينة من الظروف المناخية على ما يبدو إذ أن الرياح كانت تحتجز السفن عند مدخل الدردنيل فتعوق رحلتها أياماً وربما أسابيع وفى خلال هذه الفترة كان البحارة يرسون بسفنهم على الساحل الاسيوى ويحتاجون للمؤونة ومياه الشرب . والتي كانت تتحكم فيها طروادة ، ولعل هذه الأسباب جميعها أوغرت صدر الآخيين ضد طروادة ودفعتهم دفعاً لحربها وتدميرها ولعل قصة هرقل التى هاجم فيها طروادة وتخريبه إياها فى عهد ملكها لايوميدون تعكس مشاعر اليونان تجاه طروادة واعتبارها عقبة كؤود فى سبيل مغامراتهم ومشروعاتهم فى البحار فى منطقة بالغة الحيوية بالنسبة لهم ولا بد من السيطرة عليها وإرسال حملة عسكرية لتحقيق هذا الأمر .

وهكذا عقد الآخيون العزم على شن الحرب ضد طروادة بقيادة أجاممنون واستغرقت استعداداتهم للحرب امداً طويلاً يصل إلى عشر سنين وأبحروا من ميناء أوليس Aulis فى وسط البلقان وشرقاً وضربوا حصاراً دام عشر سنين . ويختلف

الباحثون حول بداية ونهاية الحملة فيذكر ايراتوستيفيس Eratosthenes العالم الموسوعى
السكندرى استناداً على شجرة الانساب التى نقلها عنه المؤرخ اليونانى هيكاتيوس ، أن
الأخيين قد حاصروا المدينة ١١٩٤ - ١١٨٤ ق.م ويقول المؤرخ الرومانى بلينى أن
طروادة قد سقطت فى عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٦ ق.م) إذ تشير السجلات
المصرية من عهد هذا الفرعون إلى أن الجزر كانت فى حالة اضطراب وحركة ، وقد
يشير هذا إلى حرب طروادة . ويؤرخ بعض الباحثين المحدثين حرب طروادة فى ضوء
التقنيات الأثرية والدراسات المقارنة إذ يرى كارل باريس أنها سقطت ١٢٣٠ ق.م
ويرى المؤرخ فاين أنها سقطت عام ١٢٠٠ ق.م وإن كان لدينا بعض الآراء غير
المقبولة التى تقول أن سقوط طروادة قد حدث فى الفترة ما بين ١٣٣٠-١١٣٠ ق.م.
وبعد تدمير طروادة وحرقتها لم يستقر الأخيون بها وهذا ما تؤكد الروايات
اليونانية والتى أكدته التنقيبات الأثرية ، فقد كشفت لنا الحفريات أنه لمدة جيل بعد تدمير
القلعة استمر الأحياء الناجين من الطرواديين فى العيش بين خرائبها ، وفى بداية القرن
الثانى عشر وفد إليها اناس مجهولون جلبوا معهم فخاراً غير جيد الصنع اندمجوا مع
بقية الطرواديين ، وهاتان الفترتان تعرفان بعصر طروادة السابعة (ب) وبعد عام ١١٠٠
ق.م يبدو أن المكان قد هجر ولكن فى فترة الاستعمار اليونانى وحركة الهجرة فى
القرنين الثامن والسابع صارت طروادة الثامنة مستوطنة كبيرة وهذه المدينة هى التى
زارها الاسكندر الاكبر عند قيامه بحملته الآسيوية ثم أعاد الرومان بناء المدينة مرة
أخرى وهذه هى طروادة التاسعة .

وقد كان لهذه الحرب آثارها على الأخيين أنفسهم إذ كان لغيبة الملوك والأمراء
آثارها بالنسبة لممالكهم فقد طمع البعض فى اعتلاء كرسى العرش لطول الغياب ولعل ما

يرويه هوميروس بشأن أوديسيوس خير شاهد على ذلك وما حدث لأجاممنون نعد عودته.

كما بدأت حضارة الآخيين وممالكهم فى التدهور والانحدار ، وهذا التدهور يمكن تتبعه بسهولة فى تدهور الجودة الفنية والتقنية للفخار كما كشف لنا الأثاريون عن أن هناك نشاطاً عمرانياً كبيراً وكان عرضه تقوية حوائط القلاع فى موكيناى وترنيس وأثينا وتأمين وصول إمدادات المياه إلى القلاع ومثل هذه الإجراءات تشير إلى احتياطات ضد غزاة يمكن توقعهم . ولكن من هم هؤلاء الغزاة ؟ وفقاً للروايات اليونانية فإن الدوريين لم يكونوا قد وصلوا إلا بعد قرن من الزمان تقريباً ومن الملائم أن نتذكر أن هذه الفترة قد شهدت توافد شعوب البحر والشمال من كل الأراضى التى سببت فوضى واضطراباً فى منطقة البحر الإيجى وسوريا ومصر ، إن هذه الفوضى والاضطرابات ربما تكون قد أفلحت حكام بلاد اليونان فى ضرورة تقوية دفاعاتهم . وكان لهذه الفوضى أيضاً على ما يبدو أثراً على التجارة الموكينية إذ تدهورت مما سبب ضغطاً كبيراً على الممالك الآخية ، ومع مطلع القرن الثانى عشر نجد هناك اضطرابات شهدتها بلاد اليونان ، فقد هجر العديد من الأماكن والمواقع مثل المنازل خارج أسوار أثينا كما أن الكثير من القصور ومنازل موكيناى قد احترقت فى أولكوس Ialcus فى تساليا وبيبلوس وتيرنيس واسيرطة وفى وقت متأخر إلى حد ما دمرت القلعة ، فما هو سبب هذه الاضطرابات وهجر المواقع فى بلاد اليونان ؟ إن الإجابة ما تزال غامضة . فمن المرجح أن العداء بين الممالك والصراع بينها ومحاولة كل مملكة أن تسلب وتتهب الممالك الأخرى مثل الحرب بين أرجوس وطيبة قد يكون هذا سبب الكارثة ، ويرى البعض أن سبب التدهور هو أنه بعد عودة الهلنيين من طروادة وتدميرها نتج عنه ثورات كثيرة وحروب وجدت

فى كل مكان من بلاد اليونان خاصة بعد أن عم القحط والمجاعة نتيجة لسوء الأحوال الطبيعية ، إذ يرى كاربنتر Carpenter أن هذا أدى بسكان آسيا الصغرى وبلاد اليونان إلى هجرها والبحث عن ملاذ آمن بيد أن هذا الرأى فيه اسراف وجرأة ، فالتتقييات الأثرية كشفت لنا عن أن القلاع الموكينية فى البلوبونيز ووسط بلاد اليونان قد أعيد تحصينها وأن الحكام كانوا يخشون الهجوم المفاجئ من شعوب البحر التى تحركت على طول السواحل الشرقية للمنطقة الإيجابية والبحر المتوسط وأن هؤلاء قد اخترقوا وتغلغلوا فى وسط بلاد اليونان والبلوبونيز من الشمال ، وكان غرض هؤلاء الغزاة على ما يبدو ليس غزوها واستيطانها ، ولكن الحصول على الغنائم والأسلاب من القلاع والقصور الموكينية . وعلى الرغم من انسحابهم بعد تحقيق مآربهم خلفوا خراباً ودماراً وتشير الحفائر إلى أن الهجوم من قبل شعوب البحر قد تكرر على مراكز الحضارة الموكينية وأدى هذا إلى ضعف وتدهور الممالك الموكينية إذ يكشف لنا الدليل الأثرى عن نقص كبير فى عدد السكان فى منطقة البلوبونيز فقد كان يوجد فى كل من ميسينيا وتريفيليا Triphylia ١٥٠ مستوطنة فى القرن الثالث عشر بينما لا يوجد فى المنطقتين إلا ١٤٠ مستوطنة فى القرن الثانى عشر . ونفس النقص الحاد يكون فى بؤوتيا ، ونقص عدد المستوطنات إلى الربع فى أرجوليس وفى إقليم كورينثة نقص إلى أقل من الثلث ، وبجانب الدمار ونقص السكان نلاحظ ظاهرة أخرى وهى هجرة وتجرك السكان من المناطق المخربة إلى مناطق أخرى وأن الاستقرار قد صار أكثر كثافة فى أخيا الجبلية فى شمال البلوبونيز وفى جزيرة كيفالينا Cephalenia ومن المرجح على الساحل الشرقى لآتيكا أيضاً . وهاجر الناس أيضاً إلى جزر البحر الايجى ناكسوس وربما رودس ثم إلى كريت وقبرص .

العصر المظلم والهجرة الدورية

يتبادر إلى الذهن السؤال الآتى : لماذا سُميت الفترة التى أعقبت العصر الموكينى فى التاريخ اليونانى بعصر الظلام ؟ يمكن تبرير هذه التسمية بالأسباب الآتية :

١- انخفاض وهبوط مستوى الحضارة فى بعض المناطق وتوقفها وانقطاعها فى الكثير من المناطق اليونانية .

٢- قلة وشحة المصادر الخاصة بهذا العصر .

٣- الهجرات المشهورة بالهجرات الدورية التى غشت الجانب الأكبر من اليونان .

والواقع أن دراسة تاريخ هذا العصر له أهميته الخاصة لدارس تاريخ اليونان إذ شهد هذا العصر وضع اللبنة الأولى وأسس حضارتها فى العصر الكلاسيكى . وسنحاول أن نعرض لأهم المصادر التى يمكن أن تلقى أضواء على تاريخ هذه الفترة وأول هذه المصادر أشعار هوميروس والتى تعد مصدراً أساسياً لها ، فعلى الرغم من أن الإلياذة تعالج فترة قصيرة من حرب طروادة والأوديسة تعالج عودة أوديسيوس والمتاعب والاضطرابات فى مملكته خلال فترة غيابها ، فانهما تعكسان الظروف والأحوال والأعراف والعادات والتقاليد فى بلاد اليونان وتقديم صورة للحياة بشكل أولى فى هذه الفترة خاصة أن العرف والتقاليد والعادات تستمر عبر الأجيال ، فأعراف وتقاليد وعادات اليوم تحتوى على تقاليد وأعراف وعادات الأمس وبالمقابل سوف تنتقل فى تقاليد وأعراف وعادات الغد . وفى ضوء هذا يمكننا القول أن الإلياذة والأوديسة لا تعكسان الأحوال فى تاريخ بعينه وإنما تعكس طريقة الحياة التى تمتد جذورها فى الماضى بل تستمر بشكل كبير بدون تغيير كبير فى المستقبل . وإن كان علينا أن نتذكو

أن هو ميروس وسابقه كانوا شعراء ولم يكونوا مؤرخين ، ومن ثم لن نجد في الاشعار الملحمية مناقشات منظمة للقضايا التاريخية ، ولكن القارئ الممحص لها ، سوف يجد أنها تحتوى على مستودع غنى بالمعلومات حول التقاليد والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية خاصة التي تنتشر بين الطبقات العليا فى المقام الأول وبقية طبقات المجتمع فى المقام الثانى . ومن المصادر التي تمدنا ببعض المعلومات أشعار هيسويد الشاعر البووتى الذى عاش فى فترة لاحقة مباشرة للعصور المظلمة ولأن هيسويد عاش فى منطقة بووتيا المتخلفة وكونه شاعراً ومنشداً ورواية فإنه أعطى نظرة حول طرق الحياة وعقائد خاصة بعصره وجيله والتي امتدت من أجيال سابقة عليه والذين كانت أعرافهم وتقاليدهم مشابهة ، وأهمية قصائده تعد مصدراً نفسياً لأنها تعكس صوراً لحياة مزارع صغير ومشاكله كما أن قصيدته عن أصل الآلهة تعكس معتقدات قومه واسلافهم .

وتقدم المصادر الأدبية اللاحقة معلومات أيضاً عن هذا العصر ، فالشعراء قد استخدموا الأساطير المبكرة التي تناقلتها الأجيال وبعض الفلاسفة قد اعتمدوا على المراحل الأولى للحياة السياسية والاجتماعية فى هذا العصر ، وكتاب القرنين السادس والخامس كتبوا عن أنساب العائلات المالكة والتواريخ المحلية وتأسيس المدن . وإن كانت كتاباتهم لم تبق فى كتب مستقلة ولكن الكثير من مادتها التاريخية قد وجدت طريقها إلينا من خلال أعمال الكتاب المتأخرين مثل استرابون (٤٦٢ق.م - ٢١٠م.) وبوسينياس (القرن الثانى) . لقد كتبا عن التاريخ المبكر للعديد من المدن اليونانية ، والأسر الحاكمة بها . وجملة القول أن المصادر الأدبية لا تقدم لنا صورة زاهية عن هذا العصر بل ما تقدمه صورة باهتة له .

والمصدر الأساسى والموثوق فيه هو المخلفات واللقى الأثرية الخاصة بهذا العصر إذ كشف الآثاريون والمنقبون لنا عن بعض مناطق الاستقرار والتجمع من هذا العصر وكشفوا الكثير من اللقى الأثرية وخاصة الفخار الذى يقاوم عوادم الزمن وله أهميته الكبرى فى تحديد تطور الحضارة فمثلاً تعد وحدة الطراز فى الفخار فى العصر الموكينى فى بلاد اليونان وخارجها دليلاً على الوحدة الثقافية والحضارية فى بلاد اليونان والدارس لفخار عصر الظلام يشهد تنوعاً كبيراً وخاصة للفترة المبكرة منه وهذا يشير ، بشكل مفتح ، إلى انكسار الوحدة الحضارية لبلاد اليونان فى العصر السابق ، وإن كان من الملاحظ أن الفخار الأتيكى شهد استمراراً من العصر الموكينى ويمكن تتبع تطور أعمال صناعات الفخار الأثينيين ، ومن دراسة طراز الأنية والمزهريات الخاصة بالعصر يمكن استخراج عدة نتائج حول طريقة تفكير الحرفيين والناس الذين عاشوا بينهم ، فهناك تأثيرات شرقية نجمت عن علاقات وصلات تجارية مع الشرق ، ووجود كميات كبيرة من فخار مدينة فى مدينة أخرى خير دليل على الصلات التجارية وإن وجد تقليد لفخار مدينة فى مدن أخرى فهذا يكشف عن التأثير بأساليب وتقنيات صنع الفخار فى مدينة أخرى .

ويمكن للباحث أن يستقى بعض المعلومات عن هذا العصر وأن يرسم صورة له فى ضوء التقاليد والمؤسسات فى العصر التاريخى فقد كانت هذه التقاليد والمؤسسات استمراراً لمؤسسات لعلها نشأت فى العصر المظلم ، ولما كان الإغريق محافظين فى كثير من النواحي ، فقد ظلوا مرتبطين بالأسماء القديمة والطقوس العتيقة حتى على الرغم من أنها لا تتناسب مع عصرهم ففى أثينا الديمقراطية ، على سبيل المثال ، كان هناك حاكم ينتخب كل عام يسمى الملك الكاهن Basileus والذى كانت وظيفته الأساسية

دينية . وهذه الوظيفة فى ضوء ما سبق تعطى دليلاً واضحاً على أنه فى وقت سابق ما من تاريخ أثينا الباكر كان يحكمها ملك والذى كان شامل الاختصاصات ومن بينها الاهتمام ورعاية الشؤون الدينية فى الدولة . أن دراسة الأشياء الحية فى أى فترة من فترات التاريخ تكشف الكثير عن الماضى ودراسة وتحليل المعتقدات والصيغ القانونية والمصطلحات يمكن أن تلقى الضوء على المراحل الباكرة فى تطوير الديانة والقانون إذ ما كانت المصادر الأخرى غير متاحة . وجملة القول أن المصادر تقدم لنا مادة علمية قليلة عن هذه الفترة . ومن ثم فإننا لا نعلم عنها إلا القدر اليسير . .

والعصور المظلمة تمتد لفترة أربعة قرون على الأقل ، وذلك لأنه حتى نهاية القرن التاسع لا توجد معلومات تاريخية واقعية والتي أصبحت متاحة فى القرن الثامن .

وإذا ما استعرضنا الهجرات التى غشت بلاد اليونان بعد تدهور مراكز الحضارة الموكينية ، فإن هذه الهجرات أو موجات من الهجرة دخلت بلاد اليونان على فترات متقطعة استمرت فترة طويلة من الزمن أى من القرن الحادى عشر إلى القرن التاسع وأطلق عليها المؤرخون الهجرة الدورية على أساس أن تحركاتها هى الأكثر نشاطاً . إذ نجد ثيوكيدديس يقول أنه فى السنة الثمانين بعد نهاية حرب طروادة غزا الدوريون منطقة البلوبونيز بزعامة أبناء هرقل الذين طردوا من البلوبونيز وحرموا حقهم الشرعى فى العودة إليه فعملوا على استرداد هذا الحق بقوة سواعدهم وهذه الأسطورة المغلفة بالوطنية والدعاية تشير إلى أن وصول الدوريين لم يفسر على أنه غزو لشعوب جديدة ولكن عودة البلوبونيز لحكامها الشرعيين . وقد أصبحت هذه الأسطورة مقبولة كحقيقة لكاتب مدقق مثل ثيوكيدديس . ولما كان وصف القدماء لمجىء الدوريين على أنه عودة

للهرقليين فإن مصطلح الغزو الدورى يكون مصطلحاً حديثاً . ولكن يغلب على الظن أن موجة جديدة من الهجرة الهندوأوربية قد بدأت فى وقت ما من القرن الثالث عشر بانحدار مجموعات من القبائل الهندوأوربية من مناطق الدانوب إلى شمال غرب البلقان ونزلت أولاً حول مرتفعات ايبروس واستقرت هناك بعض الوقت ثم خرجت منها فى موجات متتالية لغزو بلاد اليونان بعد أن بدى عليها مظاهر الاضمحلال والضعف وبعد الخراب الذى أحدثه فيها هجوم شعوب البحر والشمال نهاية العصر الموكينيى ، وقد بدأت أولى موجات الهجرة عبر جبال بندوس Pindos متجهة إلى السهل الواقع شرقى هذه الجبال فى وسط البلقان وهو سهل تساليا الذى سُمى بهذا الاسم نسبة إلى المهاجرين التساليين الذين احتلوه ونتج عن هذه الموجة من الهجرة أن بعض السكان قد اندفع مولىاً الأدبار إلى وسط وجنوب البلقان والبعض الآخر منهم قد هاجر من اليونان كلية واتجه شرقاً وبعضهم الآخر قد استمر فى العيش فى مواطنهم وخضع لحكم الغزاة التساليين ورضى حياة العبودية .

وهناك موجة أخرى من المهاجرين قد غشت منطقة بؤوتيا وهؤلاء المهاجرون الجدد قد أطلق عليهم اسم الارنيين (Arnaians) وكانوا قد توغلوا أكثر نحو الجنوب وعبروا ممر ثرموبيلاي واحتلوا منطقة بؤوتيا ، وحاولوا بعد احتلالهم لها التقدم صوب الشرق فهاجموا منطقة أتيكا لكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها ، وبمرور الوقت تآلف فيما بينهم حلف ضم ثلاث عشرة مستوطنة تزعمته مدينة حملت فيما بعد اسم طيبة . وكان لاحتلال هؤلاء الارنيين لمنطقة بؤوتيا نفس الآثار التى أحدثها التساليون فى منطقة تساليا ، فهاجر من هاجر من السكان الأخيين وبقى من بقى منهم وتعرض للنزول إلى مرتبة العبودية .

أما مجموعة القبائل التي عرفت باسم الدوريين والتي يخلع الباحثون اسمها على موجات الهجرة والاستيطان على أساس أن تحركاتها هي الأكثر نشاطاً . فقد نزلوا بمنطقة دوريس Doris أولاً وعندما ضاقت عليهم المنطقة اندفعوا جنوباً نحو البلوبونيز وسيطروا على أغلب أجزائه ، فنجدهم قد احتلوا سهل ارجوليس ، ودكوا البقية الباقية من مراكز الحضارة الموكينية ، واحتلوا بعد ذلك وادي نهر يوروتاس Eurotas وفي هذه المنطقة نمت بمرور الوقت مدينة اسبرطة . ثم استولوا على منطقة اليس Elis أغنى مناطق البلوبونيز واستولوا بعد ذلك على ميسينيا إلى الغرب من لاكونيا وفي شمال البلوبونيز اقاموا مدينة كورينثة . وقد حاولوا غزو منطقة أتيكا من البلوبونيز ولكنهم صدوا عنها وإن كانوا قد تمكنوا من اقتطاع الأجزاء الجنوبية منها إذ قامت فيما بعد مدينة ميغارا Megara . ثم عبر فريق منهم البحر واستولى على مناطق في آسيا الصغرى وبعض الجزر في بحر إيجه . وأمام توافد موجات الهجرة الدورية إلى منطقة البلوبونيز والمناطق التي احتلوها فقد اندفع نفر من السكان الأصليين خارج المنطقة إلى شبه جزيرة أتيكا ، أو إلى خارج البلوبونيز وبلاد اليونان وبقي نفر آخر اندمج بعضهم مع الغزاة والبعض الآخر منهم قد نزل إلى مرتبة العبودية .

قصارى القول أن هذه الموجات من الهجرة التي دخلت بلاد اليونان قد سببت حالة من الفوضى والاضطراب من تساليا شمالاً إلى البلوبونيز جنوباً والتي استمرت لعدة قرون ولم تستقر تلك القبائل إلا عند القرن التاسع في المناطق التي أصبحت وطناً لها في التاريخ اليوناني . أما السكان الأصليين من الأخيين فإن الكثير منهم قد نزل إلى مرتبة العبودية والبعض الآخر كان وضعه أدنى من أعضاء تلك القبائل والبعض الآخر

قد وجد ملاذاً في الجبال المحيطة بتساليا وأركاديا بينما فضل الكثير منهم الهجرة خارج اليونان إلى جزر بحر إيجه وسواحل اسيا الصغرى .

وكانت هناك عدة عوامل ساعدتهم على التوجه إلى تلك المناطق التي كانوا على دراية ومعرفة تامة بها وبأراضيها الخصبة وغلاتها الوفيرة ، كما أن طبيعة بلاد اليونان الجغرافية والمناخية لا تختلف عن طبيعة السواحل الغربية لآسيا الصغرى . كما أن كثرة الجزر في البحر الأيحي جعلت المهاجرين في أمان دائم أثناء إبحارهم صوب الساحل الآسيوي الذي كان يقطنه مجموعة من الشعوب المتناحرة والمتنافسة مثل الفريجيون في الشمال والكاريون في الوسط والليكيون في الجنوب .

وهذا يعني أنه لم تكن هناك دولة قوية في الشرق ، بيد أنهم لم يتجهوا شمالاً وذلك لأن المناطق الشمالية كانت مسكونة من قبل قبائل جبلية شديدة المراس يصعب على اليونانيين المنهكين مواجهتها . ولم يتجهوا غرباً وذلك لأنه كان مجهولاً إلى حد ما وكان الإبحار في البحار الغربية يُعد مخاطرة عظيمة .

ولما كانت هذه الهجرات قد حدثت في العصر المظلم فإن معلوماتنا حولها مثل المشكلة الدورية أتت واستمدت من الأساطير ولكن مما لا شك فيه أن الهجرة قد حدثت إذ نجد أن الإغريق ابتداء من الفترة التاريخية يعيشون على ساحل اسيا الصغرى والجزر المتاخمة لمضيق اللهيسبونت إلى رودس . وفي الواقع في ضوء ما سبق لا يمكننا أن نحدد تاريخ كل هجرة من هجرات اليونان التي أعقبت الغزو الدوري ابتداء من القرن الحادى عشر ولكن يمكننا أن نقول إن حركة الهجرة والاستيطان اليونانية قد

استمرت حتى منتصف القرن العاشر . ويمكن أن نميز من حركات الهجرة ثلاث هجرات أساسية إلى سواحل اسيا الصغرى والجزر هي : -

١- الهجرة الايولية : قام بها الأيوليون Iolians الذين كانوا ينزلون في تساليا وبوتيا وفي أجزاء أخرى بوسط البلقان فراراً من التساليين وخرجوا من البلقان عند مضيق يوبويا وعبروا البحر حتى وصلوا إلى جزيرة لسبوس المتاخمة للشاطئ الآسيوي ثم نزلوا إلى الشاطئ وأسسوا مدينة كيمي وانتشروا في المنطقة الممتدة من شمال غرب ساحل اسيا الصغرى حتى سميرنا Smyrna ونهر هيرموس Hermus وأقاموا اثنتا عشرة مستوطنة على ساحل اسيا الصغرى والتي كان يجمع بينها حلف ديني وأهم هذه المدن سميرنا ، ووفقاً للروايات فإن المهاجرين الأول كانوا تحت قيادة بنثيلوس بن اوربستيس . وكانت هجرة الايوليين تقصد الاستيطان الدائم أساساً بدليل أنهم اصطحبوا معهم نساءهم وأطفالهم .

٢- الهجرة الأيونية : قام بها الأيونيون Ionians بعد أربعة أجيال من استقرار الايوليين في اسيا الصغرى ومن المستحيل أن نحدد تاريخ استقرارهم زمنياً بدقة . وتكشف لنا المصادر أن أثينا قد قامت بدور بارز في تنظيم وتهجير العناصر المهاجرة إليها من مناطق بلاد اليونان المختلفة من شمالها ووسطها وجنوبها أمام الغزو الدوري ، وأمام قصور موارد أتيكا فقد قام الأثينيون بإرسال هذه الزيادة من السكان إلى أيونيا . وقد وردت روايات عند الكتاب القدامى مثل استرابون وبوسنياس حول أسرة نيلوس Neleus التي تم طردها من بيلوس بمسينيا على يد الغزاة إلى أثينا حول ميلانثوس زعيم هذه الأسرة في اعتلاء عرش أثينا وأن ابنه كودروس قد ضحى بحياته لإنقاذ أثينا من الهجوم الدوري . وأن صراعاً نشب على خلافته بين

ثلاثة من أبنائه وخلافته فى الحكم وكان النجاح حليفاً لابنه ميدون بينما نجد أن الآخرين أندروكلوس ونيلوس قد قادا مجموعات مختلفة من المهاجرين إلى اسيا الصغرى حيث نجح اندروكلوس فى تأسيس افسوس ، بينما نجد أن نيلوس قد نجح فى تأسيس مدينة ميليتوس .

ويرى البعض أن الدور الهام الذى قامت به أثينا فى تقديم قادة للمهاجرين وإنها المكان الذى خرج منه المهاجرون قد روجت له بدون شك الدعاية الاستعمارية لاثينا فى القرن الخامس ولذا يرون أن المهاجرين قد خرجوا من أكثر من مكان وموقع . ولكن هناك قرائن كافية تجعلنا نفترض أن هناك جانب من الحقيقة فى هذه الروايات ، ففى بداية القرن السابع نجد الشاعر ميميرموس Memmermos الايونى من كولوفون Colophon يتحدث عن مؤسس مدينته بأنه انحدر من أسرة نيلوس ، وفى أثينا الكلاسيكية كانت أسرة ميدون مشهورة وفى افسوس نجد أخلاف أندروكلوس يلقون التكريم حتى العصور الميلادية .

وخلال الهجرة الايونية كان يقيم فى المناطق التى هاجروا اليها الليجيون والبلاسيجيون والكاريون . ولدينا رواية عن حروب خاضوها ضد السكان المحليين فقد حاربوا الكاريين وحملوا النساء الكاريات واتخذوهن زوجات . وهكذا فإن هذه الهجرة كانت هجرة عسكرية إذ أنهم لم يصطحبوا معهم نساءهم فاضطروا للتزاوج بالآسيويات بعد استقرارهم .

وفى القرن التاسع نجد أن اثنتى عشرة مدينة أو مستوطنة من المستوطنات الايونية قد شكلت حلفاً أيونياً وأعضاء هذا الحلف هم : ميليتوس وميوس Myos ،

وافسوس ، وكولوفون ، وليبيدوس Lebedos ، وتيوس Teos ، وكلاتزوميناى Clazommenae ، وفوقيا Phocea ، واريثراى Erythrae ، وخيوس ، وكان هناك مركز دينى مشترك لتكريم الاله بوسيدون هيليكونيوس Helikonios فى باثيونيون Panionion الواقعة على نتوء جبل ميكالى Mycale ولا نعرف إلا القليل حول الفترة الباكرة لهذا الحلف ولكنه قد ساعد على اعطاء الشعور بالوحدة للايونيين اليونان الذين كانوا مختلفى الجذور ، وهناك عامل آخر نمى الشعور بالوحدة هو الاحتفال بالعيد المعروف بالاباتوريا Apaturia وبمرور الزمن فان الاحتفال بهذا العيد أصبح علامة على عضوية الفرع الأيونى من اليونان ولاسباب غير معروفة استثنى منه عضويته كلى من افسوس وكولوفون .

٣- الهجرة الدورية : فقد قام بها الدوريون بعد أن استولوا على مناطق كبيرة من اليونان وضائق بهم المناطق التى استولوا عليها فاتجهوا شرقاً وجنوباً فوصلت جحافلهم إلى كريت واحتلوها، واستولوا على عدد من جزر بحر ايجة أهمها جزيرة ثيرا ورودى ثم بلغوا الشاطئ الأسيوى واحتلوا الجزء الجنوبى منه والجزر المتاخمة له وأهم مستعمراتهم هى هالكارناسوس . ويرى البعض أن هجرة الدوريين إلى تلك المناطق قد تمت خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد . وإذا كان قد ورد ذكر الدوريين فى الابيات فى كتالوج السفن التى تتحدث عن أبناء وأحفاد هرقل الذين قادوا السفن من رودس وكوس فانها بالتأكيد إضافات متأخرة أقحمت على الملحمة لأن الدوريين الرودسيين والكوسيين لم يشاركوا فى الحرب الطروادية ولعل هذا يمثل دعوى زعم متأخرة للمشاركة فى الحرب الطروادية لأن هاتين الجزيرتين كانتا فى زمن الحرب الطروادية خاضعتين للموكيين .

وهكذا نرى أن الهجرة الدورية قد سببت هجرة أعداد كبيرة من الآخيين إلى خارج بلاد اليونان كما أن جانباً من الدوريين أنفسهم قد هاجر إلى خارجها . وقد وجد المهاجرون إلى سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه مستوطنات سابقة تعود للعصر الموكيني الباكر ، فى جزيرة رودس ، وفى ميليتوس ؛ وقد عُثِر فى المستوطنات فى منطقة كاريا على أنية فخارية مينووية وموكينية خاصة فى مناطق ميليتوس ، دافوس ، وفسوس ، وكولوفون ، وتكشف الآثار عن استمرار الحضارة الموكينية فى هذه المناطق وأن صلاتهم قد استمرت بشرق ووسط بلاد اليونان ، وجزيرة يوبويا ، وأتيكا التى تقدم خير نموذج لهذا الارتباط فى بداية القرن السادس نجد أن صولون ما يزال يشير إلى مواطنيه على أن مدينتهم هى أقدم أرض أيونية ، كما أن النظام القبلى فى أثينا قبيل اصلاح كليستينيس يقدم معلومات عن الأثيين وأنهم كانوا مرتبطين بالأيونيين سكان الجزر وساحل اسيا الصغرى . فقد كان سكان اتيكا ينقسمون بين أربعة قبائل هى : Glaontes و Aigikerces و Argadeis و Hopletes وتكشف لنا نقوش ميليتوس من القرن الخامس عن وجود قبيلتين منها هناك . وسجلت قبيلتين اخرتين هما : قبيلة الايونيين Oinopes وقبيلة البوريين Boreis ، ولعل قبيلة الاونيوبيين كانت تتكون من السكان المحليين من اسيا الصغرى ، بينما القبيلة الثانية Boreis قد ذكرت الروايات المأثورة أنها قد أتت من البلوبونيز ودليل رائع اتى من أفسوس ، على الرغم من أنه يعود إلى تاريخ متأخر عندما كانت المدينة عاصمة لولاية آسيا الرومانية ، فقد انقسم سكان افسوس إلى ثمانى قبائل محلية وواحد منها تحمل اسم Epheseis وقد وجدت بعض ااسماء القبائل الأتيكية فى تيروس وبرنيثوس Perinthos ونجد أن هناك تشابه بين كل من اللهجة الايونية والاثينية وان كان هناك اختلافات بينهما

فهذه الاختلافات تعود إلى أن الأيونيين قد تأثروا بلغات السكان الأصليين فى آسيا الصغرى ، بينما نجد بعض ملامح اللهجة الدورية فى الاثينية ولكن شرح سبب هذا بالاتصال بالدوريين .

وبرى البعض أيضاً أن الهجرات قد صاحبها دخول عنصر حضارى جديد إلى بلاد اليونان فى هذه الحقبة وهو عنصر الحديد الذى أدخله المهاجرون الدوريون والشماليون إلى بلاد اليونان ، وأيضاً انتشار عادة حرق جثث الموتى بدلاً من دفنهم . ولكن عادة حرق الموتى واستخدام الحديد لا تنسب للدوريين ، فقد وجد فى أثينا وفى مناطق مختلفة من أتيكا ومناطق أخرى من العالم اليونانى ، والتي لم يكن لها صلة بالدوريين ، عادة حرق الموتى وأيضاً استخدام الحديد والأسلحة الحديدية ويعود تاريخ هذه الأمور إلى القرن الثالث عشر . وفى ضوء هذا فإنه من المرجح أن هذه الظواهر قد دخلت اليونان من الشرق . ولا وجود لتأثير دورى فى هذا المجال . وما يمكن قوله هنا أنهم استخدموه على نطاق واسع .

ومن الملاحظ أيضاً أن منطقة أتيكا قد شهدت استمرار وتطور الحضارة الموكينية فى خلال فترة الغزو والهجرات الدورية ، فقد توافد عليها أعداد كبيرة من السكان الفارين من بطش القبائل الدورية من الشمال والوسط ومن البلوبونيز وقد نجحت بفضل هذه الهجرة وكثافة سكانها فى أن تصد غارات الأرنبيين وأن تمنع تقدمها فيها كما نجدها تنجح فى صد الدوريين من بعدهم عندما هاجموها من البلوبونيز .

وقد استمرت تقاليد الفن الموكينى حية فى الفنون الاثينية فى العصر الكلاسيكى . وهناك مناطق أخرى خاصة منطقة الجبال المحيطة بتساليا وأركاديا والتي لجأ إليها

الموكينيون فراراً من التساليين أو من الدوريين ، قد حافظت على التراث الموكينى ، كما أن المهاجرين إلى منطقة سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجة من الأيونيين والأيونيين قد نقلوا معهم جانباً من تراثهم الحضارى الموكينى . وهكذا فإن حضارة الموكينيين لم تنزل نهائياً وإنما قل مستواها عن ذى قبل . ويمكننا تتبع الاستمرار حتى لو كان باهتاً فى هذا الوقت بين الحضارة الموكينية الأخية وبين الحضارة اليونانية فى العصر المظلم والتي بدأت تتطور عند نهاية الألف الثانية قبل الميلاد فجانبا استمرار الطرز فى الفخار نجد فن بناء السفن قد استمر فالصور للسفن المرسومة على الفخار ما قبل الهندسى والهندسى تظهر نفس السمات والملاح الأساسية التي كانت تزين الفخار الموكينى وما بعد الموكينى .

وفى بداية القرن التاسع فقد بدأ الطراز الهندسى فى الفخار فى الظهور فى أتیکا وفى سهل أرجوليس وكورينثة وبؤوتيا وتساليا وجزر بحر ايجة والشاطئ الغربى لآسيا الصغرى فقد تطورت أشكال وزخرفة الأنية بشكل طبيعى جديد دون أن يكون لها أثر فى الموروث ، ويلاحظ أن أنواع الأنية قد زادت وتطور فن الزخرفة كثيراً مع إضافة عناصر حقيقية للرسوم الهندسية . ويمكن تقسيم فترة الفخار الهندسى إلى ثلاث أو أربع فترات وبلغت أوجها فى القرن الثامن وبداية العصر العتيق .

وقد حققت أيضاً صناعة المعادن فى هذا العصر تقدماً كما يرى من اللقى الأثرية من سيوف حديدية ورؤوس الحراب واللقى ، كما أن صناعة الحلى تكشف عن مهارة فائقة إذ وجدت حلى فى مقبرة سيدة فى منطقة السوق بأثينا ، من المرجح أنها يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع ، وهى تكشف عن حذق ومهارة صناع الحلى ، بينما

تُكشف الحفائر عن ما وصلت إليه العمارة من تقدم ، إذ نجد سميرنا القديمة على وجه الخصوص مدينة ذات أسوار دفاعية من بداية القرن التاسع .

وعند نهاية القرن التاسع فان اليونان قد بدأوا في الاتصال بالشرق الأدنى ، وقد لعبت قبرص دوراً هاماً كوسيط بين اليونان والشرق ، وكان لها علاقاتها مع كريت والمنطقة الإيجية وبلاد اليونان القارية هذا من جهة ، ومع سوريا وفينيقيا من جهة أخرى ، إن التنقيبات الأثرية في المينا عند مصب نهر أورووتيس قد كشفت عن أدلة وقرائن رائعة لتغلغل وانتشار اليونان على الساحل الشرقي للبحر المتوسط . وقد تأسست المدينة حوالي منتصف القرن التاسع ، وتؤكد اللقى الأثرية أن اليونان قد أقاموا علاقات مع فينيقيا وشمال فلسطين وقبرص . ويبدو أن الفخار الهندسي قد بدأ في الظهور في المينا من نهاية القرن التاسع وفي القرن الثامن أصبحت المينا تحت سيطرة التأثير لمملكة أورارتو Urartu وتقع في هضبة أرمينيا وكانت غنية بالمناجم وقد حققت نجاحاً في صناعة المعادن التي وصلت إلى أعلى قممها كما يرى في الأعمال الفنية لصناعها في صناعات البرنز والذهب .

وهكذا فقد فتح عالم جديد غير معروف أبوابه لليونان عندما وصلوا إلى السواحل السورية ومثل الكريتيين والموكينييين الذين مزجوا عناصر الثقافة الفنية الشرقية مع ثقافتهم .

ومن هنا نجد أن العصر المظلم الطويل قد وصل إلى نهايته وأن حركة عظيمة من النشاط قد بدأت بين المجتمعات اليونانية . إن المرحلة الجديدة من الحضارة اليونانية لا تنعكس من خلال اللقى الأثرية فقط ولكن من حقيقة اقتباس اليونان للأبجدية .

ان كتابات المجموعة الخطية الثانية وقعت فى طى النسيان مع تدمير مراكز الحضارة الموكينية الآخية واقتصاد القصور ، إن الأبجدية الجديدة المستفأة من الشرق أسهل فى التعلم وأكثر ملاءمة لمتطلبات اللغة اليونانية وأكثر يسراً من الخط المقطعى المبهم الذى غالباً ما يعبر بشكل جزئى عن الأصوات فى اليونانية ، لقد كان يستخدم فى النصوص الاقتصادية والإدارية فى العصر الموكينى . ويرى الكتاب القدامى أن الإغريق قد اقتبسوا أبجديتهم من جيرانهم الشرقيين إذ نجد هيرودوت يقول إن اليونان قد تعلموا الكتابة من الفينيقيين الذين غزوا بؤوتيا مع كادموس مؤسس مدينة طيبة ووفقاً لهيرودوت فإن اليونان اسموا الأبجدية التى اقتبسوها بالحروف الفينيقية . وحتى فترة قريبة فإن هذا رأى كان راسخاً بيد أن الدراسة الدقيقة للأبجدية السامية وعلاقتها بالأبجدية اليونانية ترى أن أصل الأبجدية اليونانية لم يكن سهلاً ويبدو أن اليونان قد اعتمدوا بشكل رئيسى على الأبجدية الآرامية فى شمال سوريا التى كانت تستخدم الحروف المتحركة والسكنة وهذا الملمح له أهميته لتكوين الأبجدية اليونانية وأخيراً فإن العلماء يشيرون إلى صلات القربى بين الصيغ الباكرة من الأبجدية اليونانية وما يعرف بالأبجدية الكنعانية الباكرة من فلسطين والتى على ما يبدو أنها كانت مصدراً للأبجديات السامية .

أن الوثائق الباكرة اليونانية التى كتبت بهذه الأبجدية يرجع تاريخها إلى النصف الثانى من القرن الثامن ق.م ومن ثم يمكن الافتراض أن هذه الأبجدية قد وجدت فى حوالى منتصف القرن الثامن أو من المرجح وجدت فى فترة سابقة إلى حد ما . ويرى البعض أن التجار الفينيقيين الذين ارتادوا البحار والمناطق اليونانية هم الذين نقلوا الأبجدية إلى بلاد اليونان . ويرى البعض الآخر أن اليونان الذين ترددوا على

المينا على الساحل السوري بغرض التجارة قد عرفوا الأبجدية الآرامية السامية هناك ونقلوها ، ولكن نجد أن الأبجدية اليونانية قد تأثرت بالأبجدية الفينيقية فى الحروف ks (ϰ), kh, (ϫ) ph, (ϕ) واسماء الحروف اليونانية قد اقتبست من أسماء الحروف الفينيقية .

ان الأبجدية اليونانية الجديدة استخدمت على نطاق واسع لخدمة الأغراض التجارية ثم لتدوين وتسجيل الأعمال الأدبية وأول دليل لاستخدامها يأتى من النقوش المدونة على المزهريات ، وتسجيل القوائد الساخرة يعود تاريخها إلى العشرينات من القرن الثامن .

وهذه الفترة من المرجح هى الفترة التى أنشئت فيها الملاحم الهومرية . والتسى سنتحدث عنها كمصدر تاريخى فى الفصل التالى .

الأشعار الهومرية مصدر تاريخى للعصور الباكرة العصر الموكينى وعصر الهجرات وعصر الشاعر

لم يحتل شاعر آخر فى جميع العصور التاريخية مكانة فى حياة شعبه كمكانة هوميروس عند اليونان فهو الرمز الأعلى للوطنية والمصدر الموثوق به لتاريخهم القديم وللشخصية الفعالة فى خلق آلهتهم ، فضلاً عن أنه أحب الشعراء إلى قلوبهم وأعظم من يستشهد بأشعاره ، ويخبرنا أفلاطون بأن بعض الإغريق يعتقدون اعتقاداً راسخاً أن هوميروس علم بلاد اليونان ويستحق أن ينظر إليه كعلم فى مجال إدارة الشؤون الإنسانية وتهذيبها ، وأن على المرء أن ينسق حياته كلها مترسماً خطى هذا الشاعر . وعندما يقرأ المرء قول أفلاطون حول ملحمتى هوميروس فإنه يتوقع كتاباً مقدساً أو مؤلفاً فى الفلسفة ، بيد أنه يجد نفسه أمام قصيدتين طويلتين من الشعر ، أولهما الإلياذة التى خصصت لوصف أحداث العشرة أيام الأخيرة فى العام العاشر من زمن الحرب بين الآخيين والطوراديين وتصف لنا غضبة أخيل ، وثانيهما الأوديسة التى خصصت لوصف المتاعب والأهوال التى واجهها أوديسيوس فى أثناء عودته إلى وطنه اثينا .

وإذا كان هوميروس قد نال شهرة ذاعت فى الآفاق فإن خلافاً وجدلاً دب وما يزال متثاراً حول شخصيته ومولده وأصله وحياته ومماته وموطنه والعصر الذى عاش فيه ، ويختلف الباحثون أيضاً حول نظمه لكل من الإلياذة والأوديسة فهل هو ناظمهما الوحيد أم نظم جانباً منهما أم أنه نظم الإلياذة ولم ينظم الأوديسة ؟ ولن نخوض فى مناقشة هذه القضايا فهى فى باب الأدب أولى منها فى باب التاريخ .

إن ما يهم المؤرخ منها هو تحديد العصر الذي عاش فيه الشاعر والفترة الزمنية التي يقع فيها ذلك العصر الذي تصور هذه الأشعار حضارته ونظمه . يرى هيكاتيوس وتبعه نفر من الدارسين المحدثين أن هوميروس كان معاصراً لحرب طروادة . ولكن هيردوت خالفه الرأي في ذلك وأكد أن الشاعر ظهر قبله بما لا يزيد عن أربعة قرون أي في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وقد وافق على هذا الرأي ثيوكديس المؤرخ المدقق والذي اشتهر بأمانته العلمية ، وسار على نهجيهما كتاب محدثون ثم جاء ثيوبومبوس (Theopompas) وجعل هوميروس معاصراً للشاعر الغنائي والهجاء أرخيلوخوس الذي ذاعت شهرته في منتصف القرن السابع قبل الميلاد . فأى الآراء السابقة أدنى إلى الحقيقة ؟

إن الدارس الممحص لمفردات الملحميين يجد أن لغتهما ولهجتها هي اللغة اليونانية باللهجة الأيونية المتضمنة لبعض المفردات من اللهجة الأبولية ولا يمكن أن تكون هذه اللغة هي التي تكلم بها الأخيون لأن لغة الأخيين صورة عتيقة من اليونانية وهي مليئة بالكلمات العتيقة والمصطلحات والعبارات غير المألوفة وهذا ما كشفت عنه الواح المجموعة الخطية الثانية ، ولهذا فإنه من غير الممكن أن هوميروس قد عاصر أحداث حرب طروادة ، كما أن هوميروس في وصفه لأحداث الحرب يتحدث عنها على أنها ذكريات ماضى بعيد . أما عن معاصرته للشاعر الغنائي أرخيلوخوس فهذا مردود عليه إذ أن هناك فروقاً واضحة بين لغة هوميروس ولغة الشعر الغنائي التي ازدهرت في القرن السابع بما فيها من حيوية وإيقاع موسيقى ، كما أن الخصائص الأدبية تنفسي معاصرته للشاعر أرخيلوخوس وذلك أن ثمة فروقاً جوهرية بين مزاج الشعر الملحمي ومزاج الشعر الغنائي فالشعر الملحمي لا تظهر فيه ذاتية الشاعر بينما تظهر ذاتيته في

الشعر الغنائى ، كما أن دارسى تاريخ الأدب يرصدون أن شعر الملاحم قد ازدهر وزال قبل أن يصبح الشعر الغنائى فناً قائماً بذاته . والرأى الأقرب للحقيقة هو رأى هيردوت ومن شايحه والقائل بأن هوميروس قد عاش قبله بأربعة قرون أى أنه قد ظهر فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وذلك لأن لغة هوميروس هى لغة القرن التاسع والثامن قبل الميلاد وليست لغة العصر الموكينى ولا هى لغة الشعر الغنائى كما سبق أن ذكرنا . واعتمد فى وصفه لحوادث حرب طروادة على الروايات التى سمعها والآثار التى شاهدها فى ربوع اليونان . والسؤال الآن هو هل الحضارة والمجتمع ونظمه التى تصفها الملحمتان هى الحضارة الموكينية فى فترتها الأخيرة أم أنها تمثل فترة العصر المظلم ككل أم أنها تمثل فترة القرن التاسع والثامن ق.م بها .

ان مسألة تقرير ما هى الفترة التاريخية التى تشير إليها أشعار هوميروس كانت وما تزال محل جدل ونقاش مطول والتى ما تزال بعيدة عن وضع حد لها .

فقد رأى عدد كبير من الدارسين والباحثين أن القوائد الهومرية تعطى بشكل كبير أو قليل ، صورة صادقة للعالم الموكينى وأن هوميروس يُسجل جنباً إلى جنب مع الاكتشافات الأثرية الحديثة والمجموعة الخطية الثانية كمصدر رئيسى لتاريخ اليونان فى عصر البرنز ، فالأشعار الهومرية فى رأيهم تصف الحياة اليومية فى القرنين الثمانى عشر والحادى عشر ، وأنها تصور مظاهر الحضارة التى سادت بلاد اليونان وقتئذ واستشهدوا على ذلك بأن الأسلحة والمنازل والملابس والحلى التى وضعها هوميروس فى أشعاره تشبه إلى حد كبير ما عرفه اليونان فى تلك الفترة وهذا ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية فهناك دروع تشبه درع أياس وكؤوس مثل كأس نستور .

ويرى فريق آخر أن هذا التشابه لا يكفي لإثبات هذا الرأي لأن هذه التوقييات نفسها كشفت عن فروق واضحة بين ما وصفه هوميروس وبين ما عرفه اليونان في منتصف القرن الثاني عشر ، فأبطاله كانوا يعيشون لا يلبسون من ثياب العصر الأخرى كما أن يونان هذا العصر لم يكونوا قد عرفوا المعابد ، وعندما يصف هوميروس ويتحدث عن الحرب يصف لنا أحداثاً مضت قبل ظهوره بوقت طويل . ويرى نفر من هذا الفريق أن أشعار هوميروس تصف حضارة القرنين العاشر والتاسع وبصورها في إطار مملوء بصور وذكريات من العصر الموكيني والعصر الكريتي وقد عرف الشاعر هذه الذكريات والصور من الآثار التي خلفتها تلك العصور من الروايات التي توارثتها وتناقلتها الأجيال . بينما يرى نفر آخر أن الأشعار تصف العصر الذي أنشد فيه الشاعر أشعاره أي في القرن الثامن إذ أنشد الإلياذة في بداية هذا القرن والأوديسة في النصف الثاني من القرن .

والرأي الأقرب للصحة هو أن وصف الشاعر به ثلاثة عصور تاريخية هي : العصر الموكيني ، والعصر المظلم ، وعصره الذي عاش فيه هو نفسه . إن القصائد الهومرية تبحث عن إعادة تسجيل العالم المفقود في العصور السابقة للشاعر . لقد ثبت أنها تشير إلى عدد من المظاهر الموكينية التي اختفت مع سقوط القصور من أسماء الأماكن موكيناي ، تيرنيس ، بيلوس ، أثينا الخ والعادات والتقاليد ... الخ ومع ذلك فإن ما تذكره يعد قليلاً جداً إذا قورن بكل ما طواه النسيان بين العالم الموكيني وعالم هوميروس بشأن المؤسسات والعناصر الثقافية ، كما أن القصائد تحتوي على عدد من المفارقات التاريخية التي لا تتناسب مع إطار العالم الموكيني ولكنها تتناسب في الواقع مع الفترة اللاحقة . ان نجاح العلماء في قراءة المجموعة الخطية الثانية قد كشفت لنا

عن الاختلاف بين العالم الموكيني وعالم هوميروس فهناك فجوة بين العصور الموكينية مع أجهزتها الإدارية وقصور الملوك الهوميريين التي كانت أقل تعقيداً في تنظيماتها التي كانت الكتابة بها مفقودة كلية التي كانت عنصراً أساسياً في العالم الموكيني فبين عالم هوميروس والعالم الموكيني اختلافات ، كما أن البعض يحاول الربط بين الأوديسة وبين بداية حركة الاستعمار في الغرب في النصف الثاني من القرن الثامن ، وقد كان الشاعر يحاول جاهداً النظر للوراء إلى عصر مفقود حاول أن يعيد الحياة إليه ولكنه كان مدركاً لعمق التغييرات التي حدثت في العصور المتأخرة ، إذ تجنب الإشارة إليها فلم يقل شيئاً تقريباً عن الدوربين الذين استقروا في بلاد اليونان بعد سقوط الممالك والقصور الموكينية ، ولم يذكر شيئاً عن هجرة الإغريق إلى اسيا الصغرى إبان عصر الظلام ، فقد كان يسعى إلى استدعاء مجتمع مفقود ولكن لم تكن هناك علاقات أو مادة يهتدى بها إلا الروايات والآثار . كما نجد أنه يشير مرة واحدة إلى معرفة اليونان للابجدية اليونانية وفن الكتابة الذي اقتبسه اليونان من الشرق ويشير أيضاً إلى الفينيقيين الذين بلغوا ذروة مجدهم في القرنين التاسع والثامن ق.م وهذا يشير إلى حضارة ونظم القرن التاسع والثامن .

وسنحاول أن نرسم صورة لمجتمع كما تصوره الإلياذة والأوديسة فنجد هناك تفرقاً وتمييزاً بين المتحضرين الذين يأكلون الخبز ويزرعون الأرض ويرعون الماشية ويقدمون الأضاحى ويخشون الآلهة ويعطفون على الغريب ، وبين غير المتحضرين المتوحشين الذين لا يعرفون النظام أو القانون .

كما نجد أن هوميروس كان مدركاً لحقيقة أن العصر الموكيني كان أكثر ثراءً وقوة من العصر الذي يعيش فيه ، إذ حاول أن يستعيد خلق هذا العالم كما تصوره هو ولهذا بالغ كثيراً في ثروة ملوكه ، ولا يمكن أن يأخذ الباحث الوصف الأدبي للتصور الهومرية مع كنوزها الكبيرة وعبيدها كثيرى العدد . إن دقة المادة العددية تؤدي إلى الضلال ، ولذا على الدارس أن يبحث من خلال الحفائر الخاصة بالقرنين العاشر والتاسع التي كشفت عن صورة العالم اليوناني ولا تكون مؤثرة على نحو كبير ، فالكثير من المواقع قد هجرت ودمرت والصلوات بالعالم الخارجي كانت قد تقطعت ولم يسترد العالم اليوناني عافيته إلا بعد انتهاء فترة الاضطرابات التي أعقبت العصر الموكيني .

وصورة المجتمع عند هوميروس كما تصورها الإلياذة والأوديسة تشير إلى مجتمعين : مجتمع الإلياذة ومجتمع الأوديسة ، فهناك اختلافات في الزمن فالإلياذة تعكس صورة مجتمع أكثر قديماً وأقل انفتاحاً عن مجتمع الأوديسة ، كما توجد اختلافات في الموضوع فالإلياذة تقدم مجتمعاً في حالة حرب والتي لعبت الأرستقراطية دوراً قيادياً فيه وكان لها السيادة والسمو العسكري ، بينما تقدم صورة للطبقة الدنيا في الظل حيث إنها لا تمثل شيئاً في الحرب ولا في المجلس وعلى العكس من ذلك فإن الأوديسة تعطي صورة أكثر تفصيلاً للمجتمع واقتصادياته خاصة وأنها تخصص مساحة كبيرة لأفراد الطبقة الدنيا التي يكون دورها محدوداً في الإلياذة ونجد أن الشاعر هنا يظهر اهتماماً كبيراً بمصيرهم وسنحاول أن نذكر أهم سمات المجتمع الهومري وتنظيماته وحضارته .

النظم والحياة السياسية والاجتماعية

إن الدولة والنظام السياسي تظهر عند هوميروس بشكل غامض ، فمفهوم كل من

المدينة Polis والجماعة السياسية ليس هو المفهوم نفسه للمدينة فى العصر الكلاسيكى تكون مستقلة ولها سيادتها وأجهزتها السياسية ، أن المصطلحات مثل tac , demos تختلف فى فحواها ومعناها عن دلالتها فيما بعد فى العصر الكلاسيكى .

تكشف لنا الأشعار الهومرية عن أن بلاد اليونان كانت مقسمة إلى ممالك عديدة بعضها كانت كبيرة المساحة وبعضها كانت صغيرة المساحة . ومن الممالك الكبيرة مملكة موكيناى ، بقيادة ملكها أجاممنون قائد الحملة الطروادية ، وعلى ما يبدو كانت مملكة اقليمية تشتمل على مدن كثيرة . وهذا ما يؤكد عرض الملك أجاممنون لترضية أخيل وتسوية الخلاف بينهما ، بأن يزوج إحدى بناته ويمنحه سبع مدن ممتلكاته وأشياء أخرى . ومن الممالك الصغيرة مملكة بيلوس ومملكة إيثاكا وما أسبرطة ، عرف العالم الهومري الأحلاف فقد كان يجمع بين هذه الممالك - ما يبدو - رابطة من نوع ما أو حلف تحت رياسة موكيناى ، فقد استجاب ملوك هذه الممالك لنداء أجاممنون حين أهاب بهم أن يسيروا تحت لوائه فى الحرب ضد طروا . وإن كان هذا الحلف لا يتعدى حدود الولاء العام لملك موكيناى فى الحرب دون أن يعلى ذلك . بل أن هذا الولاء يتم نقضه من قبل بعض الملوك وخير أنموذج على ذلك هو النزاع بين أخيل وأجاممنون والذى هدد فيه أخيل بالعودة إلى وطنه إذا ما كانت هى رغبته وإرادته بينما نجد دور بقية الملوك - حاضري المشادة - يقتصر على محاولة بذل المساعى لإصلاح ما بينهما ، محاولين إرضاء كل من المالكين لتوحيد الصف فى مواجهة الطرواديين وحلفائهم عدوهم المشترك . وأمام هذا التحالف الأخ الموكينى نجد التحالف الطروادى والممالك على الساحل الأسيوى والذين تحالفوا طروادة لرد عدوان وهجوم الأخيين ليس على طروادة فحسب بل على المدن الأسيوية

وهكذا فإننا نجد أن الحرب هي التي توحد الصفوف . وعندما انتهت عاد الملوك إلى ممالكهم . ونسمع عن زيارات قام بها الأمراء والملوك للمالك المجاورة لهم . وهذا يشير إلى أن بلاد اليونان كانت مقسمة إلى ممالك ذات سيادة ومكتفية ذاتياً إلى حد ما .

كانت المملكة عبارة عن تجمع سياسى واقتصادى للأسر النبيلة الكبيرة . ويأتى الملك على رأس تنظيماتها . فقد كان أقوى الأبطال أو الأقوى بين أقرانه من الأبطال ، وكانت أسرته تمثل أقوى أسر المملكة وأغناها . كانت سلطة الملك شبيهة بسلطة رب العائلة الممتدة ، ففى الواقع فإن كل من الملك ورب العائلة النبيلة قد حمل لقب Basileus وهذا اللقب يعنى الملك كرئيس للمدينة أو المملكة ككل ، وفى نفس الوقت فهو رب لأسرته يخدمها هي وأتباعها . وكان هذا اللقب يعنى لرب الأسرة النبيلة أنه سيدها وراعيا وحاكمها ومصرف شئونها . كان الملك يحكم حكماً مطلقاً ، ويتمتع بسلطات عسكرية ودينية وقضائية واسعة . أما عن سلطته العسكرية والمدنية فكان من حقه قيادة الجيش فى القتال ، وكان ينزل عن سلطة القيادة لأحد أبنائه مثلما فعل بربام مع ابنه هكتور ، وكان له سلطة اتخاذ القرار فى الحرب وفى تصريف شئونه دون استشارة أحد من النبلاء من أقرانه والذين كان دورهم ، فى الغالب ، هو اسداء النصيح إليه ، كما كان له الحق أحياناً فى تجاهل اراء الجمعية الشعبية فى المعسكر إذا ما تعلق الأمر به ، وخير النموذج على ذلك ، هو موقف أجامنون من رد الأسيرة ابنة كاهن الإله أبوللو والتي كانت من نصيب أجامنون . فعندما أتى أبوها إلى معسكر الأخيين ليفتدى ابنته ، وتقدم برباء وافق عليه الأخيون الآخرون جميعاً احتراماً وتكريماً له ككاهن ، وقبول الفدية الباهرة ، لكن ذلك لم يدخل السرور على قلب أجامنون وردة بجفوة . أما عن سلطة الملك الدينية : فقد بُجل الملوك كما تبجل الآلهة على الرغم من أن بعض الملوك

قد زعموا أنهم ينحدرون مباشرة من نسل الآلهة أو أن أجدادهم كانوا آلهة ، فإنهم لم يكونوا موضع عبادة كبشر ، لقد عضدت الآلهة حكمهم وشدت من أزرهم ضد من يعارضهم وفي حروبهم . فقد كان الحق المقدس هو العماد الأساسى للنظام الملكى وعلو قول أنتينوس ، أحد الخطاب ، لتليماخوس أن الآلهة تشد من أزره وأنه يتوجه إلى الآلهة مرة أخرى فى توسله ألا يكون ملكاً ، ونلمس المساندة الإلهية دائماً للملوك والأمراء كما هو الحال بالنسبة لكل من أوديسيوس وتليماخوس فقد شملتتهما الربة أثينا بتأييدها ومساندتها فى حلهم وترحالهم ، كما نجدهما قد حظيا بعطف الإله زيوس رب الأرباب . فعلى سبيل المثال قد خاطبت أثينا أوديسيوس بقولها "من المؤكد أنى سأقف إلى جانبك وأنى لن أنساك حتى يأتى الوقت الذى تُقضى فيه مهمتنا هذه ، أما أولئك الذين يطاردون زوجك ويبعثرون ثروتك فإنى أراهم الآن وقد صبغت دماؤهم ورءوسهم المهشمة أرض قصرك" .

كان الملك بمثابة الكاهن الأكبر ، فكان عليه أن يقوم بتقديم الأضاحى الدينية فى المناسبات والأعياد الدينية المختلفة وذلك لتكريم الآلهة الكبرى بغرض رفع الضر عن شعب مملكته وإزالة العقبات التى تعترضهم . وكانت الأضاحى فى الغالب من الحيوانات وإن كانت هناك أضاحى بشرية فى بعض الأحيان . والجدير بالذكر أن رب كل أسرة كان هو الآخر يقوم بتقديم القرابين فى الأعياد والمناسبات لتكريم الآلهة كما فعل نستور فى بيته بتقديمه الأضاحى فى مناسبة دينية .

وأما عن سلطة الملك القضائية : فقد كان الملك هو القاضى الأعلى فى مملكته ولكنه كان يقاسمه فى تنفيذ العدالة أرباب الأسر النبيلة داخل أسرهم دون عودة فى ذلك

إلى الملك . وتوجد بعض الاشارات فى الأشعار - خاصة فى الأوديسة - تشير إلى العدالة والظلم الملكى . ففى إحدى الفقرات نجد ما يأتى : أيتها السيدة بينلوبى لن يستطيع أحد من البشر فى الأرض التى لا حدود لها أن يلومك . فقد وصلت شهرتك أجواء الفضاء ، كشهرة أفضل الملوك ، ذلك الذى يخشى الآلهة ويحكم بين الناس العديدين والأقوياء ، يدعم العدل ، والأرض السوداء تحمل القمح والشعير ، والأشجار متقلبة بالفاكهة ، وتنتج القطعان دون فشل ، ويزخر البحر بالأسماك ، بفضل القيادة الرشيدة ويصلح حال الشعب تحت زعامته .

وإذا كانت بعض الأبيات تكشف لنا عن قوة ، و سطوة الملوك ، فإن لدينا أبيات أخرى تشير إلى أن سلطة بعض الملوك قد بدأت فى الضعف والتدهور نتيجة ازدياد قوة الأسر النبيلة . إذ نجد أن أرباب الأسر يناقشون الملك فى أفعاله وتصرفاته ويشاركونه فى اتخاذ القرارات فى بعض القضايا ليس هذا فحسب بل أيضاً نجدهم قد تجرأوا على النظام الملكى ونظام وراثته الحكم الذى يعتبر اساس النظام الملكى . فيكتشف لنا هوميروس عن مشهد نجد فيه "أرباب الأسر النبيلة قد شاركوا الملك فى سلطة اصدار الأحكام والفصل فى القضايا " فقد تجمهر الناس فى مكان الاجتماع إذ قامت مشادة بين رجلين من أجل دية قتيل وقد أخذ أحد الرجلين يعلن أمام الجميع أن دفع كل شىء ، بينما أنكر الآخر أنه لم يتسلم شيئاً على الاطلاق ، وكل منهما يرغب أن يفصل الحكم لصالحه ، وقد أحاط بكل من الخصمين أنصاره ، وهم يلغطون ويثرثرون ، ولقد حاول المنادون فرض السكون والنظام ، وقد حبس النبلاء فى هيئة نصف دائرة على مقاعد من الحجارة المصقولة يحملون فى أيديهم الصولجانات وكل منهم يقف فى دوره ليدلى بحكمه فى القضية . ونستخلص من هذا المشهد أنه لم يعد من حق الملك وحده الفصل

فى القضايا وإنما يشاركه فى ذلك أرباب الأسر النبيلة وأن دورهم لم يعد دوراً استشارياً وإنما أصبح لهم دور رئيسى فى الفصل فى الأمور ، بل نجد البعض منهم قد تطلع إلى تولى الحكم وذلك للخبيبة الطويلة للملوك ، وقد نجح البعض منهم فى ذلك كما هو الحال بالنسبة لأجامنون فقد كان المت ينتظره فى قصره، بينما فشل البعض الآخر فى محاولته وهذا ما حدث مع أرباب الأسر النبيلة فى إيثاكا فقد تطلع البعض منهم لتولى عرش المملكة بعد غيبة أوديسيوس الطويلة وعدم معرفة مصيره وتركه لولده وهو فى المهد صبياً . فقد حاول بعض النبلاء انكار حق تليماخوس فى تولى عرش المملكة بعد أبيه ولعل قول أنتينوس ، أحد خطاب بينلوبي ، لتليماخوس "يبدو أن الآلهة قد بدأت تشد من أزرع ، إنك بحكم بنوتك لأبيك وريث لعرش هذه المملكة ، وإن كنت أبتهل إلى الآلهة ألا تصبح ملكاً فى يوم من الأيام" .

ورد عليه تليماخوس بقوله قد يسوءك أن تعرف أنى سأكون مسروراً بقبول منصب الملك من يدى زيوس وقد تقول أنت إن أسوأ ما يمكن أن يصيب المرء هو أن يصبح ملكاً ، أما أنا فعلى العكس من هذا أرى أن منصب الملك ليس شراً فهو يزيد من سطوة من تقلده ويوفر الثروة فى بيته ، ولكن مع ذلك ، فإن بين الأخيين عدد وافر من النبلاء سواء منهم الملوك أو الشباب وأن واحداً منهم لابد وأن يصبح ملكاً على إيثاكا . . بعد أن مات أوديسيوس الطيب " ورد عليه يوريماخوس - أحد الخطاب - أى تليماخوس ، أن الآلهة هى التى ستقرر من من الأخيين سيصبح ملكاً على إيثاكا " نستخلص من الفقرة السابقة ان السلطة الملكية كان يتولاها الخلف ، عن السلف بتعزيد من الآلهة ولكن هذا الحق بدء يتطلع إليه أبناء الأسر النبيلة الأخرى فى المملكة نتيجة لخبيبة الملك الطويلة ولضعف الوريث الشرعى وعدم أهليته القانونية نظراً لأنه لم يبلغ

سن الرشد وأمام كثرة المتطلعين للعرش نجد أن أوديسيوس عندما عاد إلى أرضه ومملكته قد تخفى في زى شحاذ حتى يتدبر أمره ويتخلص من هؤلاء النبلاء ويسترد عرشه وملكه ، فقوة الملك إذن هي التي تمكنه من أن يملك زمام الأمور بالقوة . ويؤكد هذا العراف لوكريتوس بقوله "لو قدر لأوديسيوس نفسه أن يعود وتاق قلبه أن يطرد الخطاب النبلاء من قصره الذين يأكلون على موائده ، فلن تجد مع ذلك زوجته أى متعة في عودته على الرغم من أنها تتحرق شوقاً إليه ، وعلى العكس فسيلقى مصيراً مؤلماً لو حارب ضد أعداء أكثر عدداً" وهكذا لقد كان على أوديسيوس أن يحارب ضد قوى أكثر عدداً بكل قوته ومكره كي يستعيد عرشه ولعل كلماته في ابتهاله للربة أثينا خير شاهد على دقة وضعه . "إذ يقول : كان من المحتوم بكل تأكيد أن أهلك في قصرى ، وأن ألقى مصيراً بشعاً كمصير أجامنون لو لم تتبئني أيتها الربة بكل شيء بالحق".

كان بعض الملوك ينزلون عن سلطاتهم لأبنائهم نتيجة لعجزهم الجسدى وعدم قدرتهم على القيام بالمهام المنوطة بهم ومن الأمثلة على ذلك فى أن الابن يشغل العرش فى حياة أبيه أوديسيوس الذى خلف أباه لأراتيس على عرش ايثاكا وأيضاً حديث أخيل لأوديسيوس فى العالم السفلى إذ نجده يقول لأوديسيوس "أخبرنى عن بيلبوس الممتلئ إن كنت قد سمعت عنه شيئاً أم لا ، ألا يزال يحتل مركزه الشرعى أم هل نحى عنه جانباً لهرمه واختلاج أعضائه ، ولأنى لم أعد عوبناً تحت أشعة الشمس أحمى سلطاننا بقوتى " ولكن القاعدة هى أن يخلف الابناء أباءهم فى الملك بعد موتهم ، وكان الملك يؤول إلى أكبر الابناء الشرعيين سناً وذريته من بعده وإذا لم يوجد أبناء شرعيون فإن الحكم كان يتولاها ابن غير شرعى ، ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك منها "دعاء هيكتور لولده أن يحكم بالقوة فى طروادة ، ونقاش انتينوس مع تليماخوس ولد أوديسيوس الذى سبق ذكره

ويؤكد على حق تليماخوس في أن يرث عرش والده ، كما تكشف لنا مقولة أخيل لاينياس " لماذا ؟ هل أملى عليك قلبك أن تشتبك معى فى معركة ، أملاً فى أن تتزع سيادة بريام على الطرواديين مروضى الخيول ، كلا ، حتى لو قتلتنى فلن يضع بريلم ، بسبب ذلك ، زمام السلطة فى يدك ، فلدنيه أبناؤه وهو رجل حازم ولم يعثرا لوهم عقله. وأيضاً محاولة منيلاوس أن يكون له ولد غير شرعى يخلفه فى الملك . وتكشف لنا الأشعار أيضاً عن أن العرش كان يؤول إلى زوج ابنة الملك الذى لا ولد له ولعل تولى منيلاوس عرش اسبرطة بعد زواجه من هيلينا خير شاهد على ذلك ، وأيضاً من يتزوج زوجة الملك الميت ، فقد جعلت غيبة أوديسيوس الطويلة النبلاء فى مملكته يرنون ببصرهم إلى الزواج من زوجته بنيلوبى فمن يفوز بيدها منهم قد يصبح ملكاً ، فىي تفرع تليماخوس لانتينوس السابق الذكر خير دليل على ذلك إذ نجده يقول "هنا فى ايثاكا التى تحيطها المياه من كل جانب ، ملوك اخرون عديدون بين الأخيين شباب وشيوخ ومن الممكن أن يعتلى أحدهم العرش، مادام أوديسيوس قد مات . وأيضاً يؤكد هذا رد يوريماخوس على تليماخوس إذ يقول "إن ذلك فى علم الآلهة من سيكون ملكاً من الأخيين على ايثاكا ، ولكن يمكنك أن تحتفظ بأملكك وأن تصبح سيداً فى بيتك ، دع بنيلوبى تختار خليفة أوديسيوس كملك وزوج وسوف يسود السلام كل ايثاكة ، وسيحصل الخاطب الموفق على العرش، ويمكن له "تليماخوس" أن يتمتع بكل ميراثه فى سرور وأن يأكل ويشرب فى حين ترعى هى منزل رجل اخر" . ولعل طمع هؤلاء الخطاب فى عرش ايثاكا مرجعه طول غيبة أوديسيوس والفراغ السياسى الذى تركه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إن ولده كان ضعيفاً فقد تركه وهو فى المهد صبيياً . ولكن عندما أشتد عوده وقوى نجد أن الخطاب بدأوا يخشونه بل نجدهم قد تأمروا على قتله .

ولكن الأحداث تكشف أن أسرة أوديسيوس هي أقوى الأسر وأن ملكها سيدوم . وقد سبق أن ذكرنا نبوءة العراف ثيوكليمينتوس .

تطالعنا الأشعار الهومرية أيضاً بأن ممالك ودويلات بلاد اليونان قد عرفت نوعين من المجالس أو الجمعيات أولهما مجلس أو جمعية شيوخ ونبلاء الأسر وثانيهما الجمعية العمومية الشعبية التي تضم جميع المواطنين من النبلاء والعامّة . أما عن جمعية شيوخ الأسر النبيلة فقد كانت تجتمع بناءً على دعوة الملك لأخذ مشورة أعضائها والاستماع لآرائهم وللحصول على موافقتهم على ما يتخذه من قرارات وأحياناً لإبلاغهم ما اتخذه هو من قرارات ، فقد كان دور القادة والنبلاء ينحصر في اسداء النصيح للملك وتقديم الاقتراحات له ، فقد قال الملك نستور لأجامنون في أثناء اجتماع الشيوخ ما يأتي "خليق بك أكثر من أى إنسان آخر أن تتكلم وأن تستمع" على أى الأحوال كان رأى جمعية الشيوخ غير ملزم للملك فقد يأخذ أو لا يأخذ به ولدينا مثال لدعوة موجهة من الملك للقادة والنبلاء لإبلاغهم بقرار اتخذه ، فقد جمع الملك الكينوس القادة والرؤساء فى مملكته وعددهم اثنى عشر رجلاً يطلق على كل واحد منهم لقب Basileus وأخبرهم بقراره بإرسال حرس مع أوديسيوس فى رحلته إلى إيثاكا ، ثم اقتاد أوديسيوس إلى الوليمة المعدة على شرفه دون أن يقف لحظة واحدة للاستماع إلى تعليقاتهم أو معرفة رد فعلهم . ولا يوجد دليل بأن لهم سلطة تشريعية .

وكان هؤلاء القادة والشيوخ يصحبون الملك إلى مكان عقد الجمعية الشعبية التى يدعوها الملك للانعقاد حيث تتلى القرارات . وكانت الجمعية الشعبية تجمع المواطنين جميعاً وتُعقد فى السوق Agora وكان يدعوها الملك أو ابن الملك متى شاء ودون إعلان

سابق ولم تكن هناك تواريخ محددة لمناقشة الشئون والقضايا العامة ؛ وخير أنموذج على ذلك دعوة تليماخوس لعقد الجمعية العمومية لمناقشة عدم عودة أوديسيوس وجيشه وفى نفس الوقت مناقشة ما يحق به وبيته من شر مستطير من قبل الخطاب .

وتكشف لنا الأشعار أيضاً عن أنه كان يمكن لأحد الملوك فى معسكر الحملة على طروادة أن يدعو الجمعية أو الجيش للاجتماع لمناقشة أمر وشأن من شئون الجيش مثلما فعل أخيل عندما حلت نعمة الإله أبوللو بالأخيين ورغبته فى معرفة السبب و لرفع الضرر عنهم .

تكشف لنا الأشعار عن أن الاجتماع ينعقد عند الفجر إذ نجد هوميروس يقول "عندما ظهر الفجر ذو الأصابع الوردية ، ابن الصباح ، نهض تليماخوس من فراشه وارتدى ملابسه وفى التو أمر الرسل ذوو النبرات القوية الواضحة بدعوة الأخيين للاجتماع ، وقد قاموا بالنداء وسرعان ما تجمع الآخرون حقاً ، وعندما يكتمل الاجتماع كان يفتحه أكبر الأعضاء سناً وبعد ذلك يحدد سير النقاش نظام التتابع أكثر من تحديده نظام أقدمية محددة ، حتى إذا لم يبق متحدث انفض الاجتماع ، ومن يريد التحدث كان ينهض من مكانه ويمسك بصولجان يقدمه إليه الرسول ، وهو عصا سحرية بالمعنى الحرفى الدقيق تمنح للمتكلم حصانة و قدسية . وكان المتحدثون فى الاجتماع من شيوخ الأسر والنبلاء ، كما كان تقديم الاقتراحات من حق الصفوة لا العامة . فقد كان على العامة عدم ابداء الآراء فى حضرة القادة والنبلاء الأشراف ، فعندما تجرأ رجل من العامة يدعى ثرستيس على أن يقف خطيباً فى الجمعية العمومية ويوجه اللوم والتقريع إلى أجاممنون الذى كان السبب فيما دب بين الصفوف من خلاف . وكان الملوك

والنبلاء لا يشجعون هذا الموقف على الرغم من معرفتهم مقدار الخطأ الذى يحيط بتصرفات أجاممنون . ولذا نجد الملك أوديسيوس ينهض ويوجه حديثه إليه قائلاً "إن حديثك قد يكون فيه فصاحة ولكن وقتنا ليس به متسع لفصاحتك أيها المعتوه ، يا أحقر من تبع آل أتريوس ، كيف تجرؤ على أن تتلفظ بأسماء الملوك أو توجه التقرير ... فلتنصت إذن لقولى . وأنها ليست تهديداً أجوف : أنى إذا أمسكت بك مرة أخرى وأنت متلبس بمثل هذا التهريج الذى قمت به اليوم ... فلن يكون تليماخوس من صبى إن لم أنزع ملابسك حتى تبدو عارياً ثم ألهب ظهرك وأذف بك إلى حيث تولى بجانب السفن . ثم ضربه بعصاه على ظهره وكتفه ، فانفجر باكياً والتهب ظهره من أثر الضرب وحبس وقد بدا عليه الذعر وغلبه الألم ، بينما طفرت الدموع من عينيه وجعل ينظر حوله فى حالة تدعو للراء " وهذه الفقرات من الايلاذة تشير إلى عدم قبول النقد من قبل طبقة العامة والحديث بغير استئذان وعدم اتباع القواعد ، ولكن فى الأوديسة نجد أن القادة النبلاء كانوا يتوقون إلى سماع حديث العامة وابداء آرائهم فيما يعن من مشاكل ولضمان تأييدهم . إذ نجد أن منتور قد شكأ قرب نهاية الاجتماع الذى دعا إليه تليماخوس من صمت العامة إذ نجده يقول "والآن فإنى غاضب حقاً على بقية الشعب لأنكم جميعاً تجلسون يخيم السكون ولم تعنفوا الخطاب وتضعوا حداً لتصرفاتهم ، على الرغم من أنهم قلة وأنتم الكثرة ، ولكن لوكريتوس العراف رد عليه بسخرية بقوله "لا فالكثرة ليس لها مصلحة وهم على الحياد ، وعلى هذا فنحن وأقربنا واتباعنا نفوقكم أنتم وكل قوة تستطيعون جمعها ، وأوديسيوس نفسه سوف يلقي مصيراً مؤلماً إذا حارب ضد أعداء يفوقونه . ولكن نستشف من عبارات انتينوس التى قالها بعد محاولة قتل تليماخوس الفاشلة والتى حض فيها الخطاب على استدراج تليماخوس لقتله فى الحقول

خشية أن يدعو الجمعية العمومية للانعقاد لأخبارها بتأمر الخطاب ، فإن اعضاءها لن يوافقوا إن سمعوا بكل هذه الأعمال الشريرة فاحذروا إذن حتى لا يضيرون ويطردوننا من أرضنا فنذهب إلى بلاد الآخرين ، ونجد في قول نستور لتليماخوس تعبيراً واضحاً عن أن الشعب كان يمثل السند والعضد للحاكم وأنه قد بدأ يأخذ دوراً في شئون الممالك إذ نجده يقول "خبرنى هل ترضخ طائعاً مختاراً ، أو أن الشعب يكرهك فى كل أنحاء الأرض ، ملبياً نداء الدار ونجد فى موضع آخر أن الشعب قد تحرك بالفعل وثار على بعض القادة ، فولد انتينوس كاد أن يفتك به الشعب لولا انقاذ أوديسيوس له وذلك لذهابه مع القراصنة التافنيين للاغارة على التسبروكيانين الذين كانت تربطهم بهم مودة .

وإذا كان اجتماع الجمعية العمومية لا يكون للتصويت أو اصدار القرارات ، فقد كانت وظائفه ذات شقين : عرض الآراء المعارضة والمؤيدة من قبل الأشراف . وتوضيح الشعور السائد لدى الجميع للملك أو القائد الأعلى والذى وجدناه فى الاوديسة يعمل له القادة حساباً .

وهذا يعد تطوراً وهو رغبة القادة فى تأييد الشعب لما يعرضون عليهم من قضايا، وكان العامة يعبرون عن تأييدهم للفكرة أو الموضوع المعروض بالتصفيق والذى كثيراً ما كان يتم بشكل غير منتظم ، بينما كانت صيحات الاستهجان هى المعيار لرفض واستهجان الموضوع المعروض من قبل العامة .

ويرى البعض أن التنظيمات الاجتماعية ذات الصفة شبه السياسية كانت أساسية فى حياة المجتمع الهومرى مثل القبائل Phylai والبطون (الأخوة) Phratries والعشائر gene والعائلات وممتلكاتهم Oikoi . ويرى بعض الباحثين أن اليونان الذين هاجروا فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م كانوا ينظمون فى جماعات تجمعها أوامر الدم والقرابة أو

القرابة الصورية وهذه الجماعات كانت تنقسم إلى قبائل وعشائر gene ، ويرون أنه على الرغم من عدم ذكر القبائل والعشائر في وثائق المجموعة الخطية الثانية ذات الطبيعة الادارية والاقتصادية فان القبائل كانت موجودة . بينما يرى البعض الآخر أن القبائل والعشائر كان أول ظهور لها في العصر المظلم. وأول ذكر للقبائل الدورية نجده عند تيرتايوس (Tyrtaeos (Fig. 1 في العصور التاريخية في أسبرطة وقد وجدت هذه القبائل في المدن الدورية الأخرى بالإضافة إلى قبائل محلية ، كما أن النقوش تكشف عن وجود القبائل الاتيكية الأربع في أثينا وفي منطقة أيونيا في ساموس وميليتوس وأفسوس وتيوس هذا بالإضافة إلى قبائل محلية وقد خدمت هذه القبائل كوحدات إدارية وعسكرية في المجتمعات المتطورة . ومن المرجح أن هذه القبائل كانت موجودة في فترة الغزوات الدورية والعصر المظلم في منطقة أتিকা وأثينا التي نظمت هجرة أعداد كبيرة إلى منطقة أيونيا وفي ضوء ما سبق يمكننا القول أن النظام القبلي كان معروفاً في عصر هوميروس .

وتنظيم اجتماعي اخر ورد ذكره عند هوميروس هو تنظيم (Phratry) ويرى العلماء أن تحديد ماهية Phratry يمثل معضلة ومن أعقد المشاكل بالنسبة للتنظيمات الاجتماعية اليونانية . ويرى البعض أنها وجدت في التنظيم الاجتماعي منذ عصور مبكرة واستمرت حتى القرن الثاني الميلادي ، إذ تكشف لنا النقوش أنها ازدهرت في المجتمعات الأيولية والدورية . كما أن القرائن اللغوية تشير إلى أن اليونان الأول قد عرفوا نظام phratries عندما دخلوا بلاد اليونان حوالي ٢٠٠٠ ق.م وكلمة phrater مع تصحيف بسيط تعنى الأخ في المعنى الأدبي في كثير من اللغات الأوربية الحديثة ، ولكن في الواقع ابتداء من عصر هوميروس فإن اليونان استخدموا الفاظاً أخرى للتعبير

عن معنى الأخ مثل adelphas و kasignotes ويبدو أنهم استخدموا phrater بمعنى الأخ ولكن وسعوا معناها وأصبحت تعنى الأخوة أو مجموعة من الناس تجمعهم رابطة الدم . وقد وجدت كلمة phratry جنبا إلى جنب مع القبيلة فى الإلياذة إذ نجد نستور العجوز ينصح أجامنون أن يقسم رجاله إلى قبائل و phratry . ولعل هو ميروس يشير إلى فترة القرن التاسع عندما بدأ الأرستقراط يجمعون حولهم مجموعات من نوى القربى ويجمعها أواصر الدم وهى phratry التى قد تكون تحت إشرافهم ويشير إلى ذلك مجموعة من قرائن العصر المظلم إذ تظهر الطبقة العليا متحكمة فى كل مناحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وملاحظة نستور تكشف لنا أن الشخص الذى لا ينتمى فى عصره إلى مجموعة يكون فى وضع خطر .

أما عن genos فقد كان المؤرخون فى الماضى يعتقدون أن genos اليونانية هى الأسرة بأوسع معنى للكلمة ، وراوا أن genos هى مجموعة من الأفراد تجمعهم أواصر القربى ورابطة الدم عند اليونان الذين هاجروا فى حوالى ٢٠٠٠ ق.م . ويرى نفر آخر أن genos لم تظهر فى عصور ما قبل التاريخ والفترة البكرة من العصر المظلم ، وقد وردت اللفظة عند هو ميروس كثيراً ، ولكن فى رأى البعض أنها على ما يبدو لم تكن العشيرة أو الأسرة الممتدة ، ويرى نفر آخر أن العشيرة وجدت عند هو ميروس ويدللون على ذلك بعائلة برياموس ملك طروادة إذ كان عنده خمسون ولداً واثنتا عشرة بنتاً وأزواجهم وأبناؤهم ويعيشون جميعاً سوياً فى قصر . فالعشيرة تتكون بشكل رئيسى من مجموع الأسرة والتى يدعى أعضاؤها أنهم ينحدرون من جد مشترك وكلهم يحمل نفس الاسم وهو اسم الجد وعلى الجميع أن يكرسوا لعبادة الجد المشترك .

ويرى علماء آخرون أن العشيرة قد وجدت نتيجة اتحاد عدد من الأسر الغريبة بعضها عن بعض لأسباب اقتصادية وسياسية وأدى هذا الاتحاد إلى قيام العشيرة .

ونواة المجتمع الهومري هي الأسرة والتي أطلق عليها مصطلح oikos والذي يعنى الأسرة وممتلكاتها الثابتة والمنقولة من كل نوع . وهذا المجتمع كان يتكون من عدد من الأسر وعلى رأس كل oikos بطل وكان هذا البطل مسؤولاً عن تصريف شئون الـ oikos جميعها ، سواء بالنسبة للأفراد أو الممتلكات ، وكان الأفراد يتكونون من الزوجة والابناء والأحفاد والعبيد والاتباع . وكان العبيد من الذكور والنساء ، وكان يتم شراؤهم ، ومنهم يومايوس Eumaios والذي أخذ رهينة وبيع لأسرة اوديسيوس ، كما أن مصطلح Therapon الوارد فى الإلياذة والأوديسة له معانى كثيرة ومنها التابع والصديق ، ومن أمثال هؤلاء فونكس Phoenix وباتروكلوس كانا صديقين لأخيل ، كما نجد أن أغلب هؤلاء الأتباع غير معروف الأصل فيما عدا قلة منهم كانوا من الفارين من عائلاتهم وأغلبهم كانوا ضحية سوء الحظ وحصلوا على الأمن والأمان والمكانة عندما الحقوا أنفسهم كأتباع لبعض العائلات الثرية (oikoi) وفى أغلب الأحوال كانت العائلة تقبلهم فى oikos بغرض الوجاهة وزيادة قوتها العسكرية فكلما زاد عدد الأتباع زادت قوتهم العسكرية .

وهكذا نجد أن معنى oikos يغطى أكثر من مظهر فله مظهر انساني ومظهر اقتصادى وكان من الناحية الاقتصادية من الأفضل أن يكون الـ oikos مكتفياً ذاتياً وإنتاج كل ما يحتاج إليه ، والإنتاج كان يوضع بين يدي رب oikos والذي كان عليه أن يوزعه حسب رغبته وهواه . ولهذا فإن الـ oikos يكون وحدة إنتاجية واستهلاكية وأن

أغلب احتياجاته كان يتم تلبيتها من موارده ، دون الحاجة إلى إقامة علاقات خارجية وبعيدة عن المقايضة التجارية وسنعود للحديث عن ذلك عند الحديث عن اقتصاديات الأسرة . وهكذا فقد كان لأرباب الأسر سلطة مطلقة فى تصريح شئون oikos الاقتصادية . أما المظهر الإنسانى فكان لكل من رب oikos ورب العشيرة سلطات واسعة من الناحية الدينية والقضائية أيضاً .

فرب الأسرة أو رب العشيرة هو كاهنها الذى عليه أن يقيم الاحتفالات ويقدم أو يشرف على تقديم الأضاحى ، أيضاً هو التفاضى بين أفراد بيته وعشيرته فيما ينشعب بينهم من نزاع وخلاف ويحكم فى قضايا القتل وأيضاً فى الجرائم الأخلاقية خاصة العلاقات غير الشرعية الآثمة . وكان يحكم بالإعدام على مقترف الإثم فسوء سلوك الابنة والأنتباع والخدم كانت عقوبته الموت أو الطرد ، فقد شنق أودبسيوس الإماء اللواتى أقمن علاقات جنسية مع الخطاب و عصوا سلطة بينلوبي زوجته ومديرة البيت ، كما أن راعى الماعز ميلانثوس الذى ثار ضد سادته كانت عقوبته التشويه وفى حالة ارتكاب الزوجة لجريمة الزنا كان يحكم عليها بالموت أحياناً وبالطرد أحياناً أخرى ، وجريمة قتل الزوج من قبل الزوجة هى القتل . إن عقوبة الطرد كانت موتاً نظرياً وكان الطرد مصحوباً أحياناً باللكمات والرجم بالحجارة وكان يخرج من موطنه . وكانت هناك عقوبة معتدلة وكانت تأخذ شكل atimia أى الحرمان من الحقوق المدنية وكان يعزل فى مكان ما بالضيقة ويعيش على الصدقات . كما أن المنتحر الذى أجرم بإراقه دماء العشيرة كان يعامل مثل الأحياء فكان لا يدفن جسده وكان يشوه بقسوة أحياناً .

وإذا كانت سلطة الأب (رب الـ *oikos*) مطلقة في تصريف شؤونه ، فإن الأشعار تكشف لنا عن قلق واهتمام بعض أرباب الأسر حول نساءهم ، وأبنائهم الذين كانوا مصدراً للسعادة وضمناً لاستمرار العائلة وأتباعهم وأخيراً ممتلكاتهم .

ففي الأوديسة نجد أوديسيوس يشكر الملك الكينوس على حُسن وكرم ضيافته وعلى الترتيبات التي أعدها له من أجل عودته إلى وطنه إيثاكا بتلك الكلمات "فحينما أعود أتمنى أن أجد زوجي الطيبة بالمنزل ومن أعزهم في صحة جيدة ، وأتمنى أن تكونوا أنتم الفاكيين مصدراً لسعادة أسركم وزوجاتكم الطيبات وأطفالكم ، أتمنى من الإلهة أن يمدوكم بكل البركات وألا يمسس أهليكم الضرر" . وفي الإلياذة نجد أن المتعاهدين من الطرواديين والآخيين قد استنزوا اللعنات على من يخرق شروط الاتفاق بأن تشق عقولهم وعقول أبنائهم أيضاً ، وأن تسترق زوجاتهم لآخرين . ولما كان الأبناء زينة الحياة الدنيا ، فإننا نجد أن والد فونيكس قد لعنه عندما أغوى عشيقته بتحريض من أمه فقد تمنى ألا تكون له أبناء مدى الحياة ومن ثم مدمراً لآماله بالألا تكون له ذرية . ويعبر نستور العجوز عن سعادته بأبنائه بقوله "إن هبة العمر الأخضر والمديد للرجل في منزله أن يكون له بنون أنكياة وفرسان شجعان" . وقد تضرع أوديسيوس للإلهة بأن يصل إلى سن كبير مزدهر وأن يكون له ولد طيب صالح" . وقيل أن والد أخيل قد حصل على هبات طيبة وخبيثة من الإلهة ، فقد كان أكثر الرجال ثروة وحظاً ومع أنه قد تزوج من زوجة إلهة إلا أن الإلهة قد مسته بالشر فلم يرزق إلا ولد واحد والذي قُدر عليه أن يموت شاباً مما كان يعنى نكبة في أسرته وذلك لعدم وجود خلف يعقبه في ملكه وثروته . ويعبر أخيل عن حزنه العميق على موت رفيقه وصديقه باتروكلوس بقوله "فلا شيء أسوء من ذلك الذي أتحمله ، إلا إذا ما سمعت بموت والدي . . . ولا حتى إبني

المحبوب الذى يربى الآن فى اسكيروس Scyros . فقد امننت اننى الوحيد سافنى ، ولكن باتروكلوس سيحضر نيوبوليموس إلى فثيا Phthia ويريه كل شىء : كنوزى ، خدمى، وصالتى ذات السقف الساحق .

وإذا كان الأبطال حريصين على أسرهم وممتلكاتهم فقد كان موت البطل دفاعاً عن أسرته ودماره يمكن احتماله فيقول هيكتور "قاتلوا جميعكم بالسفن ، فإذا ما ضرب واحد منكم بسهم أو بحربة فيلقى حتفه ، ينبغي أن يموت أنه لشيء محمود أن يموت الرجل وهو يدافع عن وطنه ولكنه سيترك خلفه زوجة وابناء امنين مع بيته وأرضه عندما يبحر الأخيون إلى أوطانهم فى سفنهم .

ويخاطب هيكتور زوجته أندروماخى قائلاً: "النى لموثق بأن بريام وقومه وطروادة المقدسة سيكون نصيبهم الهلاك ، ولكن لا طروادة ولا القوم فيها حتى ولا أمى وأبى مما يشغل قلبى بقدر ما يشغله ذلك اليوم الذى قد يأتى عليك ، وفيه يحملك أحد الأخيين أسيرة تكدحين فى النسيج فى أرض الأخيين ، فيراك أحد الناس فيقول هذه امرأة هيكتور . . ليت الأرض تطبق علىّ قبل ذلك اليوم" . ثم نجد أندروماخى وهى ترثى زوجها بقولها "لقد قتلت وأنت فى ميعة شبابك وتركتنى للأيم . أما ولدك وولدى فلا يزال طفلاً ، وأخاف ألا يدرك الشباب ، فتسقط هذه المدينة قبل ذلك . وقد ذهبت عنها ، وأنت حلمى ذمارها ، وسيحملوننا قريباً أمهات واطفالاً إلى السفن . وستكون أنت يا ولدى معنا تقوم على خدمة الغريب فى أسر شائن . ولعل أحد الأخيين يصرعك ثم يمسك ويقذف بك من فوق السور ، أجل أحد الأخيين الذين قتل لهم هيكتور فى الحرب أباً أو ابناً أو أخاً . . . "فمصير المدينة المستولى عليها يمكن أن يستحضر أسوأ الصور – كما سبق أن ذكرنا

وما ستؤكدده قصة البطل ميلياجر نجده لا يصغى لمناشادات والده وأمه وأخوته وأقرانه وأصدقائه الذين شعر نحوهم بالحب ، كى يقاتل ، حتى توسلت إليه زوجته كليوباترا وهى دامعة بكلمات تذكره بكل أنواع المعاناة والمأسى التى تحل بالرجال الذين يتم الاستيلاء على مدنهم فى الحرب والنزال فيقتل الرجال وتأتى النيران على القلعة ويحمل المنتصرون الأطفال والزوجات المملوءة بالصحة سبانيا .

ولم تكن العلاقات الزوجية هى موضع الاهتمام الوحيد للأبطال الهومريين فقد كان نسبهم وشجرة عائلتهم مهماً أيضاً ، فالأبطال كانوا يعرفون بأسماء أسرهم ، والبعض منهم ذكر بأسمائهم وأسماء ابائهم . والبعض الآخر يذكر عدداً من الأجداد . فالبطل جلاوكوس يعدد شجرة نسبه عبر خمسة أجيال من الأسرة . وبطل آخر هو أوخثيوس يتتبع شجرة عائلته عبر ستة أجيال . ونجد بعض الأبطال يحبون أن يعودون بنسبهم إلى إله مثل أخيل وأيدمونييس ومثل أهل فاكيا الذين أغضبوا بوسيدون غضباً يفوق الحد لأنهم أنقذوا أوديسيوس وأعادوه إلى إيثاكا محملاً بالهدايا . ومما ضاعف من حزنه وغضبه - على حد قوله - أن أهل فاكيا ينتمون إلى سلالته . ويقدم لنا أوديسيوس، فى وصفه لرحلته إلى العالم الآخر ، فصلاً طويلاً يستعرض فيه نساء يتفاخرن بأنهن أنجبن أبناء من زيوس أو بوسيدون . لكن العكس نادراً - حتى أن كاليبسو احتجت " أيها الإلهة انكم غير رحماء ، تغارون بصورة لا تبارى فتتقمون على الهات يتصلن بالرجال صراحة ، إذا اتخذت واحدة منهن من رجل عزيز على قلبها شريكاً فى فراشها . وكان التفاخر بشجرة النسب والعائلة يلزم البطل بأن يتصرف على نحو بطولى مشرف فإدعاء البطولة فضيلة ، فأوديسيوس المتنكر طلب من ولده تليماخوس ألا يخزى جلس والده الذى كان فى الماضى يتفوق بفضل شجاعته ورجولته

فى كل الأوقات وكما ناشد نستور الأخيين بأن يتصرفوا بشكل سوى فطلب منهم أن يضعوا ايدوس فى قلوبهم وأن يتذكروا أسرهم وأطفالهم وممتلكاتهم و اباثهم ولم يكن المولد النبيل كافياً للمحافظة على ادعاء البطولة فكان يجب على البطل أن يتوفر له شروط أخرى ومن أهمها القوة والمقدرة القتالية الضرورية ليس لحماية أسرته وممتلكاته من المغيرين فحسب بل أيضاً لزيادتها عن طريق السلب والنهب كما كان على البطل أن يكون قادراً على الثأر والانتقام بنفسه من الأشخاص الذين يتحرشون به وأهل منزله وممتلكاته . وكانت مكانة البطل تعتمد على عدد أفراد أسرته ونوعيتهم واتباعه . فخطاب بينلوبي لم ينكروا على تليماخوس أن يكون سيداً لمنزله ومن ثم عضواً فى دائرة الأبطال ، فقد كان مصدر خطر عليهم ، وذلك من خلال دعوته الجمعية الشعبية الانعقاد مما أكد تفوقه وامتيازه ، خاصة وأن دعوة الجمعية الشعبية على ما يبدو كانت قاصرة على الملك وحده ، وأيضاً من خلال تكوينه لنفسه اتباعاً وتجهيزه سفينة بحاراتها واقلاعه إلى كل من مملكة بيلوس واسبرطة متحدياً بذلك رغبات الخطاب الذين تسأل البعض منهم عن نوعية الاتباع هل هم من أخيار نبلاء أتیکا أم من اتباعه الشخصيين ؟ فكانت الإجابة هى أنهم من أخيار الناس من بعدهم . ولذا فقد بدأ بعض الخطاب يشعر بالخطر وبدأوا فى تدبير مؤامرة لقتله والخلص منه.

لقد كان الشغل الشاغل لرب الأسرة "البطل" أن يحافظ على رخائها وحماية ممتلكاتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فإذا ما فشل فى حماية ممتلكاته فإن ذلك يعنى الخراب المالى له ولأسرته وفقده لكرامته ووضع البطولى . وتكشف لنا الأشعار أن الأسرة النبيلة التى ليس لديها القدرة على الدفاع عن أملاكها قد تكون فريسة للأسر الأكثر قوة . فممتلكات أوديسيوس كانت تستنزف وتهدر من قبل خطاب بينلوبي التى

تخاطبهم بعد أن نفذ صبرها . "أيها الخطاب الذين تلتهمون ما فى المنزل بحجة أنكم تريدون الزواج بى ، هاكم الآن محكاً لمهارتكم هاكم قوس أوديسيوس فمن استطاع منكم أن يحنئها بيديه فى سهولة ويرمى منها سهماً فهو الذى سأتبعه مغادرة هذا المنزل الذى لن أنكره إلا فى الأحلام ، ويقول أوديسيوس للخطاب بعد أن كشف عن نفسه : ظننتم أيها الكلاب أننى لن أعود ، فالتهمتم منزلى وخطبتكم ود امرأتى ، وأنا لا أزال حياً ، ولم تخشوا الأبواب ولم تحسبوا للناس حساباً ولهذا أتاكم جميعاً الهلاك بغتة . ولعل رد إيوريماخوس ، أحد الخطاب ، يعبر خير تعبير عن ذلك عندما يخاطب أوديسيوس بقوله فقد أسىء إليك اساءة فاضحة ، سواء أكان ذلك فى البيت أم فى الحقل ، ولكن هو ذا الذى أثار كل هذا قد سقط أمامك ، وهو انطونيوس ، ولا أحد سواه ، ولم يكن يقصد إلى الزواج فقط بل كان قصده أن يملك على هذه الجزيرة ، بعد أن يدمر بيتك تدميراً ، ولكننا سنعيد إليك ما التهمنا من مالك عشرين ضعفاً . وإذا كانت عودة أوديسيوس قد أنقذت ملكه وماله من أيدي الطامعين فيهما ، فإن مخاوف اندروماخى إلى اسرتها إلى زوجها هيكتور قد تحققت .

وبعد أن عرضنا لقلق الأبطال على أسرهم وأولادهم وممتلكاتهم وتفاخرهم بأنسابهم وما ينبغى أن يكون عليه تصرف الأبطال لمواجهة المشاكل ننقل للحديث عن وضع المرأة فى الأشعار الهومرية .

لقد تمتعت المرأة بمكانة اجتماعية عُلّيا وعلى الرغم من أن الإلياذة ملحمة قتال وحرب وسجال ، وتزخر بصور الشجاعة ، والبطولة وتمجد الرجل إلا أن الشاعر قد أفسح فيها مواضع لإبراز دور المرأة . وأما الأوديسة فهى : ملحمة طويلة حافلة

بالمغامرات ، وقصص البحار ودور النساء فيها أبرز منه فى الإلياذة حتى لقد قيل أنها كتبت لتمجيد المرأة . فالحرب الطروادية نشبت بسبب إغراء هيلينى ، والعريقة النسب ، لغز الأنوثة ذات جمال أخاذ ، وكان الزواج منها سنداً قوياً ، إن لم يكن سنداً شرعياً ، لمنيلاوس . [وكان النسب إلى الأم أمراً مألوفاً فى بلاد اليونان خلال عصرها القديم بل إن الانساب إليها كان يعد شرفاً كبيراً] . وكانت ولاية العرش تتحقق بالزواج من الملكة . إذ صار إيجستوس Aegisthus ملكاً على موكيناي بزواجه من كليتمنسترا وفى أتیکا كان تليماخوس بن أوديسيوس يقوم بدور الوصى على أمه بينلوبسى ، فيما يبدو، غير أن العرش كان سيؤول حتماً إلى من تختاره الأم زوجاً من بين الخطاب .

كانت زوجات الأبطال تعامل باحترام ، ويتمتعن بحرية الاختلاط بالرجال دون قيود وتجالس بينلوبى رجال البلاط فى غياب زوجها أوديسيوس وتحظى بالحفاوة والتكريم حتى من هؤلاء الخطاب الذين طارحوا الغرام وعرضوا عليها الزواج والذين لم يتحرجوا من العبث باماء القصر ، ويصور الشاعر بينلوبى على أنها رمز للقلق والوفاء الشديد ، وتعيش حياة الذكريات والآمال بعودة زوجها ، لذا فهى ماهرة وجسورة، وتدبر كل من هيكابى زوجة بريام ، وأرتى زوجة الكينوس ملك فياكيثون بيتهما كما تدبر الملكات وكل منهما صديقة لزوجها وناصحة له ولعل الأخيرة أقوى مركزاً من الأولى لأن أوديسيوس يُنصح بأن يحوز رضاها قبل أى شىء آخر ، وهى تشترك فى الحديث فى البهو الكبير بالقصر مع زوجها الملك على قدم المساواة .

كانت هيلينى تحضر مجلس بريام ومستشاريه فوق أسوار طروادة وحتى عندما عادت إلى زوجها منيلاوس فى أسبرطة غُفرت لها زلتها وعاشت معززة دون انتقاص

من سمعتها أو مساس بكرامتها . قد ظهرت في البهو بعد انتهاء كل من تليماخوس وبيزاستراتوس من طعامهما ، وجلست على كرسيها الكبير ، وأمطرت زوجها بالأسئلة عن الزوار ، ومثل سيدة مجتمع فقد بدأت تسترجع ذكرياتها بسرعة والتي تضىفى التكريم على أوديسيوس والد تليماخوس .

وكانت المرأة الهومرية تتحرك بغير قيود ولم تكن حبيسة المنزل كربة بيت — فنجد أن هيليني ووصيفاتها كن يتحركن بحرية ، فعندما أخطرت ايريس Iris بشأن اقتتال زوجها منيلاوس ، وبارس أسرعت بمغادرة منزلها وتسلفت جدران المدينة حيث يجتمع الشيوخ ، لتشاهد النزال بينهما . وعندما سمعت اندروماخى زوج هيكتور بانسحاب الجيش الطروادى اندفعت بجنون إلى جوار السكانيين ومعها مربيبتها ، وطفلها الصغير استياناكس Astyanax . وعندما سقط هيكتور تحت ضربات أخيل فإن والدته هيكوبى كانت على سور المدينة وتلتف من حولها النسوة الطرواديات التى أعطت إلهن إشارة النواح والنحيب ، وأريتى Arete كانت تنتقل بحرية حول المدينة والكل يحيونها . ونجد ابنتها ناوسىكا Nausicaa تخرج إلى أطراف المدينة فى صحبة وصيفاتها ، لغسل كتان القصر .

ويصور الشاعر صيحات النساء التى تسمع خارج أسوار طروادة كما أن النساء كن يتشاجرن فى الطرقات . وتكشف لنا الصور على درع أخيل النساء وهن واقفات بأبواب منازلهن لمشاهدة حفل زفاف .

كانت النساء تتزاورن إذ توضح الإلياذة لنا زيارةً من هذا النوع فى الكتاب الثالث عشر نجد ثيتيس Thetes ، والدة أخيل ، تذهب إلى بيت هيفايستوس الحداد ، لتطلب

منه أن يضع أسلحة لابنها ، وتستقبلها زوجته خاريس فتأخذ بيدها لادخالها وإجلالها
بعد أن خاطبتها باسمائها وألقابها المقدسة . وعلى الرغم من أن هذه الصورة لمجتمع
الآلهة ، إلا أن حياة الآلهة تكون عند هوميروس صورة مطابقة لحياة البشر . إذ نجد أن
أندروماخى كانت تزور أقاربها .

وإذا كانت المرأة لم تكن مقيدة الحركة وتمتع بمكانة سامية فى المجتمع
الهومرى ، إلا أن هوميروس لم يقدم لنا صورة للمساواة بين الرجال والنساء أو إمكانية
ممارسة أو المشاركة فى الحياة العامة فلا يشتركن فى الحرب أو السياسة أو الحكم أو
الإدارة . فمناقشة الأمور العامة كانت شأن الرجال . فقد أمر تليماخوس والدته أن
تنسحب من الحجرة فى مناسبتين : أولها : عندما قرر أن يدعو الجمعية الشعبية
للانعقاد ، وثانيها : عندما أكد حقوقه فى التخلص من القوس فقد أمرها بالذهاب إلى
الداخل للقيام بأعمالها *εργα* ومنها النسج على نولها وأن تأمر إماءها بأن يقمن بأعمالهن
بهمة . أن المناقشة *μῦθος* من شأن الرجال منهم ومنى فأننا صاحب السلطة فى
السيطرة (*κράτος*) فى هذا المنزل .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن النسوة من بطلات وملكات كن نسوة محبات
للمنزل . وكان لهن أجنحة خاصة بهن بينما كان للأزواج أجنحتهم ، فكان للزوج
حجرته الخاصة والتي كان يدعو زوجته بها ، وأيضاً بعض الخيليات . ففى منزل
أوديسيوس كانت هذه الحجرة فى الطابق الأرضى ، بينما كانت حجرة بنيلوبى
Thalama على التراس . فوق البهو ، والتي كان يمكن الوصول إليها عبر سلالم
المنزل . وكانت حجرات النساء مزودة بمدفأة حيث توقد النار بها فى ليل الشتاء وحتى

فى الصيف ليحصلن منها ليس على الدفاء فحسب بل أيضاً على الضوء . وكانت النساء تستخدم أحواض معدنية للاستحمام فى حجراتهن ففى أثناء إقامة منيلاوس فى مصر بطيبة فإنه قد أهداه مضيئة بوليبيوس Polybus حوضين من الفضة ، وكانت النساء يحصلن على وجباتهن فى حجراتهن ولا يشاركن الرجال فى وجباتهم ولا مآدب الضيوف فى البهو . وكن عندما ينتهى الرجال من طعامهم ومأدبهم كانت النساء تلحقن بهم وحتى أكثر من ذلك فقد جلس بعضهن على رأس الجموع وهذا ما فعلته أريتى . وعندما أقبلت هيلينى بعد انتهاء الضيفين من طعامها وجلست فى كرسيها الكبير فى البهو .

ونساء الشعر الهومرى قد قمن بالغزل والنسج والتطريز والاشراف على إماء وخادمانات المنزل بمساعدة واحدة منهن أو أكثر . فكن يشرفن على صنع وتطهير الملابس لكل الأسرة ، الرجال والنساء ، وكن يقمن بعمل الخبز ، والكعك المستدير ، وطهى الخضر من الفاصوليا والعدس وعمل الشربة والحلوى ، بينما كان الرجال فى المناسبات والاحتفالات والولائم يقومون بتقطيع اللحم وشوائه ، وقد رأيت أن من الواجب عليهن استقبال الضيوف بكرم ومودة فكن يشرفن على ترتيب سرير مريح فى المدخل للضيف .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن نساء الطبقة العليا كن يولين اهتماماً كبيراً بزينتهن ، وكن يقمن بذلك فى حجراتهن ، فعندما كانت ترغب الإلهة هيرا فى زيارة زوجها الإله زيوس ، كانت تتزين بكل ما يجعلها جذابة وفاتنة إذ نجدها عطرت جسمها الجميل بعد أن تنظفه من الأوساخ والشوائب وارتدت Inos وهو رداء طويل ذات ثنايا وكسر ، وتزينت بمجوهراتها . وكان صندوق الحلى والمجوهرات لسيدة نبيلة هاماً

وهذا ما يظهر من الهدايا التي قدمها الخطاب لبينلوبي فبجانب الرداء peplos * . كما أنه كان يطلق على القماش العريض المطرز ، ويطلق أيضا على مفرش المنضدة الطويل المطرز والمحلى باثني عشر دبوساً ذهبياً ذات أسنان ملتوية ، ونجد سلسلة من خرز الكهرمان ذات خلفية ذهبية عتيقة الطراز مثل تلك التي قدمها التجار الفينيقيون لوالد يومايوس عندما كان طفلاً . وكانت نساء الطبقة العليا فى طروادة يلبسن Inos وكان ثوباً رسمياً يرتدى فى المناسبات ، بينما كان الزى اليومي بسيطاً فقد احتوى على رداء مستقيم "الخيتون" وبقدر ما كان طويلاً وفقاً للسن والمقام ، وكان يلبسه الرجال والنساء على حد سواء وكان هذا الرداء مقلماً أحياناً وفى أحيان أخرى كانت ألوانه زاهية للغاية . وهناك نوع آخر من القماش يمتاز بنفس الألوان الزاهية وإن كان نسيجه أفضل وأرق وكان يوضع على الأكتاف ، وكان هناك pharas الذى يلف حول الوسط ويشد بحزام ويخدم كمعطف للرأس .

ويبدو من الوهلة الأولى أن أردية النساء كانت مصممة لتغطيتها بدلاً من التأكيد على تقاسيم جسدها ، وكانت الأناقة عموماً فى نوعية الملابس الكتانية أو الصوفية الراقية أكثر مما هو فى التفصيلىة . وكانت النساء يستخدمن الصنادل ذات النعال الجلدية البسيطة وترتبط بشرائط جلدية منمقة حول مفصل القدم .

* Peplos هو رداء دورى عريض خارجى للنساء يتكون من قطعة واحدة ويشبك بدبابيس عند الكنفين ولطول حسب الرغبة . ويطلق الفيا على الثوب الذى تطرزه الفتيات الأثينيات ليحمل فى موكب فاخر إلى معبد البارثيون لإهدائه للربة أثينا فى عيدها

وتكشف لنا الأشعار عن أنه كان لبعض الأبطال عشيقات من العبيد أو من أسيرات الحرب ، بجانب زوجة واحدة فقط أو زوجات وهى أو هن اللواتى عقد عليهما أو عليهن الزواج . لقد كان هدف الأبطال هو إنجاب الأطفال ولذا فقد كانوا مستعدين لتربية أطفالهم من أكثر من زوجة ، كما أن الخط الفاصل بين الزوجة والخليفة كان رقيقاً للغاية فالزواج كان حقيقة وليس قانوناً فى الواقع . إن رجلاً وامرأة يعيشان معاً فى منزل ومعلنون زواجهم للناس كانا يعدان بمثابة أزواج والزواج بين العائلات كان حقيقة معترف بها وله سمات العقد المقدس . والزواج لم يكن عملاً شرائياً فكان الزواج مصحوباً ببساطة باجراءات تبادل الهدايا ، ولم تكن المرأة كما يردد بعض الكتاب مملوكة كأي شىء لزوجها ، ولكن كان سيدها فيمكنه أن يعاقبها أو يطلقها إذا ما عرضت منزله لفضيحة كبيرة ، وكان يمكنه قتلها فى حالة الزنا وإن كان حذراً فى عدم فعله لأن هذا قد يؤدي إلى الثأر منه من قبل أسرته . وهكذا فإن الخوف من غضب والد الزوجة قد يؤمن وضع الزوجة . ومع ذلك فقد كان للزوجة حقوقاً مسلم بها وغير قابلة للنقاش ولكنها غامضة ، فعقب انتهاء الاحتفالات المحددة للزواج كان يصبح من حق الزوجة الشرعية أولاً : أن تحصل على مكان منفصل فى القصر أو منزل زوجها . وأن يكون لها مكانة عالية مثلما الحال بالنسبة لأریتی عند الملك الكينوس . فقد أكرمها الكينوس خير إكرام ، وقدرها تقديراً عظيماً ، كما نظر إليها ابناؤها وذويها على أنها إلهة يلقون عليها بالتحية والسلام ، وغدوها ورواحها إلى أى مكان فى المدينة . ولم يكن ينقصها الحكم فقد كانت تقوم باصلاح ذات البين بين صديقاتها وازواجهن . لقد كانت أریتی زوجة مثالية لسيد عظيم مثالى ، وبالمثل بينلوبى التى كان لها سلطتها فى منزلها عندما لم يبلغ ابنها سن الرشد . ثانياً : ألا يكون لزوجها خليفة : فقد كان بعض

الأزواج يخشى غضب زوجاتهم إذا ما أقمن علاقة غرامية مع أخريات . فقد كانت والدة أوديسيوس أنتيكليا Anticlia سيدة قوية الشخصية وتملك بناصية الأمور في بيتها ، فعلى الرغم من إعجاب زوجها لأرتيس بالأمه يوريكليا Euryelia الشابة فكان لأرتيس يخشى غضب زوجته إذا ما ضاجع يوريكليا . وتكشف لنا قصة أخرى عن عدم رضلم الزوجة عن سلوك زوجها ففي الالباذة نجد امينتور Amyntor قد فتن بأمة شابة وأهمل زوجه والدة ولده فونيكس ، فحرضت الأم ابنها على أن يقوم بغواية عشيقه والده ، فأطاعها ابنها ونجح فى أن يوقع عشيقه والده فى شباك حبه فاعرضت عن والده مما أثار غضبه ولعنه اياه .

وإذا كانت بعض الزوجات قد ثرن على العلاقات غير الشرعية لأزواجهن فإن البعض الآخر منهن قد وافق على تلك العلاقة أو غضضن الطرف عنها ، لقد كانت الخيانة الزوجية شائعة حتى تحت سقف الأسرة وسهلة المنال لأن حجرة السيد كانت وسط أجنحة الحريم بينما كانت حجرة الزوجة فى جزء اخر من المنزل . وبعض الأبطال كان يفضل الخلية على الزوجة فكان أجامنون يفضل أسيرته خريسيس كعشيقة على زوجته كليتمسترا ، ويقول أخيل لقد أحببت بريسيس أسيرة رمحي من كل قلبى ، والتي فى رثائها على باتروكلوس نجدها تقول "أنه كان يواسيها حتى عندما قتل أخيل السريع زوجى واستولى على مدينتنا فإنك يا بتروكلوس لم تسمح لى بالبكاء وكنت تقول لى إنك سوف تجعلنى الزوجة النبيلة لأخيل العظيم ، وسيبحر معى إلى فثيا Phthia ونحتفل بالزفاف " . لقد كان وجود خليات ومحظيات جزءاً من سياسة الأسرة، فمن الحكمة فى بعض الحالات أن يكون للمرء أبناء غير شرعيين والذين يرثونه فى حالة عدم وجود ابن غير شرعى . وخير نموذج على ذلك هو أن هيلينى ، التى لم تتجب ولداً

ذكراً ، قد وافقت منيلاوس على تطلعه أن يكون له ولد ، ولذا نجدها قد اشرفت بنفسها على زواجه أو علاقته بأمة وكان ثمرة هذه العلاقة انجاب ابنه غير الشرعى ميغالينثيس Megapenthes . ثالثاً : أن بعض الزوجات قد حصلن على رعاية شئون الأسرة فى غياب الزوج وعدم وجود ولد قد بلغ سن الرشد وإذا ما حاولنا تذكر قول أوديسيوس لزوجته عندما كان يجهز نفسه للذهاب للحرب فقد تصور إمكانية عدم عودته تماماً ولذا نجده قد أعطاها المسؤولية عن الميراث وعن أقاربه وابنه حتى يبلغ سن الرشد إذ يقول " عندما تنظرين إلى ابنك ويصير رجلاً ذا لحية وتزوجيه المرأة التى يريدتها ويترك منزلك ، فالأرملة تكون بمثابة سيدة الميراث وأن لم تكن وريثته ، طالما أن ابنها قاصر ، فإذا ما بلغ سن الرشد ينقل إليه الميراث . وحتى على الرغم من بلوغ تليماخوس لسن الرشد فإننا نجد بنيلوبى تعطى لنفسها الحق فى توبيخه .

وتكشف لنا الأشعار عن دوافع الزواج السائدة فى المجتمع الهومرى ، فنجد أن بعض الآباء من الأبطال الهومريين قد سعوا إلى تأمين قوة حربية إضافية وذلك بزيادة أتباعهم من الفرسان للدفاع عن أسرهم وممتلكاتهم وغالباً ما كان يتم تزويج هؤلاء الفرسان من بناتهم الكريمات المحتد لضمان ولائهم . فنجد أن أزواج بنات بريام الإثنى عشر قد التفوا حوله وكانوا يسكنون قصره ولذا نجد اسبرتون يزعم أن هيكتور كان يمكنه أن يحكم طروادة ويمسك بزمام الأمور بها دون حاجة إلى تجنيد قوات أو حلفاء ولكن فقط بأخوته وأزواج أخواته .

ونجد بعض القادة "الملوك" يقدمون وعوداً بتزويج بناتهم لمحاربين أفاذاً مقابل خدماتهم مثلما فعل بريام مع أورثيوس ، وكما فعل أجاممنون فقد وعد أن يزوج أخيل

ذكراً ، قد وافقت منيلاوس على تطلعه أن يكون له ولد ، ولذا نجدها قد اشرفت بنفسها على زواجه أو علاقته بأمة وكان ثمرة هذه العلاقة انجاب ابنه غير الشرعى ميغالينثيس Megapenthes . ثالثاً : أن بعض الزوجات قد حصلن على رعاية شئون الأسرة فى غياب الزوج وعدم وجود ولد قد بلغ سن الرشد وإذا ما حاولنا تذكر قول أوديسيوس لزوجته عندما كان يجهز نفسه للذهاب للحرب فقد تصور إمكانية عدم عودته تماماً ولذا نجده قد أعطاها المسئولية عن الميراث وعن أقاربه وابنه حتى يبلغ سن الرشد إذ يقول " عندما تتظرين إلى ابنك ويصير رجلاً ذا لحية وتزوجيه المرأة التى يريد لها ويترك منزلك ، فالأرملة تكون بمثابة سيدة الميراث وأن لم تكن وريثته ، طالما أن ابنها قاصر ، فإذا ما بلغ سن الرشد ينقل إليه الميراث . وحتى على الرغم من بلوغ تليماخوس لسن الرشد فإننا نجد بنيلوبى تعطى لنفسها الحق فى تويخه .

وتكشف لنا الأشعار عن دوافع الزواج السائدة فى المجتمع الهومرى ، فنجد أن بعض الآباء من الأبطال الهومريين قد سعوا إلى تأمين قوة حربية إضافية وذلك بزيادة أتباعهم من الفرسان للدفاع عن أسرهم وممتلكاتهم وغالباً ما كان يتم تزويج هؤلاء الفرسان من بناتهم الكريمات المحتد لضمان ولائهم . فنجد أن أزواج بنات بريام الإثنى عشر قد التفتوا حوله وكانوا يسكنون قصره ولذا نجد اسبرتون يزعم أن هيكتور كان يمكنه أن يحكم طروادة ويمسك بزمام الأمور بها دون حاجة إلى تجنيد قوات أو حلفاء ولكن فقط بأخوته وأزواج أخواته .

ونجد بعض القادة "الملوك" يقدمون وعوداً بتزويج بناتهم لمحاربين أفاذاً مقابل خدماتهم مثلما فعل بريام مع أورثيوس ، وكما فعل أجاممنون فقد وعد أن يزوج أخيل

إحدى بناته بعد الحرب . وأبطال اخرون قد تم إهدائهم عرائس من قبل أبائهن لشجاعتهم مثل بيليفرون ، وأوديسيوس الذى عرض عليه الكينوس أن يزوجه ابنته ناوسىكا .

ودافع آخر للبحث عن زوج لابنة هو الحرمان من الوالد سواء أكان شرعياً أم غير شرعى ، فقد سعى كيسييس Cisses والذى على ما يبدو لم يكن له ولد ، وقد سعى للحصول على وريث له وذلك بتربية حفيده إفيداماس Iphidumas وتزويجه إياه لابنته الثانية .

وتكشف لنا الأشعار عن أنماط للزواج ومنها :

١- أن والد البطل كان يذهب يبحث لابنه عن عروس ، وهذا ما قام به الملك منيلاوس من أجل ابنه ميجابثيس ، ويدعى أخيل أن أباه سوف يبحث له عن عروس عندما يعود إلى وطنه بعد الحرب ، فهناك العديد من بنات القادة ، الذين يحكمون القلاع ، سوف أتزوج واحدة منهن والتي أرغبها ويقع عليها اختيارى ولكن من المفترض أن والد العروس فى هذه الحالة سيكون سعيداً لأن يعطى ابنته لأخيل كزوجة ونلاحظ هنا أن آراء البنات لم تذكر قط فى أى موقع .

٢- أن والد العروس كان يمنحها لقائد عظيم لتكون إحدى زوجاته وهذا النمط على ما يبدو كان قاصراً على طروادة وعلى الملك بريام وحده ، فقد أعطاه والد التيس Altes كزوجة له ولم تكن الزوجة الوحيدة . وقد قدم والدها لها الكثير من الهدايا .

٣- الزواج من السبايا مثل بريسييس Brises وأيضاً هيلينى وكليتمنسترا اللتان كانتا متزوجتين لازواج زناة هما باريس وأجاثيوس .

٤- الزواج من خلال المنافسة بين الخطاب ، فكان على الخاطب لنيل يد ابنة أحد الأبطال ، أو زوجة بطل مجهول المصير أن يتنافس مع منافسيه فى مسابقة من المسابقات . ومن الأمثلة على هذا حصول ميلبوس على بيرو Pero فى فوزه فى المنافسة التى أعدها نيلوس والدها ، ومع ذلك لم يتزوجها ، بل زوجها لأخيه . وكان على بنيلوبى أن تختار زوجها الثانى من خلال التنافس فى المسابقة بالقوس بين ما يزيد على مائة خاطب والذين كانوا قد مكثوا فى بيتها أملين أن تختار واحداً منهم . ويبدو أن العادة هى أن والد العروس عندما يقرر زواج ابنته فإنه يعلن الأمر ويدعو الخطاب كى يتقدموا لخطب ابنته ، وكان الخطاب من كافة المناطق يزورون والد العروس الذى كان عليه أن يسكنهم ويستقبلهم كضيوف ويقيم لهم وليمة ، وبالطبع لن يحضروا خالى الأيدي ، فقد يحضرون الطعام لرب البيت وهدايا شخصية للخطيبة "ملابس وأغطية ، وحلى" . ويختلف كم وكيف الهدايا والحفلات وفقاً للوضع الاجتماعى للأطراف صاحبة المصلحة . فنجد أن بنيلوبى تذكر خطابها بكل ما سبق ذكره بالتفصيل إذ تقول : " إن الرجال الذين يودون كسب ود امرأة نبيلة ، ابنة رجل ثرى ، يتنافسون مع بعضهم بعضاً ، ويجلبون معهم من انعامهم ، ومن خرافهم وثيرانهم دون أن يطلب منهم ، حتى يقيموا الولائم ويحتفلوا بأصدقاء السيدة ويقدمون لها الهدايا الرائعة . فأجابها أحد الخطاب "أنطينوس" تقبلى الهدايا التى نحضرها لك يا بنيلوبى إذ لا يلىق أن ترفضى الهدية ، ولكن اعلمى أننا لن نبرح ساحتك حتى تختارى أفضلنا زوجاً لك . وافق الخُطاب على كلامه وأرسل كل رجل منهم تابعه لياتى بهديته ، فكانت هدية أنطينوس ثوباً موسى فضفاضاً فى غاية الجمال ، مع اثنى عشر مشبكاً واثنى عشرة رصيعة ،

بينما كانت هدية أوريماخ سلسلة بديعة الصنع انتظمت فيها خرزات من الكهرمان ،
وقدم أوريداموس قرطين تدلت منهما ثلاث حبات من اللؤلؤ ، وأهداها آخر حلبة
نفيسة ... الخ.

إن إدخال البهجة ، والسرور فى بيت العروس لم يكن إشارة مجاملة ، أو وسيلة
للحصول على ثروة فحسب بل أيضاً كانت مناسبة للتنافس الحقيقى بين الخطاب ،
فكانوا يلقون الخطب أو يغنون ، ويرقصون أو يتحدى بعضهم بعضاً فى الألعاب
الرياضية لإبراز قوتهم العضلية ، ومهاراتهم الشخصية . ويبدو أن هذه العادة استمرت
فى بلاد اليونان فيما بعد إذ يروى لنا هيرودوت أن كليستينس Cleisthenes طاغية
سيكيون Sicyon بعد انتصاره فى سباق العربات التى يجرها أربعة خيول فى أولمبيا
جعل منادياً يعلن أن كل الرجال الشباب الذين يرون فى أنفسهم أنهم يستحقون الزواج
من ابنته أجارىستى Agareste ، فإنه سوف يستقبلهم بعد ستة أيام ، وبالفعل توافد عليه
اثنى عشر خاطباً من زهرة شباب اليونان ، وحلوا ضيوفاً عليه لمدة عام أبهجهم فى
كليستينس ، فكان قد جهز حلبة المنافسات للمصارعة والجرى ، وكان غرضه من ذلك
أن يدرسهم ويراقب تصرفاتهم - خاصة على المائدة - وشهامتهم وشخصيتهم ،
وأحلامهم وتعليمهم . وفى نهاية العام فقد انحصر اختياره بين اثنين منهم هما
ميجاكليس Megacles وهيوكليديس Heppoclides مع ميله للأخير ، وعندما اقترب
موعد إعلان اختياره النهائى ، فقد أقام وليمة رائعة ذبج فيها مائة ثور ، دعا فيها
الخطاب ورجالات سيكيون وبعد شرب الخمر ، بدأوا يرقصون على أنغام الموسيقى ،
ورقص هيوكليديس التمل على أنغام الفلوت ، وأخذ يقلد الاسبرطيين والأثينيين ، ثم
قام بعمل نوع من الجسر بجسده ، بينما كان رأسه مستنداً على المنضدة وبدأ يومئ

برجليه فى الهواء ، ونتيجة رقصه وحركاته الماجنة أن صاح كليستيس لقد فقدت زواجك . وبعد ذلك طلب الهدوء وألقى خطبة قصيرة شكر فيها الخطاب وتأسف لمن لم يقع عليه اختياره منهم واعدأ إياهم بأن كل واحد منهم سيحصل على مبلغاً قدره تالنتاً واحداً من الفضة . وأخيراً أعلن أنه اختار ميجاكليس ليكون زوجاً لابنته .

أما عن المهر ، والدوطة ، فكان الخاطب الذى يطلب يد خطيبة كريمة المحتد وابنة النبيل والمليحة الذكية ، من والدها ويتم الموافقة عليه ، كان يقدم مهرها ، أو هديتها Hedna ، وبعد أن يصحبها إلى داره الخاصة ، كان فى المقابل يتلقى من والدها دوطة (meilia) تناسب مركز الأسرة .

وكانت هذه الدوطة فى حالة طلاق ورجوع الزوجة إلى بيت أسرته أو فى حالة وفاة زوجها وعودتها إلى بيت أهلها أيضاً من حق الزوجة ، فلم يهمل تليماخوس أن يذكر هذه الحقيقة إلى الخطاب الذين طلبوا منه أن يرسل أمه إلى أبيها .

إن الفتاة ، أو السيدة ذات الحسب ، والنسب ، والمواهب العظيمة كانت محل منافسة بين الخطاب ونسمع عن خطاب يتنافسون بالهدايا خاصة فى الأوديسة سعياً لطلب يد بنيلوبى . ولكن يجب أن نذكر أنه عندما تذكر hedna لبنيلوبى وبعد أن قال ابنها إن من يريد الزواج منها فليذهب إلى أبيها ليطلب منه . ومن المستنتج أنها ستذهب إلى منزل زوجها الجديد وأن هذا الزوج لن ينتقل إلى منزلها هى (أو منزل أوديسيوس).

وهكذا فمن الواضح أن مناسبة الزواج من هذا النوع كانت بالنسبة للأبطال الهومريين مماثلة لأى مناسبة من المناسبات الاجتماعية الأخرى والتي يتم فيها تبادل الهدايا .

ولكن عندما يكون البحث عن العريس من قبل والد العروس لابتنته ، ففي هذه الحالة فإننا لا نسمع عن أن العريس قد قدم hedna . ولعل مساهمة العريس بخدماته أو بمساعدة أسرته لأهل عروسه كانت أكثر قيمة من الهدية hedna . ولعل عرض أجامنون على أخيل أن يزوجه إحدى بناته ويعطيه الكثير من المدن دوطة لها خير انموذج على هذا النوع من العلاقة .

وكانت مراسم الزواج تتكون بشكل رئيسي من النقل المقدس للعروس من منزل والدها إلى منزل زوجها . وكان يسبق هذا الانتقال وليمة بهيجة eilepine يقيمها والد العروس ، وعندما يأتي المساء ، على الأقل بالنسبة للأسر الثرية ، تنتقل العروس إلى عربة على ضوء المشاعل ويصاحبها موكب ملائم لطبقة العروسين ، وقد قدم هيفايستوس عدداً من هذه الموكب في منظر من المناظر التي نقشها على درع أخيل ، والتي تؤودنا إلى افتراض أنه ينبغي الاحتفال بالزواج ، ففي أحد المناظر نجد حفلة زواج قد زين فيها مدينتان ، ففي إحداها كانت احتفالات الزواج تتم على أضواء المشاعل المتوقدة ، وقد تم مصاحبة العروسين في موكب عبر المدينة ، وكانوا يغنون فيه أغاني الزواج بصوت مرتفع ، بينما كان الفتیان يرقصون في حلقات على أنغام المزمار والقيثارة ، وبينما كان الموكب يمر عبر الشارع كانت النساء يقفن في شرفات منازلهن .

وبعد انتهاء موكب الزواج والوصول إلى بيت العريس كانت الخطوة الأخيرة هي إدخالها إلى حجرة زفاف العريس .

وتكشف لنا الأشعار عن خيانات بعض زوجات الأبطال وتصفها بأنها فعل سيئ،

ف نجد أن انتقاداً قد وجه إلى كليتمسترا زوجة أجامنون لعلاقتها الأثمة بأخي زوجها وزواجها منه فقد كانت زوجة لأخوين أجامنون وأجاسيثوس Agesthus فى وقت واحد. بل أنها تأمرت مع الأخير على قتل أجامنون أخيه بعد عودته من حرب طروادة. وكان هذا الزواج يعد قبيح مقارنة بما حدث لهيليني فى الاليادة وزواجها من باريس . ولم تكن الخيانة قاصرة على البشر فحسب بل نجدها بين الآلهة فقد قام الإله أريس Ares باغراء الإلهة افروديتى وكان هذا فعلاً فاضحاً ومشيناً . وكانت عقوبة جريمة الزنا هى القتل ، ولذا نجد أن العقوبة قد طبقت على اثنتى عشرة أمة من إماء أوديسيوس واللواتى أقمن علاقات آثمة مع خطاب بنيلوبى ولم يكن هذا الفعل المشين يشرف بيت أوديسيوس وأثار غضبه وأنزل بهم العقاب بعد ذبحه للخطاب الذين قيل عنهم أنهم ارتكبوا أعمالاً سيئة باغتصاب النساء . ومن الواضح أن بنيلوبى كانت ترى أن حب الخطاب كان يعد خطأ لأن زوجها لم يكن معروفاً إذا ما كان على قيد الحياة أم لا وكانت ترى أنها إذا ما تزوجت سترتكب خطأ آخر فى نظرها وفى نظر الناس ، وأن الخطاب يرتكبون الخطأ عندما يحاولون غوايتها وخاصة أن كل الدلائل قد أتت إليها مؤكدة العودة الآمنة لزوجها .ومن ثم كانت مماطلتها لهم مستخدمة فى ذلك الحيلة . ولعل تأكدها من أن زوجها ما يزال على قيد الحياة هو الذى دفعها إلى ذلك ، وخاصة لم يكن هناك ما يمنعها من الزواج من رجل آخر لأن أوديسيوس نفسه عند وداعها وهو ذاهب إلى طروادة وأوصاها بالزواج بمن تررضيه إذا لم يعد بعد مدة معينة ، وذلك عندما يشب وليدها ويصير رجلاً راشداً .

كان الغرض من الزواج أو اتخاذ خليلات عموماً هو إنجاب الأبناء الذكور الشرعيين وغير الشرعيين ، فقد كان واجب الزوجين هو تأكيد بقاء سرمدية الأسرة

بإنجابهما أبناء شرعيين ومن المفضل أن يكونوا أولاداً . إن دخول طفل جديد في عائلة الأسرة لم يكن عملاً بسيطاً ، فقد كان يصاحبه عدد من الطقوس والتي كان الغرض منها هو التأكيد ، في حضور شهود ، على اندماجه في الأسرة وقبوله للعبادة المنزلية فبعد أن تتم ولادة الطفل كان يتم غسله ، وهذه كانت عقيدة التطهير ، ويلف في كتان أبيض جديد ويربط بقماط ويوضع في مهد في شكل سلة المحصول . وكان الطفل الوليد يقدم لوأله بعد ذلك والذي كان يمكن أن يرفضه لعجز جسدي به وذلك لأن العيوب تجعل الرجل غير مناسب لممارسة الطقوس الدينية المنزلية . وفي اليوم العاشر كان هناك احتفال آخر ، إذ تقدم فيه الكثير من الهدايا وتقام فيه وليمة ويتم تسمية الوليد فيها . ولدينا مقال على ذلك فعندما أتى أوتوكيكوس Autolykus لزيارة ابنته وزوجها لأرتيس بمناسبة ميلاد أوديسيوس ، فبعد المأدبة قامت ابنته انتيكليا بوضع وليدها على ركبتيه وسألته أن يسميه وهكذا فإن ابن لأرتيس قد تم تسميته بأوديسيوس وقد تم إدخاله أخيراً وبشكل رسمي في الأسرة ، والمدينة مع وعد بهدايا رائعة من جده الذي صار كـ *godfather* (أي في العمادة) .

كان رب الأسرة هو القيم على الأسرة ولكن إذا ما غاب عنها لسفر ، أو لقتال فلن كانت الوصاية ، أو الولاية ؟ إن غياب رب الأسرة لا يفقد الوصاية والقوام طالما أنه ليس له ولد قد بلغ سن الرشد وله أتباع . فعلى الرغم من غياب أوديسيوس فإنه ظل قيم الأسرة وذلك لأنه لم يكن لتليماخوس اتباع وغير معروف إذا ما كان أوديسيوس حياً . فقد بقيت زوجته بنيلوبي بناء على طلبه في منزله ، وكان من الممكن لها أن تعود إلى بيت أبيها وتدخل تحت وصايتها . وعندما كبر تليماخوس وصار قادراً على ادعائه بأنه قيم لبيت أوديسيوس فقد كان يمكنه أن يبعث بأمه إلى بيت أبيها "جده"؛

ولكن كان عليه إذا ما فعل ذلك أن يرد لها دوطتها ، كما كان يمكنه أن يسمح لها بالبقاء والعيش في منزله وهذا ما حدث بالفعل ، ولكن إذا ما ثبت أن والده أوديسيوس ليس حياً ومن ثم فإن بنيلوبى أرملة فكان لتليماخوس السلطة الكاملة فى أن يتخلص منها بالزواج كوصى عليها .

وعلى الرغم من انتقال الوصاية إلى الزوج عند زواج البنات ، فإنهن لا يفقدن الاتصال تماماً بأسرهن ، فقد كان كل من البنات وأسرتهن تحافظ على بقاء الصلات المتبادلة والاهتمام بشئون بعضهما البعض . إذ نجد أن جد أندروماخى يفقدى ابنته ، فقد تم إرسال بيلليروفون Bellerphon لأسرة انتيا Antia للعقاب ؛ واللعنة التى استنزلتها أم مليجار عليه لقتل أخوتها .

لقد كانت عودة فارس غائب تمثل فرحة ما يعدلها فرحة أخرى ، فكان الفرح يعم جميع أفراد الأسرة فى الغالب الأعم وخير قصة على ذلك عودة أوديسيوس بعد طول غياب وبعد مغامرات عديدة ، فقد كانت بنيلوبى امرأته تتحرق شوقاً لرؤياه ، فحسب قولها لقد ذهب روانها يوم سافر زوجها وزوى جمالها يوم مبارحة زوجها إلى طروادة، ووالده الذى كان يأسى من أجل فراق ابنه ، وأمه التى ماتت غماً وحرناً على ولدها ؛ وابنه الذى أثقلت كاهله هموم الحزن .

وقد سر أوديسيوس عندما وجد أسرته بخير وسره ما سمعه من زوجته بنيلوبى كى تحتال على الخطاب الذين تمننت لهم الموت والخلص منهم فقد روت لأوديسيوس "المتنكر" حلمها . فكانت قد رأت سرباً من الإوز فى قصرها انقض عليه نسر وفتك به، ولما جعلت تندب الأمر سمعت صوتاً يقول "ما الإوز إلا الخطاب وما النسر إلا

زوجك" . وعندما تعرّف تليماخوس على والده سر وارتمى على عنق أبيه يبكي
 ويذرف الدمع الغزير ، وسرت المربية أوريكليا هي الأخرى بالتعرف على أوديسيوس
 ولكنها كتمت سرورها بناء على طلب سيدها أوديسيوس . وانتظرت إلى أن قتل
 الخطاب وذهبت إلى مخدع سيدتها تحمل البشائر السارة وخاطبتها قائلة انهضى يا
 ابنتى العزيزة وانظرى بعينى رأسك ما أملتة طويلاً فقد عاد أوديسيوس وفتك بالرجال
 الذين عاثوا فى ملكه ، وبعد حديث طويل بينهما تأكدت بنيلوبى من صدق المربية
 فابتهجت ووثبت على عنق المرأة العجوز وهى تبكى وتقول "أصدقينى الخبر الآن هل
 رجع حقاً إلى بيته وفتك بالخطاب وهو فرد وهم كثر ، وتستطرد قائلة إنك تعلمين أى
 سرور أجده بلقياه ، وبعد أن رأت أوديسيوس وتأكدت أنه هو ركضت إليه وطوقته
 بذراعيها وقبلته قائلة عفواً يا مولاي إذا كنت قد أبطأت التعرف إليك ، فإن للرجال
 مكاييد كثيرة ، وكنت أخشى دائماً أن يخدعنى أحدهم ، فيزعم أنه زوجى ، وأما الآن
 فأنى أعلم إنك زوجى ولا أحد سواه وبكيا وهما متعانقان وتبادلا القبلات ...

وتكشف لنا الأشعار أنه عندما يموت الرجل فكان من حقه أن يدفن وأن تقام له
 جنازة ، فقد كانت الأسرة مكلفة بها فى الغالب الأعم ويقع عبئها على عاتق الزوجة
 والأم والابن والأب ، فكانوا يأخذون الأدوار الرئيسية فى الاجراءات الجنائزية والتى
 كانت تتباين بصورة كبيرة وذلك وفقاً لحالة الأسرة ومكانتها فكانت الأسر الكبيرة
 تعتبرها موكباً أو مسيرة عامة والتى تبرز فيها ثروتها وقوتها وكثرة أتباعها .

إن عدم دفن الميت والفشل فى أن يسترد الأقران وأهل المتوفى جثته يمثل عدم
 احترام لأقربائه وأصدقائه . وقد حفلت المبارزات الهومرية المصحوبة بالتهديد والوعيد

والسخرية وهى أن الكلاب (والنسور) سوف تحضر جثتك . فقد كان نكران الدفن يمثل أقصى عقوبة توقع على المتوفى وهى عقوبة كانت تفرض على الخونة والذين دنسوا المقدسات والمنكرين . فأرواحهم أو أشباحهم قد حُكِمَ عليها بالتجول واليهام دون راحة ، وقد تصبح خطيرة فى بعض الأحيان .

فقد كان من الشعائر الجنائزية الشائعة حرق الجثة ، فقد كانت أرواح الموتى تتوسل من الركب بأن يتم حرق جثتهم ، فقد توسل شبح البنور وكان قد تكسرت رقبته نتيجة لسقوطه من شرفة منزل كيركى Circe لأنه كان ثملاً إلى أوديسيوس أن يحرق جثته وكل ما يملك عندما زار الأخير مملكة الموتى الواقعة خلف المحيط . وبنفس الطريقة فإن روح باتروكلوس تظهر لأخيل فى الحلم وتتوسل إليه أن يسارع فى حرق جثمانه . فالحرق وحده يعطى الراحة الأبدية لأرواح الراحلين حيث تفتح لهم أبواب هاديس ، وتشرح روح باتروكلوس ذلك الأمر على النحو التالى . فقد رأى أخيل فى منامه روح باتروكلوس التى خاطبته قائلة أتنام يا أخيل وتسانى ! ألا ادفنى سريعاً ، إنهم يحجزوننى بعيداً ، إن أرواح الموتى لا تحتل بقائى ولن تدعى أختلط بهم فيما وراء النهر ، وأنا أهيم فى هاديس وحدى ، ساعدنى أتوسل إليك ، حيث أننى لن أعود مرة أخرى من هاديس ، عندما تحرقنى" . إن حرق الجثة يعنى أن الروح تترك عالم الأحياء وأصبح لا يخشى منها مرة أخرى .

ومما هو جدير بالقول أنه إذا ما كان الحرق هو الشائع عند هوميروس ، فإن الحفائر الأثرية قد كشفت أن بلاد اليونان فى العصور الهومرية قد عرفت عادة الدفن على نطاق واسع أيضاً ، فمقابر ديبلون Diplon فى أثينا كانت مخصصة لدفن الموتى ،

ومن الجدير بالذكر أن الأسرة الكبيرة قد تحولت من عادة الدفن إلى الحرق .

ويقدم لنا هوميروس ثلاثة مشاهد لاجراءات الجنازة قبل حرق الجثة أولها : جنازة باتروكلوس فى الكتابين الثالث والرابع والعشرين من الاللياذة وجنازة أخيل التى يصفها لنا أجامنون فى الكتاب الأخير من الأوديسة وجنازة هيكتور ، وهذه المشاهد قد أكدتها رسوم المزهريات الجنائزية التى عثر عليها فى ديبلون . وكان هذا الطقس يتكون من المشاهد الآتية وهى غسل الجسد ودهنه وتغطيته بالكتان ووضعها على سرير ، وفرق المنشدين والأقارب من الرجال والنساء والأصدقاء والرفاق ، وغناء أنشودة حزينة والتى كان أثرها على الحضور الأنين ، والبكاء ، وفى جنازة هيكتور نجد أن اندروماخى زوجه تبدأ اللحن الحزين بالعويل قائلة : إيه زوجى ! لقد هلكت وأنت فى ميعة شبابك وتركتنى للأيم ... الخ ثم تولول أمه بقولها يا أحب أبنائى ... وبعد ذلك تبدأ هيلينى عويلها بقولها " يا أفضل من أحببت من أخوة زوجى .. " . وكانت النادبات النائحات تعول عويلاً طويلاً مع نهاية إنشاد كل بيتين من الأنشودة الحزينة .

وكان دفن الجثة بأخذ بعض الوقت ، فشبح باتروكلوس قد طلب ألا يكون الوقت طويلاً ، وجثة هيكتور قد ظلت تسعة أيام قبل حرقها بينما بقيت جثة أخيل سبعة عشر يوماً . وفى هذه الحالات فإن الجثث كانت توضع ، وكان يتم تقديم أضحية للميت وكان يسكب دمها فى أكواب حول الجثة . أما عن لحمها فكان يتم أكله فى مأدبة كبيرة . والطقس الثانى : كان يتمثل فى نقل الجثة فى موكب جنازى إلى مكان الدفن ، فكانت الجثة توضع على عربة ذات عجلات أربع ، وتصاحبها النائحات السائرات على

الأقدام ، بينما كان الرجال المصاحبون يركبون العربات إلى أن يصلوا إلى مكان الدفن . والطقس الثالث : وهو الحرق ، والدفن : فكان يأتي دور الأقارب المقربين للمتوفى، فكانوا هم الذين يقومون بهذا الواجب ، فأقرب الناس وأحبهم للمتوفى هم الذين يجمعون الحطب ويعدون المحرقة ، ثم يضعون الجثة على كومة الخشب . وتقدم الأضاحى مرة أخرى التى كانوا يأخذون دهنها لتغطية الجثة بينما يضعون لحرمها وجرار العسل والزيت حول الجثة . فعند حرق جثة باتروكلوس فقد ضحى أخيل بأربعة جياد واثنين من كلابه وباتنى عشر شاباً طرودياً وألقى بهم فى النار . وبعد انتهاء حرق الجثة فإن الخمر كان ينثر على الرماد لإخماده ، ثم تجمع العظام معاً وتلف فى طبقتين من الدهن ثم توضع فى جرة ، وبعد لفها فى الثياب الأرجوانية يتم وضعها فى المقبرة وتغطى المقبرة بالأحجار الكبيرة ثم يهال التراب عليها .

بعدها يعود أفراد الأسرة إلى منازلهم بعد أن يطهروا أنفسهم كانوا يشاركون فى المأدبة الجنائزية التى يعدونها وكانوا يتصورون أن روح الميت تحضر هذه المأدبة . وفى اليوم الثالث ، والتاسع كانت تقام مأدبة عند المقبرة للمتوفى نفسه . وهذه كانت نهاية فترة الحداد وهنا حسب تصورهم فإن روح المتوفى تكون قد أخذت مكانها فى العالم الآخر .

وقد جرت العادة أيضاً إقامة الألعاب العامة ، والجنائزية بمناسبة موت بطل من الأبطال فقد كان الناس مغرمين بالألعاب ، والمنافسات الرياضية ، أما عن المنافسات الرياضية والبدينية فكانت تتكون من سباق العربات ، وركوب الخيل ، والملاكمة والمصارعة ورمى القرص ، والاققتال مثل المبارزة ورمى السهام والرمح ، أما عن

المنافسات الفنية فكانت تتكون . وتصور لنا الأشعار الهومرية أن سباق العربات كان يمثل الملمح الرئيسي في الألعاب الجنائزية لباتروكلوس ، وكانت الآلهة تتدخل فيه وتتنافس مع بعضها البعض برعاية كل منها لبطل من الأبطال المتنافسين . والفنية من الغناء والرقص وقرض الشعر . والجزء الأكبر من الكتاب الثالث والعشرين من الايلاذة يقدم لنا وصفاً حياً للألعاب التي أقامها أخيل بمناسبة موت رفيقه باتروكلوس ، كما يحتوى الكتاب الثامن من الأوديسة على وصف للألعاب العامة التي كان يصاحبها الرقص والغناء والتي حضرها أوديسيوس في فياكييا . وتقدم لنا الأوديسة أيضاً الحديث بين شبجي كل من أجامنون وأخيل والذي روى فيه شبح أجامنون الألعاب التي عقدت بمناسبة موت أخيل وذكر فيه أن الشباب كانوا يتنافسون ويتبارون في الرقص والملاكمة من أجل الحصول على الجوائز ، وأنه شهد الكثير من ماتم الأبطال والملوك ، ولكنه لم يشهد قط ماتماً يشبه ماتمه وفي سخاء الجوائز التي جاءت بها أمه ثيتيس . وتكشف لنا هذه الكلمات عن أن ممارسة الألعاب الجنائزية كانت عادة منتشرة في بلاد اليونان ولعل أحاديث نستور في الكتاب الثالث والعشرين من الايلاذة تؤكد هذا فيجده يذكر انتصاراته عندما كان شاباً في الألعاب التي أقيمت في تكريم امارنيكيوس Amaryncus ملك الابيانيين وفي نفس الكتاب أيضاً اشارات إلى الألعاب التي تم الاحتفال بها في طيبة بعد موت أوديب .

ومما هو جدير بالذكر أن إقامة الاحتفالات الجنائزية وما يصاحبها من منافسات لتكريم المتوفى كانت تسمح لأهله ولأخلافه وأصدقائه بأن يظهروا قوتهم و ثروتهم وعظمتهم .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن الثأر من القاتل أو المعتدى على شرف الأسرة كان من الأمور والقضايا العائلية ، وهذا الثأر يمتد إلى من قتلوا فسى المعمارك وكان على أقارب القتلى أن يأخذوا بثأرهم حيث كان من الأفضل أن القريب *γυνωτων* هو الذى ينتقم . بثأره من القاتل ، لقد كانت أندروماخى تخشى أن ابنها قد يقتله أحد أقارب من قاتلهم والده هيكتور وقتلهم . بل أن هيكتور نفسه بقتله لباتروكلوس قد أثار ثائرة أخيل رفيقه وجعله يخرج من عزلته وعزوفه عن القتال ويسنزل للثأر من هيكتور ويصرعه بالفعل انتقاماً لقتل رفيقه ، وربما يمتد الثأر إلى من قتلوا سواء مصادفة أو غير مصادفة، مثل قول نيسطور لتليماخوس إنه لشيء محمود أن يكون هناك ابن يحيى رجلاً مات مثل أوريستيس الذى أخذ بثأره من قاتل والده .

وكان يمكن للرجل القاتل أن يدفع فدية لأقارب القتيل إذا ما قبلوا ونظير دفعه لها يحصل على سماحهم وعفوهم ومن ثم يمكنه العيش فى جماعته ، وكان الانتقام لانتهاك حرمة وشرف الأسرة من الأمور العائلية فقد انتقم أوديسيوس لانتهاك حرمة بيته واستنزاف موارده من قبل الخطاب . ورفض عرضهم بتعويضه عما استنزفوه والتهموه عشرين ضعفاً بل قال إن يديّ لن تكفا عن الفكك حتى أخذ بثأرى منكم جميعاً، وعندما ذهب إلى والده كاشفاً له عن شخصيته ومخبراً إياه بنبأ قتله للخطاب فكانت فرحة والده غامرة ولكن كان يخشى أن تثير قبائلهم أهل إيثاكا والجزر المجاورة عليهم . وبالفعل لما علم أهل الخطاب القتلى تنادوا للاجتماع فى ساحة السوق ووقف والد أنطينوس القتيل يخطب فيهم قائلاً "لا ريب فى أن هذا الرجل قد أنزل بهذه الأرض شراً عظيماً ، إذ استصحب كثيرين من الرفاق البسلاء إلى طروادة ، فأضاعهم جميعاً مع سفنهم وقد عاد الآن وقتل أمراء الشعب . وذلك عار علينا ، تصمنا به الأجيال

القادمة إذا لم ننتقم من هؤلاء الذين فتكوا بأبنائنا وأخوتنا . حقا إننى لا أرغب فى الحيلة إذا بقى عمل كهذا بلا انتقام . فتعالوا إذن نسرع لنلا يركبوا البحر وينجسوا بأنفسهم ، وبالفعل اقتتل أهل الخطاب من اثيكا مع أوديسيوس وصحبه ولكن أوقف الاقتتال بأمر من الربة أثينا . إذ صاحت عالياً وقالت كفوا عن القتال يا رجال اثيكا فإنه لشديد عليكم" .

ومثال آخر على ثورة الرجل لشرفه وكرامته . فعندما أخذت بريسيس من أخيل أهينت كرامته علانية ، وإذا ما ضاعت الكرامة مرة واحدة ، ضاع الوجود الأخلاقى لمن ضاعت كرامته . فالشرف لا يقاس كما تقاس البضائع فى السوق . والإهانة كانت تساوى ما تساويه الحرب ، فلم تكن بريسيس تساوى شيئاً .

ولكن أخذها من أخيل يساوى سبعة مقاعد لم توضع على النار اطلاقاً . وعشر تالنتات ذهبية ، وعشرين وعاء لأمعاً واثني عشر جواداً من تلك التى تفوز فى سباق الخيل ، وعشرين أسيراً طروادياً وسبع مدن وزوجة من إحدى بنات أجاممنون وبعض أشياء أخرى ، وهذا هو تقدير أجاممنون ولكن هل قبل أخيل هذه الترضية ؟ الإجابة أنه رفض الترضية والهدية . وذلك لأن شرفه وكرامته قد أهينت .

كما كان النفى بمحض الاختيار يمثل عقوبة للقتلة ويكون له اثار اقتصادية على أسرة المنفى ، فقد أصبح لا يعيل ولا يحمى أسرته ، وإذا ما كان صاحب مواهب ومهارات خاصة فإنه يمكنه أن يحيا حياة سعيدة مثل باتروكلوس كمقاتل ومثل كليمنوس كعراف . إن المنفى قد يمكن أن يكون كالغريب Xenus أو Xeinas ، ومن ثم يمكنه أن ينضم إلى أسرة جديدة قد تقبله نظير ما يقدمه لها من خدمات . وكان هؤلاء الغرباء

يتكونون من مقاتلين وعرافين وأطباء وصناع ومنشدين . وكانوا يمنحون الطعام والكساء نظير ما يقدمونه من خدمات . ويقول تليماخوس إن الشحاذ سوف يعمل لحسابه ، وأوديسيوس المبتكر في ثوب شحاذ عجوز يمكنه أن يكسب قوت يومه من العمل الزراعى ، ولعل تحديه لأحد الخطاب فى أن يباريه فى العمل الزراعى من حرث وحصاد . هو خير شاهد على ذلك ، كما أنه فى تحديه يقول له أيضاً "إذا ما أثار زيوس معارك فى أى بقعة وكان لى درع ورمحين وخوذة برنزية لأضعها على وجنتى ومن ثم فسترانى فى مقدمتها بين القادة الأقدان . وهذا يعنى أيضاً أنه يمكنه أن يكون مقاتلاً . ومن الواضح أن الرجال المسلحين كانوا فئة هامة من الغرباء وكانوا يحصلون على ملابسهم وسكنهم لقاء خدماتهم . وحتى عابرى السبيل من الغرباء من السائلين المعونة مثل أوديسيوس والشحاذين مثل أوديسيوس المبتكر . كان يمكنهم أن يحصلوا على مأوى ومأكل إذا ما وصلوا إلى سيد البيت ، وإذا ما كانوا يحملون أنباء سارة فإنهم فضلاً من المبيت والمأكل كانوا يحصلون على هدايا من ملابس وأحذية وأى شىء قد يحتاجونه للطريق ، وكانت هناك شريحة عريضة من الغرباء وهم المسافرون من النبلاء . المسافرون فى أراض ليست أرضهم ، حلفاء حقيقيين فى الحرب ، وجرت عادة الأبطال الهومريين أن يوفروا أماكن لراحة نبيل من النبلاء الذى يكون بعيداً عن وطنه فى زيارة عائلية أو لتجارة أو لأعمال قرصنة أو فى مهمة رسمية . لقد كان لأوديسيوس دائرة كاملة من الرفاق الذين يبادلهم الزيارات ، وكان تليماخوس قد استثمر هذه العلاقات عندما قام بسفرته باحثاً ومتقصياً لأخبار والده فقد استقبله كل من ملكى بيلوس واسبرطة بترحاب ، وفى اثيكا فقد استقبل تليماخوس مينتيس Mentis الكريتى وأوديسيوس المبتكر . وفى أسبرطة كان على كل من الملك منيلاس

واتيونيبوس Eteoncus تابعه أن يدخل البهجة على الغرباء لأنهم كانوا غالباً ما يبهجونهم فى أسفارهم .

وتكشف لنا الأشعار عن أن الشك كان يراود بعض بيوت الأبطال فى الزوار . وذلك لظروفها الخاصة ، فنجد أن عدم وجود سيد البيت ، كما هو الحال بالنسبة لأوديسيوس قد جعل ربة البيت بنيلوبى تتجاهل الزوار ، لقد كان الشك فى الزوار ليس غريباً فى عصر كان يصعب التمييز فيه بين التجار والقراصنة ، فبعض الأشخاص المسافرين "الغرباء" كانوا يعتبرون أن العنف شرعى للحصول على ممتلكات ، وحتى هؤلاء الذين استقبلوا بحفاوة وترحاب كان يمكنهم أن يغدروا بمن استقبلهم كما هو الحال بالنسبة لبارس ، فقد غادر أسبرطة ومعه زوجة مضيئة ونصف ممتلكاته ، كما أن التاجر الفينيقي قد حصل على ثلاثة كؤوس وأمة وابن الملك وولى الأديار ، وكان نتيجة هذا بيع ابن الملك كعبد لأوديسيوس .

وكانت الضيافة محكومة بقوانين ثابتة ، فعندما يقدم غريب حسن الملامح نفسه ، فإن أحد أفراد الأسرة يقابله ويريحه من الريح الذى يحمل الضيف الكريم دائماً ، وبمسك بيده اليمنى ويقوده إلى البهو حيث يجلسه على عرش يواجه الموقد . وتأتى امرأة ومعها إبريق وحوض لغسل يدي الضيف ، ثم تضع منضدة أمامه وتضع عليها خادمة كوب وسلطة خبز ، ويحضر مقطع اللحم طبق لحم ، ويملى حامل الكأس الكوب ، وبعد أن يتناول وجبته يتم سؤال الزائر عن اسمه وأسرته وعن وطنه ، وغرض الرحلة ، وإذا ما تملص الزائر من السؤال فإن مضيفه يكون حذراً فى ألا يصير على السؤال فى الحال حيث ستتم الاستفسارات فى ظروف أفضل فيما بعد مثلما حدث مع

أوديسيوس فى قصر الكينوس وكان الضيف يشارك الأسرة حياتها طوال فترة بقائه معها . فكان يتم إعداد سرير له فى المدخل المؤدى إلى البهو ، وعندما يغادر ، كان يحصل على هدايا تتلاءم مع مركزه ، ويقدم له كأس الرحيل ، وتسكب السوائل لإرضاء الآلهة ويتم توفير الوسائل والأدوات التى تمكنه من مواصلة الرحلة سواء بالعربة أو بالسفينة وأحياناً ما كان يصاحبه أحد أبناء الأسرة كما رتب نستور لتليماخوس أو بواسطة خادم .

لقد شاع فى المجتمع الهومرى عادة إقامة الولائم والمآدب والاحتفالات ، فقد كان من واجبات الأبطال دعوة نوى القربى والجيران والأصدقاء ورجال من نفس الطبقة ، لحضور احتفالات الأسرة أو العامة أو بمناسبة زيارة ضيف هام ، فإقامة مثل هذه الحفلات كان يسبغ على السيد الهيبة والاحترام ، كما كان كرم الضيافة يمثل نوعاً من الاستثمار بالنسبة لبعض الأسر . كما نجد أن بعض نبلاء اتيكيا والجزر المجاورة فرضوا أنفسهم على بيت أوديسيوس المفترض أنه قد مات وبينلوبى المفترض أنها أرملة . لقد تصرفوا كخطاب دائمين والذين تمت دعوتهم من قبل سيد البيت . لقد كانوا يحتفون ويقومون الولائم طوال النهار ويستنزفون طعام السيد الغائب وثروته . لقد كانت تلك الاحتفالات وما يصاحبها من ولائم تكلف مقادير ، وكميات كبيرة من الأطعمة والمشروبات ، فقد كان الرجال يتناولون ثلاث وجبات يومياً ، والتى تتكون بشكل رئيسى من الخبز واللحم المنقوعة فى النبيذ . فكانوا يتناولون طعام الإفطار (ariston) فى الصباح والغذاء (deeponon) فى وقت الظهيرة والعشاء (derposi) فى المساء . وعندما تقام الولائم فإن الحضور يتناولون وجبتى الغذاء والعشاء . والفترة الفاصلة بينهما كان يقام فيها الألعاب والأغنى والرقص وأنواع أخرى من التسلية والترؤيح .

وتقدم الأشعار وصفاً رائعاً لإقامة المآدب فكان يقوم الجزارون ، أو أحد أفراد الأسرة بذبح الحيوانات ، وسلخها ، وتقطيعها فى فناء المنزل وكانت عملية الذبح تمثل نوعاً من التضحية على شرف إله ما . فحينما كان يذبح حيوان فلإن أحد الأشخاص الحاضرين كان يحتفظ ببعض شعرات من شعر رأس الذبيحة ، ويلقيها فى النار بينما كان يتضرع لصالح الحاضرين . وقد قام يومايوس بهذا العمل لإدخال البهجة ، والسرور على قلب أوديسيوس المتكرر وهو فى بيته . وكان يتم طهى الطعام - خاصة اللحوم - من قبل الرجال فى فناء المنزل فى الهواء الطلق ولكن إذا ما كان المناخ سيئاً فإن العملية كانت تتم فى بناية مسقوفة . وكانت النساء يقمن بأعداد الخبز والكعك والشربة والحلوى .

وكان يتم استقبال الضيوف الأعلى مرتبة فى بهو منزل الكينوس وكان يتسع لخمسين ضيفاً ، بينما الضيوف الأدنى مرتبة فى المدخل والفناء الكبير . وكان الرجال المرموقون هم الذين يجلسون وأمامهم مناخذ ، بينما الآخرون يجلسون على الجلود المفروشة على الأرض .

عندما يحين وقت تناول الطعام يأتى دور الفتيات ، فبعضهن كن يمسكن بأباريق وأحواض يصببن الماء على أيدي الضيوف ، وأخريات كن يحملن سلال الخبز وكأس لكل ضيف ، وكانت الكؤوس إما فضية وإما ذهبية وبعضها كان يزدان بالزخارف مثل كأس نستور ذات المقابض الأربعة باليمام . ثم يحضر مقطعو اللحم قطع اللحم على أطباق معدنية أو خشبية ، بينما كان حملة الأكواب والكؤوس يخلطون الخمر بالماء فى باطية كبيرة ذات مقبض وأرجل والتي كانت تملئ منها الأكواب . وكان يتم تكريم

الضيف بتقديم طبق إليه من قبل رب البيت نفسه . وبينما كان يجرى تناول الطعام فإن الشحاذين كانوا يحومون ويدورون حول المكان أملين فى الحصول على قطعة من اللحم والخبز . وكان الحضور يتناولون طعامهم بأصابعهم .

وبعد الانتهاء من الطعام والشراب فى قصر الكينوس يبدأ التسلية والترفيه ويأتى على رأسها انشاد الشعر من قبل المنشد المحلى مصحوباً بأنغام قيثارته . ويعقب الانشاد تسلية أخرى ، فبعض الضيوف كانوا يلعبون النرد ، بينما البعض الآخر كانوا يتبارون فى فناء التكريم فى رمى القرص وقذف الرمح . وأحياناً كان يتم ادخال السرور من خلال الحوارة بالعابهم البهلوانية كما فعل مينلاوس فى حفل زواج ابن وابنة ، كما كان يتم اجراء منافسات فى المصارعة والملاكمة . فخطاب بينلوبى فى ليلة طربهم ولهوهم قد حرضوا كل من أوديسيوس المبتكر فى هيئة شحاذ وبين الشحاذ إروس على التشاجر وحثهما على أن يتلاكمان ويتصارعان . وكان بعض الرجال يمضون وقتهم فى جو من البهجة حيث كانوا يرقصون فالرقص كان جزءاً رئيسياً من تعليم وتربية النبلاء . ولم تخل وليمة أو حفلة من الرقص الذى كان يتبارى فيه الشباب لابرار مواهبهم وبراعتهم الفنية . فكانوا يرقصون فى فناء المنزل وسط جموع المشاهدين الواقفين ، وكان الرقص مصحوباً بالموسيقى والأغاني العذبة . وكانت الاحتفالات البهيجة تتوقف عند الغروب ، ولكن هذا الجو البهيج كان ينتهى أحياناً بمشاكل حيث كان بعض الحضور يسرفون فى الشراب ويفقدون السيطرة والتحكم فى أنفسهم . وفى حالة غضب أحد الخطاب وكانت الخمر قد لعبت برأسه قد قذف كرسية على أوديسيوس المبتكر فى هيئة شحاذ . وأيضاً تلك المشادة بين كل من أوديسيوس وأخيل والتي ردها ديمودوكوس فى إحدى أغانيه .

الحياة الاقتصادية :

ثروة الأسرة :

كان لأرباب oikos سلطة مطلقة في تصريف شؤونه الاقتصادية و ثروته التي تتكون في المقام الأول من الأرض والمنقولات والأنعام والعبيد والكنوز ، فقد كان النبلاء من أرباب الأراضى ، ونجد أن مفهوم الزراعة عند هوميروس كأساس للحضارة ، قد استخدم الأرض لزراعة الحبوب والفاكهة والأعشاب والزيتون وزراعة الخضر ، كما استخدمت الأرض في رعى القطعان . وكان يتم حساب ثروة كبار الملاك بعدد ما يملكونه من رؤوس الماشية وخاصة الثيران والأغنام والماعز والخنازير والعبيد وبجانب هذا فقد كان يوجد الكنوز المخزونة التي كانت تحفظ في غرف خاصة في المنزل أو القصر وكان يحفظ بها مخزون المواد الغذائية من الحبوب وجرار النبيذ والزيت والمواد الثمينة والمعادن النفيسة في شكل ركائز وسبائك والأسلحة ، وكان الغرض من اكتناز المواد والمعادن النفيسة لإظهار الوجهة وتحقيق المهابة وتحقيق المنافع بتبادلها مع الأقران وذلك بإهدائها لضيوف ينزلون عليهم . والطريقة التي اتبعتها الأبطال الهوميرون للحصول على المعادن والعبيد عن طريق الحرب فالإغارات المنظمة بغرض الحصول على الأسلاب كانت شائعة عند هوميروس ونجد أن الأبطال الهوميريين قد اعتادوا الحديث عن تجاربهم ومغامراتهم . لقد بدأ أوديسيوس يروي قصته في قصر الكينوس حول أسفاره من طروادة بالكلمات الآتية : من اليون قادتني الرياح إلى اسماروس Ismaros وفي أرض الكيكونيين Ciconians دهمنا المدينة وقتلنا الرجال وسبينا النساء واستولينا على الكثير من كنوزهم وقسمناها بيننا وبهذه الطريقة لم يحرم أحد من نصيبه العادل من خلالى .

وهكذا فإن الغنائم التي تؤخذ من الأعداء كان ينبغي تقسيمها بين المشاركين فى الحملة وكان للقائد الحق فى الحصول على نصيب خاص .. ولم تكن الحرب وحدها هى الوسيلة الوحيدة للحصول على المواد النفيسة فكان من الضرورى اللجوء إلى نظام التبادل ونجد العديد من الأمثلة على ذلك للهدايا والهدايا المقابلة ، فالمرء لم يكن يعطى لإدخال البهجة والسرور ولكن يتطلع على المدى البعيد إلى خدمة أو هدية فى المقابل ، فالهدية تخلق التزام بهدية مقابلة فالأبطال يرون وهم يسعدون ضيوفهم ويقدمون لهم الهدايا (الأسلحة ، معادن ، اشياء نفيسة ... الخ) فإنهم كانوا يتوقعون فى المقابل شيئاً عينيّاً أو خدمة. وبهذه الطريقة فإن التبادل قد نظم وأتم معالجة الفجوة فى الاكتفاء الذاتى. وينبغى أن تؤكد على السمة غير التجارية لهذه المبادلات فالهدايا لكلا الطرفين ينبغى أن تحقق التوازن أو مساوية لبعضها البعض . إن هذا النظام يكون مناسباً لغير الارستقراطيين .

ولم يكن منح الهدايا والهبات حكراً على الرجال فحسب بل نجد أن هناك بعض النساء كن يعطين الهدايا والهبات وإن كانت فى الغالب الأعم من الأشياء التى صنعنها بأنفسهن أو صنعتها إمائهن^(٦١) ، فعلى سبيل المثال فقد أعطت هيلين تليماخوس ثوباً جميلاً لعروسه ، واختارت أرقى الملابس التى ستضعها فى صندوق أوديسيوس ، وعلى نحو أكثر تواضعاً فقد أعطت بنيلوبى لايومايوس مجموعة من الملابس .

ملكية الأرض والزراعة والرعى :

ولما كان اقتصاد اليونان فى هذه الفترة اقتصاداً زراعياً رعويّاً ، فإن معرفة نظام الملكية وحياسة الأرض يكون ضرورياً لفهم حقيقى لأنماط حياتهم ولا نستطيع

الحصول على الحقيقة بالنسبة للقضايا الأساسية في العصر المظلم فعندما دخل أسلاف الإغريق في الألف الثانية فمن المعقول أن نفترض أنهم زرعوا الأرض ليسوا كأفراد وإنما كجماعة تربطها أواصر الدم والقربى بدرجة ما ، وكان نظام الزراعة والرعى يعتمد على الحقول المفتوحة إذ كان قطاع من الأرض يزرع على نحو مشترك . وفى العصر الموكينى بنظامه البيروقراطى حدثت تغييرات عديدة فى وضع الأرض . وكما لاحظنا فى الفصل الخاص بالموكينيين أن المجموعة الخطية لم تقدم صورة جلية عن حياة الأرض فى الفترة ما بين القرن الرابع عشر والقرن الثانى عشر ، ثم وصلنا إلى الغموض والفوضى الناجمة عن الغزو الدورى والفوضى والهجرة إلى آسيا الصغرى .

ومن المرجح أن اليونان فى العصر المظلم سواء أكانوا فى بلاد اليونان أم فى آسيا الصغرى ، قد عادوا إلى نظام العمل الزراعى المبكر وبالنسبة للقرن التاسع وربما فى فترة سابقة فإن الإلياذة والأوديسة تقدم لنا بعض الملاحظات منها : أنه فى الفقرة المشهورة فى الكتاب الثانى عشر من الإلياذة (Ibid 421 - 433) التى نجد بها الآخيين والطرواديين يقاتلون عبر سور أو حائط يفرق بينهم بالمقارنة بين صورة رجلين يتنازعان على الحدود ، فكان فى أيديهما قصبه المساح ، وفى حقل مشترك ، وعلى قطعة أرض صغيرة كانا يتنازعان للحصول على نصيب متساوٍ والصورة هنا هى ، من المرجح ، لحقل زراعى مشترك بين بعض الجماعات ، ومن المرجح مجموعة تربطها صلات القربى والتي يكون لها نصيب مساوٍ ومعروف قد خصص لكل رجل من خلال علامات الحدود من الصخور . والتفسير هنا يكون أنها تشير إلى نوع من نظام زراعة الحقول المفتوح . ويمكن تفسير فقرات أخرى - لتعضيد نفس الفكرة وخاصة المشهد المنقوش على درع أخيل حيث يكون العديد من الحرائين يقودون

أزواجهم من الثيران فى حقول كبيرة وغنية . ويمكن تفسير ذلك أنه فى فترة ما من العصر المظلم ومن المرجح فى بدايته أن بعض الأراضى الزراعية ، على الأقل ، قد زرعت وكانت حيازتها مشتركة للجماعة . وإذا نظرنا إلى بعض فقرات الأوديسة يكون انطباعنا أن الكثير من قطع الأراضى كانت فى أيدي الأسر oikoi ويمكن أن يكون ذلك قد حدث فى فترة مبكرة عندما استقر اليونان فى مناطق معينة ، وبمرور الوقت ونتيجة لضعف التضامن بين الجماعات فإن وضع الأسرة الاقتصادية قد بدأ يتضح كوحدة منفصلة . وأياً كان التفسير الصحيح للوضع الأسمى ، فإننا نجد الأسرة فى القرن التاسع قد صارت الوحدة الاقتصادية والاجتماعية . وكل أسرة تملك مساحة ما من الأراضى الزراعية التى استخدموها لزراعة الحبوب والحدائق والبساتين وكما زاد عدد أفراد الأسرة فإن الأسرة كانت توسع مساحة الأرض التى تزرعها على حساب المناطق المجاورة لها وذلك بتحويل أرض المراعى أو الأراضى الفضاء إلى أرض زراعية . وكانت الأسرة بحاجة إلى مراعى لرعى قطعانها ، ومسألة وضع أرض المراعى تكون غامضة ، فقد كانت أرض المراعى فى البداية ، أرض مشتركة للجميع ، ومن جهة أخرى فإنه على ما يبدو أن الأسر ادعت ملكيتها لبعض قطع الأراضى التى ترعى عليها قطعانها . وحيث أن حدود أرض المراعى غير محددة فإن اعتمادات الماشية على أراضى أخرى كان شيئاً مألوفاً وبدون شك فإن كثيراً من المشاجرات قد حدثت بين الأسر وذلك بسبب عدم وضوح الوضع حول أرض المراعى وحدودها .

وكانت الأراضى مملوكة للأسرة ككل وتنتقل من جيل إلى جيل ، فالجيل الحالى لا يملك الأراضى بالمعنى الحديث للكلمة "يملك" فالأراضى تخص الأجيال السالفة والقادمة

بالتساوى والأحياء لهم حق الاستغلال فقط ، وارتبط بذلك الواجب المقدس لحفظ الأرض التى دفن فيها أسلافهم وأن ينقلوها إلى الجيل التالى . ولم يكن التخلّى عن الملكية موجوداً لأفراد الأسر . وكان عدة أجيال من أفراد الأسرة الواحدة من الرجال والنساء والأطفال والعبيد والأتباع يعيشون ويعملون لرفاهية الجميع بالأسرة . فكان العمل الجماعى هو الأساس والهدف منه هو تحقيق الاكتفاء الذاتى للأسرة قدر الامكان .

وعلى الرغم من أن الجانب الأكبر من الأرض الزراعية والرعية كانت تحت يد الأسر العريقة ، فقد وجد مزارعون مستقلون يزرعون أرضهم الخاصة . ويقدم لنا هوميروس معلومات بسيطة عن هذه الفئة إذ نجده يذكر حالة مزارع يعيش فى أرضه منعزلاً فلا جيران له ويحافظ على نار موقده ولعل هذه الأرض قد استصلحها صاحبها لنفسه وكانت حياة مثل هذا المزارع صعبة .

وهكذا فإن مفهوم الملكية عند هوميروس كان ينصب على نوعين من الممتلكات الثابتة والمنقولة أما عن الأولى فهى الأراضى والمباني والثانية فهى العبيد والحيوانات والمنقولات . وكانت هذه الممتلكات تنتقل إلى الابن الشرعى فلا أحد من خطاب بنيلوبى ينكر على تليماخوس ابنها أن يخلف والده فى oikos إذ أن ميراث الأملاك كان يؤول إلى خلف شرعى ، فلا يوجد وصايا عند هوميروس ، والخلف عادة ما يعنى الذكور الشرعيين وأحياناً غير الشرعيين "ابن منيلاوس" أيضاً أزواج البنات فى حالة عدم وجود أبناء ذكور ، فقد سخر أخيل من أينياس لأنه لا يستطيع أن يتمنى أن يصبح ملكاً على طروادة وذلك لأن بريام له أبناء ذكور من صلبه . ولكن عندما ذبح قتل

ديوميدي كل من اكسانثوس Xanthus وتؤس Thoas ، فإن تركة والدهما قد اقتسمها أقارب بعيدين ، وكما نسمع عن أن والد دولون قد يسعده أن يفقد ابنه الوحيد لأن أسرته مكونة من ستة أفراد ، بمعنى عتيق فى افتداء الوريث الشرعى .

وكان أصحاب الضياع الواسعة مثل الكينوس وأوديسيوس ، يهتمون بغرس أشجار الفاكهة من الأعناب والكمثرى والتفاح والتين والزيتون الخ وكان زراع العنب أحياناً يقومون بتقليم الأغصان ويجمعون عناقيد العنب فى سلال ويتركونها لمدة خمسة عشر يوماً فى الهواء وعشرة الأيام الأولى منها تترك فى الشمس ثم خمسة الأيام الأخيرة تترك فى الظل ثم يقومون بعصره وبعد العصر كان يصب النبيذ فى جرار لحفظه .

والعناية بالحدائق والبساتين كانت دائمة فكان يتم عزق التربة تحت الأشجار ويتم رى الحدائق بالمياه التى تحتاجها ويبدو أنهم استعملوا السماد . كما زرعوا الحبوب القمح والشعير ، والصورة المنقوشة على درع أخيل تصور الحياة الزراعية فهناك الحصادون وجامعى العنب .

وكانت أساليب الزراعة وأدواتها المستعملة ما تزال بسيطة ولكنها كافية ، فقد لجأوا لمواجهة إنهاك التربة إلى زراعة قسم من الأرض ، وترك قسم آخر بدون زرع ويتم تبديل الوضع فى العام التالى ، فيزرع ما ترك ويترك ما كان قد زرع فى العام السابق . وكان يتم حرث الأرض بمحراث تجره الثيران أو البغال ، وكان يتم حرث أرض الحبوب حرثتين أو ثلاث وكانت الثالثة تتم بعد البذر لاختفاء البذور ، وبعدها كان يتم تزحيف الأرض لتغطية أى حبوب والتى تركها المحراث على السطح ، وكان

يتم تكسير قطع الطين الكبيرة بمدقات . وكان الحصادون يستخدمون المناجل ، وكانوا يجمعون السنابل فى حزم وتثقل فى عربات وتدرس فى البيت وتذرى فى الرياح ، واستخدمت الثيران والبغال لتدرس السنابل وكان يتم تغليبيها بشكل دائم ولا تترك سنابل، وعندما تجمع الحبوب توضع فى جرار وتغلق . وكان الدقيق يطحن بالرحاة ويخزن فى أوعية من الجلد .

وبجانب الزراعة فإن تربية الحيوانات كانت المصدر الأساسى للثروة ويشيع فى الإلياذة والأوديسة ذكر الثيران والأبقار والعجول والخراف والنعاج والماعز وصغارها والخيول والبغال والخنازير وكانت ترعى فى الأودية الخصيبة وعلى المنحدرات غير المزروعة وفى الغابات ومن هذه الحيوانات كان يتم الحصول على لحم الطعام والجلود والصوف للملابس واللبن وبعضها يستخدم للنقل وجر العربات ، كما يتم استغلال خلايا النحل فى الحصول على العسل والشمع وقد ربوا الطيور الداجنة وخاصة الأوز .

وكانت هذه القطعان تبقى خارج المنزل وخارج الحظائر فى فصل الصيف .
وحيثما يحل الشتاء كان يتم إيوائها فى الحظائر التى تمتلئ بها وتقسم حسب أنواعها وأحياناً تخصص حظائر لصغار الحيوانات .

وتكشف لنا الإلياذة والأوديسة عن الاهتمام بالصيد الذى كان من مصادر السعادة للرجال فكانوا يصطادون الغزلان والماعز البرية والذئاب والفهود وحتى الأسود والطيور الحمام ، ويصطادون الأسماك .

فمن الذى كان يقوم بالعمل فى الزراعة والرعى ؟ .

١- أفراد الأسر :

كانت الأسرة الغنية والفقيرة أو الكبيرة والصغيرة تحاول أن تكون مكثفية ذاتياً بمساعدة أعضائها المتباينين في العدد ، فكل فرد في الأسرة له نصيبه في العمل ولم تكن هناك مهمة محددة في البداية ولم تكن هناك بعد مهنة وضيعة تمنع الملوك والأفراد والنبلاء من القيام بها فقد كان الملوك والأمراء يقومون بإنجاز الأعمال الزراعية ورعى القطعان وكانوا يتفاخرون بأنهم يشتغلون بها ، لقد كانوا يحرقون الأرض ويبذرون البذر ويحصدون العشب وخير دليل على ذلك تحدى أوديسيوس المتكرر لأحد وجهاء اتيكيا يوريماخوس Eurymachos "إذا أردنا التنافس فينبغي أن نعمل ونكد في المروج في الربيع في الأيام الطويلة فينبغي أن يكون لدى المنجل المقوس وينبغي أن يكون لديك واحد مماثل ، وسوف تحصد دون ملل حتى ننتهي من أداء العمل طالما بقي عشب وبدون طعام حتى المساء ، وإذا كان لزاماً أن نسوق زوجاً من الثيران لحرث حقل مساحته أربعة أفدنة سوف ترى كيف أقود الماشية مباشرة في شق خطوط مستقيمة" . وعندما قبل اوديسيوس هذه المناقشة فإنه بدون شك كان قد سئم أن يكون شحاذاً ولكن هل كان يجرؤ إذا لم يكن قادراً على تحمل الاختبار كفلاح وحرث ! على كل حال فإن يوريماخوس الذي وجه إليه التحدى كان من ملاك الأراضي ولدينا صورة رائعة عن حياة والد اوديسيوس لأرتيس الذي كان يملك ضيعة ريفية وتقع على مسافة من المدينة وتمتد الضيعة حول منزل مبنى من الحجارة وتقع على جانبه الحظائر ومباني إيواء الخدم والعبيد وكان يسعد لأرتيس أن يعمل في حديقته الواسعة التي تضم أشجار الأعناب والتين والكمثرى والتفاح والزيتون ونستدل على اتساعها عندما نجد اوديسيوس يذكر والده بوعده في طفولته بأنه سوف يعطيه عشرَ أشجار تفاحاً وثلاث

عشرة شجرة كمثرى وأربعين شجرة تيناً وخمسين صنفاً من الأعناب ، وكانت الحديقة محاطة بسور . ومن الجدير بالقول أن أوديسيوس عندما عاد والتقى بوالده وجدته يعزق الأرض تحت شجرة وبرتدى ملابس قديمة قذرة ، وكان يحمى ساقيه بجلد ثور من الأشواك ويلبس قفازاً لحماية يديه ويغطى رأسه بقلنسوة من جلد كلب ، ويعاونه فى مزرعته اثنتا عشرة عبداً ، وأبناء الملك كانوا يشتغلون بالرعى بمحض إرادتهم كما كان الإله أبولو وكان المالك لا يستطيع العمل وحده فى العمل الزراعى بل كان يعاونه الأبناء والرجال الأجراء وأحياناً العبيد والأتباع وكانوا يعملون فى الحصاد وجمع الأعناب والزيتون ورعى القطعان . والرعاة من العبيد ومن الأحرار أيضاً . وكانت النساء يعملن فى الحقول إذ نجدهن يشاركن الشباب فى جمع العنب ويجلبن المياه مسن مسافات بعيدة وإعداد الطعام وكان إعداد الخبز والوجبات الأساسية وطحن الدقيق باستخدام الأرحاء . ولما كان الطحن من الاعمال المجهدة فقد قامت به الإماء والخادמות ، كما كان من واجبات المرأة نسج الملابس ، فكل عمليات الغزل والنسيج كانت تتم فى المنزل ، وكانت سيدة المنزل تسلم الصوف للخادמות والإماء لتنظيفه وندفه ثم يغزل وينسج تحت إشرافها وقام بهذا العمل نساء الملوك مثل بينلوبى وأرتى Arete زوجة الكينوس . وكان يصاحب مراحل النسج المختلفة الغناء كما كان على النساء غسل وتنظيف الملابس وهذا لم يكن واجب نساء الطبقات الدنيا فحسب بل نجد بنات الملوك يقمن بهذا العمل . فبالقرب من طروادة كان يوجد مكان فسيح عند صخرة حيث كانت زوجات وبنات الطرواديين يغسلن الملابس الغالية وتعرف الأميرة نوسيكاً أن إخوتها كانوا يريدون ملابس نظيفة للرقص ومن ثم فقد حملتها ومعها خادمتها وكن يسقن العربات إلى مكان الغسيل . والمرأة المثالية هى التى تجمع بين

الجمال والثراء والذكاء مع يدين ماهرتين دون اهانة فى تذكرها .

كما نجد أن الرجال النبلاء والوضعاء يقومون بأداء كل أنواع الحرف فى المنزل. فكل الواجبات والمهام تناسبهم ، فقد كانوا صنّاع صنادل وأحذية ، لقد صنع يومايوس الراعى لنفسه صندلاً وقطع أوديسيوس شريطاً من جلد بقرة وكان أوديسيوس بناءً أيضاً فقد بنى وحده منزله كما بنى يومايوس حظيرة خنازير وكانوا نجارين وصنّاع صناديق وبناء قوارب كما كانوا قاطعى خشب ، فنجد يومايوس يحيط مخدعه بحاجز من خشب شجر البلوط ، وصنع أوديسيوس ابواب منزله ثم اثته ، وصنع من شجرة زيتون ضخمة سرير طعمه بالذهب والفضة والعاج ، كما نجده يصنع قاربه وكل فلاح كان يعرف طول قطعة الخشب التى يختارها لصنع راحة وعجلة العربة وقوالب وأجزاء محراثه وأدوات الزراعة

٢- عمل العبيد والرعاة الأجراء ودورهم فى مجال الزراعة والرعى :

لم يشكل العمال الأجراء Thets نسبة كبيرة من العمال الزراعيين وعلى العكس من ذلك فقد شكل العبيد الجانب الأكبر من العاملين فى حقل الزراعة والرعى ولم تكن الصناعة والتجارة بحاجة إلى عبيد . فنجد أن أوديسيوس كان يملك عدداً كبيراً من العبيد فكان بيته يضم خمسين فتاة ، وكان يحرس قطعانه ثلاثون من الرعاة واثنى عشر رجلاً اشتغلوا فى زراعة الحبوب والكروم ورعاية أشجار الفاكهة . أما والده لأرتيس الذى انسحب إلى الريف وعاش فى مزرعته فقد احتفظ بسيدة عجوز حتى ترعاه ودوليوس Dolius وستة من أبنائه وزوجته وبعض العبيد للقيام بأعمال الزراعة وكان عددهم اثنتا عشر عبداً . وكان الرجال الذين يعملون فى الحقول والرعى أقل

عدداً من عدد النساء فى المنزل وكان العمل المنزلى يقوم به النساء فكان يطحن الحبوب ويعجن الدقيق ، ويخزن الخبز ويجهز الشربة ويغزلن وينسجن ويخيطن وبطرزن تحت إشراف ربة البيت أو مديرة المنزل الملكى . وفى نفس الوقت كن فى الخدمة لإسعاد رب الدار . ولكن كن يذهبن إلى الحقول فى موسم الحصاد لإعداد وجبات الحاصدين . أما الرجال فكانوا يكفون بأعمال قليلة فى المنزل مثل إعداد وتجهيز العربة لنوسنكا بناءً على أمر والدها ، وفى قصر أوديسيوس نجد عبداً يعاون الإماء بالحمام ، وكان الرجال يقطعون الخشب ويخدمون ويقطعون اللحوم فى الأعياد والاحتفالات ، وفى أحد الأعياد وجدنا مربى الخنازير يومايوس يوزع الأكواب ، وراعى البقر يحمل الخبز ، وراعى الماعز كحامل للأكواب ، ونجدهم يعملون كمحترفين ، ولكن كانت العناية بقطعان الحيوانات الخاصة بالحمل أو الحيوانات الصغيرة ، وكان على البعض منهم القيام بالعمليات الزراعية المختلفة ، ونقل المحصول وإعداد الخمر ، فقد كانوا فى الحقول مع مطلع الفجر ولا يعودون إلى المنازل إلا فى المساء ، وبعد تناولهم وجبة العشاء كانوا ينامون فى المباني الخارجية حول الفناء وفى الشتاء كانوا ينامون على الأرض فى القاعة الرئيسية طلباً للدفء وكان سيدهم ينام معهم أحياناً كما كان يفعل لأرتيس .

ومع ذلك فإن عدداً كبيراً من العبيد لم يعيشوا فى المنازل ، لأنهم اشتغلوا واعتنوا بتربية ورعى الحيوانات لحساب سادتهم إذ إن بلاد اليونان الهومرية كانت أرضها الزراعية أقل من أراضى المراعى المشاعية وكانت المزارع محاطة بمساحات واسعة من الأرض المشتركة فقد كان يتمتع كل مواطن بحق رعى قطعانه بها . وكان العبيد الرعاة يحضرون لسادتهم الحيوانات المطلوبة للذبح ولعل هذا كان يحدث يومياً

من قبل أرباب القصور أو فى المناسبات بالنسبة للأسر الفقيرة وفى المقابل كان بيت السيد يقدم الدقيق والخمر للعبيد وكانوا يذبحون أحياناً حيواناً أو حيوانين لطعامهم ولإطعام ضيوفهم مثلما فعل يومايوس عندما استقبل باحترام الضيف الذى أرسلته الآلهة إليه وهذا الضيف هو اوديسيوس المتكرر فى هيئة شحاذ .

وكان هؤلاء الرعاة يعيشون بعيداً عن الأراضى المزروعة أى فى الأودية أو فى الأودية الضيقة إذ توجد حظائر الدائمة للحيوانات التى كانت تأوى إليها القطعان لحلبها ولإرضاع صغار الحيوانات ولحمايتها من الحيوانات المفترسة ولحمايتها من الرياح وكانت تقع الحظائر بالقرب من جداول المياه لسقى الحيوانات . وكانت تستخدم الكهوف كحظائر فى بعض الأحيان . وكانت هذه الحظائر بسيطة فكان يتم فرشها بالقش ويتم تسويرها . وكان الرعاة يستخدمون كلاب الحراسة الشرسة . أما عن بيوت الرعاة فكانت بيوتاً بسيطة ، ومنزل يومايوس خير شاهد فكان يتكون من مدخل وحجرة كبيرة وبها الموقد وكان أثاثه بسيطاً . فكان منضدة لتقطيع اللحم ، وجلود أغنام وماعز مفروشة على الأرض أمام الموقد وكان الرعاة يستخدمونها فى النوم عليها . وفى مناطق الغابات كان الرعاة يعيشون فى مجموعات صغيرة يخضعون لإشراف مشرف مسئول أمام المالك وكانت حياتهم خشنة إذ كانوا ينامون فى الخلاء ويحرسون القطعان من هجوم الحيوانات المفترسة مثل الذئاب والنمور والأسود . أو من سطو رعاة آخرين، فوجد يومايوس بعد أن وفر أسباب الراحة لضيفه اوديسيوس المتكرر خرج فى الليل لتفقد القطعان خشية هذه الأعمال وكان مرتدياً قبة طويلة ومعطفاً من جلد الماعز ومسلحاً بسيف ورمح مسنون . ووجد منظراً على درع اخيليوس لأربعة رعاة يحاولون ومعهم كلابهم أن يقضوا على أسدين كانا قد قتلا ثوراً.

كما نجد أن هجوم المسلحين من المدن المجاورة والقراصنة الذين كانوا يأتون من أماكن بعيدة بغرض السطو والاستيلاء على القطعان .

إن دور الرعاة الإقتصادي في المقام الأول هو تقديم اللحوم الطازجة والأصواف والجلود وعمل الجبن . وتقدم لنا الأوديسية على لسان أوديسيوس وصفاً مفصلاً عن صنع الجبن في بيت الكوكلوبس إذ يقول " دخلنا الكهف فقدرنا أنه مسكن راع غنى حاذق ، إذ كان هناك حظائر لصغار الغنم والماعز مقسمة حسب أعمارها ، وكانت هناك سلال مملأى بالجبن ، ودلاء طافحة باللبن صفت حذاء الحائظ ... " وهناك الأنبياء التي تحلب فيها الحيوانات . وعملية تصنيع الجبن معروفة جيداً في هذا العصر ، فقد كانت القطعان تخرج للرعى في الصباح الباكر ، بعد إرضاع صغارها وتبقى الأخيرة في المنزل ، وعندما يحل الظلام فإن القطعان من الأمهات كانت تعود إلى المنزل وضروعها ممتلئة وتنادى بجلبه على صغارها وكان صغارها يخرجون من عششهم ، وكان يتم حلب الأمهات قبل أن تعود إلى حظائرها وكان يترك جانب من لبنها في ضروعها لإرضاع صغارها . وكان اللبن الحليب يستخدم للطعام ولصناعة الجبن حيث كان يخثر اللبن بسرعة واللبن المثر كان يوضع في سلال الأسل كي يقطر وبعدها فإن الجبن يعجن ويضغط والجزء الصلب كان يوضع على أطباق مجدولة في منطقة محمية حتى تتم عملية التجفيف .

أما عن أصل ومصدر العبيد فمنهم من فقد حريته نتيجة الأسر أو الشراء أو الاختطاف وأيضاً أبناء العبيد كانوا عبيداً ، أما العبيد بالمولد فلدينا مثال إذ نجد العبد دوليويش كان عنده سبعة أبناء من زوجته الصقلية وستة من هؤلاء عملوا لحساب

لأرتيس نفسه أما السابع ميلاثيوس فقد صار رئيساً لرعاة السائز ولكنه خان سيده وانضم إلى جانب الخطاب وأخته ميلانثو Melantho فدسب في منزل أوديسيوس وصارت خادمة هناك ولكنها هي الأخرى تصرفات عار، نحو سئ في إقامتها علاقات غير شرعية من الخطاب وبعض العبيد والإماء وكانوا من الأحرار وخاصة النساء وتم بيعهم من قبل آبائهم وكانت الإماء من هذا المصدر يتم احترامهم وتمييزهم من قبل ساداتهم لجمالهن ، ونعرف أن بعضهن قد تم شراؤهن باثمان عليّة فنجد لأرتيس يشتري إيوريكليا الكريمة المحتد بعدد لا يقل عن عشرين ثوراً ، فقد كرمها مثل ولكنه زوجته ولكنه لم يجرؤ على أن يجعلها خليلته خشية غضب زوجته انتيكلييا Anticleia فقد كانت مربية أوديسيوس ثم من بعده تليماخوس ثم اختتمت حياتها كمديرة للمنزل . ومن مصادر العبودية الأسر في الحروب كان من التعارف عليه قتل أغلب الرجال ويؤخذ بعض النبلاء والذين قد يدفع عنهم فدية كبيرة فعلى سبيل المثال نجد ليكاون Lycaon بن برياموس كان قد بيع على يد أخيل بعدد مائة ثور وقد حقق مشتره ربحاً كبيراً لأن ليكاون قد افتدى بثلاثة أضعاف الثمن الذي دفع . أما النساء والأطفال فكان يتم أخذهم لأنهم كانوا يشكلون غنيمة كبيرة . حيث كان يمكن بيعها في أسواق النخاسة الموجودة وخاصة السوق في جزيرة حيونس التي نخصصت في بيع النبيذ والعبيد وكانت القرصنة مصدراً من مصادر الحصول على العبيد .

لقد حقق التجار الفينيقيون شهرة كبيرة في هذا المجال ويخبرنا يومايوس كيف أن بعض التجار الفينيقيين الذين كانوا قد رسوا في سيروس Syros قد قبضوا عليه عندما كان طفلاً بمساعدة أمه وأبيه وكانت من مدينة صيدا وفي منطقة شمال بحر إيجه فإن رجال ليمنوس Lemnos قد هاجموا بانتظام سواحل تراقيا للحصول على العبيد

وفى الغرب كان التجار الأساسيين هم من التفنيين Tapheins و التليبونين Teleboens فكان هؤلاء القراصنة لا يترددون فى الهجوم على غنائم عندما تسنح لهم الفرصة ويخبرنا أوديسيوس بدون خجل كيف أنه عندما رفعت به الرياح إلى الساحل التراقى عند اسماروس فهاجمها وقتل بعض رجالها واستولى على بعض نساءها . وهكذا نجد أن هناك روافد للعبودية فى ظل المجتمع الهومرى والآن ما هو وضع العبد فى أسرة سيده . فنجد أن العبد بمجرد أن يدخل فى خدمة سيده فإن وضعه لم يكن سيئاً فقد أصبح جزءاً من الأسرة بنوع أدنى من التبنى ، وهذا الوضع يجعله فى وضع المعاون مثل التابع ولهذا فإن العبد لا يعد مثل الدواب وله شخصيته وبدون شك فإن السيد له حق إبقاء أو قتل عبده ولكن ليس أكثر مما للزوج على زوجته أو الأب على أولاده كرئيس للأسرة أن العبيد الشباب الذين يربون فى المنزل كانوا يعاملون بالحسنى فنجد يومايوس الذى تربي وكبر فى بيت لارتييس قد دعى أوديسيوس بأخيه المحترم ، إذ بقى فى المنزل إلى أن بلغ العشرين وبعدها أرسل للعمل بالرعى فى الحقول وقد منح ملابس جديدة ومعطفاً طويلاً ورداء وصندلاً ، وعندما يتكلم إلى أوديسيوس فإنه يمتدح لطف أمه انتيكليا التى استمرت تراقبه بشعور الأم من بعيد وعندما تموت انتيكليا فإن زوجة ابنها بنيلوبى تأخذ دورها فى الحماية وأيضاً نجدها أخذت ابنة العبد دوليوس كى تعيش معها وكانت قد أولتها بعنايتها ورعايتها كما لو كانت ابنتها . إن ما يتأسف عليه يومايوس هو سوء حظه الذى سببه الخطاب فيعلن أنه خسر كل شيء مع أنه كان لديه ما يكفى لطعامه وشرابه وحتى ما يمكنه إسعاد الضيوف ، ولكن يتأسى أنه لم يعد يسمع الكلمات العذبة لسيدته والعبيد يحتاجون أن تروى سيدتهم وأن يتحدثوا إليها ويطلبوا منها النصح وأن يأكلوا ويشربوا فى منزلها .

ان المعاملة الطيبة تولد الشعور بالامتنان وتجعل العبد ينسى ميلاده رويداً رويداً . ونتيجة لذلك فإن غياب أوديسيوس الطويل لم يضعف شعور الواجب لعبيد الريف وعندما عاد أوديسيوس وكشف عن شخصيته فإن عدداً كبيراً من عبيده لم يخف فرحتهم ومشاعرهم تجاه سيدهم ولعل كلمات يومايوس الموجهة إلى أوديسيوس المتكرر خير شاهد على الوفاء والحب كم سيكون سعيداً إذا ما كان أوديسيوس موجوداً فإنه سيمنحني منزلاً وأرضاً وزوجة جميلة وكل الأشياء الطيبة التي يمكن لسيد أن يمنحها للعبد الذي يعمل بجد له والذي صار عمله مستمراً بواسطة الإله . وكل هذه الأمنيات والرغبات قد تم الوفاء بها بعد عودة سيده . ونجد أن يومايوس قد تمكن من شراء عبد .

ومع استمرار ولاء الغالبية فإن عدداً قليلاً قد تمرد على سلطة ربة المنزل أثناء غياب زوجها وكانت عقوبتهم شديدة فقد تم قتل راعي الماعز ميلانثيوس وقتل اثنتى عشرة أمة كن قد عصين بينلوبى وأقمن علاقات غير شرعية مع الخطاب .

٣. العمال الأجراء : Thetes

وكانت بعض الأسر تحتاج إلى جهود عمال أجراء بالاضافة إلى أفرادها وعبيدها لإنجاز الأعمال الزراعية والرعية ، وكان هؤلاء العمال الأجراء من الأحرار ويمثلون طبقة متواضعة تكسب لقمة عيشها بالكد والعرق ويحصلون لقاء عملهم على الأجرة ويتكون هؤلاء من المطرودين من أسرهم أو من الفارين من ثار أو من الراغبين فى المغامرة والتغيير أو من العبيد الأبقين . وكانت أحوالهم سيئة وكان عليهم العمل الشاق كى يدافعوا عن وجودهم فالرجل بدون بيت لا يحسب كمواطن ولا حقوق له والغريب ، فوق كل هذا ، محروم من اللجوء للقضاء عند الاعتداء عليه وعند

المعاملة السيئة لأنه ليس له قيمة الإنسان . والبعض منهم احترف الشحاذة والتشرد . وكان العمال الأجراء عمالاً فقراء لأنهم لا يملكون أرضاً ولا مهنة أو حرفة . وأغلبهم قد عمل في حرفة الرعي ، فكان بعض رعاة الأغنام في اثيكسا من الغرباء الأجراء ، وعندما ظهر أوديسيوس ، فقد كان في ثوب شحاذ ، وكم سيكون يومأيوس الراعى سعيداً لو احتفظ به كعامل مساعد كما نجد أن الراعى ميلانثيوس قد عرض اقتراحاً بأن يعمل مشرفاً على الحظيرة وتنظيفها ويحمل العلف إلى صغار الحيوانات . كما نجد البعض منهم عمل في مجال الزراعة في الضياع الكبرى وعند الملاك المتوسطين فنجد أحد الخطاب إيوريماخوس قد عرض على أوديسيوس العمل عنده قائلاً : أيها الغريب إذا أردت أن تعمل كعامل أجير فسوف استأجرك ، سوف تعمل في الجزء البعيد من أرضي ، لتبنى جسراً من الحجر ، وتغرس الأشجار . وفي مواسم العمل الزراعي فإن المزارع الصغيرة كانت تحتاج إلى عمل الأجراء . وسبق أن عرضنا الحوار الذي دار بين أوديسيوس وبين إيوريماخوس . كما نجد العمال الأجراء يعملون لدى الأسر الكبيرة ويقومون بأداء أنواع من الأعمال المختلفة فالبعض منهم عمل مجدفاً ، كما نجد أوديسيوس يعرض أن يقوم بأداء أى عمل يسند إليه بسرعة إذ نجده يقول "سوف أوقد النار وأقطع الخشب واللحم وأسلقه وأصب الخمر وأقوم بأداء كل عمل يقوم به الوضنيح لحساب الرجال العظام .

ونجد أن النساء قد عملن كأجيرات في المنازل ونادراً ما ذهبوا لإنجاز أعمال في الحقول وإذا ما ذهبوا فكانوا يذهبون لإعداد الطعام للحصادين . وكانت القصور تحتوى على العديد من النساء الحرائر المأخوذات إذ عمل بعض كمرصفات وخدم على

الموائد ويرتبن السرر ويجهزن الحمام ، ويغسلن الملابس ويقضين بقية الوقت فى الغزل والنسج وكانت مدد العمل تختلف وفقاً لارادة الأطراف ، فبعض الأعمال كان يتم انجازها بالمقاوله مثلما حدث فى الاتفاق بين أوجياس Augeias وهرقل حيث يقوم الأخير بتنظيف الحظائر ، كما نجد هرقل بقى مع او مفالى Omphale لمدة ثلاث سنوات ، والبعض الآخر كان يعمل لانجاز مهمة محددة مثلما فعل بوسيدون وأبوللون فى العمل لمدة عام لبناء سور طروادة .

وكانت الأجرة دائماً محدودة بشكل واضح ، فكان للعامل الحق فى الحصول على أجره الذى يتم الاتفاق عليه وكانت الأجرة عينية فقد وعد أوجياس هرقل بأن يحصل على عشر الماشية أى الحصول على حصبة من الزيادة فى القطعان . ومن المرجح أن نفس الشيء قد حدث فى المواد التى يصنعونها ولكن كانت الحصبة غير كبيرة فالمرأة التى تعمل فى حقل النسيج كانت تواجه صعوبة فى إطعام أطفالها من أجرها الزهيد والعامل الأجير لا يمكنه الاعتماد على وعد المؤجر ونجد الحوار بين أوديسيوس وإيوريماخوس إذ نجد الأخير يخاطب الأول : أتقبل أن تكون أجيراً لى قالها إننى أقدم شروطاً جيدة فسوف أعطيك ملابس وأحذية ، وعندما تظاهر أوديسيوس برغبته فى أن يخدم الخطاب ، فلم يطلب أجراً ولكنه طلب طعامه فقط ، والأجير لا يكون متأكداً من حصوله على مؤنة كافية ومتنوعة نجد رجلاً يعد يربعى قطيعه من الماعز بأنه سيكبر ويسمن من شربه اللبن وحتى العمال المؤقتين لا يحصلون على أكثر من طعام عدة أيام، وفى وقت الحصاد كان الحصادون يحصلون على أجرتهم فقط من لحم الثور المذبوح بمناسبة الحصاد .

وكانت حالة خادمت المنازل الكبيرة أفضل ، فمع أنهن لم يتميزن عن الإماء إلا
أنهن كن يقمن بالأعمال الجيدة وكن يعتبرن أنفسهن من أعضاء المنزل . وبعضهن
عمل كمديرات للمنازل والبعض الآخر مارس الأعمال المنزلية المختلفة .

وعلى أية حال فكانت حالة الأجراء سيئة لقلة أجورهم وأيضاً عدم ضمان الوفاء
بها فالعقد الذي يربطهم لا يربط سيدهم فلا حقوق لهم . فماذا يمكن فعله لو أن السيد لم
يف بوعده ؟ عندما انتهى بوسيدون وابللون من العمل لمدة عام عند لاوميدون وطالباه
بالأجرة رفض الأخير إعطاءهما أجرتهما وهددهما بأنه إذا لم يرحلا بأسرع ما يمكن
فإنه سيقطع أذنهم ، فاضطرا لمغادرة طروادة بقلوب متألّمة وأيدي خالية . فماذا
يمكنهما عمله ؟ لقد ضمن هرقل أجره لثلاث سنوات مقدماً من ادمفالى من خلال حق
البيع الوهمى ولكن حالته كانت استثنائية وهرقل ذاته تعرض لخديعة ملك طروادة الذى
وعده أن يعطيه مكافأة سخية عندما يقضى على الخطر الذى يهدد المدينة . وكان بعض
هؤلاء العمال يضمنون مستقبلهم والبعض منهم مثل الشحاذين كانوا مهددين بأن
يغلوا بالسلاسل ويبيعوا كعبيد فى جزيرة بعيدة . والبعض منهم يتحول إلى شحاذ عندما
لا توجد فرص عمل ولم يكن أمامهم سوى التسول والتشرد ، وكم من هؤلاء المتسولين
نراهم فى الأوديسة ضعافاً ، شاحبي الوجوه ، جائعين قنرين . وكانوا يتجولون فى
الريف وفى المدينة ويذهبون من منزل إلى منزل ويظنون أمام الأبواب انتظاراً لما
يجود به صاحب المنزل أو الحصول على بقايا الطعام المتبقى على المائدة . وقد نُظر
إليهم على أنهم رسل زيوس حاميههم وقد استغل البعض منهم هذا وفضل هذا النوع من
حياة التشرد والتسول ، وكانت المنازل الكبيرة لا تخلو من المتطفلين مثل إيروس
الشحاذ فى بيت أوديسيوس وستكلم عنهم فيما بعد عند الحديث عن الحرف والمهن .

الصناعة والحرفيون

احتلت الصناعة مكانة كبيرة بجانب الزراعة وتربية الماشية وصيد السمك وكان الغرض منها هو سد الاحتياجات المحلية ، وقد استخدم اليونان في هذا العصر مواد البناء (الحجر والرخام) والمعادن (نحاس ، صفيح ، فضة ، ذهب) والمنسوجات (الصوف والكتان) والخشب والجلود والصلصال اللازم لصناعة الأنية الفخارية . ولا تقدم لنا المصادر معلومات عن استخدام المحاجر أو مناجم المعادن ولا نعرف إذا ما كان اليونان قد زرعو الكتان أم لا ، وكانوا يحصلون على الصوف والجلود من الحيوانات التي يربونها والتي يصطادون البعض أحياناً وقد قدمت الغابات كميات وفيرة من الأخشاب . إن وصف الإلياذة للقصور الفخمة والملوكة لبرياموس وأديسيوس ونستور ومينلاوس والكينوس تقدم دليلاً على وجود المباني الضخمة المزينة وأيضاً المباني والمنازل العادية . وقد اشتغل نفر من السكان بصناعة وسبك وتشكيل المعادن الرخيصة والنفيسة فتكشف لنا الأشعار عن وجود الحدادين وصناع الأسلحة وصانعي الذهب ، وقد زين هؤلاء موادهم المصنعة بزخارف رائعة ومنها درع أخيل في الإلياذة وحزام هرقل في الأوديسة وأسلحة أجامنون في الإلياذة والكثير من المزهريات المعدنية (من الذهب والفضة والبرنز) وتكشف الإلياذة والأوديسة عن أن الحداد كان يعمل بأدوات هي : المنفاخ والسندان والشواكيش والملاقط . وقام صانعو الذهب بنقش مشغولاتهم واستخدموا الطرق وطعموا منتجاتهم بالأحجار الكريمة وصناعة رقائق من الذهب وشكلوا منتجات مختلفة من العنبر والعاج ، والذهب . وقد انتشرت صناعة الملابس وكانت تتكون من غزل ونسج الكتان والصوف وحياكة الملابس وتطريزها وصناعة السجاد وسبق القول أن هذه العمليات كانت تتم في المنازل .

أما عن صناعة الجلود فكان يتم دبغها وتنظيفها وبعد ذلك يتم استخدامها كمعاطف في صناعة الدروع والأحذية .

وكانت صناعة الخشب متطورةً فكان يتم قطع الأخشاب من الغابة وتقل جذوع الأشجار على ظهور البغال وتقطع وكانت تستخدم في بناء السفن وصنع الأثاث وأدوات الزراعة مثل المحاريث وغيرها . وكان النجارون ونجارو السفن يعملون تحت رعاية والهام الربة اثينا التي ألهمتهم إياها . كما ازدهرت صناعة الفخار في هذا العصر واستخدم الفاخورية العجلة لصنع الأنية والمزهريات .

وبعض الصناعات السابقة كان يتم في المنازل مثل النسيج وصنع الأنية والجلود وصنع المواد الخشبية ، فوجد النساء كن يقمن بغزل ونسج الصوف وحياسة الملابس وتطويرها وصناعة السجاد ، كما يتم صنع الصنادل في المنازل كما فعل يومايوس ، كما كان أوديسيوس ماهراً في النجارة فصنع أبواب بيته وصنع سريره من جذع شجرة زيتون عتيقة وبنى قارباً وقد يكون أوديسيوس استثناءً عن القاعدة فهناك صناعات وحرف تحتاج إلى متخصصين مثل صناعة المعادن وتشكيلها وبدون شك حرفة البناء وصناعة الفخار ، وهناك ذكر لحرفيين متخصصين في صناعة الأسلحة مثل تيخيوس Tychios ولايركيس Laerces الذي الذي استدعى لتزين قرون ضحينة بالذهب مقدمة من نستور للالهة اثينا وكان قد أحضر معه أدواته البرنزية مثل السندان والمطرقة والكماشة فقد تطرق الذهب في شكل رقائق ولف هذه الرقائق حول قرني الضحية وقد عمل صانعوا الذهب تحت رعاية الإلهة أثينا والإله هيفايستوس وكان الأخير راعياً وحامياً لكل الحرف والصناعات التي يستخدم فيها النار وكان ملهماً

للحرفيين .

وكان يعمل الحرفى فى ورشته الخاصة وخاصة الحداد الذى وحدته ورشة حدادة وكانت ملتقى فى أيام البرد للمتعطلين والمتسكعين وقد نصح هيسويد الرجال بقوله إن على الرجل الجاد أن يمر عليهم دون أن يتوقف ، وكانت تتكون من موقد ومنفاخ من الجلد وسندان وصندوق أدوات ومطرقة وكماشات قصيرة وطويلة الأيدى لسك المعادن الساخنة الحمراء على السندان . وكان لبس الحداد بدون أكمام ومفتوح من الجانب الأيمن ليترك كتفه ونصف صدره حراً وكان يقوم بتشكيل المعدن سواء أكان من الحديد أو البرنز حسب طلب العميل . وفى بعض الحالات التى لا تحتاج لأى أدوات ثابتة أو ثقيلة كان صائعو المعادن يقومون بأداء العمل فى بيت العميل كما ذكرنا سابقاً عن صائغ الذهب الذى أخذ أدواته معه . ومن الملاحظ أنه لا يوجد حد فاصل بين صناع المعادن مثلاً والحدادين وصائغى الذهب فنجد لايركيس أحد صناع المعادن وصف كحداد وكصائغ ذهب . وكانت هذه الحرفة تحتاج إلى كفاءة عالية ومهارة خاصة التى لا تتأتى لصانع إلا بعد تدريب ، ولدينا بعض الإشارات عن حرفيين قد أنتجوا الأنية والمراجل وحلى الزينة والسلاسل والعقود والميداليات والدبابيس والتيجان وزينة الصدور .

وتقدم لنا الأشعار أيضاً إشارات عن صناع الأسلحة والأدوات العسكرية التى كانت تحتاج إلى متخصصين وخبراء فى صناعتها وتطعيمها وهناك أيضاً صناع تخصصوا فى صناعة الدروع والخوذ التى كانت صناعتها معقدة . كما نجد صناع معادن قاموا بصنع الأنية ومن أشهرها الأنية ثلاثية الأرجل التى كان يمكن وضعها

على النار ويتم استخدامها لنقل اللحم المسلوق من مكان الطبخ إلى حجرة الطعام وهناك وصف لإناء من هذا النوع قد صنعه الإله هيفايستوس لصديق له وكان له عجالاته من الذهب كما نجد أن أخيل قد خصص إناء من هذا النوع كجائزة للفائز فى سباق العربات وكان إناءً ضخماً (أذان) سعته حوالى ١٧ جالوناً كما انتجوا كل أنواع المراجل والرواقيد والأنية الجنائزية وأوعية المطبخ وأكواب الشراب وكل هذه الأدوات صنعت من البرنز والنحاس ولكن البعض منها صنع من معادن نفيسة ويتم زخرفتها بالأشكال الزخرفية ، كما نجدهم يساهمون فى تزيين القصور ومنها قصر الكينوس الذى زينوه بأطباق من البرنز ذات الإفريز المطلى باللون الأزرق عند حافته العليا . وخططوا العتبة بالبرنز وغطوا أو كسوا الأجناب المدعمة والعتبة العليا للباب برقائيق من الفضة والباب نفسه برقائيق من الذهب وعرفوا أيضاً كيف يمكنهم نحت الخشب فى شكل تماثيل وتغطيتها برقائيق الذهب والفضة ومنها الكلاب الرائعة التى تحرس بوابة قصر الكينوس وحمالة المشاعل الذهبية التى تزين بهو القصر . كما نجد الحدادين كانوا يصنعون الأدوات الزراعية المختلفة من بلط وفؤوس ومناجل ومحاريث ... الخ .

كما نجد النجارين المتخصصين يعملون فى بناء السفن لحساب الأمير باريس أو صناعة الأدوات المختلفة سواء كانت منزلية أو زراعية ، فقد صنعوا الأثاث مثل الموائد والكراسى والسُرر وكانت مقاعد الاحتفالات يتم تصنيعها على أيدى نجارين متخصصين ، كما نجد باريس يستخدم نجارين متخصصين لمساعدته فى بناء منزلين بجوار قصر والده الملك بريام .

وكان العملاء يقدمون سواء للحدايين وصانعى المعادن أو النجارين المواد الخام ويعاملون باحترام فى بيوتهم ، كما نجد أن للحرفيين أحياء خاصة بهم مثلما فى اسخيريا حيث كانت تتجمع ورش صنع الملابس والسجاد والأشربة والمجاذيف .

ويرى البعض أنه كان يتم تعويض هؤلاء العمال والحرفيين عندما يطلبون لأداء أعمال عامة وخدمات معينة للدولة أو المدينة بمنحهما قطاعات لتصبح وراثية لهم ووفقاً لهذا رأى يكونون فى خدمة الجماعة وفى نفس الوقت الذى يكلفون به لأداء وإنجاز أعمال خاصة بالجماعة كان يمكنهم القيام بأداء وإنتاج الطلبات الخاصة بالأفراد والتي سيحصلون من أصحابها على أجرتهم العينية وبعض الهدايا .

وكل الحرفيين على ما يبدو كانوا من الأحرار فلا يوجد فى الإلياذة والأوديسية ما يشير إلى أن العبد قد انخرط فى حرفة ذات مهارات ولهذا فلا يوجد شىء يحقر العمل بالنسبة للحرفيين وكانوا يلغون الرعاية والاحترام . وحقق البعض منهم شهرة عظيمة ولامعة ومن هذه الأسماء أسماء النجارين ابليوس Eplios فى المعسكر اليونانى وفيريكليوس الطروادى Phereclios صانع القوارب ، وايماليوس Ikmalios صانع الكبائن فى أثينا . ومن بين الحدايين هناك لايركيس صانع الذهب والحدا فى بيلوس ومن بين صناع الجلود هناك ينخوس صانع الدروع فى هبلى Hyle وبولوبوس الذى الكور فى اسخيريا وكثيراً ما ذاعت شهرة الحرفيين خارج أسوار مدينتهم وكان يتم استدعاؤهم وانتقالهم من مدينة إلى مدينة لأداء عمل معين أو للإقامة الدائمة . وكان يعامل كضيف ذى حيثة ويتم رعايته وتكريمه ويمنح الهدايا التى تتناسب مع ثروة مستخدمه ووفقاً للخدمة التى أداها . وعموماً فإن الحرفيين لم يكونوا بالكثرة فى مدن

العصر الهوميرى وذلك لقلّة الاحتياجات عموماً فكان حداد أو فخرانى واحد يكفى بأن يقوم بإنتاج احتياجات البلدة . إن النجارين وصناع الجلود كانوا معروفين على نطاق واسع فى مناطق بعيدة عن مساقط رأسهم ، لأن مثل هؤلاء الحرفيين لا يوجدون فى كل مكان ولذا كان يتم طلبهم للقيام بالواجبات والمهام الاستثنائية .

الأسفار والترحال والملاحة والقرصنة والتجارة :

نستخلص من الأشعار الهومرية أن روح المغامرة كانت تسود فى العالم اليونانى ، وأن أبطال ذلك العصر كانوا مغامرين وجائلين تركوا الموقد والموطن باحثين عن المغامرات مثل حملتهم على طروادة ومثل قصص كل من أوديسيوس ومينلاوس حول مغامرتهما فى طريق عودتهما إلى وطنيهما فقد أخبرانا أنهما قد ضلّا طريق العودة فقد ظل أوديسيوس جائلاً لمدة عشرة أعوام لاقى فيها الأهوال قبل أن يصل إلى موطنه ومملكته إيثاكا ، بينما قضى مينلاوس سبع سنوات جائلاً من قبرص إلى فينيقيا إلى مصر قبل أن يعود هو الآخر إلى مملكته اسبرطة .

وتكشف لنا الأشعار عن اسباب عديدة للسفر والترحال : (١) فقد يكون المسافر فاراً من موطنه مثل العراف ثيوكليمينوس أو أن يكون قد نجى من سفينة غارقة مثل أوديسيوس (٢) الزيارات العائلية مثل زيارة أوتوليوكوس Autolykus جد أوديسيوس لأمه فى إيثاكا بمناسبة ولادته وهى المناسبة التى اختار فيها اسم حفيده أو زيارة أوديسيوس إلى بلد جده (٣) زيارة الملك أو الأمير بغرض أداء الطقوس الدينية وتقديم القرابين للآلهة أو لاستجداء الإلهة مثل زيارة مينلاوس إلى طروادة وزيارة أوديسيوس المزعومة إلى دودنا (٤) زيارة الأمراء فى رحلات دبلوماسية فقد أرسل لأرتيس ابنه أوديسيوس إلى ميسينيا ليطالب بالتعويض عن سرقة ثلاثمائة نعجة ورعاتها من قبل

القراصنة الميسينيين . وذهب أوديسيوس ومينلاوس بعد ذلك إلى طروادة للمطالبة بعودة هيلينا (٥) الاسفار بغرض التجارة مثل رحلة مينتيس ملك التفنيين إلى تيميا Temea على شواطئ البحر التيراني لمقايضة شحنة من الحديد بشحنة من البرنز (٦) وقد تكون السفرة بغرض جمع المعلومات مثل رحلة أوديسيوس للكشف عن شخصية أخيل ورحلته لاحضار البطل فيلوكتيتيس . ورحلة ابنه تليماخوس للبحث وجمع المعلومات عن والده وفقاً لنصيحة الربة أثينا راعيته فقد ذهب إلى بيلوس واسبرطة .

وفى الواقع ، يبدو أن بلاد اليونان الهومرية كان يجوبها المسافرون فى كل الاتجاهات . وكان المسافرون يلتقون ويتبادلون الهدايا مثل تلقى أوديسيوس هدية من إفيثوس Iphitos بن إيورتيس Eurytos ملك أوخاليا Oechalia الذى كان قد أتى هو الآخر للبحث عن اثنتا عشرة فرسة شاردة وهديته كانت قوسه المشهور . والكثير من هذه الرحلات والسفريات كانت بحرية .

لقد كان اليونان فى ذلك العصر أمة من الملاحين والبحارة . فكل واحد منهم ، بصورة كبيرة أو صغيرة ، كان ملاحاً خاصة سكان المدن البحرية ومن ثم لم يكن هناك متخصصون فى فن الملاحة ، بل نجد الملاحين يمثلون كل الطبقات الاجتماعية ، فنعرف منهم الملوك وأبناء الملوك والنبلاء وأبناء النبلاء وملاك الأراضى وأبناء ملاك الأراضى ومنهم الأتباع والأجراء . وتقدم الأوديسة صورة للفياكيين كبحارة مهرة حذقوا فن الملاحة وأيضاً للبحارة الايثاكيين مع أنهم ملاحين مهرة أبحروا فى ظلمة الليل البهيم ولكن هذه السفرة كانت استثناء حيث أنها تمت تحت رعاية الربة أثينا ، فبحار ذلك العصر كان لا يملك دليلاً سوى الشمس والقمر والنجوم ونادراً ما جازف

وابحر فى الليل ، فعندما تغرب الشمس كان عليه أن يتوقف عن الابحار ، وأن يرسو على شاطئ قريب ، ثم يعاود الابحار فى فجر اليوم التالى . وكان البحارة يبحرون بمحاذاة السواحل ، ولم يذهبوا بعيداً عن شواطئهم إلا فما ندر ، حيث نجد ذكراً لرحلات طويلة استثنائية اضطروا إلى خوضها مثلما سبق أن ذكرنا ، واعتبروها مغامرات رائعة ، فالبحر كان مليئاً بالجزر التى مكنتهم من الابحار لمسافات طويلة دون أن تغيب اليابسة عن أعينهم ، وتكشف لنا قصيدة الأعمال والأيام لهسيودوس عن أن بعض اليونان كانوا على دراية بأوقات الابحار المناسبة ، إذ نجد هذا الشاعر يقدم نصائحه للبحارة بخصوص الفترات الملائمة فى العام للابحار ، وأنواع السفن التى يبحرون فيها .

وكانت رحلات وأسفار اليونان البحرية فى الغالب بغرض السلب والنهب والقرصنة وبغرض التجارة ، فقد كشفت الإلياذة والأوديسة عن أعمال قرصنة قام بها اليونان فى منطقة شرق البحر المتوسط وفى آسيا الصغرى ، ولعل روايات أوديسيوس خير شاهد على ذلك فقد تفاخر بقيامه بأعمال قرصنة ونهب هو ورفاقه فى إسماروس ، وفى مغامراته فى مصر هو ورجاله وما قاموا به من سلب ونهب ، ويكشف سؤال الكوكليبيوس بوليبيموس لأوديسيوس وصحبه عندما اكتشف وجودهم فى كهفه "ألستم قراصنة" ؟ كما تكشف قصة ايومابوس فى نفس الوقت عن اشتغال الفينيقيين بالتجارة والقرصنة فى نفس الوقت ، فقد كان التجار يمارسون القرصنة عندما تسنح لهم الفرص ، وقصة أوديسيوس إنموذج مثالى على ذلك فقد كساد أن يقع فى براثن الاسترقاق ، لقد كان تجار هذا العصر يسلحون أنفسهم بدافع حماية ووقاية أنفسهم من هجوم مباغت عليهم من قراصنة آخرين ، وأيضاً يستخدمون اسلحتهم عندما تتاح لهم

الظروف فى سلب ونهب وأسر سكان بعض المناطق التى يمرون عليها . ففى رحلاتهم الطويلة ، فقد كان عليهم أن يوفروا احتياجاتهم بثمن زهيد كلما أمكنهم ذلك ، وكانوا يحققون هذا بالسلب والنهب .

وعندما يرسوا هؤلاء التجار والقراصنة فقد كانوا يتخيرون أماكن رسوهم فى الخلجان العميقة ذات الشواطئ الجيدة والتى يجذبون سفنهم إليها ، وتربط السفن فى الصخور وقبل أن يرسو كان على البحارة أن يرسلوا السفن السريعة ذات المجاديف لاستطلاع المكان وذلك للتنبيه للخطر إن وُجد والتعرف على الأماكن المناسبة للرسو . وكانت الجزر الصغيرة المهجورة أو التى يسكنها أفراد قلائل هى المفضلة لرسوهم وبالمثل الأراضى القارية المهجورة والقليلة السكان حيث يضمنون الحماية والأمان . فكان الرسو فى أرض معادية كثيرة السكان غير مناسب لهم بل خطراً عليهم . وقد استخدم اليونان نوعين من السفن أولهما سفن القتال والقرصنة وثانيهما السفن التجارية، والأولى كانت طويلة ضيقة ويمكن أن تشحن البضائع فى رحلة الذهاب والكثير من الغنائم قدر الإمكان فى رحلة العودة ، بينما الثانية كانت عريضة وقاعها مستدير وأجانبها واسعة ولم تكن سريعة وذلك لضخامة حجمها . ننتقل للحديث عن التجارة وهى تنقسم إلى قسمين تجارة داخلية فى المنطقة الواحدة وبين منطقة ومنطقة وتجارة بحرية بين المناطق وبعضها البعض وبلاد اليونان والبلاد الأجنبية القريبة والبعيدة .

فقد كان من غير الممكن لبعض الأسر أن تكون مكتفية اكتفاءً ذاتياً . فقد كانت تبادل ما يفيض عليها فى مقابل ما تحتاجه أو ما ينقصها ، وكانت نقطة الالتقاء لهذه الأسر سوق المدينة ، لقد كان تبادل الأشياء البسيطة يجمع المنتج والمستهلك معاً فكل

من الراعى والزراع والحرقى يقايض منتجاته بسلع يحتاج إليها ولا مكان لوسطاء بينهم. فكل واحد منهم يقوم ببيع أو شراء ما يحتاجه فعلاً . ولا يوجد مكان لحرفة التاجر هنا ، ولكن بمرور الوقت فإن هذا السوق الداخلى لم يعد قادراً على تلبية احتياجات كل الأسر الثرية وكان لابد من الوفاء بها من خارجها فوجد لأتريس والد أوديسيوس عنده حوض استحمام وزيت عطرى ، كما أن خزائن النبلاء كانت تكتظ بالسلع والأدوات للمقايضة ، فالأسر الكبيرة لا يمكن أن تكون بدون خزائن ومواد مطرزة والسجاد الأحمر وسباتك البرونز والحديد والذهب والمجوهرات والمزهريات المزينة والأسلحة النادرة . ولما كانت بلاد اليونان لا يوجد بها هذه السلع ولا المادة الخام ولا الرجال الحرفيين لصنعها، فقد كان لزاماً عليهم أن يستوردوها أو يجلبوها من الخارج . وكان ذلك بوسائل عدة فمنها ما يتم سلبه فى الحرب ومنها ما يتم أخذه بالسطو واللصوصية والقرصنة ، ومنها ما يتم مقايضته . والملاحم الهومرية مليونة بقصص الاعتداءات والسطو من اليونان على بعضهم بعضاً . وبهذه الوسيلة فقد زادت القطعان وحصلوا على العبيد . بيد أن المعادن والسلع الثمينة كانت لا توجد فى بلاد اليونان ، وكان لابد من جلبها من الأقطار البعيدة خاصة فى الشرق والحصول عليها فى الغالب الأعم كان يتم من خلال الأجانب الذين تنقلوا بين المدن المختلفة وقد ساعد مفهوم اليونان عن الضيافة على تسهيل حركة السفر والترحال والتنقل بين بلاد اليونان المختلفة ، فقد نظر إلى حق الضيافة على أنه واجب دينى تمتع به الإله زيوس حامى الغرباء Zeus Xenios ، إله الضيوف ، ولذا نجد أن المسافر المار كان يدعى إلى المنزل دون سؤال ، فلا تنتهك حرمة من قبل الجماعة ويعطى الشراب والطعام قبل أن يتم سؤاله عن اسمه والغرض من الزيارة ، كما كان له الحق فى النوم والطعام

والإعالة طوال إقامته والمؤن أو الزاد أيضاً للاستمرار فى رحلته أو عودته إلى وطنه، فكان يعطى كل أنواع العطايا والهبات وفقاً لثروة مضيفه أو المدينة التى حل بملكها ضيفاً . فنجد تليماخوس قد نال كرم الضيافة فى بيلوس وفيراي Pherae واسبرطة ، وأوديسيوس نال كل صنوف التكريم فى بلاط الكنيوس ، وهكذا نجد أن الغرب كان يحظى بالحماية لشخصه ولا يُضايق ويمكنه أن يعوض مضيفه عن الهدايا التى حصل عليها منه حتى إن لم يستطع أن يقوم بذلك فى الحال فيمكنه القيام بذلك فى اللحظة المناسبة . وتذكر الإلياذة ذلك الرجل الثرى الذى يعيش بجوار الطريق فى منزل يرحب فيه بكل المسافرين وعابرى السبيل وهذا يدل أو يشير إلى تحول النظرة العدائية للغريب إلى الترحاب واللفظ أو كما يقول الإغريق أن axenia قد تحولت إلى "auxenia". وهكذا فإن مفهوم اليونان عن الضيافة قد ساهم فى رواج التجارة وتبادل السلع بين مناطق اليونان .

إن مكانة التجارة البحرية عند هوميروس غير واضحة . إذ كان أغلب يونان ذلك العصر يعتمدون على كفاية أنفسهم بأنفسهم ، فعلى الرغم من أن الفاكين كانوا بحارة اشتهرت أسماؤهم من البحر والملاحة وأن مهارتهم الملاحية غير عادية وتفوق الخيال . إلا أنهم يعملوا فى حرفة التجارة بل اعتمدوا على الزراعة والرعى ، وكانوا يشكون فى الغرباء ولا يحبونهم كثيراً ، كما نجد الملك أوديسيوس عندما سئل هل هو تاجر استتكر الأمر ، وتفاخر بأنه سلب ونهب وسبى ، ولهذا فلا يوجد مصطلح محدد عند هوميروس لتعريف التجار وهم بالنسبة له "prektores" بشكل غامض بينما نجد مصطلح emporos عنده كان يعنى "المسافر بالسفينة" وهذا المصطلح الأخير قد تطور ليصبح معناه فيما بعد "التجار البحريين" . ونستخلص من الأشعار الهوميرية وجود

تجار يونانيين إذ نجد فى الإلياذة أوديسيوس مبتكراً فى لباس التاجر كحيلة للكشف عن أخيل المبتكر فى زى عذراء فى بلاط الملك ، ليكوميدس وقد وصفت الإلياذة أوديسيوس بأنه كان يحمل على ظهره العريض وكاهله حقيبة كبيرة جمع فيها من كتان مصر وأصباغها وعطورها ومن خز الشام وجريره وسموره الثمين وتصاوير فارس وقماقمها وسنجاها ومشرفيات الهند وتحف السند ، وطرف الصقلاب ومن كل ما غلا وارتفع ثمنه من أدق صناعات العالم أجمع . وعندما وصل إلى حاضرة الملك ليكوميدس وبالقرب من قصره نادى على بضاعته بلهجة أهل المملكة ، لقد استحضرننا هنا حديثاً بضائع مصر والشام وفارس والهند والسند ونحن لا نبيع إلا للملوك وأبناء الملوك لأن الشعب فقير لا يقدر بضائعنا الغالية . ونحن معروفون فى مصر ولا يشتري فرعون مصر إلا منا وبالمثل فى الشام وفارس والهند ولما سمعت بنات الملك نداءه أرسلن فى طلبه فلما حضر اجتمعن حوله يتفرجن هذه تختار منديلاً من حرير الهند أو منطقة من خز الشام وتلك تشتري من أصباغ مصر وعطورها وخزرها وثالثة تفتتن بتصاوير فارس فتشتري كل ما مع الرجل ... ومن هذه الرواية نستخلص أن غالبية الشعب لم يكن لديهم القدرة على شراء السلع الأجنبية ولا يشتريها إلا الملوك وأبناؤهم. ونجد الملك نستور يسأل تليماخوس عندما وصل إلى بلاطه ما هى غايته أو التجارة التى أحضرته ؟ ونجد الربة أثينا تظهر مبتكرة فى هيئة منيتيس ملك التفيين وأنه زاهب بسفينته وأفراد طاقمه البحرى الكثير العدد لأرض تيمسى "Temese" أخذاً معه الحديد لمقايضته بالبرنز " وفى فترة لاحقة نجد هيسيود ينصح أخاه إذا ما كان يرغب فى القيام بالاتجار على نطاق ضيق ألا يكون طموحاً وأن يشحن قاربه بجانب من محصوله فقط . كما أن والد هيسيود نفسه كان تاجراً ولكن استقر به المطاف فى

أسكرا واشتغل بالزراعة .

وفى ضوء ما سبق فإننا يمكننا القول أن هناك اكتفاء ذاتى للغالبية العظمى من سكان الممالك اليونانية ولكن فى نفس الوقت فقد نمت التجارة وتطورت بين تلك الممالك، فكانوا يبادلون الفائض من منتجاتهم الزراعية والصناعية والحيوانات مقابل المعادن والسلع النفيسة التى جلبوها أو جلبت لهم .

لقد كان التجار الأصلاء من اليونان ومن الغرباء ، فقد اشتغل بالتجارة التفتيون وأهل ليمنوس "Lemmians" والكريتيون والفينيقيون الذين شاع ذكرهم فى الإلياذة والوديسة فكان الفينيقيون يجلبون السلع النفيسة وكل ما لذ وطاب من المصنوعات ، والمواد النفيسة ، والحبيد . وقد اشتهر التاجر الفينيقي بالخداع والغش ، وكان سيئ السمعة فكان المرء يرحب ببضاعته ولكنه لا يثق به عموماً خشية أن يأخذه أسيراً إن كان مسافراً معه ، أو يخطف ابنه أو ابنته عند رحيله من المدينة التى رسى فيها قاربه بعد شحنه بالسلع التى قايضها . ولعل رواية أيومايوس خير شاهد على ذلك فقد روى أنه ابن ملك ولكن اختطفته أمة والده ، وسلمته للفينيقيين التجار الذين كانوا قد استقروا فى مملكته لمدة عام لبيع ما حملوه معهم وبعد أن باعوا بضاعتهم ، وشحنوا سفنهم فرت الأمة ومعها طفل وليها أيومايوس . كما نجد أوديسيوس نفسه كاد أن يقع فى براثن العبودية مرتين .

وفى ضوء ما سبق نجد أن اليونان كانوا على دراية ، ومعرفة بسلع بلدان كثيرة مجاورة ، وغير مجاورة فقد عرفوا بضائع ، وسلع المناطق القريبة منهم مثل : تراقيا وأسيا الصغرى ، والشام ومصر وقبرص ، وسلع وبضائع مناطق بعيدة منها فارس

والهند وسواحل بحر البلطيق وربما إفريقيا . فقد عرفوا العنبر ومن المرجح أنه وصلهم من سواحل بحر البلطيق براً إما إلى الشواطئ البحر الأسود وإما إلى سواحل البحر الأدرياتيكي ، حيث تمَّ شحنه في سفن فينيقية ومن هناك وصل إلى بلاد اليونان ، كما عرف اليونان العاج ولعله هو الآخر قد وصلهم من إفريقيا عبر مصر ، أو من مكان آخر قد يكون الهند عبر إيران وغرب اسيا ، ووصل إلى المدن الفينيقية . كما قام الفينيقيون بنقل الصفيح إلى اليونان من كاستيريديس "Kassiterides" كما نجدهم حصلوا على الخمر ، والسيوف الجميلة من تراقيا ، ومن المدن الفينيقية حصلوا على الأردية الأرجوانية والسلاسل الفضية ، والحلى ، والسجاد ، والمزهريات الثلاثية الأرجل والسلاسل الفضية وحصلوا على النحاس من قبرص ، فقد حصلوا من مصر على المعادن النفيسة التي تأخذ شكل السبائك ، أو المصنوعات الفنية ، والعاج ، وبعض العقاقير والمرامح والملح والصودا والشب والالبستر والأصباغ . كما صدرت منطقة البحر الأسود إليهم الحبوب والعبود والخشب ، وصدرت لهم ليديا وكاريا المنتجات العاجية المنحوتة والمرسوم عليها . ولعل ما دونته الإلياذة بشأن رحلة أوديسيوس الممتكر في ثوب تاجر تكشف لنا عن سلع أخرى سواء أكانت من الحرير والأصباغ والتصاوير والسيوف ... الخ والبلدان التي سبق ذكرها خير دليل على اتساع معرفة العالم اليوناني بمناطق وبلدان نائية .

كان اليونان يدفعون أثمان وقيم مشترياتهم عن طريق المقايضة إما برووس الماشية وإما بسبائك الحديد ، والبرنز . فنجد من بين الجوائز التي قدمها أخيل بمناسبة الألعاب الجنائزية التي أقامها في تابين ، وتكريم صديقه وتابعه باتروكلوس ، كأس ثلاثي الأرجل قدرت قيمته باثني عشر ثوراً وأمة ، قدر ثمنها بأربعة ثيران ، وقطعة

سلاح كانت تساوى ما بين تسعة ثيران ومائة ثور ، ونجد أن اليونان كانوا يقايضون السلع والبضائع بالمعادن وإن كانت الحيوانات وخاصة الثيران هى معيار تقدير القيم والأسعار بالنسبة لليونان .

وكان الإغريق يصدرون الفخار ، والأسلحة ، والمنسوجات الصوفية ، والكتان وربما الخمر أيضاً والعبيد .

الحياة الدينية والفكرية :

١- الديانة :

سنحاول أن نعرض بإيجاز للديانة اليونانية في ضوء الصورة التي رسمها هوميروس لها . وفي الواقع فإن ملحمتي الإلياذة والأوديسة تُعدان المصدر والينبوع الأول للديانة اليونانية ، فقد كان هوميروس أحد ينبوعين استمد منه القدماء والمحدثون معرفتهم بالديانة . أما عن الينبوع الثاني هو ملحمة أصل الآلهة Theogonia للشاعر هسيودوس . لقد جمع هوميروس في خالديته التراث الديني للآلهة للعصور السابقة عليه وللأفكار الدينية السائدة في عصره وقدمه لنا في نسق جميل ، ثم أتت ملحمة هسيودوس لتكمل لنا الصورة الدينية السائدة عند اليونان في عصره والعصور السابقة عليه ، فمن الجدير بالذكر أن الفكر الديني لا يتغير بسهولة بل تبقى الأفكار الدينية ثابتة راسخة بدون تغير .

وهكذا قد غدت ملحمتي الإلياذة والأوديسة وملحمة أصل الآلهة انجيلاً يرجع إليه اليونانيون في كل ما يخص شئون دينهم .

لقد صور لنا هوميروس كيف وصلت الآلهة إلى السلطة على جبل الأوليمب فقد قدم وصفاً على لسان الإله بوسيدون يروى لنا قصة الصراع مع العمالقة والانتصار عليهم إذ يقول "لأننا ثلاثة إخوة ، أبناء كرونوس ولدتهم ريا ، زيوس وأنا وهاديس . وقد قسمنا كل شيء ثلاثة أقسام وحاز كل منا نصيبه الذي يتولى شرف رعايته ، وعندما اقترعنا أخذت البحر الأبيض لأستقر فيه إلى الأبد ، وأخذ هاديس الظلام المعتم ، وأخذ زيوس السماء الشاسعة في الهواء ، والسحب . أما الأرض وأوليمبوس العالى فهما مشاعاً بيننا جميعاً .

لقد قدم هوميروس صورة للآلهة والإلهات وهم يعيشون على نرى جبل الأوليمب فى حياة أسرية ، ويأتى على رأسها زيوس ، رب الأرباب ، سيد الآلهة أبو البشر جميعاً ، رمز القوة والقانون ، وصاحب الكلمة العليا فى مجلس الآلهة ، سريع الانفعال ، حاد الغضب ، محباً للانتقام ، والآلهة تطيعه وتخافه لأنه أقواها ، ولكنها كانت لا تحترمه ، فكثيراً ما سخرت منه لعناده المشوب بالغباء ، ولما كان هو الأخ الأكبر لأخوته فكان عليهم طاعته ، لأن طاعة الأخ الأكبر واجبة ، وقد عاشوا من حوله فى شكل أسرة ممتدة مكونة من أخويه بوسيدون وهاديس وأخته هيرا وزوجته وبناته وأبنائه الشرعيين وغير الشرعيين هم هيفايستوس إله الحدادة والنار ، وأبوللو إله النور والشعر والموسيقى ، وأرتيميس إلهة القمر والليل والصيد ، وأفروديتى إلهة الحب والجمال والاحصاب ، وديميتر إلهة القمح والحصاد ، وأثينا الربية الأثيرة عند أبيها فلم تأت من مخالطة زيوس لإلهة من الآلهة ولم تتخلق من نطف أبيها فى رحم امرأة ، وإنما انبثقت من رأس أبيها ، فكانت إلهة الحكمة والذكاء وحامية العلوم والآداب . وهكذا نلاحظ أن الآلهة السالفة الذكر كانت تعيش فى أسرة إلهية وأن كل فرد فيها له تخصصه وإن كان هناك تداخل فى اختصاصاتها وأن الديانة الهومريّة كانت ديانة طبيعية تعبد فيها قوى الطبيعة عن رغبة وعن رهبة . ولا يمكن أن نرى فيها قواعد أخلاقية ثابتة تحدد للإنسان ما ينبغى وما لا ينبغى أن يفعله ، بل أن فى هذه الديانة هوة واسعة بين اللاهوت والأخلاق .

لقد صور هوميروس الآلهة تعيش على شاكلة البشر أو فى هيئة بشرية Anthoropomorphism فصفتهم وتصرفاتهم تشبه معظم صفات البشر وتصرفاتهم . فنجدهم يأكلون وبشربون ويتزاوجون ويتناسلون ويمرضون ويشتهون فقد كان يقوم بين

بعضهم البعض ما يقوم بين البشر من عواطف الحب والغرام والخيرة والبغضاء ، وما يشجر بين هؤلاء من خلافات . بيد أنهم يختلفون عن البشر فى أنهم خالدون سرمديون أى منزهون عن الموت ولهم صفة القدرة حيث يستطيعون الإتيان بخوارق يعجز البشر عن الإتيان بها . وإن كانت تتباين فى قوتها وتختلف فيما بينها فى المجالات التى نستخدم فيها القوة ، إذ نجد قوة أفروديتى لا تقهر فى الأمور المتعلقة بالرغبات الغرامية ، ولكن عندما حاولت الاشتراك فى الصراع الحقيقى ، هاجمها ديوميديس وأصابها بجرح فى يدها لأنه يعرف أنها إلهة ضعيفة ، وذهبت باكينة شاكية لابيها زيوس الذى قال لها "يا بنيتى ، إن الأعمال الحربية لم تمنح لك ولكن تتبعى أعمال الحب للمتزوجين وكل هذه الأمور سوف يرعاها إريس ذو القدم السريعة وأثينا" وعلى الرغم من ذلك فقد كانت القوة الإلهية خارقة للطبيعة فى أدق معانيها . إنها تفوق القوة الانسانية فى ماهيتها وفى سحرها . فإذا كان ديوميديس قد استطاع أن يهزم أفروديتى فى معركة مباشرة ويجرحها ، فكان يمكن للآلهة أن تغطيه بضباب كثيف وتخطفه بعيداً . وأخيل نفسه يقول ليس فى الامكان أن نجد وسيلة أمام هذه الحيل .

ويصور هوميروس الآلهة على أنها تتحكم فى حياة البشر تحكماً لا يخلو من الأهواء والنزوات دون اكتراث بهموم البشر ومشكلاتهم ، فقد تنزل الآلهة من عليائها يسعون بين الناس ويمشون فى الأسواق . وقد يقع أحدهم فى غرام فانتة من بنات البشر وتستجيب له فيخالطها ويمنحها الخلود أو تتأبى عليه فيصب عليها جام غضبه مثلما فعل الإله أبوللو . مع كاسندرا ابنة بريام فقد هام بها حباً ووعدها أن يمنحها موهبة الاستنباء وقد وهبها لها بالفعل ولكنها تأبت وتمنعت عليه ، فصب عليها غضبه إذ كتب عليها ألا يصدقها أحد على الرغم من أنها كانت تنطق الحق . و يصور هوميروس

نساء يتفاخرن بأنهن أنجبن أبناء من زيوس أو بوسيدون فعلى سبيل المثال كان أهل فاكيا يعتقدون أنهم من سلالة بوسيدون . ولكن العكس كان نادراً ، فقد شكت كالبسو من ذلك إذ نجدها تنجح وتقول "أيها الآلهة انكم غير رحماء ، تغارون بصورة لا تبلى فتقومون على الهات يتصلن بالرجال صراحة ، اذا اتخذت واحدة منهن من رجل عزيز عليها شريكاً فى فراشها" . ومن ثمرة هذا الزواج والاتصال نذكر أخيل بن بيليوس واينياس بن انخيثيس . فقد ولد الأول من الحورية ثيتيس بينما الثانى من الإلهة أفروديتى .

ويصور لنا هوميروس أن الآلهة إذا حاق غضبها ببشر فإنها كانت تتبعه أو تدمره أو حتى يقدم التقديمات والاضاحى التى تعيدها إلى طبيعتها حتى تصفح عنه . وفى نفس الوقت نجد الآلهة تعاضد وتناصر بعض البشر فى أعمالهم وتقدم لهم الرعاية والعناية فى كل نواتبهم . لقد كانت الآلهة تقف وجهاً لوجه نصره الأبطال فى المعارك الحربية مثلما حدث بالنسبة لطرودة فقد تعرضت لغضبة كل من هيرا وأثينا نتيجة لتصرف الأمير الطروادى باريس ولذا نجدهما قد عاضدا الأخيين ووقف بوسيدون يناصرهما . بينما نجد الإله زيوس يرسل اريس للإله بوسيدون يأمره بالانسحاب من الحرب ومساندة الأخيين . وأمام وقوف زيوس بجانب الطرواديين نجد أن الإلهة هيرا قد حاولت أن تخدعه ، فقد أسرت إلى الآلهة انهم يمكنهم أن يخدعوا زيوس لأنقاذ الأخيين من المنذبة التى اعدت لهم . ونجد أن بوسيدون لم يرغب فى الاشتراك فيها بل اعترض على ذلك بقوله "أى هيرا الطائشة فى حديثها ، أى نوع من الحديث نطقت !! إننى لا أرغب فى أن نشترك جميعاً فى حرب مع زيوس فهو يقوفنا إلى حد كبير . ونموذج آخر لغضب الآلهة فقد غضب بوسيدون من أوديسيوس لأنه ثمل عين

الكوكليبيوس ولم يتخلص من غضبه إلا بعد أن التمسّت الإلهة أثينا من أبيها أن يسأله ويرعاه فى العودة إلى وطنه إيثاكا . ورد عليها أبوها أن الإله بوسيدون هو الغاضب عليه ووعدّها بأن يجمع الآلهة لوضع خطة لعودته وسوف يتخلى بعدها بوسيدون عن غضبه إذ لن يكون له حول ولا قوة أمام جميع الآلهة الخالدة ويجاهد وحده ضد إرادة الآلهة . لقد كان أوديسيوس محظوظاً إذ وقف كل من زيوس وأثينا لمناصرتّه فى أسفاره وفى الخلاص من الخطاب ووقف القتال مع أسر الخطاب .

ويصور لنا هوميروس أيضاً أن الآلهة وحدها كان لديها القدرة على سلب الإنسان وعيه وعقله واصابته بالأمراض . كما أن الآلهة قد وهبت البعض من البشر القدرة على العلاج والتطبيب وفى نفس الوقت قد منحت موهبة الإلهام للمنشدّين والاستنباء للمراقين .

ويصور لنا هوميروس أن بعض الآلهة كانت تتشكل فى أشكال وصور مختلفة عندما تتصل بالإنسان وتتجلى له ، وخير دليل على ذلك هو تشكل أثينا فى هيئة منتور لتليماخوس وفى هيئة راعى لأوديسيوس وفى صورتها الأنثوية الحقيقية . وإذا كانت بعض الآلهة تتجلى أحياناً للبشر فإن زيوس احتفظ بالبعد الذى يفصله عن عالم البشر وهو الوحيد من عالم الآلهة بالأوليمبوس الذى لم يتدخل مباشرة فى الحديث أو العمل قط . ولكنه كان يتصل بالبشر عن طريق وسائل شفوية يحملها أريس أو عن طريق الرؤيا أو بواسطة الأشعة أو أى إله آخر من الآلهة أو عن طريق الغال وهو سبيل أقل من الناحية المباشرة مثل الرعد وطيران نسره .

ويصور هوميروس عقيدة الأخيين عن الموت والعالم السفلى على النحو التالى

وقد سبق أن تكلمنا عن الطقوس والجنازات والألعاب الجنائزية . فكان هاديس يحكم العالم السفلى والدار الآخرة حيث كان يذهب الموتى فلا يرجعون . والعالم السفلى دار مظلمة تفصلها عن دار الأحياء أنهار عظيمة وسيول جارفة مهولة ومحيط عظيم لا سبيل إلى اجتيازه إلا فى فلك متين . فعندما يموت الانسان تنفصل روحه عن جسده ، والروح تتحلل ولكنها لا تفنى . وكان اليونانيون يؤمنون فى امكانية استدعاء الروح كما فعل أوديسيوس فى رحلته إلى العالم الآخر ، فبعد تقديم القرابين كانت تحضر الأرواح ولكنها لا تتكلم إلا بعد أن تشرب من دماء القرابين . ويكشف لنا الحديث بين أوديسيوس وأرواح الموتى أن الدار الآخرة لم تكن محببة فقد قال أخيل لأوديسيوس أنه يفضل ألا يكون ملكاً على الأموات ولكن يفضل العيش فى الحياة الدنيا وأن يشتغل أجيراً فى خدمة رجل آخر . وقد رأى فى رحلته أيضاً الأرواح الحزينة والمعذبة فقد رأى الملك مينوس المجيد بن زيوس ممسكاً بالصولجان الذهبى فى يده يحكم بين الموتى وهو جالس فى مقعده ، بينما هم قيام حول الملك وعود فى بيت هاديس المتسع الباب يطلبون منه الحكم . ورأى روح أوريون يسوق الكاسرة ، عبر حقل البروق ، كذلك رأى تيتوس بن جايا المجيد مستلقياً على الأرض ، ممدداً فوق تسع نتوءات صخرية ، بينما يقبع نسران واحداً منهما عن كل جانب ، ينهشان كبده ، ويمدان منقاريهما فى أحشائه ، وهو لا يملك من نفسه دفعاً لهما بيديه وذلك لاستخدامه العنف مع ليتو ، زوجة زيوس المجيدة ، بينما كانت ذاهبة صوب بوثو Pytho خلال بانوبيوس Panopeus ذات المروج الخلابه . كما رأى تانتالوس يعان أمر العذاب ، وافقاً فى مستنقع ، والمياه تبلغ الزبى ، وكان مع ذلك يشكو الظمأ ولا يستطيع أن يتناول من الماء القريب من فمه ويشرب ، فكلما انحنى ذلك الرجل العجوز ، مثلهاً

إلى اطفاء ظمئه انحسر الماء واختفى وظهرت الأرض السوداء عند قدميه ، إذ كان أحد الآلهة يجعل كل شيء جافاً ، كما كانت الأشجار الباسقة المورقة دانية القطوف فوق رأسه ، أشجار الكمثرى والرمان والتفاح ، بثمارها اليانعة اللامعة وتينها الحلو وزيتونها الغزير ، ولكن ذلك الكهل المسن كلما هم بالوصول إليها ليمسكها بيديه ، هبت عليها الرياح ودفعتها السحب الظليلة ، ورأى سيسوفوس Sisyphus فى عذاب مرير يحاول أن يرفع صخرة هائلة بكلتا يديه ، ملقياً بها فوق قمة تل ، بيد أنه كلما أوشك أن يقذف بها فوق القمة ، ردها الثقل إلى الوراء ، ثم إلى أسفل من جديد ، فتسقط الصخرة العاتية متدحرجة فوق السهل ، فيعاود المحاولة من جديد ، ويقذف بها ثانية والعرق يتصبب من أطرافه ، والغبار يتصاعد من رأسه .

وهكذا نرى أن الدار الآخرة عند هوميروس لم تكن محببة بل كانت كتيبة حيث تعذب فيها الأرواح .

٢- المهن :

لا تتكلم الإلياذة و الأوديسة عن طبقة وسطى بأدق معنى الكلمة ولكن يمكننا أن نجد فئة أو طبقة أدنى من النبلاء وكانت من حاشيتهم وتتكون من متخصصين فى مهتهم يكسبون الثراء والشرف من ممارسة مهتهم وقد نظر إليهم على أنهم قد تلقوا علومهم ومعارفهم من الإلهة نفسها وهذه الخاصية كان يتوارثها الخلف عن السلف داخل إطار الأسرة الواحدة ولكن قد يحدث أن يتلقى شخص ليس من تلك الأسر الإلهام مثلما للشاعر هيسود . وهذه المهن هى : الكهنة والمتنبئون والأطباء والشعراء أو المنشدون . وكانوا قريبين من الملوك وبلاطهم لتقديم النصيح ومساعدتهم فى ممارسة وظائفهم فكانوا بمثابة القيم مع إقامة الشعائر وصياغة الأغاني أو الأناشيد الدينية

وحفظه للشعائر والاحتفالات ومفسرى العلامات والأقوال الغامضة المبهمة والتي يصيغ بها الإلهة قراراتهم وتحذيراتهم . وأخيراً فقد كانوا حراساً لهذا العلم وبعض أسر المهنيين كانت تنحدر من سلالة ملكية ولم تكن هذه المهن مغلقة على فئة بعينها ولكن كانت مفتوحة ويمكن الالتحاق بها بل نجد أن البعض منها كان متداخلاً فنجد ماخون Machon الطبيب المشهور فى الجيش الأخرى الذى كان فى نفس الوقت جندياً ، كابن لاسكليبيوس فإنه كان تقريباً متساوياً مع الأسر الملكية الدم ، وأيضاً فإن العراف ثيوكليمنوس المنحدر من أسرة ميلامبوس كان كريم المحتد . وبعض العاملين فى هذه المهن كان بحاجة إلى التنقل والترحال من مكان إلى مكان لممارسة مهمتهم . وسنحاول أن نلقى الضوء على هذه المهن :

■ الكهنة :

لم تكن هناك عبادة دائمة ومنتظمة يقوم بها الكاهن ولكن نجده كان مسئولاً عن الاحتفالات المرتبطة بتقديم الأضاحى فى مناسبات كانت تحتفل بها المدينة والجماعات وبعض هذه المناسبات فإن الشخص الذى كان يقوم بذلك لم يكن كاهناً بل كان رأس العشيرة أو القبيلة . ولكنه فى نظر عشيرته كاهناً لأنه مسئول عن عبادة الأسلاف .

إن دور الكاهن هو تنظيم وأداء الشعائر والطقوس على نحو دقيق وكان يقع على عاتقه أداء بعض المهام مثل ذبح الضحية وسلخها وتقطيعها والأشراف على طقوس طهيها وكان عليه تنظيم الترتيبات الخاصة بتقديم الأضاحى وتلاوة الصلاة الصحيحة التى تصاحبها .

ونجد كلمتين فى المفردات الهومرية تصفان دوره فهو hieroos أى المضحى

والذى يجعل التضحية مقبولة وهو أيضاً areter أى المبتهل الذى يقوم بأداء الصلوات نيابة عن المتضرع فهو الوسيط الرمزي بين البشر والإلهة لأن لديه إذن للقرب منها . وكان تقديم الأضاحى لإرضاء الإله وتجنباً لغضبه ونقمته أو رفع بلائته ومثالنا على ذلك هو مقدم أوديسيوس ونفر من الأخيين إلى معبد الإله أبوللو فويبوس لتقديم أضحية من مائة ثور بغرض رفع ما حاق بهم من ضر وخراب وحزن نتيجة غضب الإله لأخذ ابنة كاهنة أسيرة من قبل أجامنون . وبعد أن سلم أوديسيوس ومن معه ابنة الكاهن لأبيها طلبوا منه القيام بالصلاة وتقديم الابتهاال للإله أبوللو عسى أن يرفع عنهم الضر والأذى وقام الكاهن بأداء الشعائر والطقوس بغرض جلب الخير ورفع الضر عن الأخيين كما نجده يشرف على التضحية بالثيران .

وتذكر القصائد الهومرية اشارات حول العديد من بيوت الإلهة . فنجد ذكر لما قام به الكاهن خيريسيس Chyrsis فى صلواته بوضع غطاء بيت الإله neas ، ونجد ايوريلوخوس Eurylochos فى الأوديسة يحصل على وعد من أقرانه الذين كانوا على وشك التضحية ببعض العجول إلى الإله هيلوس بأنهم سوف يبنون neos لتكريم الإله . ونسمع عن أن والد الملك الكينوس قد بنى العديد من البيوت neoi لتكريم آلهة المدينة ، وفى الإلياذة إشارة إلى أن النساء الطرواديات قد قمن بإصلاح بيت الإلهة أثينا ، وقدموا لها الكساء ، وأن الكاهنة ثيانو Theano قد قامت بفتح الأبواب ووضعت التضحية مع ركب التمثال بينما النساء كن يقمن بالشعائر والابتهاال بأيديهن الممدودة إلى أثينا ثم قامت ثيانو بالصلاة ويوجد ذكر لبيت الإله أبوللو فى طروادة .

ولما كان الكاهن أميناً على المعبد فإنه كان يدير أملاك الإله والتي كان يحصل

عليها من عباده وكانت طقوس العبادة تتم من خلال الهبات العامة أو الخاصة أو بالشراء ، وكان يعاون الكاهن في أداء واجباته الإدارية والدينية عدد من المساعدين من طبقة الكهنة ، وكان لكل معبد وعبادة متخصصيها ، ففي كلاروس claros نجد أن كاهن أبولو كان يعاونه متنبئ والذي كان يفسر كلام الإله وأيضاً منشد أو شاعر ديني theopiodas والذي كان ينظم الإرادة الإلهية شعراً ، وفي افسوس نجد بالإضافة إلى الكاهن الأكبر لارتيميس زملاء كاهنات عنراوات وأطلق عليهن النمل "Melessai" وكخدمات للآلهة فقد شارك في الرقص والمواكب وبجانبهن زملاء متطهرين كانوا يعيشون في محيط المعبد . وهكذا فبجانب كبار الكهنة كان هناك العديد من أعضاء السلك الكهنوتي في المعابد والذين اختلفت واجباتهم ومهامهم ، وكان هؤلاء الكهنة مساعدهم يحصلون على هبات المعبد ويحصلون على حصة من الأضاحي .

ب - العرافون :

حظى فن العرافة والاستنباء بتقدير عظيم ، واحتل مكانة بارزة في الشعر الهومري ، فقد نال العرافون شهرة كبيرة وشاع ذكرهم فيه ، وفن العرافة والكهانة عند اليونان هو محاولة اكتشاف الفكر الذي يدور في العقل الإلهي المقدس والاتصال المباشر به وتفسير وتجليه الرموز والإشارات واستلهاهم المعرفة التي قد يكشف عنها الإله .

وقد نال بعض عرافي العصر الهومري شهرة كبيرة ونذكر منهم : كالكساس عراف الجيش الأخسى ، وهيلينوس وكاسندرا ابنا بريام الملك الطروادي ، وهالثيروسييس (Halitheroes) الاتيكي وأبوريداماس وبولداماس وتيرسياس وثيوكلمينوس .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أنَّ هؤلاء العرافين قد قاموا بتفسير الإشارات المختلفة أو النذر التي تصدر عن الآلهة وإن حدث في بعض الأحيان أن الآلهة كانت تتجلى وتظهر بشكل طبيعي لبعض الأبطال مثل تجلى هرميس للملك بريام وارشاده في ذهابه إلى أخيل طلباً لجثمان ابنه هيكتور ، وتجليات أثينا المختلفة لكل من أوديسيوس وابنه تليماخوس ومن هذه التجليات الضوء العظيم الذي لمع من أثينا وأثار منزل أوديسيوس عندما كان أوديسيوس وابنه تليماخوس يجمعان الأسلحة من بهو المنزل قبل قتل الخطاب ، وهذه كانت إشارة إلى رعاية الإلهة أثينا لأوديسيوس وولده. أو مثلما ودع زيوس الأسطول الأخرى المقلع من أوليس Aulio بصرخة مدوية ، أو إرسال نذير لليونان قبل إقلاعهم فعندما كان أجامنون يقدم القرابين للإلهين زيوس وأبوللو ظهرت حية ضخمة زرقاء ، على ظهرها علامات حمراء اللون مثل لون الدم، خرجت الحية من تحت المحراب المقدس واتجهت من فورها نحو شجرة ضخمة كانت قائمة بالقرب من الشاطئ وعلى أعلى فرع من فروع الشجرة كان يوجد عش عصفور يرقد فيه ثمانية عصافير صغيرة بجوار أهمهم ، والتهمت الحية الضخمة الصغار والأم ، ثم رقدت مكانها دون حركة وسرعان ما حولها الإله زيوس إلى حجر أصم . أمام هذا المشهد سيطرت الدهشة على كل الحاضرين وسألوا العراف كالكخاس تفسيراً لهذه الحادثة ، أعلن كالكخاس على الفور أن ما حدث يؤكد ما تنبأ به الملك انيوس بأن طروادة سوف تسقط ولكنها لن تسقط قبل مرور تسع سنوات كاملة سيقضيها الآخيون في الكفاح والنزال أمام أسوارها وسوف تسقط في العام العاشر . وأرسل الإله زيوس بارقة أضاءت كل أنحاء المكان . فعل زيوس ذلك تأكيداً لنبوءة كل من الملك انيوس وكالكخاس . أيضاً تفسيره وإجابته على سؤال أخيل حول سبب غضب الإله أبوللو

فوييس على الآخيين وصبه وباء الطاعون عليهم الذى كاد أن يبيدهم . وكان أخيل قد عقد اجتماعا للمحاربين الآخيين وطلب منهم أن يسألوا كاهناً أو عرافاً أو واحداً ممن تأتيهم الأحلام والتي تأتي من الإله زيوس ، وكانت الإجابة هي أن غضب الإله سببه أخذ ابنه كاهنه سبية من قبل أجاممنون ، ورفض الأخير إعادتها لأبيها العجوز فدعا ربه أبولو بصب الطاعون على الآخيين ، ولرفع هذا الضرر كان لابد من إعادتها إلى أبيها .

كانت النذر المقدسة فى الإلياذة والأوديسة تأخذ شكل الأحلام وتصرف الطير وحركاته والتفاوتات الحسنة والسيئة (مثل الكلمات الصادرة جزافاً أثناء الحديث أو العطاس أو الضحك ... الخ) . وكان اليونانيون يقومون بتفسير هذه النذر من خلال عرافين محترفين أو يقوم الأفراد العاديين بتفسيرها .

نظر اليونان إلى أن بعض الأحلام تأخذ شكلاً خداعاً لارتباطها بالليل والظلمة البهيمية والعالم السفلى ، إذ نجد أن بينلوبى تخاطب أوديسيوس قائلة إن الأحلام نوعان أولهما يكون محبباً وموثوقاً به والثانى يأتى من الضرر . ومن الأحلام الصادقة ما رآته بينلوبى فقد رأت حلمين ينذر أولهما بقرب اغتيال الخطاب بينما يبشرها ثانيهما بعودة تليماخوس ، ومن الأحلام الكاذبة الحلم الذى أرسله زيوس إلى أجاممنون عن طريق إله الأحلام انتقاماً منه وذلك لارضاء ثيتيس والدة أخيل ، لما حاق به من إهانة على يد أجاممنون فقد أمر زيوس إله الأحلام بالذهاب إلى أجاممنون وأن يداعب عينيه وأن يجثم على قلبه وأن يقول له وهو يغط فى نومه العميق أن الآلهة تأمر أن تصبح فتتفخ فى البوق ، حاضاً عساكرك على اقتحام طروادة فإن زيوس يبشرك بالمدينة

الخالدة ولا يكاد النهار ينتصف حتى تكون جنودك فى شوارع طروادة ظافرة منتصرة. وصدع إله الأحلام بما أمره سيد الأوليمب ، ألقى فى روع أجاممنون الحلم الكاذب وعاد أدراجه الى مولاة سيد الآلهة . ولكن كيف يمكن للمرء فى ذلك العصر أن يفرق بين الصادق والكاذب من الأحلام ؟ كان هناك مفسرو الأحلام (Oneiropoloi) ، وكان هؤلاء يصيبون ويخطئون فى تفسيراتهم ، ولذا نجد هوميروس كان لا يثق فيهم كثيراً فقد ازدرى إيوريداماس العجوز لفشله فى الكشف عن أخبار موت ولديه .

وإذا كان هوميروس لا يولى ثقة كبرى فى بعض الأحلام ومفسريها فقد أولى ذكر حركات وتصرفات الطيور الجارحة عناية خاصة ومنها النسور والصقور التى كانت بمثابة رسل الآلهة ترسل نذرها وإشاراتها المقدسة من خلالها ، وكانت حركات وتصرفات الطير تحتاج الى تفسير مفسر ، قد يكون متخصصاً أو غير متخصص ، ومن أمثلة هذه النذر وتفسيرها ، تفسير العراف بوليداماس للقتال بين النسر والتنين فوق الجيش الطروادى بأنه فال سىء للطرواديين ، وتفسير بريام لظهور نسر بعد أن صلى صلاة طويلة لزيوس بغرض أن يحميه ويوقيه ويرشده إلى أخيل وأن يرسل إليه الرسول الذى وعد ويقوده الى معسكر أخيل ، ولم يكذ ينهض من صلاته ويختم توسلاته حتى رفرق فوق رأسه نسر ظل يضرب بخافقيه ، ويحوم ويدوم ويرنق فى سماء الهيكل تارة ثم يستقر عند المذبح تارة أخرى ، حتى أيقن الملك وملؤه أنه الرسول المنتظر والقائد المنشود الذى سيقوده إلى معسكر أخيل حتى يسترد جثمان هكتور ، ومن النذر التى يذكرها الشاعر أيضا أنه أثناء انعقاد الجمعية الشعبية فى اتيكيا بناء على طلب تليماخوس أن حلق نسران عظيمان أرسلهما سيد الأوليمب ، وتقاتلا فوق الاجتماع ، وقد فسر العراف هاليثيرسيس هذا النذر بقرب عوده أوديسيوس

وانتقامه إذ نجده يقول "أيها الناس يا أبناء أتيكا ، اسمعوا وعوا ! ليحذر الخطاب بما يخبئ لهم الغيب من شر أوشك أن ينقذ على رؤوسهم ! إن أوديسيوس حى يرزق ، وأنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليغذ السير إلى هنا ! إنه ليحمل الموت الأحمر إلى خصومه والخير الأخضر إلى مواطنيه ، أنا هالثيرسيس كاهنكم وعرافكم الذى لا يكذب قد أنبأه قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه ويذيقهم ضعف ما صنعوا ولن يجديهم ان يتوبوا أو يندموا ،،،، وليأتينكم نبوة بعد حين ! " وفى مناسبة أخرى عندما كان تليماخوس وبيزاستراتوس يهمان بمغادرة قصر مينلاوس وهيلينا فى اسبرطة ظهر نسر رف عن يمين تليماخوس وصحبه وهو يحمل بين مخالبه إوزة اختطفها من فناء الدواجن ، ولحقه الرجال والنساء يتصايحون فسأل بيزاستراتوس ما ظنك يا مينلاوس ؛ هل أرسل زيوس هذا النذير لك أو لنا ؟ وفيما كان مينلاوس يعمل الفكر ، قالت هيلينا "اصغوا إلى ما ألقته الأرباب فى روعى ، فكما انقض هذا النسر من الجبل الذى نشأ فيه ، واختطف الإوزة من المنزل ، هكذا سيعود أوديسيوس إلى بيته بعد تجوال طويل ، وينتقم لنفسه ، وإن قلبى ليحدثنى أنه الآن هناك يكيد للخطاب كيدا " و بعد عودة تليماخوس إلى وطنه واصطحابه العراف ثيوكليمينوس ، وبينما هما يتجاذبان أطراف الحديث طار عن يمين تليماخوس صقر يحمل بمخالبه حمامة ، و تنتف الصقر ريش الحمامة ونثره على الأرض بين ثيوكليمينوس والسفينة ، وقد فسر ثيوكليمينوس هذا النذير على أن أسرة تليماخوس هى أقوى الأسر بأتيكا وأن ملكها سيدوم .

هكذا نرى أن هذه النذر والتجليات لها معانى فقد كانت ترتبط بحدث ما سواء أكان بمناسبة اجتماع معقود أم الرحيل أم الوصول أم تحول درامى فى القتال .

و يسجل لنا هوميروس أيضا بعض التفاؤلات مثل تفسير حالة العطاس المسموع والانفجار في الضحك أثناء الحديث ، فقد ذكر أنه بينما كانت بينلوبى تتناقش مع إيومايوس وعبرت بصوت مسموع عن أمنيتهابعودة أوديسيوس ، وأن يقضى على هؤلاء الخطاب ، وفى أثناء ذلك فقد عطس ابنها تليماخوس بصوت مرتفع وانفجرت هى فى الضحك فتقامت بذلك ، وأعلنت أن القتل سيكون مصير الخطاب جميعا . ونلاحظ هنا أن بينلوبى هى التى فسرت هذا الفأل الحسن لها والسيئ للخطاب .

و نستخلص من هوميروس أن العرافين كان لديهم أساليب أخرى للكشف عما يجول فى عقول الآلهة وتفسير ذلك . لقد كان هناك عرافون متخصصون فى فحص أحشاء الأضاحى ، فقد وثق الملك بريام فى كاهنة وتكهن هذا النوع من العرافين واعتبرهم مصدر ثقة ، ومن بين هؤلاء العرافين ليوداس الذى ورد ذكره فى الأوديسة . ويضيف هوميروس إلى هذه الوسيلة للعرافة وسيلة أخرى وهى استدعاء أشباح الموتى سواء أكانوا من العرافين أم من غيرهم ، واستشارتهم ، فنجد أوديسيوس يستدعى روح تيرسياس بناء على نصيحة الساحرة كيركى للسؤال عن مستقبله وما تخفيه له الأيام من أحداث وأحداث . و قد أجابه شبح تيرسياس متنبئ وكاهن طبيبه الجليل على تساؤلاته وأثار له طريقه وكشف له عما لاقاه وسيلاقيه من أهوال وأحداث قبل العودة إلى وطنه وما ينتظره فيه من شر . ويروى لنا أوديسيوس صورة اللقاء بأن العراف تيرسياس أقبل عليه وعرفه وخاطبه قائلاً "لما غادرت الدنيا الدافئة المشرقة أيها ذا التعس وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتضرب فى ظلمات هذا العالم العبوس ؟ ولكن نح هذا السيف قليلاً حتى أتجرع من تلك الدماء ، وإنى لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أجله . "وبعد أن شرب العراف من الدماء قال لى "أوديسيوس ! إنك

تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك غير أن طريقك إليها محفوف بالمكاره ، ممتلئ بالعقبات ، وإن لك فيها لعدواً لدوداً يتاثرك ؛ ذلك هو بوسيدون الذى اسخطته بما سمت عين ولده الكوكلوبوس على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإنك واصل يوماً إلى شيطان صقلية وتكون قد نجوت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت هناك ، فاحذر ان عش قطعان هيبيريون رب الشمس السامقة السائحة فى الجزيرة بأذى إن كنت جد حريص على العودة الى بلادك سالماً ، مهما اقتحمت بعد ذلك من عباب وعقاب . فإذا مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعاً ! إن فلكك تغوص فى الأعماق ، ويفرق رجالك أجمعون ، أما أنت فتتجو بعد جهد ، وتلتقطك سفينة عابرة تعود بك بعد شقاء وبلاء وعناء إلى وطنك الذى ينتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصر ك المنيف محتلاً بطغمة أشرار من خطاب زوجتك الوفية لك ، يريغون خبيرك ويذبحون شاتك ، ويغرون بينلوبى بالعطايا والرشى لتختار من بينهم بعلاً لها ... و لكنك ستتنتقم منهم وتتنصف لما قدموا من سوء وستبيد جموعهم ، . . . الخ .

ونجد ان شبح الكاهن يستمر فى مخاطبة أوديسيوس و يخبره بأنه إذا ترك أباً من هذه الأشباح المحيطة بهما "يرشف رشفة من الدم فإنه يتحدث إليه بعد ، وينبئه بما يشاء" فترك أوديسيوس شبح أمه يتذوق الدم فنطق ودار بينهما حديث عن أحوال ابنتها وأحوالها ، وطلب منها ابنتها أن تنبئه بكيفية موتها وعن أخبار والده وابنه وعن ملكه وعتاده وعن زوجه ألا تزال تعيش مع ولده أم تزوجت من أحد أمراء هيلاس ؟ وأجابته شبح أمه أن زوجه لا تزال وفية له مبقية على ذكراه ، مقيمة فى قصره ، قاضيه لياليها وأيامها فى حزن مضمّن عليه ، ودموعها جارية من أجله وآلام لا تنتهى لبعده ، أما أملاكه فلا تزال له وما يفتأ ولده يستغلها باسمه وما يفتأ يغشى الولاثم فى أبهة

الأمراء . وأبوه ما زال يقبم فى مزارعه عزوفا عن المدينة وبهرجها ، وأن والده حزين عليه ، ودائم البكاء من أجله وأنها هى الأخرى قد ماتت كمدا وحرنا على فراقه .
و يسجل لنا هوميروس أنه كان يتم تفسير حفيف و خشخشة أوراق الشجر من قبل الكهان كما كان يحدث فى دودانا .

وتقدم لنا الإلياذة والأوديسة أيضا الأخبار عن عرافين و عرافات وهبتهم الآلهة فن العرافة والاستنباء ومن بين هؤلاء هيلينوس وكاسندرا وكالخاس ، وكان هذا النوع من العرافين و العرافات يتلقى الكشف المباشر من الإله ولا يحتاج الى علاقة محددة أو نذير محدد كما كان يحدث للأميرة كاسندرا التى وهبها الإله أبوللو القدرة على كشف الغيب والتنبؤ بما كان وما يكون ، فكانت تخبر الناس بماضيهم وحاضرهم وما يكون مستقبلهم وهم يسمعون ويعجبون ولما رفضت أن تكون زوجة للإله صب جام غضبه عليها وسلط عليها سخرية سامعها فما تقول شيئاً ولا تتنبأ بشيء ولا تكشف غيباً إلا استهزأ بها الناس وعيروها بأنها تكذب وتخرف وتدعى ا ومن أمثلة تلك السخرية :
عندما عاد الأمير باريس إلى قصر أبيه ، وتعرف عليه أبوه وأمه وأخوته صاحت كاسندرا ، أبى ، لتحذر هذا الأخ ، لتحذر باريس ، ولتذكر نبوءة الكاهنة فى معبد أبوللو ابنك يجر الخراب على مملكتك ويعرض شعبك للدمار وينشر الموت فى بيوت رعاياك . وهنا ينتقم أبوللو ويسخر من حبيبته الجافية ، لقد تضاحك الملك مستهزئاً وغمزت الملكة ابنتها ، ولمزتها بكلام لاذع ، أما هكتور فقد عبث بأخته ومزحها مزاحاً ثقيلاً . ثم نجد الكاهن لاوكون يرفض دخول الحصان الخشبي ورأى أنه حيلة من حيل ومكيدة من مكائد الأخيين وطلب من الملك بريام أن يسأل ابنته

العزيزة كاسندرا فإن لديها سر السماء وحذرت كاسندرا قومها ولكن من يصدقها ، فلا تزال نعمة أبولو تنصب فوق رأسها . و بعد أن حدثت الكارثة بفتح طرودة وإشعال الحرائق فيها تنبأت كاسندرا عندما كانت تخاطب أمها فتقول "أماه ليس حظ هؤلاء الغزاة المنتصرين بخير من حظ أبطالنا . هاأنذا اقرأ ألواح القضاء انظري هاهو ذا مصرع أجامنون بيد زوجته كليتمسترا العاشقة . إنها تفضل اليوم ذراعى ايجستوس الأثم على جنة يكون فيها زوجها ... ! إنها ستقتله ، ستذبحه بيديها ... حينما تطأ قدماه أرض الوطن ! ... انظري يا أماه ... هاهو ذا أوديسيوس تعصف به الريح . ويلعب به الموج ... و يورجحه البحر الثلجى ... والعشاق يتقاتلون من حول زوجته ... وتليماخوس المسكين يضطرم غيرة ولا يستطيع ان يفعل شيئا ... انظري يا أماه هاهو ذا مينلاوس ... لقد ظن المسكين أن هيلينا نقية كما هى ! لقد نسى الشقى أنها تقلبت فى أحضان أزواج غيره ! ... انظري إليه يقذفه البحر إلى شطآن مصر ... وانظري إليه ذليلاً بين يدي هيلين يتوسل إليها وكان أحرى لو أنه قتلها ... وهذا هو العراف كالكاس لا يحتاج إلى نذير أو علاقة محددة لتفسير غضب الإله أبولو .

كما نجد أن خاصية وموهبة الاستحياء والاستنباء وتفسير النذر كانت وقتية عند بعض الأفراد العاديين وليسوا من العرافين والعرافات المحترفين . فنجد على سبيل المثال بينلوبى تفسر أحلامها والفال الحسن فى العطاس والانفجار والضحك أثناء حديثها مع العبد ايومايوس ؛ وأيضا قدرة هيلينا على تفسير حادثة النسر الذى حمل إوزة . حين قالت اصغوا إلى ما ألقته الأرباب فى روعى ، فكما انقض هذا النسر من الجبل واختطف الإوزة من المنزل ، هكذا سيعود أوديسيوس إلى بيته بعد تجوال

طويل وينتقم لنفسه ، وأن قلبى ليحدثنى أنه الآن هناك يكيد للخطاب كيدا" .

و يرد فى ثنايا الملحمتين الهومريتين ذكر لمراكز ومهابط الوحي والنبوءة فى دلفى ودودانا حيث وجد عرفاؤن و عرفات محترفون يتتباؤن ويستوحدون وهم فى حالة نشوة واتصال باله النبوءة . فعلى سبيل المثال نجد ان ثيتيس والدة أخيل تسأل العرافات وكاشفات الغيب عن مستقبل ابنها ويحبينها بأن ابنها سيكون محاربا عظيماً إذا ما غسلت ابنها فى أمواج نهر الخلود الزاخر "ستيكس" وعملت بنصيحتهم وغسلته فى أمواج نهر "ستيكس" إلا عقب قدمه اليسرى . وبعد ذلك نجدها تذهب إلى العرافات القدماى وكهنة المعبد ، فاستوحتهم ما عسى أن يكون فى كتاب الغيب من حظ لابنها فى الميدان ، وقال الكاهن الأكبر مؤمناً على ما تنبأت به العرافات ، من أن أخيل سيدعى للقتال فى صفوف اليونان وأنه سيلقى حتفه تحت أسوار طروادة بسهم يرميه به ألد أعدائه ، يصيب منه مقتلاً فى موضع دقيق فى جسمه هو وا أسفاه !! عقب قدمه اليسرى التى لم تخمرها مياه "ستيكس" . وتكشف لنا الإلياذة عن سؤال الملك بريام لنبوءة أبولو بشأن ابنه الوليد باريس ، وكان رد كاهنة المعبد أن ولده سيكون كارثة على قومه وعلى بلده وسيأتى من الاثم ما يجر الى ذويه وبنى جلدته ويفضى إلى سقوط طروادة فى يد أعدائها . ونجد العراف كالكاس يستوحى الهته فى المعبد الذى مكث فيه غير قليل بناء على أمر أجاممنون لمعرفة ماذا تبغى الآلهة لتطلق الرياح . وعاد بقلب موهون ، وجسم مضعضع ، ووجه مغبر ، وجبين كاسف معقد وأطلق نبوءته "الآلهة عطشى الى الدماء" دماء افيجنيا ابنة أجاممنون لآبد من تقديمها قربان ! لآبد أن دمها على مذبح ديانا كى تطلق الرياح من عقالها . ولكى تكون فدى للجيش كله ولهيلاس جميعا . وبعد موت أخيل وانتحار أجاكس ؛ نجد كالكاس ينفرد ويرسل

نظرة فى النجوم ويناجى سكان السماء ثم يطلق نبوءته القائلة "سهام هرقل !! لا بد من سهام هرقل ! ان يفتح عليكم طروادة إلا سهام هرقل" .

و كان بعض العرافين يتوارثون المهنة ، الخلف عن السلف ، ففى الأوديسة لدينا بعض التفاصيل عن شجرة عائلة ثيوكليمينوس المنحدر من ميلامبوس، فقد ورد ذكر اربعة اجيال من اسرته ومن بينهم اميفرؤس Amphearoas بطل طبيه ووفقا للأسطورة فإن ابنه وحفيد تريسياس قد ورثا الموهبة المقدسة . ونستخلص من الأشعار الهومرية أن بعض العرافين كانوا لا ينتقلون من مواطنهم ، بل كان يتم استشارتهم فيها ، بينما نجد عرافين مارسوا مهنتهم جائلين من مدينة إلى أخرى ومن بيت الى بيت بحثاً عن الرزق والاستزادة منه فنجد العراف ميلامبوس حفيد ثيوكليمينوس بعد خلافه مع الملك نيلوس كان عليه أن يرحل عن بيلوس إلى أرجوس حيث بنى هناك منزلاً وامتلك سفناً كثيرة أما عن حفيده فقد اضطوه والده أن يهاجر إلى هبيريسيا (Hyperesia) فى اخيا ، أما عن حفيد حفيده فقد مارس العرافة فى أرجوس حتى اضطر إلى تركها نتيجة قتل موبسوس حفيد تريسياس العراف الطبيى .

و لدينا عرافون رسميون كانوا يعملون لخدمة الجماعة مثل هالثيرسيس الذى كان يقوم بالتكهن والاستبأء فى الجمعية الشعبية فى أتিকা أو كالخناس الذى التحق بالجيش الأخرى وذهب معه لحصار طروادة وأسدى للأخبين خدمات جليلة .

وتكشف لنا الأشعار عن أن العراف كان يلقى بعض المصاعب عندما يعلن قراره وتفسيره على الشعب أو على بعض الأسر أو الأفراد فقد كان قراره هذا يلقى

قبولاً وترحيباً عند البعض بينما يسبب عدم الرضا لدى البعض الآخر وقد يخلق عداوةً بين زبائنه ومستعميه ومن الأمثلة على ذلك ما أعلنه كالكاس أن سبب غضب الإله أبوللو و صبه الضر على الأخين هو أخذ ابنة كاهنه سبيبة من قبل أجاممنون الذى رفض إرجاعها إلى أبيها الذى جاءه مستجدياً ومتوسلاً ولما وجد أعراضاً وصدوداً دعى ربه أن يصب البلايا على الأخين فاستجاب له ربه ، ولذا أعلن كالكاس أن رفع هذا الضر و البلاء لن يكون إلا بإعادة الفتاة إلى أبيها . فما كان إلا أن يصب أجاممنون غضبه وحنقه عليه . كما نجد أن بوليداماس لم يرض الأمير هكتور بتفسيره نذير القتال بين النسر والتنين فوق الجيش الطروادى بأن هذا فال سبب أو نذير شؤم للطرواديين ؛ كما نجد العراف هالثيرسيس عندما تنبأ فى الجمعية الشعبية فى أتیکا عن قرب عودة أوديسيوس وانتقامه من الخطاب وبهذا التكهّن قد أغضب الخطاب لأنه ضد رغباتهم مما عرضه لنهرهم وتهديدهم و توبيخهم . وإذا كان العرافون قد أغضبوا البعض أحيانا فإنهم كانوا يرضون البعض الآخر أحيانا أخرى ، ونتيجة ذلك ، فقد كانت مهنتهم مربحة فلم يأت إليهم زبائنهم خالين الوفاض بل كانوا يتحفونهم بالهدايا والهبات وقد حقق البعض منهم ثراءً عريضاً مثلما كان الحال بالنسبة لميلايوس .

جملة القول أن الاستنباء والتكهّن قد شاع استخدامه عند الأخين والطرواديين على حد سواء .

ج - الأطباء والمشعوذون :

تقدم الأشعار الهومرية معلومات قليلة عن فن الطب والعلاج ومع ذلك فقد حظى الأطباء المحترفون بمكانة عالية "فإن طبيباً واحداً يعدل رجالاً كثيرين" ومن هؤلاء الأطباء ماخون وبوداليريوس ، الأول كان جراحاً والآخر طبيباً مجرباً وجراحاً ،

وكلاهما ابنا اسكليبيوس وقد ورثا عنه البراعة والحنق فى شفاء الأمراض ومعالجة الجروح وتشخيص الأمراض .

وتخبرنا الأشعار الهومرية أن الأطباء المحترفين كانوا ذوى خبرة وتجربة عملية فى تطبيق الجروح ومعرفة التأثيرات المختلفة الناجمة عن جروح معينة ومعرفة خواص الإغماء وأعراض التشنج الذى يصيب الإنسان عند الاحتضار ومعرفة أعراض الجنون والأمراض المقدسة "الصرع" وقد تفاخر بعض الأطباء بأن لهم قدرة إلهية . وورثة الماضى الغنى بالسحر و الشعوذة .

كان نفر من هؤلاء الأطباء قد خدموا فى صفوف الجيش الأخرى كأطباء ومقاتلين فى نفس الوقت والبعض منهم جرح مثلما حدث لماخون بن اسكليبيوس الطبيب والمحارب . وكان واجب هؤلاء الأطباء المحدد فى حالة الطوارئ هو تغطية وربط الجروح والعناية بها . واتبعوا الخطوات الآتية فى تنظيف الجروح : فكانوا يفتحونها ثم يجعلونها تدمى ثم يغسلونها بماء دافئ ثم يستخدمون مساحيق ملطفة ثم يربطون العضو المجرى . وكان بعض الأطباء يقولون تعاويز معينة لوقف نزيف الدم . ومن أمثلة هؤلاء الأطباء ماخون وبوداليريوس سالفى الذكر اذ نجدهما قد عالجا البطل فيلوكتيتيس الجريح والذى كان قد تركه الجيش الأخرى فى جزيرة لمنوس ، وكان هذا البطل يحوز سهام هرقل . وقيل أن البطل هرقل قد أتاه فى منامه وأمره أن يرحل مع أوديسيوس وأخبره أنه سوف يبعث إليه فى طروادة واحداً من ولدى اسكليبيوس لعلاج جرحه ، وصدع فيلوكتيتيس لأمر هرقل ورحل مع أوديسيوس إلى طروادة ووصل إلى المعسكر الأخرى ، وهناك اغتسل بمياه جارئة ، ثم راح فى نوم عميق داخل

معبد الإله أبولو ، واثناء نومه استأصل الجراح ماخون الجزء المتعفن من الجرح ثم صب كمية من النبيذ فى الجرح ووضع فوقه بعض الأعشاب الشافية وحجراً خاصاً اسماء اليونان حجر "الحية" وقيل أن بوداليريوس شقيق ماخون قد اشترك فى علاج جُرح فيلوكتيتيس .

وتكشف لنا الأشعار أن علاج الجروح فى ساحات القتال وفى أوقات السلم ورحلات الصيد لم تكن حكراً على الأطباء المحترفين بل نجد المحاربين والأبطال قد اتصفوا بحذقهم ومهارتهم فى عمل الأربطة والتعامل مع جروح الحرب ، وكان على المحاربين أن يساعد بعضهم بعضاً فى أوقات الحاجة ، فعلى سبيل المثال نجد أوديسيوس يعالج بعض الجرحى من الأبطال . وقد تعرض هو نفسه فى شبابه لجرح فى فخذه نتيجة عضة خنزير برى فى جبل بارناسوس فى أثناء رحلة صيد مع أخواله وقد عالجه أخواله ، كما نجد البطل باتركلوس قد قام برعاية وعلاج إيوريبيلوس (Eurypylos) الجريح وتطبيبه باستخدامه جذر مر بعد أن طحنه بين يديه والذى خفف الألم وجفف الجرح وأوقف النزيف . ولم يكن تطبيب الجروح والسجحات والكدمات حكراً على الرجال بل مارسته النساء أيضاً ، إذ نجد أن المرأة كانت على دراية بكل فوائد النباتات ، وجمعها وإعداد العقاقير منها لعلاج الجروح والآلام ، ونجد أن بعض النساء قد عالجن بعض الحالات مثل علاج هيلينا للكدمات بجسد أوديسيوس بغسلها ومسحها بالزيت ، وبعد أن جرح باريس بسهام فيلوكتيتيس واشتد به الألم نجده يتذكر أن محبوبته الأولى الحورية ايونونية كانت قد ذكرت له أنها تعرف من خواص الأعشاب المختلفة ما يشفى أقله أشد أوجاع الجروح وأنكاهها وأن الإله أبولو قد لقنها فن الطب وأنها كانت بارعة فى علاج الأمراض و تشفى كل عليل . إنها تعلمت فن

العرافة من الربة الكبرى الأم وكانت قادرة على التنبؤ بالغيب والكشف عن المستقبل فأرسل في طلبها ، بيد انها خذلتها وتركته يموت . كما نجد هيلينا كانت قد جلبت طريقة إعداد الشراب المخدر المهديئ (Pharmacon nepentheos) من مصر إذ تقول إنها تعاملته على يد امرأة مصرية وتقول إنها عقاقير طيبة عظيمة إذا ما حفظت، مع الخمر يكون لها قدرة كبيرة لإزالة الألم والتعب وتؤدي إلى نسيان كل عرض ، وهى قوي المفعول فمن يشرب منها يكف عن البكاء ذلك النهار ولو مات أبوه أو ذبح أحد أخاء أو ولده أمام عينيه .

وتكشف الأشعار الهومرية أيضا عن أطباء مهرة فى تشخيص وتوصيف الأمراض ومن بين هؤلاء بوداليريوس الذى كان قادراً على تشخيص الأمراض العقلية إذ نجده يصدق على أقوال العراف كالخاس بأن البطل أجاكس قد أصابه مس من الجنون وكان بوداليريوس هو أول من شخص حالة أجاكس المرضية عندما نظر إلى عينيه الزائغتين . فقد أصابته الربة أثينا بمس من الجنون لغضبها عليه . كما نجد أن بانداروس يشخص الخبل أو الجنون المؤقت لديوميد بفعل الإله ، ولكن لا يقدم لنا هوميروس كيفية علاج هذه الحالات . وفى عصر هوميروس لم يكن اسكلبيوس بن أبوللو إليها بل طبيبا حاذقا فى التطبيب بفضل ما تلقنه من والده أبوللو وخيرون البارع فى شتى المهن ، فقد لقنه الأخير فن الطب والعقاقير وشرح له فائدة الأعشاب البرية وكيفية التمييز بينها فكل عشب له لون ورائحة وشكل خاص وله فائدة فى علاج مرض من الأمراض وبعدها أصبح اسكلبيوس خبيراً فى العقاقير وتركيباتها وعلماً بكل فنون السحر والشعوذة ، وذاعت شهرته فى كل أنحاء بلاد اليونان ، وأصبح قادراً على شفاء جميع الأمراض ، وتوافد عليه المرضى من كل بقاع أرض اليونان ، وشاعت

الأساطير حول علاجه لمشاهير وأبطال اليونان ومنهم هرقل ، بل وإحيائه للموتى . وقد ازدهرت تعاليمه العلاجية فيما بعد فى عدد كبير من (Asclepieia) وهى معابد ومشافى فى نفس الوقت ، وجد منها فى العالم اليونانى نحو ٣٢٠ مؤسسة ، وكانت تقع فى أماكن قريبة من الغابات أو الكهوف أو الينابيع المقدسة ، وكان يقوم بالإشراف عليها أطباء كهان أو أطباء عرفون وأطلق عليهم "الاسكليبيون" وكانوا يتوارثون احتراف المهنة الخلف منهم عن السلف . واشتملت تعاليمه على طقوس منها الصوم واغتسال الظهر ودهان الجسم بالزيت وبعدها يقدم المريض أضحية ، ويلي ذلك جضانة روحية له ، إذ كان عليه أن يقضى ليله نائماً على جلد أضحيته فى المعبد ، وفى السكون والظلمة البهيمية ، كانت الأرواح المقدسة تنزل بين النائمين فى المعبد ، وكان الإله يرسل للمريض الرؤى والأحلام أى أنه قد يسمع كلمات الإله ويتم ترجمتها بعد ذلك بشكل مناسب من قبل الأطباء الكهنة فى شكل وصفات طبية .

وكان الإله نفسه هو الذى يمنح هبة العلاج ويرفع الضر الذى يصبه ويسلطه على البشر . ومن بين الأمراض العقلية التى تذكرها الأشعار الهومرية الهيجان والهنيان والمنخوليا ، والتى يكون سببها الآلهة التى تسلط عليه الشياطين (demon) التى تسبب له الجنون . وهكذا نجد أن بانداروس يشخص الخبل أو الجنون المؤقت لديوميد بفعل الإله ، وأجاس قد أصابته الإلهة أثينا بمس من الجنون ، وهيلينا تعلن أن الربة أفروديتى قد أعمتها وقادتها من أرضها الحبيبة إلى طروادة تاركة ابنتها وغرفة زواجها وزوجها ، كما نجد أن الملك أجامنون يقول إن الإلهين زيوس وارينيس (Erenyes) قد سلباه العقل وأصابا روحه بالجنون القاتل عندما استولى على مكافأة أخيل . وكانت الإلهة اتى (Atc) أيضاً مسئولة عن الجنون والتهور والدوخان والعمى

والهذيان ولم يكن لها موضع قدم على الأرض ، لكن موقعها عقول الناس . إذا كان الجنون مرضا مقدسا ، ولدينا نص من عصر متأخر – وبدون شك كتبه أحد اتباع مدرسة أبقرات – ينتقد بشدة الممارسة الدينية السحرية المتبعة فى علاج المرضى والمرض المقدس والتي من الأرجح أنها عتيقة أو ضاربة فى القدم ، وربما وجدت فى العالم الهومرى وكانت خطوات العلاج بالطرق الدينية السحرية وهى :

أولا :- تحديد مصدر المرض وذلك عن طريق تحديد الإله المسبب للمرض ، وتحديد الإله يتم من خلال معرفة الحركات الصادرة من المريض فالصرائح الذى يصاحبه حركات تشنجية للأطراف يؤكد أو يشير إلى أن سبب المرض هو وجود أم الآلهة ، كما أن الصرخات الصادرة من المريض الشبيهة بصهيل الخيل تشير إلى أن سبب المرض هو وجود الإله بوسيدون ، والأصوات الصادرة من المريض والمقلدة لتغريد الطيور تؤكد أن سبب المرض هو الإله أبوللو ، والرغوة على الفم تكشف عن أن سبب المرض هو وجود أريس (Ares) بينما يكون سبب الهياج فى الليل أو المشى والشخص نائم هو وجود هيكاتى (Hecate) أو وجود بعض أرواح الأبطال من العالم السفلى .

ثانيا :- إذا تم تشخيص سبب المرض فكان يتم اتباع الخطوات العلاجية الآتية : أن يتصالح المريض مع الإله مسبب المرض وأن يرضيه وأن يهدئ من غضبه وذلك بالشكر والتطهر وتلاوة التعاويذ واتباع قواعد معينة خاصة بالأكل والملبس التى يصاحبها شعائر وطقوس معينة ، والغرض من كل هذا هو إعادة شخصية المريض إلى حالته الطبيعية . وكان العلاج ، وفقا لهذه الطريقة ، فى أيدى مطهرين جائلين وكهنة ومشعوذين ومن اتبعوا طرقا سحرية ، وكما سبق

أن ذكرنا لعل هذه الممارسات كانت موجودة في العالم الهومري وأن هذا العالم كان يوجد به فئة من الأطباء المشعوذين وطاردي الأرواح والذين لم يكونوا من بين أعضاء الأستقراطية الطبية التي من الأرجح أن تكون سبباً في أن هوميروس قد ذكر حولها القليل .

د - المنشد المغنى :

نطالع في الإلياذة أن الأسرة وأفرادها والجنود في معسكراتهم وخيامهم كانوا يرتجلون الغناء ارتجالاً ، بينما في الأوديسة نرى ذكراً للمنشدين المحترفين المبصرين وغير المبصرين الذين كرسوا جانباً من وقتهم للموسيقى ينشدون أغانيهم على الأنغام الموسيقية للقيثارة .

وتكشف الأشعار الهومرية عن أن المنشد المغنى كان في نظر الإغريق رجلاً تلهمه الإلهة مثله في ذلك مثل العراف والطبيب ، فكلماته نزلها عليه إما زيوس وإما أبوللو وإما ربات الفنون والآداب بنات زيوس ، فكانت الإلهة توحى إليه بكلمات الأغاني الحزينة والبهيجة ، ويؤكد أفلاطون على هذا الاتجاه إذ نجده يقول أن الإلهة هي التي تهب الإلهام الشعري ، وتشير الأوديسة إلى ذلك ، ففي أحد المواضع نجد الشاعر يذكر "كان المنشد ذائع الصيت يغنى لهم وكانوا يجلسون في صمت منصتين له ، كان يغنى لهم عن عودة الأخيين المفجعة من طروادة والتي أوجبتها الرية أثينا ، ولما كانت أغنيته حزنة وأبكت بينلوبي فقد خاطبت المنشد الرباني أي فيميوس إنك تعرف الإلهة المجيدة مما حفظه لنا المنشدون "غن لهم واحدة منها واجلس إلى جوارهم ودعهم يحتسون في صمت كؤوس الخمر و اترك هذه الأغنية الحزينة التي تجلب الأسى إلى أعماق قلبي حيث أن حزناً لا ينسى يسقط على وأنا أتذكر متلهفة على رأس زوجي

الذى ذاع صيته فى هيلاس وارجوس . فرد عليها تليماخوس لم تكرهين يا أماه أن
 يمتعنا المنشد المخلص بالطريقة التى تواتيه ؟ فلا لوم على المنشدين إنما زيوس هو
 الملوم فهو الذى يعطى كيفما شاء للبشر الساعين وراء أرزاقهم اليومية . فلا تثريب
 على الرجل أن يغنى مصير الداناتيين المؤسف ، لأن الناس فى الغالب يثنون على
 الأغنية التى تسبح إليهم نغماتهم للوهلة الأولى" وفى موضع اخر نجد تليماخوس يقول
 "دعونا الآن نله ونمرح ولا تحدثوا فيما بيننا شغباً فالاستماع إلى منشد صوته كصوت
 الإلهة لمن المتع المستحبة " ونستخلص من هذه الفقرات أن هوميروس يقدم أوصافاً
 للمنشد منها : أ- المنشد الربانى ، ب - المنشد ذائع الصيت ، ج - أنه لا ينطق عن
 الهوى إنما يوحى إليه زيوس ، د - حلاوة وطلاوة صوت المنشد الشبيه بصوت
 الإلهة .

ويضيف هوميروس فى موضع اخر أنه بينما كان اوديسيوس فى بلاط الملك
 الكينوس ، وجه الأخير دعوة إلى رجاله لحضور حفل تكريم اوديسيوس وطلب أن
 يحضر ديمودوكوس المنشد وجرى بالمنشد الذى أحبته ربات الفنون حباً جمياً اللواتى
 أعطينه الخير والشر على السواء فقد منحه نعمة الغناء الجميل ولكنهن سلبنه نور
 عينيه . ونجد اوديسيوس يقول واصفاً ديمودوكوس أن المنشد لخليق باكرام الناس ،
 لأن الهة العن هى التى توحى إليه وتوليه الحب" وفى موضع آخر نجده يخاطبه قائلاً
 "يا ديمودوكوس ألهة الفن هى التى توحى إليك ما تنشده أم أبوللو؟ ولكنك وأيم الحق
 تشيد بما عاناه الأخيين أمام طروادة العظيمة وما لاقوه من الأهوال كما لو شاهدت
 بنفسك فهلم الآن وغننا بذكر الحصان الخشبى " أجد غناء هذا فاشهدك بأنك
 المنشد الذى لقتته الإلهة" . "وغنى المنشد هذه الأغنية بإيحاء من الإلهة إذ تنزل أبوللو

على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية" . إن هذه الفقرات تضيف للمنشد أوصافاً منها :-

(١) أن ربّات الفنون قد منحته نعمة الغناء . (٢) أن الإلهة لقنته وأوحت له بالغناء .

فى ضوء ما سبق لقد كان المنشدون سادة فن الغناء والإيقاع والنغم ، وكان لهم دورهم فى أداء الطقوس والشعائر الدينية أى أنهم كانوا أعضاء فى الصفوة العقلية والدينية . فقد كانوا حفظة الأشعار المقدسة أى أنهم كانوا ينظمون الأغاني الشعرية المرتبطة بالإلهة وقصص الأبطال المؤلهين والأغاني التى تدخل البهجة والسرور على قلوب سامعيهم . وتقدم لنا الأوديسة فى بعض المواضع معلومات عن أغاني هؤلاء المنشدين التى أثارت شجون المستمعين والمنصتين ، وقد سبق أن ذكرنا أن غناء فيميوس قد أثار شجون بينلوبى لتذكيرها بزوجها الغائب كما نجد غناء المنشد ديمودوكوس قد أثار شجون وأحزان أوديسيوس وجعله يجـهش بالبكاء ، وإذا كان أوديسيوس قد أبكاه ما رواه المنشد فنجد أن جمهور المستمعين طلبوا منه معاودة الغناء لاجابهم به كما نجد أن الملك ألكينوس قد لاحظ بكاء أوديسيوس لسماعه المنشد فقد قال لجمهور الحضور من ضيوفه "دعوا ديمودوكوس يكف عن غنائه فمنذ وضع يده على القيثارة لم ينقطع هذا الغريب عن النحيب ليكف المنشد إذا" .

وفى ضوء ما سبق نلاحظ أن جمهور المستمعين كان يفاضل بين أغنية وأغنية ونشيد ونشيد ، فهذا نشيد حزين يثير اللوعة والأسى وهذا نشيد بهيج يثير البهجة والسرور . كما نلاحظ أيضاً أن هناك منشدين كثيرين وأن بعضهم قد ذاع صيته وأنهم قد تفوقوا على أقرانهم وكان من بين هؤلاء كل من فيميوس الإيثاكي والذي كان المنشد

والمغنى فى بيت أوديسيوس والذى أطرب وأحزن أفراد البيت فقد أحزن بيلوبى بينما نجده يطرب تليماخوس والخطاب وكان إطرابه للخطاب عن كره لا عن رضى منه ولذا فقد نال عفو أوديسيوس عندما قتل الخطاب ، كما نجد أوديسيوس يطلب منه أن يبعث أصوات الموسيقى وبناء على ذلك فقد ضرب المنشد أوتاره ورقصت النساء . ولدينا أنموذج اخر هو ديمودوكوس المنشد الأعمى الذائع الصيت والذى لاقى احتراماً واهتماماً خاصاً من قبل الملك الكينوس وضيوفه ، فقد أجلسوه على كرسى من الفضة فى وسط الضيوف وعلقوا القيثارة على وتد فوق رأسه وأرشدوا يده عليه . ومرة أخرى نجدهم قد أجلسوه فى وسط الضيوف الجلس فى الهواء الطلق ويأخذ مكاناً وسطاً بينهم . كما نجد قول أوديسيوس عندما أعطاه قطعة من اللحم إذ قال "إن المنشد لخليق بإكرام الناس لأن آلهة الفن هى التى توحى إليه وتوليه الحب" . لقد كان الاحتفاء بمنشد يأتى بعد الضيف وهكذا فقد لاقى المنشد كل الاحترام والتقدير .

كان المنشدون والمغنون لا يستقرون فى مكان بعينه بل كانوا جائلين ، مسافرين ورحالة عظام فكانوا ينتقلون من مدينة إلى مدينة ومن بيت إلى بيت داخل المدينة ويستقبلوا بالترحاب والإكرام فى قاعات الاحتفالات ، والبعض منهم أقام بشكل دائم فى القصور والبعض الآخر كان يتم استدعاؤه بناءً على طلب صاحب القصر . لقد كان حضور المنشد يضيف الشهرة والبهاء وجو المرح والسرور على أجواء الاحتفالات وبذلك فقد ضمن المنشدون مكانة عليا فى المجتمع كما ضمنت لهم سبل الرزق والعيش الكريم ومخالطة عليا القوم وعظمائهم .

كان المنشدون ليسوا من طبقة النبلاء ولا من طبقة العبيد بل كانوا يحتلون

مركزاً وسطاً كأصحاب مهنة تشبه مهنتى الأطباء والعرافين وأنهم كانوا من الرجال الأحرار الذين اكتسبوا احتراماً واعجاباً بسبب مهارتهم فى الغناء والانشاد وكانوا يعتمدون فى بقائهم واعاشتهم وحياتهم على رعاية الأمراء وأصحاب القصور ، كما كانت المعابد الكبرى تستعين بالمنشد ليلقى المراثى والتراتيل الدينية وكانت المدن تستدعيه لينشد فى احتفالاتها . وجملة القول أنهم خالطوا الصفوة وعلية القوم .

هـ - مهنة الشحاذة و حياة الشحاذين الغربية

عد كل من هوميروس وهيسودس الشحاذين بين الحرفيين demeourgoi فيذكر هوميروس أنه عندما يعدد أيومايوس الحرفيين الذين كان يبحث عنهم بين الغرباء نجده يعدد العرافين والأطباء والنجارين والشعراء ويضيف أنه لا يوجد شحاذين بينهم ولهذا فإنه يعتبر الشحاذين من الحرفين الأصلاء ، ويؤكد هذا قول هيسودوس الذى يضع الشحاذ فى قائمة الحرفيين الذين ليسوا محل نقاش إذ نجد يقول "هكذا فإن الفاحوزى ينافس الفاحوزى ، والنجار ينافس النجار والشحاذ يغير من الشحاذ والمنشد يغير من المنشد" .

وقد سبق أن ذكرنا بعض أحوال الشحاذين ونظرة المجتمع إليهم ، ونضيف هنا ما يأتى : أن الأوديسة تقدم لنا وصفاً لحياة وطرق الشحاذ الرسمى فهو الذى يجمع الصدقات وكان نهماً لا يشبع وكثير الشراب عرييد ، وكان شاباً طويل القامة ذات ملامح خشنة وعلى الرغم من أنه كان يأكل جيداً ، إلا أن ملابسه كانت رثة ويحمل عصاً وكيس ويجلس عند الباب ويسند ظهره لعمود الباب ويحك أكتافه عليه انتظاراً أن يحضر له شخص حصته فى الخبز واللحم إذا ما كان هناك مأدبة وكان ينتقل من مأدبة إلى مأدبة .

وكان اليونانيون يعتقدون أن الشحاذين هم رسل الإله زيوس أو يكون الشحاذ هو نفسه أحد الإلهة متتكرراً والذي يذهب من مدينة إلى مدينة أخرى ليفحص قلوب الرجال ومشاعر الإنسانية والوعى بواجبات الضيافة ولذا ينبغي ألا يلحق به أذى أو ضرر بل ينبغي إكرامه .

وكان الشحاذ المحترف يوصف بالتعبير Opolymanter وهو يعنى المطهر ومعنى هذا أن الناس كانوا يعطونه الصدقات بغرض التطهر من الآثام فهو الذى يأخذها ويزيلها وإذا كان يُحمل بالهدايا فى الاحتفالات الرسمية ، فقد كان يتلقى اللكمات والإهانات ، وهذه هى طريقة نقل الآثام فى شعيرة التطهر . فقد صورت لنا الأوديسسة استقبال الشحاذين ، فى الموائد العامة ، بالإهانات واللكمات والقذف بالكراسى والكرات وفى نفس الوقت كان يحصل على هبات من الطعام . وبحضوره وتصرفه كمطهر يومى ، فإن الشحاذ كان مصدراً للأمان والازدهار فهو التضرع إلى الإله زيوس كى يمنح الازدهار والرخاء لمن استقبلوه وأنه هو نفسه الصورة الجيدة للازدهار والرخاء.

وكان عليه أن يدافع عن منطقته إذا ما وصل إليها زميل له ولشعوره بالخطر مع وضعه فكان عليه أن يدفعه بعيداً ، خشية أن ينال الحظوة بدلاً منه وخير مثال على ذلك عندما يخاطب الشحاذ المحترف أروس أوديسيوس المتتكر وينهره ويطلب منه ترك المكان فيجيب عليه الأخير أن المكان يتسع لهما معاً إلا أن الأول رفض وكان على أوديسيوس أن ينازله ويصارعه وبعد أن نجح أوديسيوس وتغلب عليه طود أروس من المكان وحل أوديسيوس محله إلى حين .

العصر العتيق أو عصر الانتقال الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى نهاية القرن السادس

يُعد هذا العصر من أهم عصور التاريخ اليونانى فلا يمكننا فهم الكثير من مظاهر وسمات العصر الذهبى بمعزل عن العصر العتيق فقد شهد هذا العصر بداية الكثير من الظواهر والسمات الجديدة التى نمت وتطورت بل شهد البعض منها كماله ونضجه فى المجتمعات اليونانية فى العصر الذهبى .

إن تحديد بداية هذا العصر بدقة يمثل معضلة ، فلا يمكننا فى ضوء ما لدينا من معلومات أن نضع تاريخاً فاصلاً لبداية هذا العصر ولكن يمكننا القول أن العصر المظلم قد وصل إلى نهايته بالتدريج لدرجة أنه يصعب علينا أن نضع تاريخاً محددة لخاتمته ، ولكن فى ضوء المعلومات المتاحة عن العلاقات والصلات المتبادلة بين بلاد اليونان ومراكز الحضارة الفينيقية والآشورية والمصرية يمكننا القول أن العصر العتيق قد بدأ فى القرن الثامن .

ورغم وفرة القرائن والأدلة لهذا العصر فإننا نجد الغموض يلف الكثير من مظاهر تطور الحياة اليونانية فيه ، ويتجلى هذا الغموض عند نشأة وقيام المدينة الدولة (polis) ، فقد دار جدل بين العلماء حول تاريخ نشأة المدينة ، والتواريخ المقترحة من قبلهم تنحصر فى الفترة الممتدة بين القرن التاسع والقرن السادس ، كما دار الجدل أيضاً حول أى المناطق كان الأسبق فى نشأة المدينة هل هو ساحل أيونيا أم بلاد اليونان الأم !

إن نشأة المدينة الدولة تكون غامضة ومن العجب أن نحدد بدقة بدايتها ونشأتها بعد العصر الموكينى. ونود أن نقرر أن ظاهرة المدن الدول لم تكن تمثل

ظاهرة جديدة كل الجدة فى عالم بحر إيجه ، فى العصر الموكيني قد وجدت مدن وممالك منفصلة عن بعضها البعض ويحكمها الملوك الذين توارثوا الملك الخلف عن السلف ، ولكن هذه الممالك تم تدمير مراكزها وانهار أغلبها أمام موجات الهجرة الدورية والعناصر الأخرى المهاجرة . والمنطقة التى نجت من الغزو والتدمير هى منطقة أتيكا قد شهدت استمراراً لنظمها وإن تطورت ولكن كان هذا التطور بطيئاً وذلك لموجات الهجرة إليها من المناطق المجاورة وأيضاً لانشغالها فى رد عدوان القبائل الدورية والقبائل المتحالفة معها .

أما عن بقية مناطق بلاد اليونان التى دُمرت مراكزها على يد الغزاة فقد كانت عملية إعادة الاستقرار والتوطن بها عملية بطيئة وذلك بسبب استمرار الهجرات إليها وما ترتب عليها من صراعات أدت إلى فرار الكثير من العناصر الإيتولية وحتى الدورية إلى جزر بحر إيجه وسواحل اسيا الصغرى . ولكن عملية الاستقرار والتوطن فى تلك المناطق قد بدأت بشكل دائم فى الفترة الممتدة ما بين القرن العاشر والقرن الثامن وذلك بفضل أن بلاد اليونان لم تتعرض لغزوات خارجية كاسحة ، وإن كان هناك فى بعض الأحيان اشتباكات مؤقتة بين الجماعات المحلية ، فقد ساعد هذا السلام النسبى على تشجيع الاستقرار أكثر فأكثر وربما أدى إلى زيادة عدد السكان . بدأت بعض الجماعات تعرف الاستقرار فى المناطق التى كانت تفى باحتياجاتها من الأرض الزراعية والمراعى . وقد نزلت فى مناطق يسهل الدفاع عنها ، فقد كانوا يختارون التلال كملادات يلجأون إليها هم وقطعانهم وهذه التلال كان يسهل تحصينها وتقويتها بتشييد أسوار حولها وصارت قلاعاً وكانت هذه القلاع بمثابة النواة لنشأة القرية التى ستتطور إلى مدينة فيما بعد . كما أنها ستصبح بيتاً لعبادة إله أو إلهة الجماعة . وعندما زاد عدد العائلات وأصبحت مساحة القلعة لا تكفيهم فقد بنى البعض منهم بيوتاً على منحدرات التلال أو فى

السهول المجاورة للقلعة ويلجأون إلى القلعة عند الشعور بالخطر . وفى البداية كل من الناس يذهبون إلى حقولهم أو مراعيهم فى الصباح ثم يعودون إلى البيوت فى المساء سواء فى القلعة أو بجوارها . ولكن مع سيادة السلام فقد فضل أصحاب الأراضى البعيدة الاستقرار عليها مما سيشكل نواة لتجمعات سكانية جديدة . ويعكس هنا أرسطو ، بشكل صادق إلى حد ما ، تطور أحوال الاستقرار والتحضر فى بلاد اليونان إذ يقول "إن القرية كانت تتكون من أرباب العائلات أو اتحاد أرباب العائلات وأن المدينة قد نشأت من اتحاد القرى" . وفى الواقع فإن بعض القرى ستكون نواة لنشأة المدن إما لأنها قد نمت نمواً طبيعياً ، وإما نتيجة اتحاد واندماج بعض القرى مع بعضها البعض مشكلة مدينة وخير أنموذج على ذلك اسبرطة التى تشكلت من اتحاد خمس قرى والذى تم على مراحل ، وكما نعرف أن اسبرطة قد مدت نفوذها وسيطرتها على المدن الأخرى فى لاكونيا وكان سكان هذه المدن بمثابة مواطنين من الدرجة الثانية بينما سكان القرى الخمس قد تمتعوا بحقوق المواطنة الكاملة . والمثال الآخر هو اتحاد أثينا مع قرى سهل أتيكا ، ولعل الخطر الدورى هو الذى قرر شروط الوحدة بين قرى أتيكا وأثينا الحاضرة . فقد كان مواطنو القرى مواطنين أثينيين لهم نفس حقوق الأثينى المقيم فى منطقة الأكروبول .

وقد نمت تلك القرى تحت حكم الملوك الذين كانوا فى الحقيقة رؤساء قبائل وكانوا يعيشون فى الأكروبول إذ يقول أرسطو "أن القلعة كانت مكاناً مناسباً لحكم الأسر الملكية والصفوة الارستقراطية والاوليجرخية" وقد ساعد على نمو القرى وارتفاع ظاهرة التحضر والتمدن بها عدة عوامل منها :

١- وجود ملك قوى راجح العقل عمل على تجميع أرباب الأسر الارستقراطية القوية حوله كى يكونوا تحت مراقبته هذا فضلاً عن تشجيع رعاياه للحياة

بجوار مركزه بدلاً من الحياة فى تجمعات صغيرة متناثرة . وإن كان بعض الباحثين يرون أن فضل انشاء المدن يعود إلى الارستقراطية . وسنعود لمناقشة ذلك فيما يلى من صفحات .

٢- شعور الجماعة إلى الحماية من اغارات الجيران الاعداء ولعل الوحدة بين أثينا وقرى سهل أتیکا كان نتيجة لهجمات القبائل الدورية عليهم . كما أن سكان الريف كانوا يلجأون إلى القلاع عند شعورهم بالخطر وطلب الحماية من الملوك الذين كانوا قادة للجيش .

٣- أن الأكروبول لم يصبح مقراً للحكم فحسب بل صار بيتاً لإله أو آلهة البلدة مما اسبغ على المكان قداسة وجعل الجميع يرتبطون به كمركز دينى .

٤- إن زيادة اعداد العائلات قد خلق الحاجة لإيجاد نظام لتنظيم العلاقة بينهم . وهنا سنجد أن الملك قد قام بهذا الدور فى المرحلة الأولى فقد كان القائد العسكرى والزعيم الدينى والقاضى فيما ينشأ بينهم من منازعات .

٥- أنه من المرجح أن العديد من الحرفيين والأجراء قد عاشوا بشكل مؤقت أو شبه دائم بجوار القلعة مما جعل الناس يرتبطون بمصالح القلعة وزمامها .

٦- لقد ساعد وجود الساحة أو السوق على تلاقى السكان ومناقشة ما يهمهم من قضايا ، هذا فضلاً عن تبادل المنافع المادية فيما بينهم بمقايضة ما يفيض عليهم من منتجات بسلع مصنعة أو بسلع فائضة على غيرهم وكان من نتيجة هذا أن بعض الأسر قد فضلت العيش بجوار الساحة وهذا بدوره قد نمت ظاهرة التحضر ونمو الشعور بالجماعة .

وهكذا فإن نشأة المدينة الدولة قد بدأت لبنيتها الأولى بعد استقرار الهجرات فى تجمعات قروية منفصلة فى المناطق السهلية الصغيرة المساحة والمحاطة

بالتلال أو الجبال أو الأنهار والبحار وأن هذه التجمعات قد بدأت فى النمدن والتحضر بالتدريج تحت حكم الملوك ولم تصبح بين عشية وضحاها منداً إلا بعد مرور فترة من الزمن نمت خلالها بشكل طبيعى وبدون تخطيط سبق ، كما أن نمو وتطور هذه المدن قد اختلف فى درجته ومعدله . وإذا كانت المدينة الدولة قد نمت فى أغلب مناطق اليونان فى القرنين العاشر والتاسع وأنه قد اصبح لها نظام سياسى واقتصادى واجتماعى واضح المعالم فى القرن الثامن . إلا أنها لم تأخذ شكلها فى بعض أجزاء بلاد اليونان خاصة فى الغرب إلا بعد بضعة قرون ومن هذه المدن مدينة إيليس التى أنشئت فى حوالى ٤٧٠ ق.م وحتى بعد تأسيسها فإن مواطنيها ظلوا يعيشون فى مزارعهم وضياعهم الريفية . وسنجد أن نظام المدينة الدولة قد بدأ شكله فى القرن الثامن وهذا نعرفه من أن مدن القرن الثامن قد تولت ارسال الاعداد الزائدة من سكانها إلى مناطق البحر المتوسط والبحر الأسود حيث حلوا بها واقاموا مستوطنات على نسق مدنهم الأم فى أجهزتها التنزيذية والتشريعية .

ويختلف العلماء أيضاً حول أى المناطق أقدم فى معرفة نظام المدينة الدولة هل هى سواحل اسيا الصغرى أم بلاد اليونان الأم ؟ يرى فريق من العلماء أن الإغريق الذين هاجروا إلى سواحل اسيا الصغرى — خاصة العنصر الأيونى — قد سبقوا إغريق بلادهم الأم فى اعادة بعث الحضارة وتطوير المدينة واستند هذا النفر من العلماء على الحجج الآتية :

١- أن الإغريق المهاجرين إلى اسيا لم يجربوا التوقف الحضارى مثل سكان بلاد اليونان الذين كان عليهم أن يناضلوا لأجيال ضد الفوضى والاضطرابات التى سببتها الهجرة الدورية .

٢- أن إغريق آسيا الصغرى كانوا على اتصال دائم بالحضارات المتقدمة فى الشرق وأنهم قد اتخذوا من المدن القديمة على سواحل اسيا الصغرى المينوية والكارية مثلاً يحتذى .

٣- أن ضغط جيرانهم الشرقيين عليهم قد أجبرهم على أن يطوروا المدينة بغرض أمور الدفاع .

ويرى فريق آخر من الدارسين أن بلاد اليونان الأم هى التى عرفت ظاهرة التمدن قبل سواحل آسيا الصغرى وقد اعتمد هذا لفريق على حجج هى :

١- أن نتائج الحفائر الأثرية فى بعض المناطق مثل ميليتوس وسامرنا القديمة قد أعطت الدليل على أن الأيونيين كانوا أكثر بطناً فى التطور الثقافى - عدا الملاحم - عن أثينا أو الدول الدورية الناهضة .

٢- أنه كان على الإغريق المهاجرين لآسيا الصغرى أن يناضلوا لفترة طويلة قبل أن يحصلوا على درجة كافية من الأماكن المحصنة ، فقد كان استقرارهم المبكر فى مناطق محاطة بالمياه حتى يمكنهم أن التى يدافعوا عنها اضد السكان الأصليين ، كما أن بعض المهاجرين قد استرقوا بعض السكان الأصليين عندما نزلوا بسواحل آسيا الصغرى .

وفى ضوء ما سبق يرى هذا الفريق أن المدينة الدولة قد بدأت فى الظهور فى بلاد اليونان القارية - وكان ينبغى علينا أن نأخذ فى الحسبان العناصر المهاجرة بدون النساء إذ يحدثنا هيردوت عن المستوطنين الجدد فى ميلتوس والذين كان نساؤهم كاريات ، وفى مدينة تيوس فقد شارك السكان الأصليون المهاجرين الجدد فى ملكية الأراضى وهذه العناصر قد تكون قد خاضت حروباً فى البداية ووصلت إلى شروط معهم واستقرت الأحوال بعدها حيث بدأ التطور والازدهار

لهم وهذا يعنى أن بعض المستوطنات كانت الظروف مهيأة لنموها وتطورها من البداية . ولكن علينا أن نتذكر أيضاً أن منطقة أتيكا بزعامة مدينة أثينا قد حافظت على استقلالها بعد نجاحها فى صد الغزاة الدوريين بل أنها نظمت حركة الهجرة للعناصر الأيونية من أتيكا إلى سواحل اسيا الصغرى مما يعنى أن مدينة أثينا كلنت مكتملة الأجهزة والتي جعلتها قادرة على تنظيم حركة الهجرة . وفى نفس الوقت الدفاع عن أتيكا . وهذا يشير إلى أن مدينة أثينا كانت تعد من أقدم المدن فى اليونان وأن الظروف المحيطة بها من تهديدات قد أدى إلى تحقيق الوحدة بينها وبين قرى سهل أتيكا .

أن أول شيء يمكن ملاحظته بالنسبة للمدن الدول أنها كانت بالمئات وأنها فى الغالب الأعم صغيرة المساحة فقد تراوحت مساحة أغلبها ما بين ٢٠٠٠ و ١٠٠٠٠ مواطن . وكانت كل من أسبرطة وأثينا من الاستثناءات التي وجدت فى بلاد اليونان سواء فى مساحتهما أو عدد سكنتهما فلقد بلغت مساحة أسبرطة ٣٢٠٠ ميلاً مربعاً ، بينما بلغت مساحة أثينا ١٠٦٠ ميلاً مربعاً وكانت مساحة كل منهما فى نظر الإغريق بواسعة بصورة غير عادية ، كما أنهم نظروا إلى ضخامة عدد السكان فى بعض المدن على أنه استثناء ، فقد بلغ عدد سكان أثينا ٣٥٠٠٠ نسمة وكان نصفهم من الغرباء والعبيد والنصف الآخر من المواطنين ، والمدن الأخرى التي كان عدد سكانها كبيراً أرجوس وسيراكوز ، إذ بلغ عدد سكان كل منهما عشرين ألفاً . وبلغ عدد سكان الأخيرة فى القرن الرابع أكثر من خمسين ألفاً . فلماذا كان هذا العدد الكبير من المدن ولماذا كانت صغيرة المساحة ؟

إن العامل الجغرافى يقدم لنا تفسيراً جزئياً لهذين السؤالين فأرض اليونان وسواحل اسيا الصغرى كانت مقسمة إلى مناطق منفصلة عن بعضها البعض بحدود طبيعية من الجبال والأنهار والبحار ، ولذا فقد كانت الظروف الطبيعية هى

المسئولة إلى حد ما عن هذا التمزق والتشردم . ومع ذلك لم يكن العامل الجغرافى هو المسئول الوحيد عن تقسيم بلاد اليونان وأحياناً نجد دول مدن قد نمت وتطورت بشكل منفصل حتى على الرغم من عدم وجود حدود طبيعية تفصل بينها ، مثل كورينثة وسيكيون ؛ وأيضاً المدن الأربع فى جزيرة كيوس Ceos الواقعة جنوب أتيكا ولعل السبب فى عدم اتحاد هذه المدن فى وحدة أكبر يعود إلى ظروف تاريخية فعلى ما يبدو بعد أن زال الخطر من قدوم هجرات جديدة وبعد أن عم السلام النسبى بلاد اليونان أن بدأت الجماعات فى الاستقرار فى المناطق التى نزلت بها وكل واحدة منها نظمت شئونها بحيث تكون مكتفية بذاتها تحت نظام حكم ملكى وظل الناس يعيشون جيلاً وراء جيل يزرعون أرضهم ويرعون قطعانهم وأحياناً ما كانوا يستدعون لرد عدوان قادم من خلف الحدود فى مجتمعات الاكتفاء الذاتى فإن حباً عميقاً للأرض وما عليها من مظاهر التى تعتمد عليها حياتهم نفسها ، فى هذه الأرض المحدودة المساحة التى كان بعضها لا يزيد على بضعة أميال طولاً وعرضاً يصبح سكانها أكثر ألفة لكل مظاهر الطبيعة ، مع كل تل وكل شجرة وكل جدول ماء وكل معبد أو مذبح خاص بالآلهة والهوريات والأبطال وعباءة الأرواح التى نمت وتطورت ومقابر الأسلاف المقدسة والأكروبول حيث تعيش الهته والتى هى أصلاً نفس الهة المدن والمناطق المجاورة إلا أنها قد اكتسبت صفات محلية . ومن المؤكد أن الناس الذين عاشوا تحت هذه الظروف المألوفة جيلاً وراء جيل قد تأثروا بهذه المشاهد وصار شعورهم واحد وأن كل جماعة طورت من عاداتها وطرق حياتها والتى ارتبطت بشكل معين بالأرض التى يعيشون عليها والافتناع بأن طريقة حياتها أفضل من طرق حياة التجمعات ، وهذا قد أدى بالمواطنين بالتطرف والاسراف فى الوظيفة والرعية إلا يشاركم أحد فى تراثهم أو تغييره أو اضعافه عن طريق إدخال طرق حياة ونظم غريبة عليهم وكان

السبب وراء عدم الوحدة والاندماج فى مناطق بلاد اليونان المختلفة . وبعد أن عرضنا لأسباب تعدد المدن الدول المستقلة عن بعضها البعض ننقل للحديث عن أثر قيام المدنية فى تطور النظام السياسى فى بلاد اليونان .

نقد كانت نشأة وظهور ونهضة المدن هى من نتاج جهد الملوك الذين وضعوا البنات الأولى لنظمها والتي تم تطويرها فى أغلب الأحوال فيما بعد على يد حكومات الأرستقراط . فقد كان للملوك الفضل فى اتخاذ الكثير من الاجراءات والخطوات التى أدت إلى تكوين المدينة ، كان الملوك شيوخ قبائل وجدوا فى فترة الاضطرابات والفوضى وهذه الظروف قد ساعدتهم فى الامساك بمقاييد السلطة العسكرية وتولوا قيادة الجيش للدفاع عن المنطقة والأرض التى نزلوا بها ضد الاعتداءات الخارجية ، كما نجد أنهم بحكم موقعهم كشيوخ للقبائل قد كانوا يرعون طقوس العبادة لإله أو لآلهة القلعة وحماتها . فكانوا بمثابة كهنة وسدنة معابد الآلهة ومسئولين عن تقديم القرابين . وايضاً بحكم أنهم شيوخ قبائل ، فقد كان من الضروري أن يسهروا على اقرار الأمن والسلام من خلال رعاية العدالة فى القرنين العاشر والتاسع ، خاصة بعد الاستقرار وما ترتب عليه من تزايد اعداد السكان حول القلعة وما نجم عن ذلك من تعقد سبل الحياة ونشوب الخلافات والمنازعات بين الافراد ، فكان على الملك التدخل للفصل فيما شجر بينهم وإقرار العدالة وقد زادت سلطاتهم القضائية فى مقابل سلطة أرباب الأسر . ونتيجة استتباب الأمن أن تزايدت اعداد السكان مما كان يتطلب المزيد من الاشراف الإدارى من قبل الملك وأصبح فى حاجة إلى مشورة اقرانه من رؤساء الأسر ولما كان الملك هو الأول بين الأقران *Premus inter pares* فلم يكن فى وضع يسمح له ببناء نظام إدارى على شاكله النظام الموكينى . وإذا كان الملوك ، عندما شجعوا أرباب الأسر القوية على الانتقال للعيش بجوار مقرهم وذلك بمراقبتهم والاطلاع

المستولة إلى حد ما عن هذا التمزق والتشردم . ومع ذلك لم يكن العامل الجغرافى هو المسئول الوحيد عن تقسيم بلاد اليونان وأحياناً نجد دول مدن قد نمت وتطورت بشكل منفصل حتى على الرغم من عدم وجود حدود طبيعية تفصل بينها ، مثل كورينثة وسيكيون ؛ وأيضاً المدن الأربع فى جزيرة كيوس Ceos الواقعة جنوب أتيكا ولعل السبب فى عدم اتحاد هذه المدن فى وحدة أكبر يعود إلى ظروف تاريخية فعلى ما يبدو بعد أن زال الخطر من قدوم هجرات جديدة وبعد أن عم السلام النسبى بلاد اليونان أن بدأت الجماعات فى الاستقرار فى المناطق التى نزلت بها وكل واحدة منها نظمت شئونها بحيث تكون مكثفة بذاتها تحت نظام حكم ملكى وظل الناس يعيشون جيلاً وراء جيل يزرعون أرضهم ويرعون قطعانهم وأحياناً ما كانوا يستدعون لرد عدوان قادم من خلف الحدود فى مجتمعات الاكتفاء الذاتى فإن حباً عميقاً للأرض وما عليها من مظاهر والتى تعتمد عليها حياتهم نفسها ، فى هذه الأرض المحدودة المساحة والتى كان بعضها لا يزيد على بضعة أميال طولاً وعرضاً يصبح سكانها أكثر ألفة لكل مظاهر الطبيعة ، مع كل تل وكل شجرة وكل جدول ماء وكل معبد أو مذبح خاص بالآلهة والحوريات والأبطال وعبادة الأرواح التى نمت وتطورت ومقابر الأسلاف المقدسة والأكروبول حيث تعيش آلهته والتى هى أصلاً نفس الهة المدن والمناطق المجاورة إلا أنها قد اكتسبت صفات محلية . ومن المؤكد أن الناس الذين عاشوا تحت هذه الظروف المألوفة جيلاً وراء جيل قد تأثروا بهذه المشاهد وصار شعورهم واحد وأن كل جماعة طورت من عاداتها وطرق حياتها والتى ارتبطت بشكل معين بالأرض التى يعيشون عليها والاقتناع بأن طريقة حياتها أفضل من طرق حياة التجمعات ، وهذا قد أدى بالمواطنين بالتطرف والاسراف فى الوظيفة والرعية إلا يشاركونهم أحد فى تراثهم أو تغييره أو اضعافه عن طريق إدخال طرق حياة ونظم غريبة عليهم وكان

السبب وراء عدم الوحدة والاندماج فى مناطق بلاد اليونان المختلفة . وبعد أن عرضنا لأسباب تعدد المدن الدول المستقلة عن بعضها البعض ننتقل للحديث عن أثر قيام المدنية فى تطور النظام السياسى فى بلاد اليونان .

لقد كانت نشأة وظهور ونهضة المدن هى من نتاج جهد الملوك الذين وضعوا البنات الأولى لنظمها والتي تم تطويرها فى أغلب الأحوال فيما بعد على يد حكومات الأرسقراط . فقد كان للملوك الفضل فى اتخاذ الكثير من الاجراءات والخطوات التى أدت إلى تكوين المدينة ، كان الملوك شيوخ قبائل وجدوا فى فترة الاضطرابات والفوضى وهذه الظروف قد ساعدتهم فى الامساك بمقاييد السلطة العسكرية وتولوا قيادة الجيش للدفاع عن المنطقة والأرض التى نزلوا بها ضد الاعتداءات الخارجية ، كما نجد أنهم بحكم موقعهم كشيوخ للقبائل قد كانوا يرعون طقوس العبادة لإله أو لآلهة القلعة وحماتها . فكانوا بمثابة كهنة وسدنة معابد الآلهة ومسؤولين عن تقديم القرابين . وايضاً بحكم أنهم شيوخ قبائل ، فقد كان من الضرورى أن يسهروا على اقرار الأمن والسلام من خلال رعاية العدالة فى القرنين العاشر والتاسع ، خاصة بعد الاستقرار وما ترتب عليه من تزايد اعداد السكان حول القلعة وما نجم عن ذلك من تعقد سبل الحياة ونشوب الخلافات والمنازعات بين الافراد ، فكان على الملك التدخل للفصل فيما شجر بينهم وإقرار العدالة وقد زادت سلطاتهم القضائية فى مقابل سلطة أرباب الأسر . ونتيجة استتباب الأمن أن تزايدت اعداد السكان مما كان يتطلب المزيد من الاشراف الإدارى من قبل الملك وأصبح فى حاجة إلى مشورة اقرانه من رؤساء الأسر ولما كان الملك هو الأول بين الأقران Premus inter pares فلم يكن فى وضع يسمح له ببناء نظام إدارى على شاكلة النظام الموكينى . وإذا كان الملوك ، عندما شجعوا أرباب الأسر القوية على الانتقال للعيش بجوار مقرهم وذلك بمراقبتهم والاطلاع

على انشطتهم وبذلك زادت سلطتهم و فوتهم بأن جعلوا الإدارة أكثر قدرة وكفاية إلا أنهم على المدى البعيد قد خسروا مفاعدهم الماكية على يد أرباب الأسر الارستقراطية الذين تفاهموا لى التضامن والتكاتف لاسقاط الملوك والنظام الملكى وهذا التفاهم لم يكن ميسوراً لهم عندما كانوا يعيشون متباعدين مشتتين ولكن تجمعهم معاً مكنهم من تدبر الأمر والتخطيط لاسقاط الملكية والتحول إلى نظام الحكم الارستقراطى والذى لم تكن ظروفه واحدة فى كل المدن ، كما أن نتائجه كانت متباينة ، فى بعض المدن كانت اخطاء الملك الجسيمة و غطرسته واستبداده قد تؤدى إلى ثورة عنيفة تسقط حكمه جملة ، وفى مدن أخرى كان اعتلاء طفل أو قاصر العرش يشجع النبلاء على الغاء الملكية ، كما نجد أن أفراد الأسرة أو العشيرة الملكية ككل فى بعض الحالات كانت تقسم السلطة فيما بينها ، مثل عشيرة الملك باكخيس Bacchis فى كورينثة التى تقلدت السلطة لعدة أجيال امتدت حوالى ٢٠٠ سنة ، وفى ميليتوس فإن الأسرة الحاكمة هى أسرة الملك نيلوس Nelius وفى ميتيلينى Mytilene كانت أسرة بينثيلوس Penthilus هى المسيطرة ، كما عرفت الارستقراطية الحاكمة فى كل من خيوس وأفسوس تعرف بأنها ملكية Basilidae أى أنها تنحدر من اسر ملكية سابقة . كما نجد أن سلطات الملوك فى بعض المدن من قبل الارستقراطية . وكان هذا التحديد يصل إلى حد أن يصبح الملك مجرد موظف وإن بقى له من الملكية اسمها ، ولنا فى مدينة اسبرطة مثل طيب فى بقاء الملكية مع تحديد سلطاتها وجعلها ثنائية يراقب فيها كل من الملكين الآخر . ولنا فى مدينة أثينا الأنموذج مع تحول الملكية وظيفية سنوية وهو ما سندرسه بتفصيل أكبر فى دراستنا لنظم المدينتين .

ويتبادر لنا السؤال التالى من هم هؤلاء الأرسقراط الذين حصلوا على السلطة فى بعض المدن طوال التاريخ اليونانى وفى بعضها الآخر طول القرنين

الثامن والسابع ؟ سبق أن ذكرنا أن بعض الأسر والعشائر الملكية وزعت السلطة فيما بينها وضرربنا أمثلة مع بعضها ، ولكن من الصعب أن نعطي تفسيراً حول أصل وطبيعة الطبقة الاجتماعية وهذه الصعوبة تتعاضد عند البحث عن أصلها فى ماض لا يوجد به معلومات تاريخية ، وبعض الباحثين تجنبوا المشكلة عن طريق التأكيد بأن الطبقة الأرستقراطية قد بدا خلال العصر المظلم وأن الأرستقراط الذين حلوا محل الملوك كانوا أعضاء فى العشائر القوية الثرية ، فى القرن التاسع على الأقل من المفترض أن الكثير من أرباب العائلات التى كانت لديها الثروة والوجاهة الاجتماعية قد اندمجوا فى مجموعات أكبر وهى العشائر ، وهكذا أصبحت هذه العشائر تسيطر على مساحات كبيرة من الأرض الزراعية والثروة الحيوانية ونتيجة لثروتها فقد سيطرت على أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، وكلما ازدادت قوة ازداد وعيها بتميزها الطبقي وأصلها النبيل وبدأت ترجع انسابها إلى بطل أو إله ، واعتبرت نفسها من الأفاضل *arestoi* وأن الحكومة التى كونتها قد أطلقوا عليها حكومة الأخيار .

ومن الواضح أن هناك اختلافات بين أنواع وأشكال الحكومات الأرستقراطية التى حكمت فى بلاد اليونان ولدينا أدلة وافرة فيما يخص كل من أثينا وأسبرطة والتى سنناقشها فيما بعد ، ولكن فيما يخص المدن فمعلوماتنا عنها شحيحة . ولكن يمكننا القول أنها كانت تمثل كل العشائر الثرية وفى بعض المدن الأخرى كان هناك عدد قليل من العشائر هو الذى يشارك فى الحكم وهو أقواها وفى بعضها الآخر كما سبق أن ذكرنا كانت العشيرة الملكية .

لقد استندت الحكومات الأرستقراطية فى حكمها على قواعد ثلاث هى :

١- العشيرة أو العشائر القوية التى هيمنت فى حكمها على الاقتصاد الأساسية

فكانت تملك مساحات واسعة من الأرض الزراعية الخصبة وحتى أراضي المراعى المشاعية فقد كان استغلالها في الغالب الأعم من نصيب قطعانهم الكبيرة . أما المجموعات الصغيرة والفقيرة فكان لا حول لها ولا قوة .

٢- اعتمد الجيش في تكوينه على الأرستقراطية من عصر هوميروس وحتى القرون السابع حيث كان لها القدرة على تحمل نفقات القتال والتسليح من أسلحة وخيول وعربات حربية ، بينما لم يكن في مقدور الطبقات الوسطى والفقيرة القدرة على تحمل نفقات القتال والتسليح ، ومن ثم فقد أكد الأرستقراط على امتيازهم لأنهم حماة الجماعة والمدافعين عنها ، ولكن ابتداء من منتصف القرن السابع فقد حدث تطور في أساليب وتقنيات القتال وذلك بالاعتماد على نظام الفيالق phalanx وجنودها المسلحين تسليحاً ثقيلاً hoplites . وهذا التطوير قد سمح لفئات من غير ملاك الأراضي للمساهمة والمشاركة في الجيش ، فقد ساهم أفراد لديهم ثروات منقولة مثل التجار والصناع في القتال ، وهذا التطور قد ساهم في اضعاف سلطة الأرستقراط المطلقة على كل مظاهر الحياة في الدولة لأن حاجة الجيش لهؤلاء المقاتلين الجدد جعل الأرستقراط مضطرين لقبولهم ومنحهم الامتيازات .

٣- اعتمدت قوة وسلطة الحكومات الأرستقراطية على إقرار العدالة فقد ورثت اختصاصات الملوك القضائية ، بل سجد أنها قد زادت من هيمنتها على العدالة وإقرار النظام . لإنهاء الخلافات والمنازعات التي تمزق الحياة الاجتماعية وتؤثر بالتالى على أمن وسلامة الدولة ، وعلى الرغم من أن نظام المحكمين قد استمر طوال التاريخ اليونانى فإن إقرار العدالة قد أصبحت على نحو متزايد مسئولية الحكومة الأرستقراطية وأصبح الأرستقراط ، سواء أكانوا حكاماً أو أعضاء في المجلس التشريعى ، دوراً في سماع المشاكل والقضايا وأصدروا

فيها أحكاماً ، ولما لم يكن القانون مدوناً فقد كانت أحكامهم تعتمد على الأعراف والتقاليد القانونية الواجبة الاحترام لأنها ذات أصل مقدس ، ولكن على ما يبدو فإن أحكامهم كانت تصدر لصالح طبقتهم ، كما أنهم كانوا يرتشون وهذا ما رسمه لنا الشاعر هيسودوس في "قصيدته الأعمال والأيام" إذ يتحدث الشاعر عن نزاع نشب بينه وبين أخيه حول الميراث ، فبعد القسمة لم يرض أخوه بنصيبه في ميراث أبيه ولجأ إلى الملوك المرثسين وضمن نصيباً أكبر ويرى البعض أن السبب في الحكم من قبل الاشراف بحصوله على حصة أكبر هو أن القوانين كانت قد أباحت قسمة الأراضي ، ولكنها أبقت تحمل الأعباء العامة على كاهل الابن الأكبر في الأسرة . وأن شكايه الأخ الأكبر لهيسودوس قد استندت على عدم عدالة هذا الأمر . وبالتالي فإن قول الشاعر أن القضاة مرتشون يبدو أنه قد يحتوى على قدر من المبالغة ؛ ولكن القرائن تشير في نفس الوقت إلى أن النبلاء كانوا يفضلونه في المنازعات والقضايا وفقاً لصالح طبقتهم وكان الضحايا العاجزون الذين لا حول لهم ولا قوة ليس لهم الحق في استئناف الأحكام فيما عدا الالتماس إلى زيوس واقتناعهم بأنه رب العدالة وأنه يعاقب هؤلاء على ما فعلوه من اثم .

وإذا كان الملوك لهم الفضل في وضع اللبنة الأولى لنظم المدن وحياة التحضر فإن الحكومات الأرستقراطية قد طورت هذه النظم الوليدة ، ويمكن أن نجمل التطورات التي شهدتها المدن على النحو الآتي :

١- أنها استمرت في النمو بطريقة عشوائية حول القلعة وأن بعضها قد تم تسويره في القرن السادس .

٢- أن المدن استمرت عبارة عن تجمعات زراعية في الأساس مع ظهور الصناعة

والتجارة وأن الساحة قد تطورت ببطء لتتحول إلى سوق كما نلمس استمرار ظاهرة العيش والسكنى لبعض السكان بعيداً عن المدن في منزل منعزلة أو في قري صغيرة .

٣- أن القلاع قد صارت مقراً لحكم الطبقة الأرستقراطية وفي نفس الوقت بيوتاً للآلهة بشكل دائم . كما أنها كانت تستخدم كملاذ دائم للحكام والمحكومين عند الخطر .

٤- أن الأرستقراط قد هيمنوا مع الشئون السياسية في المدن وكانت أدواتهم هي شغل الوظائف التنفيذية وعضويتهم للمجالس التشريعية المحدودة العدد والمشروطة بسن معينة . ومن المفترض أن الأرستقراط قد حاولوا الحد من سلطات الجمعيات والمجالس العامة للشعب واحتكار السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية . وهذا كله قد ساعد على حياة التضرر والتمدن وهذا ما يمكن أن نلمسه في المستوطنات التي أسسها اليونان حول سواحل البحر بين الأبيض والأسود ، والتي كانت صورة لمدنهم الأم وهذا يشير إلى مساهمة الأرستقراط في نشر نظام المدن خارج حدود اليونان . ولكن كان هناك خطوات كثيرة للوصول بنظم المدن إلى حد الكمال .

وقد شهد العصر العتيق سلسلة من الظواهر والتي سنجلها . فقد شهد زيادة في السكان وتطوراً في الصناعة والتجارة وما تبعها من حركة الهجرة الكبرى إلى خارج بلاد اليونان والتي كان لها أثارها ، هي الأخرى ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية البعيدة المدى في بلاد اليونان ، كما شهد هذا العصر تدوين القوانين التي كانت في السابق عبارة عن أعراف ، وتقاليد قانونية تخضع للتفسير ، والتطبيق الاعباطى من قبل الأرستقراط وانتقل الفرد من عصر ما قبل القوانين

predroit إلى مجتمع القوانين droit ، كما شهد هذا العصر تطور الجيش وأساليب القتال والاعتماد على نظام الفيالق المعتمد على جنود المشاة ثقيلي العدة . وسنحاول أن نعرض في الصفحات التالية لتلك القضايا وإن كنا سنبدأ بالهجرة الكبرى .

حركة الاستعمار الكبرى :

تمثل حركة الهجرة الكبرى أهم سمات العصر العتيق ، وقد بدأت في النصف الأول من القرن الثامن واستمرت حتى نهاية القرن السادس .

وقد سبق أن رأينا كيف انتشر اليونان على ضفتي بحر إيجه خلال الألف الثاني قبل الميلاد في فترة الهجرات الدورية . والآن نعرض لحركة الاستعمار الكبرى التي بعد قرنين من الزمان على الأقل من استقرار اليونان بعد الهجرة إلى بلاد اليونان من قبل القبائل الدورية والقبائل المتحالفة معها والهجرة المضادة من قبل الأيونيين والأبوليين ومن بعد الدوريين . ولا يجب أن نخلط بالمرّة بين الحركتين .

لقد سبقت حركة الهجرة الكبرى دون شك فترات استكشافات ومغامرات في شمال بحر إيجه والبحر الأسود وفي غرب البحر المتوسط والتي سنتناول البعض منها فيما بعد .

إن أعقد المشاكل حول حركة الهجرة والاستيطان الكبرى هو تاريخ انشاء المستوطنات ، وفي الواقع فإن تواريخ انشاء المستوطنات في معاهدة صقلية عند ثيوكديس صحيحة إلى حد ما حيث تتطابق مع نتائج التنقيبات الأثرية . كما أن التواريخ الواردة عن انشاء المستوطنات في البحر الأسود عند Pseido Saymnus هي الأخرى صحيحة حيث أكدتها التنقيبات الأثرية ، ولكن فإن تواريخ انشاء المستوطنات في مناطق أخرى غير دقيقة وذلك لأن المصادر التي تحدثت عنها متأخرة بفترة طويلة ومن هذه المصادر يوسالبي القيصري (قرن ٤م) فقد

ذكر تواريخ مبكرة للغاية وغير دقيقة لنشأة المدن فعلى سبيل المثال أنه ليس من المعقول أن مدينة كوماي في جنوب إيطاليا على حد قوله قد تم تأسيسها سنة ١٠٥١ ق.م ، بينما يذكر كاتب آخر أنها نأسست ١٠٤٦ ق.م. وهذان التاريخان من المؤكد أنهما خطأ لأن تاريخ حركة الاستعمار في ضوء نتائج التنقيبات الأثرية لم يبدأ ، على ما يبدو حتى بداية القرن الثامن وأقدم تاريخ لدينا عن المستوطنات في الغرب هو سنة ٧٧٥ ق.م. وهو تاريخ انشاء مستوطنة في جزيرة بيتكوساي Pithecusae (اسخيا Ischia) ، بينما أن التاريخ المقترح والمتعارف عليه لنشأة كوماي هو عام ٧٥٠ ق.م .

لقد بدأ إغريق بلاد اليونان وجزر بحر إيجه وساحل آسيا الصغرى أكبر حركة استيطانية منظمة في تاريخهم وقد استمرت هذه الحركة ما يزيد على قرنين من الزمان وانتشرت خلالها مئات المستوطنات اليونانية من كرميا Cremia شمالاً (على البحر الأسود) إلى نقراطيس في دلتا النيل جنوباً ومن القوقاز Caucosas شرقاً إلى أسبانيا غرباً . فقد انتشرت هذه المستوطنات حول شواطئ البحرين الأبيض والأسود وحول مضيق البسفور والدرديل . وكان المستوطنات يختارون أماكن استيطانهم عند مصبات الأنهار وفي المناطق القريبة من المياه والتي يسهل الدفاع عنها . لقد انتشروا في تلك المناطق مثل انتشار الضفادع حول بركة الماء .

ولما كانت حركة الهجرة الكبرى قد أنشأت مئات المدن في خلال قرنين من الزمان ، فمن المعقول أن نقول ، فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية ، أن هناك تشابه بين ظروف وأسباب مثل هذه الحركة الاستيطانية الواسعة ، كما سنجد أن بعض الظروف قد أعاققت التوسع والاستيطان في بعض المناطق وذلك لوجود دول قوية ، وقوى شديدة المراس حدثت بل منعت من هذا التوسع .

فقد كان هناك تشابه في التركيبة السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية في أغلب المدن . فقد شهدت بلاد اليونان ، في خلال القرن الثامن ، سلاماً وهدوءاً أو تطورت خلاله المدن وحلت الأرستقراطية محل الملوك في أغلب مناطق بلاد اليونان وزادت أعداد السكان زيادة كبيرة ، وكانت فئات السكان هي نفسها تقريباً في المدن وهذه الفئات هي :-

أ - فئة الأرستقراط : وكانت تتكون من الأسر القوية التي كانت تضع يدها على أخصب وأغلب مساحات الأرض الزراعية كما أن قطعانهم الكبيرة قد استغلت المراعى المشاعية في الغالب الأعم . وأمست هذه الفئة بزمام ، ومقاليد الحكم في المدن .

ب - فئة صغار الملاك ، أو الزراع : وكانت هذه الفئة تملك مساحات قليلة من الأراضي الخصبة ولديها القليل من القطعان من الحيوانات .

ج - فئة الحرفيين والصناع : وكانت هذه الفئة قليلة العدد وذلك لأن الصناعة والتجارة كانت بداياتهما الأولى .

د - فئة الأجراء : وهؤلاء كانوا لا يملكون أرضاً ولا ضرعاً ولا يمارسن حرفة وإنما يعملون بالأجر عند أصحاب الأراضي .

كانت زيادة السكان تمثل مشكلة خطيرة في المجتمع اليونانى والسذى كان اقتصاده يعتمد بشكل أساسى على الزراعة والرعى فقد كانت مساحة الأرض محدودة ومركزة في أيدي حفنة قليلة من الأرستقراط ومن ثم فإن انتاج أغلب الأراضي كان حكرأ عليهم ولذا فإن أية زيادة في السكان تمثل عبئاً ثقيلاً على المدن لأن انتاجية الأرض لن تكفى لمزيد من الأفواه . وهنا سؤال يطرح نفسه كيف تصرف هؤلاء الناس من الأشراف والعامة والذين لم تعد الأرض تفى

باحتياجاتهم ؟ نجد أن البعض منهم قد عمل كمرتزقة عند الملوك الشرقيين ، فقد خدموا في جيش الملك جبجيس الليدى وفي جيش الفرعون ايسماتيك ، واشتغل البعض منهم بالقرصنة ، فمن يقرأ الأوديسة سيجد هجوم القرصنة وإغاراتهم على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس ومنيلاوس والذي سبق أن ذكرناه ، كما أن سؤال الملك نستور إلى تليماخوس واتباعه : من أنتم أيها الغرباء ؟ هل أبحرتم للتجار أم لأعمال القرصنة التي كان القرصنة فيها يخاطرون بحياتهم ويجلبون الشر للآخرين ؟ كما أن نقشاً مسامرياً آشورياً يشير إلى طرد الآشوريين لملك مغامر يبدو أنه كان يونانياً يدعى إيامانى Iamani ووصف بالملعون ، وكان ملكاً على أشدود الفلسطينية سنة ٧١١ ق.م. كما أن البعض منهم قد رحل عن بلاده واشتغل بالقرصنة ومن هؤلاء المهاجرين من فوكايا الذين استقروا في كورسيكا . ومن الواضح أن بعض اليونان قد عمل بالتجارة ومبادلة منتجات النبيذ وزيت الزيتون بالحبوب وسلع الشرق .

ونلاحظ أن المستوطنات قد تركزت في بعض المناطق بصورة كبيرة بينما قلت أو انعدمت في بعض المناطق الأخرى . فما سبب ذلك ؟ لم يتوسع اليونان في انشاء المستوطنات في شرق البحر المتوسط وسواحله الجنوبية نظراً لوجود دول وقوى قوية لا يستطيعون استيطان مناطق منها والاقامة في أراضيها إلا بعد سماحها ورضائها . فقد كان لوجود مملكة ليديا أثره الكبير على وقف توسع اليونان في آسيا الصغرى .

ويقول استرابو أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة أبيدوس على الساحل الآسيوى بموافقة الملك الليدى جيجيس . ويرى البعض السبب فى سماح ليديا بإنشاء المستوطنة هو رغبتها أن تستخدم كدرع ضد حركة القرصنة فى المنطقة .

وإذا كان اليونان قد نزلوا بمدينة المنيا فى شمال سوريا فقد كانوا تجاراً ، وقد كانت مدينة المنيا بمثابة المركز التجارى فى المنطقة وقد قصدته التجار اليونان من المناطق اليونانية المختلفة وأقاموا به حيث بادلوا سلعهم بالسلع الشرقية كما نقلوا الأفكار الشرقية إلى أوطانهم . أما بقية السواحل السورية فقد كانت فى الغالب الأعم تحت سيطرة المدن الفينيقية والتي كان لها دور هام فى تجارة البحر المتوسط فى الفترة الباكرة فى شرقه وفى الفترة المتأخرة فى غربه ، فتشير القرائن إلى أنه فى بداية الألف الأول كان لهم تجارتهم وصلاتهم مع قبرص وكريت ورودى ، كما نجد اشارات عنهم عند هوميروس . وإذا كان الفينيقيون قد بادلوا السلع الشرقية بالسلع اليونانية فإنهم قد كان لهم الفضل فى اطلاع اليونان على جوانب الحضارة الشرقية .

وإبان القرنين الثامن والسابع وهى فترة المد والانتشار اليونانى كان الآشوريون يمثلون أقوى الدول فى المنطقة ، فقد مدوا نفوذهم على المدن الفينيقية ومدوا نفوذهم أيضاً على جانب من آسيا الصغرى وتروى لنا المصادر أنهم قد اصطدموا باليونان هناك ، ودارت معركة بينهم فى عهد الملك سنحاريب ٧٠٥ ق.م . كما نجد أن الآشوريين قبل ذلك قد مدوا نفوذهم وسلطتهم على قبرص وفرضوا الجزية على مدنها سنة ٩٠٧ ق.م. وهكذا نجد أن كل من الليديين والفينيقيين ومن بعد الآشوريين قد جدوا من توسع اليونان فى سواحل آسيا الصغرى الجنوبية والسواحل السورية .

أما بالنسبة لمصر فقد خضعت مصر للآشوريين سنة ٦٧١ ق.م. ونجح الفرعون أبسماتيك فى طردهم وقد استعان هذا الفرعون بالمرتزقة الأيونيين والكاريين والذين كانوا كان قد أرسلهم إليه ملك ليديا فى كفاحه ونضاله لتحرير مصر من الآشوريين . وبعد إخراج الآشوريين فقد اقطع الفرعون هؤلاء المرتزقة

باحتياجاتهم ؟ نجد أن البعض منهم قد عمل كمرتزقة عند الملوك الشرفيين ، فقد خدموا في جيش الملك جيجيس الليدى وفي جيش الفرعون ايسماتيك ، واشتغل البعض منهم بالقرصنة ، فمن يقرأ الأوديسة سيجد هجوم القرصنة وإغاراتهم على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس وميلاوس والذي سبق أن ذكرناه ، كما أن سؤال الملك نستور إلى ثليماخوس واتباعه : من أنتم أيها الغرباء ؟ هل أبحرتم للتجار أم لأعمال القرصنة التي كان القرصنة فيها يخاطرون بحياتهم ويجلبون الشر للآخرين ؟ كما أن نقشاً مسمارياً آشورياً يشير إلى طرد الآشوريين لملك مغامر يبدو أنه كان يونانياً يدعى إيامانى Iamani ووُصف بالملعون ، وكان ملكاً على أشدود الفلسطينية سنة ٧١١ ق.م. كما أن البعض منهم قد رحل عن بلاده واشتغل بالقرصنة ومن هؤلاء المهاجرين من فوكايا الذين استقروا في كورسيكا . ومن الواضح أن بعض اليونان قد عمل بالتجارة ومبادلة منتجات النبيذ وزيت الزيتون بالحبوب و سلع الشرق .

ونلاحظ أن المستوطنات قد تركزت في بعض المناطق بصورة كبيرة بينما قلت أو انعدمت في بعض المناطق الأخرى . فما سبب ذلك ؟ لم يتوسع اليونان في انشاء المستوطنات في شرق البحر المتوسط وسواحله الجنوبية نظراً لوجود دول وقوى قوية لا يستطيعون استيطان مناطق منها والإقامة في أراضيها إلا بعد سماحها ورضاها . فقد كان لوجود مملكة ليديا أثره الكبير على وقف توسع اليونان في اسيا الصغرى .

ويقول استرابو أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة أبيدوس على الساحل الآسيوى بموافقة الملك الليدى جيجيس . ويرى البعض السبب فى سماح ليديا بإنشاء المستوطنة هو رغبتها أن تستخدم كدرع ضد حركة القرصنة فى المنطقة .

وإذا كان اليونان قد نزلوا بمدينة المنيا فى شمال سوريا فقد كانوا تجاراً ، وقد كانت مدينة المنيا بمثابة المركز التجارى فى المنطقة وقد قصده التجار اليونان من المناطق اليونانية المختلفة وأقاموا به حيث بادلوا سلعهم بالسلع الشرقية كما نقلوا الأفكار الشرقية إلى أوطانهم . أما بقية السواحل السورية فقد كانت فى الغالب الأعم تحت سيطرة المدن الفينيقية والتي كان لها دور هام فى تجارة البحر المتوسط فى الفترة الباكرا فى شرقه وفى الفترة المتأخرة فى غربه ، فتشير القرائن إلى أنه فى بداية الألف الأول كان لهم تجارتهم وصلاتهم مع قبرص وكريت وروندس ، كما نجد اشارات عنهم عند هوميروس . وإذا كان الفينيقيون قد بادلوا السلع الشرقية بالسلع اليونانية فإنهم قد كان لهم الفضل فى اطلاق اليونان على جوانب الحضارة الشرقية .

وإبان القرنين الثامن والسابع وهى فترة المد والانتشار اليونانى كان الآشوريون يمثلون أقوى الدول فى المنطقة ، فقد مدوا نفوذهم على المدن الفينيقية ومدوا نفوذهم أيضاً على جانب من اسيا الصغرى وتروى لنا المصادر أنهم قد اصطدموا باليونان هناك ، ودارت معركة بينهم فى عهد الملك سنحاريب ٧٠٥ ق.م . كما نجد أن الآشوريين قبل ذلك قد مدوا نفوذهم وسلطتهم على قبرص ورفضوا الجزية على مدنها سنة ٩٠٧ ق.م. وهكذا نجد أن كل من الليديين والفينيقيين ومن بعد الآشوريين قد حدوا من توسع اليونان فى سواحل اسيا الصغرى الجنوبية والسواحل السورية .

أما بالنسبة لمصر فقد خضعت مصر للآشوريين سنة ٦٧١ ق.م. ونجح الفرعون أسماتيك فى طردهم وقد استعان هذا الفرعون بالمرتزقة الأيونيين والكاريين والذين كانوا كان قد أرسلهم إليه ملك ليديا فى كفاحه ونضاله لتحرير مصر من الآشوريين . وبعد إخراج الآشوريين فقد أقطع الفرعون هؤلاء المرتزقة

فى مناطق مصر المختلفة اقطاعات من الأرض كمكافأة لهم نظير خدماتهم . وقد تبع هؤلاء المرتزقة التجار من اليونان .

فقد فتح أبسماتيك وخلفاؤه أبواب مصر أمام اليونان ، وإذا كان قد وجد لليونان مدينة فى مصر ، وهى مدينة نقراطيس ، فقد كانت تحت إشراف وسلطة فرعون مصر . وهذا يعنى أنهم قد استقروا بعد سماح الفرعون لهم .

وفى ضوء هذه الأحوال والظروف فإن اليونان قد اتجهوا شمالاً فى منطقة سواحل البحر الأسود وغرباً فى منطقة صقلية وجنوب ايطاليا وشواطئ فرنسا واسبانيا . وإذا كانوا نجحوا فى تأسيس قورينى فقد فشلت جهودهم فى تأسيس مستوطنات أخرى وذلك بسبب موقف قرطاج العدائى منهم . كانت أرض هذه المناطق تمثل الأرض البكر وكانت تقطنها جماعات متفرقة ولا تشكل دولاً قوية ، وهى على الرغم من وجود بعض المتاعب من القوى المحلية ، فقد كان من السهل على اليونان النزول بتلك المناطق والعيش فيها . ولكن بعد أن توسع اليونان فى شرق وجنوب وشمال صقلية وقفت لهم قرطاج بالمرصاد فى الغرب كما وقفت ضدهم فى جزيرة كورسيكا وهى و الأتروسكيون وتم طرد المستوطنين منها والبت سيادتها إلى الأتروسكيين . لقد كانت منطقة غرب البحر المتوسط منطقة نفوذ قرطاجى إلى حد كبير ، فقد سيطروا على غرب صقلية وجزيرة سردينيا وجزر البليار . وهكذا سجد أن توسعهم فى الغرب قد حد منه بشكل كبير كل من القرطاجيين والأتروسكيين .

لقد وجدت عوامل داخلية سرعت من حركة الهجرة إلى حوض كل من

البحر المتوسط والبحر الأسود هى :-

أولاً العوامل الاقتصادية :

١- نقص مساحة الأرض الزراعية :

يؤكد بعض الكتاب القدامى ، وخاصة ثيوكديدس وأفلاطون، على أن سبب الهجرة هو نقص الأرض *στενοχωρία*. ويرى فريق من الباحثين أن نقص الأرض يعود إلى زيادة السكان وكان هذا الرأي على الرغم من وجهته يعارضه فريق آخر إذ يرون أنه غير محتمل ويرجع نقص الأرض إلى النظام القانوني الخاص بملكيته الأرض مستنداً في ذلك على ما يأتي :-

١- أنه لا المصادر الأدبية ولا الحفائر الأثرية الحديثة تثبت أن المدن اليونانية في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد قد ازدادت أعداد سكانها كثيراً عن موارد أراضيها .

٢- أن الكثير من المدن التي أقامت مستوطنات لها في الخارج خلال تلك الفترة لم تكن إلا مدناً صغيرة قليلة السكان .

٣- أن العديد من المدن مثل ميليتوس وجالكييس كانت مراكز لأراضي خصبة ويمكنها اعاشة أعداد كبيرة من السكان يفوق سكانها في بداية الألف الأول قبل الميلاد . وفي ضوء كل ما سبق فإنهم يرون أن السبب المباشر لنقص الأرض المصطنع هو النظام القانوني السائد الخاص بملكية الأرض ؛ فإذا ما كان بالمدن أعداد كبيرة من الرجال الذين لا ملكية لهم فإن الخطأ كان في نظام الملكية . فقد كانت ملكية الأرض الزراعية للأسرة غير قابلة للقسمة أو التصرف واضطرت كل عائلة ممتدة حتى بالنسبة لأحفاد الأحفاد أن تزرع الأراضي المخصصة للأسرة بطريقة مشتركة . فكانت حيازة الأرض تنتقل إلى أكبر الأولاد ويعيش في كنفه اخوته . ولذا فإن الأخوة الطموحين الذين لا يرضون بهذا الوضع أى أنهم كانوا يريدون أن يكون لهم أملاكهم الخاصة بهم وأن يستقلوا بأنفسهم . كما أن أفراد الأسر التي لم تمكنهم أحوال ميلادهم غير

الشرعى ، أو سوء تصرفانهم مما أدى إلى نفيهم وحرمانهم من الميراث كما أن كل شخص لا ينتمى للأسرة أو العشيرة ليس له الحق فى التملك ولم يكن فى إمكانه أن يحصل على الأرض أبداً ، وهكذا حرم القانون الغرباء والأبناء غير الشرعيين والذين ارتكبوا جريمةً وحُكم عليهم بالنفى من الميراث . ولم يكن أمام هؤلاء إذا ما رغبوا فى الحصول على أرض زراعية ظل نقص الأرض *σδεινοχωρία* فكان على البعض منهم أن يقوم باستصلاح الأراضى الفقيرة مثل والد هيسودوس ، بينما البعض الآخر صار لصاً أو قرصاناً والبعض الآخر بحث عن الأرض خارج بلاد اليونان ومن بين هؤلاء الشاعر ارخيلوخوس ، من باروس ، الابن غير الشرعى للرجل النبيل تيلسيكيليس .
Telesicles والأمة انيبو Enipo .

ويرى هذا الفريق أيضاً أنه حتى بعد انهيار النظام الأسرى ، أو العائلة الممتدة والسماح بمبدأ تقسيم الممتلكات فإن الأرض كانت لا تقسم ولا تنقل للأبناء الذين ينتمون للأسر الكبيرة أو أبناء الرجال الذين استصلحوا الأراضى . ويستطرد هذا الفريق فى القول إن تقسيم الأرض فى حالة وفاة رب الأسرة قد خلق طبقة من ملاك الأراضى غير قادرة على إعاشة نفسها وذلك لصغر مساحة الأرض الموروثة .

وتعليقنا على هذا رأى أنه قد أقر فى نقطته الأخيرة عدم كفاية إنتاج الأرض لسد حاجات أصحابها وأسرهم مما يشير إلى الزيادة السكانية التى حاول أصحاب هذا رأى انكارها ومع ذلك فإنه يقدم بعض النقاط الوجهية وهى أن الغرباء والمنفيين والأبناء غير الشرعيين كانوا لا يرثون ، كما أن نظام الملكية المشتركة - قبل إباحة التقسيم - قد دفع بعض أفراد الأسرة الطموحين الذين لا يرضون عن هذا الوضع إلى تركها والرحيل والبحث عن أرض جديدة يمكنهم أن

يبدءوا فيها حياة جديدة . وجملة القول أن هذا الرأي فى خاتمته يعطى بعض التأكيد على صحة الرأى القائل بأن نقص الأرض ناتج عن زيادة السكان وأن العامل الديموجرافى كان له الأهمية الأولى . فقد رأوا أن مناطق كثيرة قد عانت من ازدياد عدد سكانها وهذا ما يشهد عليه بشكل مباشر وغير مباشر الزيادة الكبيرة فى حجم وعدد المستوطنات التى كشفت عنها الحفائر ، لقد كان لانخفاض نسبة عدد الوفيات أثرها فى زيادة سكانية أدت إلى عدم كفاية إنتاج الأرض لتغذية كل أفراد الأسرة الشباب . كما أن التوزيع غير العادل للأرض بين الأفراد حتى بعد إياحة تقسيم الممتلكات المحدودة المساحة والتي أعيد تقسيمها مرة أخرى مما جعلها لا تفى باحتياجات أصحابها الضرورية وعلاوة على ذلك فإن مساحة أرض اليونان محدودة . ويؤكد هذا قول الشاعر هيسودوس "إن الطريق لازدهار صاحب البيت هو أن يكون به ولد واحد . لقد كان على الأفراد الهجرة الإجبارية أو الاختيارية التى نظمتها المدينة لهم والتي كان هدفها من وراء ذلك ألا ترهق نفسها بمطالب الأقواء التى لا تقدر على تغذيتها وتلبية احتياجاتها . ولعل خير أنموذج هو ما حدث فى مدينة ثيرا . ويروى هيردوت أن القصة تبدأ بنبوءة صادرة من دلفى والتي أمرت أهل ثيرا باستعمار ليبيا ، ويقول أن أهل ثيرا قد أهملوا هذه النبوءة ولذا فقد عُوقبوا بسبع سنوات لم يسقط فيها المطر ، اضطروا بعدها ارسال مواطنين لقورنى . وقد تم اختيار المستوطنين أخ من أخ بالقرعة ، ويروى أنهم بعد ذهابهم فى سفينتين غابت عنهم شجاعتهم وحاولوا العودة إلى وطنهم مرة أخرى فابعدوا بالقوة مرة أخرى . ويتفق مع قول هيردوت السابق نقش من قورنى ، وإن كان من فترة متأخرة ، ولكنه يضيف ما يأتى : إذا رفض أحد المجبرين على الابحار فإن عقوبته الموت ، ويمكن للمستوطنين أن يعودوا فقط إلى وطنهم الأم إذا ما مرت عليهم خمس سنوات حاولوا فيها بجد التوطن ، ولكن إذا ما وضع فشلهم فى

المغامرة فإن لهم الحق في العودة .

وهذه القصة تروى لنا أن الاستعمار إذن يحمل شهادة معبرة عن حجم الأزمة السكانية التي أثرت على أجزاء كثيرة من بلاد اليونان وأن الكثير من المدن قد ساهمت في الهجرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة فمن المؤكد أنه عند تأسيس مستعمرة جديدة تحت رعاية وإشراف مدينة معينة فإنه كان يحدث غالباً أن رجالاً من مدن أخرى كانوا يشاركون في عملية التنفيذ . وتعد مدينة ميليتوس مثلاً رائعاً على أن المدن المنظمة لحركة الهجرة إذ لا يعقل أنها كانت بمقدورها وحدها أن تؤسس هذا العدد الكبير من المستوطنات والذي بلغ أكثر من تسعين مدينة .

وفي الواقع فإن كل من الرأيين يحتوى على قدر من الحقيقة ، فنقص الأرض قد أتى من نظام الملكية المشتركة لأرض الأسرة دفع البعض إلى الهجرة ، كما أن تقسيم الممتلكات فيما بعد بين الورثة الشرعيين قد أدى إلى نقص الموارد بالنسبة للأعداد المتزايدة منهم وهذا دفع البعض منهم مختاراً أو مجبراً إلى الهجرة حيث توجد الأرض الخصبة . وتكشف لنا المصادر الأدبية والوثائقية أن هؤلاء المهاجرين قد اختاروا المناطق ذات التربة الخصبة والمراعى الكثيفة والمناخ المشابه لمناخ وطنهم . ومن هذه المناطق قورينى وسهول جنوب إيطاليا وصقلية . وإذا كان نقص الأرض أو الجوع للأرض وزيادة السكان من الأسباب الرئيسية للهجرة فإن هناك أسباب أخرى أدت إلى الهجرة منها التجارة وعدم الرضا بالوضع السياسى والاجتماعى وعدم الرغبة فى الخضوع لغزاة سواء من الإغريق أو الأجانب وأخيراً روح المغامرة .

التجارة :

يرى نفر من الباحثين أنه لا مجال للتجارة فى دفع حركة الاستعمار وأنه لم يكن لها أى أثر فى تأسيس المستوطنات ، بينما ركز بعض العلماء على أن الباعث

التجارى والرغبة فى الحصول على المواد الخام ، والحصول على أسواق التى يمكن أن يبيعوا منتجاتهم فيها كانت وراء حركة الاستعمار . وفى الواقع لا يمكننا أن ننكر أو نغالى فى أثر التجارة فى دفع حركة الهجرة والاستيطان فقد كان البحث عن أرض جديدة لم يكن هو الهدف الوحيد للمهاجرين ولا يوجد أدنى شك أن الهجرة والاستقرار بين الشعوب الأجنبية كان بغرض التجارة فقد سبق أن رأينا كيف أن الأبطال الهومييريين لم يترددوا فى السفر بأنفسهم لجلب وحمل السلع الضرورية . ومن المرجح أن المحطات التجارية والمستوطنات التجارية قد سبقت حركة الاستعمار فى النصف الأول من القرن الثامن . ومن الأمثلة على هذه المحطات التجارية ميناء المنيا فى شمال سوريا ، فكان نصف سكانها من اليونان من أهل يوبويا . والنصف الآخر من السكان المحليين . كما أنه يمكننا القول أن التجار والقراصنة قد قدموا معلومات وتقارير عن استكشافاتهم لشواطئ البحر المتوسط الغربية ولدينا أدلة فخارية من فخار يوبويا تم العثور عليها فى مدينة فى Veii الأتروسكية وفى كابوا فى سهل كامبانيا وهذه القرائن يرجع تاريخها إلى عصر الهجرة للمنطقة وهذا يعنى أن التجار من جزيرة يوبويا قد وصلوا إلى سواحل إيطاليا الغربية قبل أن تبدأ حركة الاستعمار وأنهم قد نقلوا ما شاهدون عن المواقع الملائمة للاستيطان سواء أكانت صالحة للزراعة أو مراكز تجارية . ولم تكن المستعمرات الأولى التى أسسها أهل يوبويا تقع فى أقرب أرض زراعية خصبة ، ولكن كانت قد احتلت مواقع ملائمة للتجارة مع ارتوريا . ومن أقدم هذه مستعمرة فى جزيرة بينكوساى Pithecusae سنة ٧٧٥ . وهذه المستوطنة قد دعمتها محطات عبر ممر ميسينيا ، ولعلمهم قد قاموا أيضاً بجهود استكشافية فى جنوب فرنسا وشمال أفريقيا إذ يقول هيردوت أن أهل فوكايا Phocaea هم أول من قاموا برحلات بحرية طويلة وأنهم هم الذين اكتشفوا أدريا Adria وثيرهينا

Tyrhenia وايبيريا وتارثوس وأنهم لم يبحروا فى سفن تجارية بل فى سفن حربية وأنهم عندما وصلوا إلى تارتوس فقد عاملهم ملكها ارجانثونيوس Arganthonios معاملة حسنة ومنحهم هدايا قيمة عند رحيلهم ، كما أن صداقتهم مع هذا الملك قد جلب لهم الكثير من الفضة التى استخدموها فى بناء سور حول مدينتهم لحمايتها وهذا السور هو السور الوحيد على ما يبدو فى ايونيا .

لقد كان الطلب على المواد والسلع الخام مثل الحديد والنحاس والرصاص وراء انشاء بعض المستوطنات ومنها بينكوساس وفيما بعد فقد أه فوكايا ماساليا واستغلت ميناء تجارى مع الغال وللحصول على الرصاص والصفائح ، كما أنشأ المستوطنون بدورهم عدد المحطات الصغيرة فى شرق الساحل الاسبانى ؛ كما نجد أن عدداً كبيراً من المستوطنات فى منطقة البحر الأسود كانت فى بدايتها عبارة عن محطات تجارية حيث كان اليونان يبحثون عن السلع والمواد الناقصة فى بلادهم مثل السمك والمعادن والخشب والحبوب ومن هذه المستوطنات أولبيا وفاسيس وديوسكورياس وسينوب . ولو اتجهنا جنوباً صوب سواحل البحر المتوسط الجنوبية وفى دلتا النيل بمصر فقد أسس اليونان مستعمرة تجارية وقد أسسها عدد من التجار الذين وفدوا ، فى الغالب الأعم ، من آسيا الصغرى والجزر المجاورة والعناصر بعد أخذ اذن الفرعون المصرى على ذلك . ونقراطيس هى المثال المعروف جيداً كميناء تجارى حيث أطلق عليها "Polanyi" وكان يتم فيه تنظيم عمليات التبادل التجارى بين مجتمعين مختلفين (المصرى واليونانى) ، فى النظم الاقتصادية . وفى الواقع وأن كل صادرات وواردات اليونان من وإلى مصر كانت تمر عبر هذا الميناء .

جملة القول أن الحافز والباعث التجارى والبحث عن المواد الخام كان وراء حركة الاستيطان بل من العوامل التى ساعدت على معرفة طبيعة الكثير من

المناطق الصالحة لسكنى اليونان وبالتالي فقد ذهبوا إليها وهم على دراية بمواردها وأهميتها .

الاضطرابات السياسية وعدم الرضا الإجتماعى :

يبدو أن حياة المدن قد شهدت اضطرابات كبيرة خلال الفترة التالية لانتهيار الملكية . إذ اشتعلت الصراعات بين العائلات الملكية والعائلات الأرستقراطية ، فلم تتخل الأسر الملكية بسهولة عن السلطة وهذا قد أدى إلى قيام الصراعات الداخلية والثورات .

ويظهر أثر هذه الصراعات فى الكتاب الأخير من الأوديسة . وكما أن ذكرنا فإن السلطة الملكية لبيت أوديسيوس كانت قد نوهت للخطر وأن محاولته الدفاع عن سلطانه ولكن قد أعقبها اقتتال فى المدينة .

والأوضاع السياسية فى المدن اليونانية فى القرنين الثامن والسابع فى ظل الحكم الأرستقراطى كانت تدفع كثيراً من أهلها إلى تركها تبرماً وسخطاً وأملأفى أن يجدوا فى أرض جديدة وفرصة الاشتراك فى الحكم ، فيروى لنا المؤرخون أن أفراد الأسرة البنثيليدية Penthilidis الحاكمة فى ميتلنى عاصمة جزيرة لسبوس كانوا يتجولون فى الشوارع وبأيديهم السياط يضربون المارة فكان الذين يأنفون من هذه الحالة يتركون موطنهم ويشترون مع أمثالهم فى تأسيس مدينة جديدة يتولسون هم أنفسهم الحكم فيها ، كما نجد أن عدد من المستوطنات قد أنشأتها الثائرة على أوضاعها المدنية ومن بين هؤلاء جماعة Pareheniai وهم من الواضح جماعة الرجال الذين كانوا غير راضين عن وصفهم السياسى والمدنى فى أسبرطة ووفقاً للروايات فإنهم هم أبناء الاسبرطيات غير الشرعيين فى فترة الحرب الميسينية وأنهم كانوا قد اجتمعوا فى بلدة اميكلاى ونظموا أنفسهم وأصبحوا ثواراً ولكنهم فى النهاية قد تم اقناعهم أن يرحلوا إلى تراس وتارنتوم ، ويرى البعض أن بعض

الثوار كانوا من السكان الأصليين . كما أن اسم إحدى هذه المستوطنات وهو ديكايخويا (Δικαιαρχία) أى المدينة التى يسودها العدل ، وقد أسسها الرجال الذين عزلوا من مدينة كوماى . وكذلك أفراد الطبقة الأرستقراطية فى بعض المدن قد حرموا هم أيضاً الفرصة لتولى الحكم إلى حكم اوليجرخى ، ومثل هذه العناصر كانت تستشعر السخط وتأمل فى أن تجد وضعاً سياسياً أفضل فى أرض جديدة .

ويقول منديس Mendes وكان أحد أبناء برقة وكتب تاريخاً لليبييا حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . أن إنشاء قورينى يرجع إلى وقوع اضطرابات سياسية فى ثيرا من جراء انقسام أهلها إلى فئتين ووقع بينهما صدام أدى إلى طرد إحداهما ، وهى التى يتزعمها باتوس فذهبت هذه الفئة لاستشارة وحى دلفى عم إذا كان عليها أن تتبع الصراع أم تقوم بإنشاء مستعمرة وقد نهاها الوحى عن الاتجاه الأول . وفضل الاتجاه الثانى ، ولكن هذا رأى لا أساس له من الصحة وهو ما قد دحض ما ورد فى نقش لوحة المؤسسين . ولعل الاستقبال غير الودى للمهاجرين من قبل أهل ثيرا يعود إلى أنهم لم يمضوا خمس سنوات بل عادوا قبل ذلك وكذلك كان لابد من ردهم .. ولكن هذه الرواية تعكس مدى الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة وأن بعضها كان عليه الخروج من المدينة .

الهجرة بسبب غزو أرض بعض المدن اليونانية :

لدينا نموذجان رائعان عن هجرة بعض أو كل سكان المناطق ، أو المدن وعدم الرغبة فى الخضوع ، والاستسلام للغزاة فبعض الروايات القديمة تقص أن بعض الميسينيين قد تركوا ميسينيا بعد الحرب الميسينية الأولى لأنهم لم يكونوا راغبين فى الاتفاق مع الأسبرطيين واشتركوا مع أهل حالكيس فى استيطان ريجيوم ، كما نجد أن أهل فوكويا قد فروا من غزو الفرس وتركوا المدينة وهاجروا إلى اللاليا Alalia فى كورسيكا ، كما نجد مهاجرين من تيروس قد عادوا

استعمار أبديرا Abdera . لأنهم وهؤلاء المهاجرون كانوا قد رفضوا الخضوع والعيش تحت الحكم الفارسي ، وبقية السكان قد اتجهوا شمالاً وأسسوا مستوطنة فاماجوريا على الساحل الشمالي للبحر الأسود .

روح المغامرة عند اليونان :

في النهاية لم يكن لحركة الاستيطان اليوناني أن تتم دون وجود روح المغامرة ، ولعل دافع الفقر ودافع التجارة سعياً وراء الثراء قد نشطاً روح المغامرة التي تأصلت منذ فترة باكورة عند اليونان ، وتظهر هذه الروح في العديد من المظاهر السائدة في بلاد اليونان المبكرة وأدت نفس هذه الدوافع إلى دفع بعض الرجال لإنشاء مدن جديدة في بلاد بعيدة ، ولكنها دفعت بعض المغامرين الآخرين إلى البحث عن حياة المغامرة والخطر والقرصنة ، ويقدم هوميروس وصفاً دقيقاً لحب هؤلاء الخارجين على القانون لحياة السفن ، والمعارك والسيوف والرمح بعيداً عن حياة المجهود الشاق والربح العادي فوق اليابسة ، فقد كانت أعمال القرصنة في منطقة بحر إيجه حيث المدن الساحلية غير المحصنة وقد ساعد ذلك القرصنة على نهب ثرواتها فكانوا يحملون ما يستطيعون حمله من حبوب ومواشى ومنتجات مصنعة بل والبشر أيضاً ، كما يظهر على الأواني الأثينية من القرن الثامن نساء يحملن قرصنة إلى سفن جاهزة للإبحار وحينما أدى تقدم الحضارة إلى إنهاء القرصنة تحول الإغريق إلى الخدمة كمرتزقة لإرضاء روح المغامرة والخطر من جهة ولكسب أرزاقهم من جهة أخرى .

وبعد أن عرضنا لأسباب ودوافع حركة الاستيطان الكبرى سنحاول الآن أن نستعرض أهم المناطق التي انطبقت عليها حركة الهجرة الاستيطانية في الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى نهاية القرن السادس وأهم المدن التي شاركت فيها كما سنضع قائمة بالمدن ومستوطناتها في النهاية ولن نتكلم عنها جميعاً لأنه لن يكون واجباً سهلاً .

الاستعمار اليونانى فى الغرب :

إيطاليا وصقلية وفرنسا واسبانيا وموقف القرطاجيين

عزف الكريتيون والموكينيون طريقهم إلى صقلية وجنوب إيطاليا إذ تكشف التنقيبات الأثرية عن انتشار الفخار الموكيني هناك وتأثيره على الفخار المحلى ، كما نجد أن فن بناء المقابر الموكيني قد انتقل إلى صقلية فى ثابسوس Thapsus بالقرب من اجراجنتوم Agrigentum ولكن الأدلة والقارنن الخاصة بالعلاقات الكريئية مع الغرب قليلة وما لدينا عنها هو أسطورة ديدالاس الذى فر من الملك مينوس وبحث عن ملاذ عند الملك كوكالوس Cocalus ملك صقلية الذى قتل وهو يقاتل الملك مينوس . ومن المرجح أن العلاقات بين اليونان وصقلية وإيطاليا قد توقفت تماماً أبان العصر المظلم ، ولكن مع بداية القرن الثامن ق.م فإن نوعاً ما من العلاقات بينهما قد بدأ وهذا ما كشفت عنه اللقى الأثرية حيث عثر على آنية فخارية يونانية فى المقابر الأتروسكية كما عثر على كسر من الفخار اليونانى فى المناطق التى تقيم فيها الشعوب الإيطالية . ويمكن للدارس أن يستخدم الأوديسة كدليل على تجديد المعرفة بالغرب وهذا ما توضحه الكتب من ٩ - ١٢ من الأوديسة . فقد أوردت بعض القصص والتي تعكس ما رواه المغامرون والتجار .

وعلى الرغم من أن تواريخ انشاء المستوطنات الغربية ليست محددة بالضبط كما يرغب المرء فإن العلماء يتفقون على أنه بعد تأسيس مستعمرة فى جزيرة بيثكوساى (اسخيا) سنة ٧٧٥ ق.م فقد قاموا بتأسيس مستوطنة كوماى سنة ٧٥٠ ق.م وقد وفد مستعمرو بيثكوساى من كل من مدينتى خالكيس وارتريا بجزيرة يوبويا . ويقول استرابون أن المهاجرون من أهل خالكيس وارتريا قد تصارعوا وأن أهل ارتريا قد هاجروا من المستوطنة . ويضيف أن المستوطنين قد تركوا الجزيرة بعد ذلك نتيجة لثورة بركانية تعرضت لها الجزيرة . ويفترض أن

الجزيرة تم استيطانها لوجود مناجم للذهب بها ، ويرى البعض أنه من السخف أن نفترض أن هذه الجزيرة قد تم استيطانها لتربتها الزراعية البركانية الحصينة ، ويرجع سبب استيطانها إلى مركزها التجارى .

وقد وفد مستوطنو كوماى من خالكيس وارتريا وكيمى فى ابوتيس وقد اتخذ المستوطنة اسم المدينة الأم . وهذه المدينة كانت قريبة من منطقة النفوذ الاثروسكرى . ويعجب الباحث من أن هؤلاء المستوطنين لم يستقروا فى بعض المناطق القريبة من بلاد اليونان سواء فى صقلية أو جنوب إيطاليا و التى مروا عليها حيث يوجد العديد من المواقع ذات الأرض الخصبة . بدلاً من الجرأة فى التوجه نحو خليج ميسنا والاتجاه إلى ساحل إيطاليا الغربى ، ولذا فمن المرجح أن قادة المستوطنين لمستوطنة بينكوساى كانوا يبحثون عن موضع يكون له ميزة فى الحصول على المعادن خاصة النحاس والحديد من الاتروسكيين والذين ، من المرجح ، كانوا قد وفدوا من الشرق واستقروا فى سهل اتروريا شمال روما حيث ازدهرت حضارتهم . وتكشف لنالقى الأثرية عن وجود سلع شرقية و التى تذكرنا بأن الاتروسكيين قد شاركوا اليونان الاتجار مع المنيا السورى من نهاية القرن التاسع ق.م . وهذا يعنى أنها استخدمت للتبادل التجارى ، كما أن المستوطنين على ما يبدو قد أدركوا أهميتها فى أن تكون قاعدة للقرصنة بجانب التجارة وفوق كل هذا فإنهم قد وجدوا بها تربة خصبة صالحة للزراعة .

أما عن كوماى فتقع على الأرض المواجهة لجزيرة بينكوساى وعلى بعد ١٢ كم غرب نابلى وكان لها قلعة حصينة ، وتقع جبابتها الباكراة فى شمالها وأغلبها قد أجرى به حفائر وتم العثور بها على فخار محلى ويونانى و سلع مصرية . وقد كان للمدينة دورا هاماً فى نقل مظاهر الحضارة اليونانية إلى شبه الجزيرة الإيطالية ، فقد كانت مدينة يونانية اتصل بها الاتروسكيين ومن بعدهم

الرومان ، وقد استخدم أهل كوماى صيغة خالكيس فى الأجدية اليونانية وهى الأجدية التى اقتبسها الاتروسكيين ثم انتقلت إلى الرومان وأول مثال لأجدية خالكيس قد عثر عليه فى جزيرة بينكوساى على كأس من الطراز الهندسى من عام ٧٣٠ ق.م مكتوب عليه ثلاثة أسطر من اليمين إلى الشمال وترجمتها : "إن نستور عنده أثنى كأس ولكن من يشرب من كأسى يفتن فى التو بالربة افروديتى المتوجة" ، كما نجدهم أصحاب الفضل فى تعريف الشعوب الإيطالية المجاورة بالديانة اليونانية حتى ذاعت أسماء الآلهة والأبطال عند هذه الشعوب . كما نجد أنه كان من بين مستوطنين كوماى جماعة أطلق عليها Grieti ولما كان هؤلاء من أوائل اليونان الذين تعرف عليهم الرومان فعلى ما يبدو فإن الرومان قد أطلقوا اسمهم على كل اليونانيين . وهكذا فإن الإغريق قد اشتق من هنا . وقد قام مستوطنو كوماى بتأسيس مستوطنة جديدة هى نيابوليس (نابلى الحالية) .

وبعد تأسيس كوماى فقد بدأت الهجرات نفذ على جزيرة صقلية أولاً ثم جنوب إيطاليا ثانياً . وكان أهل خالكيس من أنشط المستعمرين فى المنطقة إذ نجدهم قد أسسوا ناكسوس على الساحل الشرقى صقلية سنة ٧٣٤ وهى أول مستوطنة يونانية فى جزيرة صقلية ، واسم المدينة يشير إلى أنه قد وفد عليها مستوطنون من جزيرة ناكسوس فى بحر إيجه . ونظراً لضيق مساحة ناكسوس الزراعية فقد قام مواطنوها بتأسيس مستوطنتين ذات أراضى خصبة هما ليوننتى Leonteni وكاتانا Catana . والمستوطنة الأولى قد أسستها ناكسوس بعد ست سنوات من تأسيسها ، وكان يقيم بالمدينة صقليون تم طردهم ، وكانت هذه المستوطنة مستوطنة زراعية . أما عن كاتانا فكانت تقع على الشاطئ وتتمتع بميناء رائع .

أسس أهل خالكيس بعد بضعة سنوات مستوطنتين هما تزانكلى Zancle فى

الجانب الصقلى وريجنوم فى الجانب الإيطالى من خليج ميسنا Messina وهكذا فقد سيطروا على الممر المائى . وبالتأكيد فإن هاتين المستوطنتين قد تأسستا لأسباب اقتصادية وسياسية لأنهما لا تملكان ظهير من الأرض الزراعية ، ولما كانت مشكلة إمدادات الغذاء خطيرة . فقد وجدنا أن تزانكى بعد عشر سنوات من تأسيسها قد قامت بتأسيس مستوطنة ميلاي Mylae وكانت تقع على بعد عشرين ميلاً غرباً وكان لهذه المدينة سهل خصيب ، وقد قام نفر من مستوطنيها أيضاً قد قاموا بالاشتراك مع مهاجرين من ميسينيا بتأسيس رجبيوم وقد اختاروها لسيطرتها على الممر المائى . وقد تأسست المدينة حوالى سنة ٧٣٠ ق.م بينما قام نفر آخر من أهلها سنة ٦٤٨ بالاشتراك مع مستوطنين من مدن أخرى باستيطان هيميرا Hemera والتي ربطت بين الاغريق والقرطاجيين فى غرب صقلية .

ويذكر ثيوكديدس أن كورينثة قد أسست مستعمرة سيراكوز بعد عام من تأسيس خالكيس لمدينة ناكسوس من الواضح بعد سنة ٧٢٣ . وفى نفس الوقت تقريباً فقد أسست كورينثة مستوطنة فى جزيرة كوركورا Cocyro "كورفو الحالية" بعد أن طردت الارتريين منها والذين كانوا قد سبقوهم فى احتلالها . وبهذا فقد سيطروا على موقع هام على الطريق إلى صقلية . وكانت علاقة كوركورا بكورينثة طيبة فى البداية ، إذ نجدها قد طلبت من كورينثة ارسال قائد acketes قبل ارسال مستوطنين إلى ابيدامنوس Epidamnus فى النصف الثانى ، وفى نهاية القرن السابع ولكن ساءت العلاقات بينهما ودارت بينهما معركة بحرية وصفها ثيوكديدس بأنها أول معركة بحرية دارت قبل ٢٦٠ عاماً من نهاية حرب البلوبونيز . أى قبل منتصف القرن السابع . وقد أمن الكورنثيون صلاتهم مع الغرب من خلال بناء سلسلة من المستوطنات تمتد من خليج كورينثة إلى البحر الأيونى وكانت هذه المحطات تابعة لكورينثة فى ادارتها .

كان موقع سيراكوز إذ كان به ضياءً طبيعى ، وقد صارت سيراكوز فيما بعد أغنى وأقوى مدن الجزيرة ولما كان أغلب المستوطنين الكورنثيين من سهل تينا Tenea بكورينثة وهذا قد يعنى أنهم قد ذهبوا إلى صقلية بحثاً عن الأرض الزراعية ، ولكن هذا لا يكفى إذ أن الاوليخرية الباكخية كانت تفكر أيضاً فى فرص التجارة . فسيراكوزا من أول نشأتها كان بها التجار بالإضافة إلى الزراع .

وقد ألحقت جزيرة أورتيجا Ortygia (الموقع الأول للاستيطان) عن طريق جسر ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت سيراكوز أكبر مدينة فى صقلية وذلك بفضل مينائها الرائع وظهير من السهل الخصيب .

وقامت ميجار بتأسيس مستعمرة ميجارا هيبلايا Megara Hyblaea بعد سنوات قليلة من تأسيس سيراكوز وكانت تقع شمالها بمسافة قصيرة . ونظراً لموقعها بين مدينتين كبيرتين هما سيراكوز وليونتيني فإنها لم تزدهر ، ولكن نجدها بعد قرن من تأسيسها تؤسس مستوطنة جديدة هى سيلينوس Selinus فى الأراضى الخصبة فى غرب صقلية .

وقد أسس جيلا Gela مستوطنون من رودس وكريت وكان ذلك بعد ٤٥ عاماً من تأسيس سيراكوز وقد توسعت هذه المدينة كثيراً وفى عام ٥٨٠ نجدها قد أسست إلى الغرب منها مستعمرة زراعية هى اكراجاس Acragas والتي تفوقت بعد فترة قصيرة على المدينة الأم فى حجمها وراثتها . وقد أتى هؤلاء المستوطنون على سكان صقلية فمن هم هؤلاء السكان ؟

كان يسكن جزيرة صقلية قبل قدوم الإغريق إليها أقوام هى : السيكانيون Sicans والايليميون Elymians والصقليون Sicels والفينيقيون وبخبرنا ثيوكديس أن السيكانيين كانوا من العنصر الاليرى ، وأن الصقليين قد طردوهم إلى الجزء

الجنوبى والغربى من الجزيرة وأن الصقليين قد أتوا فى أعداد كبيرة إلى الجزيرة من جنوب إيطاليا ويرى جل الباحثين الآن أن السيكانيين والصقليين أيضاً سكان جنوب إيطاليا كانوا من منطقة اليريا وأنهم قد وفدوا على عناصر من سلالة البحر الأبيض المتوسط . وقد تأثر هؤلاء بالحضارة الموكينية كما سبق أن ذكرنا فى مجال الفخار وبناء المقابر . وإذا ما كانوا من العنصر الاليرى فإن لغتهم كانت هندوأوربية وأنهم هم أنفسهم كانوا يتشابهون كثيراً فى كثير من الأمور مع الشعب الاليرى فى أرض بلاد اليونان ومع ذلك فقد كانوا فى نظر الإغريق أجناب وقد طردت بعض المستوطنات السكان الأصليين من مناطق المستوطنات على طول الساحل . وبينما نجد أن بعض المستوطنات قد انزلت السكان المحليين أصحاب الأرض فى زمامها إلى مرتبة عبدة الأرض .

وفى أقصى غرب الجزيرة ، فيما عدا الساحل ، كانت المنطقة موطناً لجماعة الاليميين المتحضرة وأهم مدنهم مدينسى سيجستا Segesta وهاليكياى Halicyae . ويعتقد ثيوكديدس أنهم من الطرواديين الذين أبحروا غرباً بعد سقوط طروادة ، وكانت ثقافتهم عالية ، ولذا نجدهم قد توافقوا بسهولة مع التأثيرات الإغريقية والفينيقية .

ومن الشعوب الأخرى التى استقرت فى صقلية الفينيقيون ، ويعول ثيوكديدس أنهم استقروا فى الجزر الصغيرة والكبيرة المحيطة بصقلية ولكن عندما قد الإغريق مهاجرين إلى الجزيرة انسحبوا غرباً ، واستوطنوا موتيا Motya وبانورموس Panormus وصولويس Sololis فى الشمال الغربى للجزيرة . ولكن هذا القول محل شك فلا توجد اثار وقرائن ولا روايات تشير إلى تواجد الفينيقيين فى شرق صقلية وإلى وجود نزاع بين الإغريق ، والفينيقيين إبان القرنين الثامن والسابع ويقول أفوروس وقد تبعه استرابون أن اليونان عند ظهورهم فى الغرب فقد

وجدوا أنفسهم في علاقات غذائية مع القرطاجيين ولكن يبدو أن افوروس كان متأثراً بما كان يجري من أحداث وصراعات في القرن الرابع . ويبدو أن بداية الاحتكاك بين الإغريق ، والقرطاجيين قد بدأ مع تأسيس هيميرا Hemera سنة ٦٤٨ وسيلينوس سنة ٦٢٨ ق.م ومع ذلك ليس لدينا ما يدل على عداة بينهما . ولكن أول ذكر للصدام بين اغريق وفينيقيين هو الرواية التي ذكرها ديودوروس وباسينيلاس حول بنتاثلوس Pentathlos الكندوسى الذى قام مع نفر من أهل كندوس ورووس بالاستقرار والاستيطان فى ليلبايوم فى غرب صقلية ، ويبدو أن بنتاثلوس بعد تأسيس مستعمرته قد ساعد سيلينوس فى الهجوم على مدينة سيجستا الاليمية ولكن تمت هزيمته وقتله وفرار أتباعه فى سفنهم إلى جزيرة ليبارا Lipara وأقاموا بها ، وبينما قام الاليميون بمساعدة القرطاجيين بتدمير مستعمرة ليلبايوم . ويرى أن البعض أن انشاء هذه المستعمرة أن تحل محل مستعمرة موتيا الفينيقية التى كان الهدف من إنشائها أن تكون نقطة ارتكاز ليس للتجارة فى صقلية فقط ولكن كنقطة بداية للسفن للتجار مع الاتروسكيين . والسفن المبحرة إلى اسبانيا للحصول على المعادن وسنجد أن العداة قد بدأ يظهر فى القرن السادس وسنعود إليه بعد أن نستعرض جهود الاغريق الاستيطانية فى فرنسا واسبانيا .

لقد بدأت علاقات اليونان بفرنسا وإسبانيا من خلال مواطنى فوكايا وسلموس إذ يقول هيردوت أنهم هم أول الاغريق الذين قاموا برحلات بحرية طويلة وأنهم هم الذين اكتشفوا أدريا وتيرهينا وايبيريا وتارتوس وهذه الرحلات الاستكشافية يمكن أن تؤرخ بمنصف القرن السابع ، ويروى لنا هيردوت أيضاً قصة التاجر اليونانى من ساموس والمدعو كولايوس الذى كان يملك سفينة والتى ابحرت إلى الساحل الليبى ثم إلى مصر وأن ربهاً شرقية معاكسة قد قادتة إلى الاتجاه المعاكس وحيث أن الرياح لم تهدأ فقد أبحر عبر مضيق صخرة هرقل بمساعدة الآلهة إلى

تارتوس . وأن هذا التاجر قد اكتشف سوقاً بكرةً وعاد إلى ساموس محملاً بالأموال
ويبدو أن هذه الرحلة كانت حوالي ٦٣٨ ق.م .

وقد كان أول استيطان في فرنسا من قبل مستوطنين من فوكويا الذين أسسوا
مستوطنة ماساليا سنة ٦٠٠ ق.م وقامت ماساليا بدورها بإنشاء العديد من المحطات
التجارية على الساحل الفرنسي وشرق الساحل الإسباني . وقد أقامت ماساليا
علاقات تجارية مع القبائل المحلية المقيمة في الظهير الاراضى .. وكونت ثراء
عزباً من التجارة . ولم يقف القرطاجيون صفاً لمنعهم في البداية ولكن سوجد أن
القرطاجيين قد تحركوا عندما بدأت تمس وتضار مصالحهم إذ نجدهم قد وقفوا
وناصروا مدينة سيحستا الاليمية في صقلية ودمروا ليبايوم التي رأى فيها
القرطاجيون خطراً على مصالحهم وقد رأى البعض أن غرض اليونان من تأسيس
هذه المستعمرة أن تحل محل الميناء القرطاجي المجاور في صقلية في الاتجار مع
فرنسا واسبانيا . ولكن هذا الرأي فيه مبالغة لأن الاغريق لم يكونوا يداً واحدة بل
كانوا ينتقلون مع بعضهم البعض ولم يكن هناك ما يجمعهم لقتال القرطاجيين بل
سوجد أن مصالح البعض منهم قد جعلتهم يقفون مع الاتروسكيين القرطاجيين ضد
بنى جلدتهم إذ نجد أن مصالح الاتروسكيين قد تهددت نتيجة إقامة مستوطنة ليبارا
والتي عمل أهلها بالقرصنة ونظراً للمصالح المشتركة للفوكايين مع الاتروسكيين
فقد تحالفوا معهم ضد ليبارا . كما نجد أن أهل فوكايا الذين نزلوا بالاليا Alalia
وعملوا بالقرصنة وهددوا بذلك صوالح الاتروسكيين والقرطاجيين لم ينقذهم بنو
جلدتهم من القرطاجيين والاتروسكيين الذين نجحوا في إخراجهم من الجزيرة كما
نجد أن قرطاج تصدت بشكل مباشر عندما هددت مصالحها ، أو حاول بعض
الاغريق التعدي على مناطق نفوذها وهذا ما حدث مع دوريس شقيق الملك
الاسبرطى كليومنيس والذي كان قد حصل على إذن رسمي لتأسيس مستعمرة

واتجه أولاً إلى الساحل الأفريقي في المنطقة الواقعة بين قوريني وقرطاج واستقر بها عامين ولكن طرده القرطاجيون والسكان المحليون ثم بعد عودته بفترة بسيطة إلى أسبرطة فقد خرج في مغامرة ثانية سنة ٥١١ - ٥١٠ كى يؤسس مستوطنة في منحدر جبل اريكس Eryx . وهنا مرة أخرى فقد كان تأسيس هذه المستوطنة يدخل في منطقة النفوذ القرطاجي ولذا فقد وقفت قرطاج في وجه المحاولة بمساعدة الصقليين والاليبيين وخاضوا معاً معركة ضد دوريسوس إذ ان النصر حليفاً للقرطاجيين وحلفائهم وقتل دوريسوس ومن الجدير بالقول أن مستوطنة سيلينوس لم تقف بجانب دوريسوس وتساعده لأن تجارتها كانت راتجة مع القرطاجيين .

وفي ضوء هذه الحقائق نقول أن قرطاج وقفت تدافع عن مناطق نفوذها التي هددها بعض المحاولات الفردية من بعض المدن اليونانية . إذ نجدها تهاجم ليلبايوم وتدمرها عندما شعرت أنها تهدد مصالحها وتشارك في طرد مستوطني الاليا Alalia في كورسيكا لاشتغالهم بالقرصنة وطرده دوراوس الاسبرطي من لبيبا ومن بعدها قتاله في صقلية عندما حاول تأسيس مستوطنة في غرب صقلية . وسنجد أن هذه المصادمات لم تكن بين قرطاج واليونان جميعاً ولكن مع جماعات منفصلة عن بعضها البعض بل سنجد أن اليونان ساعدوا كل من القرطاجيين الأتروسكيين ضد بنى جلدتهم . لقد كان القرطاجيون يسيطرون على غرب صقلية وسردينيا وجزر البليار وأنه في نفس هذا الوقت فقد نجح القرطاجيون في منع الاغريق من الابحار عبر مضيق جبل طارق وأن يكون لهم مدخل للحصول على معادن كارتسوس وذلك بتأسيسهم مستعمرة في كارتيا Carteia الواقعة في خليج جبرالتار Gibraltar .

أما بالنسبة لاطاليا فقد استمرت حركة الاستعمار اليوناني بنشاط بها وقد شارك بها مدن عديدة منها خالكيس وارتريا وكيمي وكورينثة والدول الآخبة

الصغيرة على الساحل الجنوبي لخليج كورينثة وغيرها .

قامت مجموعة من الآخيين بتأسيس سيباريس Sybaris سنة ٧٢٠ ق.م فى منطقة القدم الايطالى وكانت هذه المستوطنة على قدر كبير من الثراء نظراً لخصوبة تربتها ووفرة انتاجها وايضاً لاشتغال أهلها بالتجارة ويبدو أنها قد قامت بدور الوسيط التجارى بين الاتروسكيين من جهة وميلينوس فى أسيا الصغرى من جهة أخرى . وحققت من وراء ذلك ثروة كانت مضرراً للأمثال وكانت سبباً لغيرة وعداء جيرانها . وانشأت سيباريس مستوطنة بوسيدونيا Posidonia باستيوم Paestum سنة ٧٠٠ على الغربى لايطاليا وتقع جنوب مستوطنة كوماى . كانت بوسيدونيا مدينة غنية وذات ثراء عريق وتعكس معابدها الفخمة هذا الثراء .

قام الآخيون أيضاً بتأسيس مستوطنة كروتون Croton سنة ٧٠٨ وكانت حقولها خصبة وفيرة المحاصيل ونالت شهرة عظيمة بفضل مصاريعها وأطبائها والمدسة الفيثاغورثية ، والجدير بالذكر أن العداء كان مستحكماً بين كل من مستوطنة سيباريس وكريتون ونجحت الأخيرة فى تدمير الأولى سنة ٥١١ - ٥١٠ وساعدها على ذلك أنها قد تعرضت لسلسلة من الاضطرابات الداخلية .

وقد أسس الآخيون مستوطنة زراعية فى منطقة القدم الايطالى هى ميتابونتوم Metapontum والواقعة غرب تاراس . وكانت أرضها خصبة وافرة الانتاج .

قام الاسبرطيون الناقمون على سياسة بلدهم بالهجرة إلى مستوطنة تاراس سنة ٧٠٦ وكانت تقع على بعد عشرين ميلاً من ميتابونتوم . وهى المستعمرة الوحيدة التى اسسها الاسبرطيون فى الغرب . وقد تطورت على نحو مضطرد إلى أن صارت أقوى المدن الإغريقية فى جنوب ايطاليا .

وقد قام مهاجرون من لوكريس فى سنة ٦٧٣ بتأسيس مستوطنة لوكرى ابيزيفيرى Locri Epizephyrii بالقرب من كعب الحذاء الإيطالى فى الجانب الشرقى . وقد ظهر بها المشرع الإغريقى الشهير زيباليكوس بعد جيل من تأسيسها .
وقام أهل فوكايا بتأسيس مستوطنة ايليا Elea وتقع على مسافة عشرين ميلاً جنوب بوسيدنيا على الساحل الغربى وقد لجأ إليها مستوطنو الأليا بعد أن طردهم الاترسكيون والقرطاجيون من كورسيكا وكانت مدينة ايليا مدينة زاهرة كما كانت مقراً لمدرسة فلسفية .

وابتداءً من النصف الثانى من القرن السادس فإن اليونان قد بدأوا فى إقامة علاقات مع الساحل الايطالى عبر الادرياتيكى حيث كانت تنتشر عدة مدن اتروسكية . وقد أجريت حفائر سنة ١٩٥٠ فى ميناء اسپينا Spina القديم وعثر على لقى اثرية مدهشة . والميناء يقع فى منطقة جنوب مصب نهر البو po وقد عثر على فخار اثلى والذى يؤكد أنها قد انشئت فى الفترة الباكورة من العصر العتيق ، وقد بلغت أوج ازدهارها فى العصور الكلاسيكية فكانت مركزاً تجارياً هاماً حيث عاش المستوطنون الاغريق جنباً إلى جنب مع الاترسكيون والفينتى Veneti المحليين .

جملة القول أن المستوطنات اليونانية كانت قد انتشرت على نطاق واسع شرقاً ، وشمال صقلية وجنوب إيطاليا وأصبح يطلق على هذه المنطقة اسم ذو دلالة وهو بلاد اليونان الكبرى . وكان مقدراً لكثير من المستوطنات أن تثرى وتزدهر وأن تسهم فى الحضارة اليونانية إسهامات طيبة . ومن الأسماء الخالدة التى لمعت فى الغرب فيثاغورس واكسينيفون وزياكيوس .

ونجد أن أهل فوكايا قد أسسوا مستوطنة مساليا شرق نهر الرون حوالى سنة

٦٠٠ وقبل ذلك يبدو أن أهل رودوس كانوا قد استكشفوا غرب البحر المتوسط وأسسوا مستوطنة رودى Rhode على الساحل الشمالى الشرقى لأسبانيا واطلقوا اسمهم على نهر الرون وقد قام الماساليون باعادة تأسيس رودى واطلقوا اسماً جديداً عليها هو إمبرورباى Emporiae . واقاموا عدة محطات تجارية أخرى على الساحل الفرنسى والساحل الشرقى والجنوبى لإسبانيا هى الوناي Alonae وهيميروسكوبيوم Hemerscopeum وأجائى Agathae وتورويس Touroeis واولبيا Olbia واثينوبوليس واثيوبوليس ونيكيا ، وكان الغرض منها حماية طريق تجارة المعادن مع تارتوس ، ومع نهاية القرن السادس كما ذكرنا سابقاً ، فإن القرطاجيين قد نجحوا فى إيقاف الإغريق عن المرور عبر جبل طارق . ولكن ماساليا كان قد صارت مدينة تجارية كبيرة ووصلتها الخامات من المناطق الداخلية لتدر إلى العالم اليونانى ؛ كما وصلت منتجات اليونان من خلالها للسكان المحليين .

ثانياً : الاستيطان فى حوض بحر إيجه والبحر الأسود

بدأت المراحل الأولى لحركة الاستعمار فى بحر إيجه على يد مدينة خالكيس التى انشأت عدداً من المستوطنات فى شبه جزر الخلكيدكى ، كما أن ارتريا وجزيرة اندروس قد ساهمتا فى حركة الاستيطان أحياناً ، والرأى المعتاد أن أهل خالكيس قد أسسوا أغلب هذه المستوطنات إما بالتزامن مع تأسيسهم للمستعمرات فى الغرب أو بعد توقف نشاطهم فى الغرب . وتاريخ نشأة المستعمرات غير معروف ولكن تخبرنا أحد المصادر أن المستوطنات الخالكيسية قد قدمت العون لمدينتهم الأم خالكيس فى حربها الضروس سنة ٧٠٠ ق.م مع ارتريا حول السهل الفاصل بينهما وهو سهل ليلانتى ، وليس من المعقول أن ترسل المستوطنات مساعدات إذا لم تكن قد استقرت أوضاعها ومن المرجح أن يكون قد مر عليها فترة من الوقت نظمت فيها احوالها ورتبت أوضاعها . ويرى البعض أنه من

الصعب الاعتقاد أنه كان عند خالكيس زيادة سكانية كبيرة ولديها القوة لإرسال مئات أو آلاف المستعمرين إلى الغرب والشمال في نفس الوقت . ولكن يمكن أن تكون المدينة منظمة فقط لحركة الهجرة وتدعو لها في بلاد اليونان ، وكما نعلم أن مستوطناتها الأولى في إيطاليا شارك فيها أكثر من مدينة مثل كوماى . ولذا يمكن أن نقول أن خالكيس قد أسست أولى مستوطناتها في شبه جزيرة خالكيدكى في فترة باكرة من القرن الثامن .

وأقامت كورينثة مستوطنة لها في نفس المنطقى حوالى سنة ٦٠٠ ق.م وأقام الإيونيون وخاصة أهل ميليتوس سلسلة من المستوطنات في ساحل تراقيا ومنطقة المضائق والبحر الأسود . وفى الواقع فإن معلوماتنا قليلة عن الأيونيين في القرون الثلاثة الأولى من هجرتهم . إلى ساحل آسيا الصغرى ، ومع خواتيم القرن التاسع نجد أن المدن الأيونية قد نظمت نفسها في حلف مع مركز دينى له فى بايونيون وكانت هذه المدن يحكمها ملوك ، والذين كانوا من الواضح ، مرتبطين بعلاقة شبيهة إقطاعية مع ملك أكثر قوة هو ملك افسوس . ولعل الصورة التى رسمها هوميروس لمشاكل أجاممنون وأقرانه غير المسيطر عليهم كانت انعكاساً للحالة غير المستقرة فى أيونيا فى القرنين التاسع والثامن فإن هذه المدن قد بدأت تنمو وتتطور فيما يسمى دولة المدينة وأن الأرستقراطية قد بدأت تحل محل النظم الملكية . وفى بداية القرن التاسع فمن المرجح أن سكان هذه المدن قد زاد زيادة كبيرة وبالتالي فإن المجتمعات التى تعتمد فى حياتها على الزراعة بشكل اساسى ، كانت تشعر بحاجتها إلى الأرض وتوسيع رقعتها فى المناطق الداخلية لآسيا الصغرى وكان ذلك غير ممكناً وذلك لأن مملكة ليديا قد نهضت فى ذلك الوقت ووقفت بالمرصاد للتوسع واقامت حاجزاً ضد الإغريق هناك إلا لمن سمحت لهم بإقامة مستوطنة . ولحل مشكلة نقص الأرض كان على الأيونيين البحث عن حل فيما وراء حدودهم

المبشرة وقد ولوا وجوههم شطر تراقيا حيث قام أهل يوبويا والايونيون باستيطان منطقة خالكيدكى .

وقد قام أيونيو بحر إيجه في حوالى سنة ٧٠٠ ق.م ومنهم أهل جزيرة باروس بارسال مستوطنين إلى الساحل التراقى . لقد أرسلت باروس مستوطنين لاستيطان جزيرة تاسوس سنة ٦٨٠ ق.م ولم يكن الاستيلاء عليها سهلاً إذ يشكو الشاعر أرخيلوخوس أنه كان عليه أن يكون على أهبة الاستعداد بشكل دائم للقتل ، فكان عليه أن يعجن خبزه بالحربة ويعصر خمره بنفس الطريقة وحتى عندما كان يشربها كان يتكى على حربته . وفى قصيدة أخرى يقر أن قد فقد درعه عندما كان يقاتل التراقيين ، وفى موضع اخر نجده يلعن صديقاً له كان قد خانته ويتمنى له نهاية غير سعيدة على يد التراقيين ، ويكشف لنا هذا الشاعر أن التراقيين لم يكونوا ليني العريكة ولم يتم اخضاعهم بسهولة .

وفى الربع الأول من القرن السابع أرسلت جزيرة خيوس Chios مستوطنين إلى مارونيا Maronea وتقع تقريباً فى منتصف الطريق بين مصبى نهر نستوس وهبروس .

وفى منتصف القرن السابع أسست مدينة كلازوميناى Clazomenae مستوطنة أبديرا Abdera شرق مصب نهر نستوس ، ولكن هذه المستوطنة قد عانت الاضطرابات العديدة نتيجة لاعتداءات وهجمات التراقيين مما اضطر أهلها إلى تركها وأعاد مستوطنون من تيوس Teos بناءها وهؤلاء هم بعض مستوطنو تيوس الذين رفضوا العيش تحت نير الفرس . وكان الدافع لاستيطان المنطقة كثرة أخشابها . وكما نعرف أن أبديرا كانت موطناً لاثنيين من أهم فلاسفة القرن الخامس والسوفسطائين وهما ديموكريتوس ، وبروتاجوراس . بينما انتقل البعض الآخر من

أهل تيوس إلى الساحل الشمالى للبحر الأسود واسسوا مستعمرة فاناجوريا
 . Phangoria

وقد أسس مجموعة من الأبوليين ؛ نحو نهاية القرن السابع ، مستعمرة
 اينوس Aenos فى دلتا نهر هيبروس Hebrus. وهذه المستوطنات كان أغلبها أو
 كلها مستوطنات زراعية ولكن بمرور الزمن صارت من المراكز التجارية الهامة .

إن إستيطان الهليسيونت والبرديونتيس كان مقدمة للتوسع الكبير فى منطقة
 البحر الاسود . لقد بدأ أول نشاط استيطانى من قبل مواطنى مدينة لسبوس
 Lesbos . فقد اسسوا العديد من المستوطنات الزراعية فى طروادة فى الساحل
 الجنوبى من الهليسيونت فى القرن الثامن وبواكير القرن السابع وقد كشفت الحفائر
 عن أن استقرار الإغريق فى موقع طروادة كان على الأقل بشكل جزئى تجارى .

وقد نشطت ميليتوس فى حوالى سنة ٧٠٠ ق.م وهذا هو التاريخ التقريبى
 لإنشاء مستوطنة كوزيكوس Cyzicus مع مينائها الرائع وأرضها الخصبة فى
 الساحل الجنوبى للفسفور . ويقول استرابون إن أهل ميليتوس قد اسسوا مستوطنة
 ابيدوس فى النصف الأول من القرن السابع على الساحل الأسيوى للهليسيونت
 بموافقة الملك الليدى جيجيس .

واسست ميجارا ، فى الربع الثالث من القرن السابع ، بين مستعمرات
 أخرى، خلقيدونيا وبيزنطة على الجانبين الأسيوى والأوربى على التوالي من
 مضيق البسفور . ووفقاً لهيرودوت فإن خلقيدونيا قد تم تأسيسها سنة ٦٧٧ قبل
 بيزنطة التى تأسست سنة ٦٦٠ ق.م . وقد تعجب هيرودوت واسترابو وتساكيوتوس
 وبوليبيوس من عدم استيطان بيزنطة أولاً لأنها ميناء رائع ، ولأن موقعها يمكنها
 من التحكم فى المرور من وإلى البسفور . والتفسير أنه عند تأسيس خلقيدونيا لم

تكن الامكانات التجارية الكبيرة للبحر الأسود قد عرفت بشكل تام . وأن خلقيدونيا قد اجتذبت الميجاريين لتربثها الخصبة وايضاً من الممكن أنه كان بالجزر التابعة لخلقيدونيا وخالكيس مناجم نحاس .

وقد أسس أهل ساموس ، فى حوالى نهاية القرن السابع ، سلسلة من المستوطنات على الساحل الشمالى للبسفور ومن أهمها بيرنثوس Perinthus ، ومرة أخرى كما كان الحال بالنسبة لبيزنطة فإن سبب تأسيس هذه المستوطنات يبحث عنه بشكل اولى فى فتح منطقة البحر الأسود للتجارة الإغريقية .

وكان للإمكانات التجارية أثرها فى تطور خيرسونيسى Chersonese التراقية ، وستتوس التى كانت فى الأصل مدينة تراقية ولكن صارت بعد ذلك مستوطنة أيولية وصارت لها أهميتها مثل ابيدوس على الجانب الأسيوى ، لمقعها الاستراتيجى على الهليستونت .

وقد أسس الأثينيون حوالى سنة ٦٠٠ ق.م ايلايوس Elaious عند رأس خيرسونيسى التراقية . وبذلت جهوداً كبيرة للتحكم فى سيجيوم الآسيوية قبالة مدخل الهليستونت ، فقد دار قتال شديد بين ميتلينى وأثينا فى نهاية القرن السابع وقد انتهى الصراع نتيجة لوساطة طاغية كورينثة بيرياندر Periander الذى حكم بينهما إذ نجده قد منح الأثينيين حق استيطان سيجيوم واعطى ميتلينى القلعة التى كانت تسيطر على المدخل إلى الساحل ، ويبدو أن الأثينيين لم تكن لهم السيطرة الكاملة على سيجيوم حتى عهد بيزاستزاراتوس .

تطلع اليونان إلى استعمار شواطئ البحر الأسود وذلك بسبب الزيادة السكانية ونقص الأراضى فى بلاد اليونان هذا فضلاً عن الحاجة لمواد وسلع غير متاحة فى بلاد اليونان كانت الدافع للاستيطان فى حوض البحر الأسود .

إن العلاقات الباكرة بين الإغريق والبحر الأسود غير معروفة ولكن من الممكن أن الموكيين قد وصلوا إلى المنطقة وهذا ما كشفت عنه اللقى الأثرية القليلة التي عثر عليها في القوقاز . كما أن قصة ياسون والسفينة أرجو Argo المشار إليها في الأوديسة وبالتأكيد اسطورة أرجوناوتس Argonauts في طورها تعكس المغامرات للبحارة الأوائل في البحر الأسود . ومن الواضح أن حركة الاستيطان في هذه المنطقة لم تبدأ بشكل مناسب إلا في الربع الأخير من القرن السابع . ويقدم لنا أحد الكتاب القدامى معلومات دقيقة عن تاريخ تأسيس المستوطنات في القرنين السابع والسادس وهذا ما أكدته التنقيبات الأثرية .

كانت ميليتوس أكثر المدن نشاطاً فقد أنشأت أكثر من تسعين مستوطنة في المناطق المختلفة عموماً على حد قول بليني . وعلى الرغم من أننا نعتبر أن هذا العدد فيه مبالغة لأنه ليس من المعقول أن سكانها يكونون لتأسيس هذا العدد الكبير من المستعمرات ذات الطابع الزراعي ويبدو أنها تغلبت على ذلك بالاعلان والدعوة لإنشاء مستوطنة ما في بلاد اليونان المختلفة . والملاحظ أن أغلب المستوطنات في حوض البحر الأسود كانت في البداية محطات تجارية فقد كان الإغريق يبحثون عن السلع والمواد التي تكون شحيحة في بلادهم وقد استقروا في الأماكن التي يسهل الحصول على تلك المواد سواء أكانت أسماك ، أخشاب ، حبوب ، معادن .

ولن نحاول أن نعدد كل المستوطنات في منطقة البحر الأسود ولكن سنقتصر حديثنا على أهمها ليس وفقاً لتواريخ انشائها ولكن وفقاً للمناطق الواقعة فيها . ونبدأ بأهم مستوطنات الساحل الغربي شمال مضيق البسفور حيث توجد مستوطنات أبولونيا Apollonia وميسمبريا Mesemberia وتومبس Tomis والتي نفي فيها أوفيد سنة ٩ م . وكتب بها Trestia وستروس Istrus وهي ليست بعيدة عن دلتا

نهر استر Ister وتراس Tras.

وعلى الساحل الشمالي فقد وجدت أولبيا Olbia وقد تأسست فى الربع الخير من القرن السابع أو النصف الأول من القرن السادس عند نهر بوج Bug وقد أصبحت مركزاً هاماً لتجارة الحبوب فى العالم اليونانى . وفى الشرق منها تأسست مستوطنة ناوريك خيرسونسى Tauric chersonese "كريمما Crema" ويرى البعض أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة بانتيكابايوم Banticapaeum حوالى نهاية القرن السابع ، ولكن لدينا رواية يوساب النقيرى الذى يرى أنها تأسست فى منتصف القرن السابع ، ولدينا لقى أثرية أقدم تعود إلى نفس الفترة . وقد قامت هذه المستوطنة بالتجارة مع السكان المحليين وهذا ما تؤكد اللقى الأثرية فى منطقة تراقيا . وقد ترك بعض المستوطنين مدينتهم وأسسوا مستوطنة ثيودوسيا Theodosia على الساحل الجنوبى . كما قامت فى نفس المنطقة مستوطنة ابولونيا وقد تبعها فى حوالى منتصف القرن السادس تأسيس مستعمرتين هما أوديسيوس وتومى . وهنا تصادمت ميجارا وميليتوس مؤسسة كل هذه المدن . وفى القرن الخامس فقد اتخذت هذه المستعمرات وكونت مملكة البسفور وعاصمتها بانتيكابايوم وهذه المملكة تكونت من الاسكيثيين والإغريق . وحلت تلك المدينة فى القرن الرابع محل أولبيا كمركز تجارى واستمرت فى البقاء واقصى مستوطنة فى الشمال التى أصبحت جزء من مملكة البسفور هى تانايس Tanais عند مصب نهر تانايس (دون Don) وعلى الساحل الشرقى حيث تبعد جبال القوقاز قليلاً عن البحر ، قام أهل ميليتوس بتأسيس مستعمرات تجارية أمها فاسيس Phasis وديوسكاسوس أرض أسطورة ميديا .

وعلى الساحل الجنوبى للبحر الأسود وتقريباً فى منتصفه قام أهل ميليتوس بتأسيس سينوب ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن وفقاً للروايات اليونانية ، وكان

لمدينة سينوب ميناء جيد ؛ ولذا فقد ازدهرت تجارتها وكان من بين مواطنيها المرموقين ديوجينيس الفيلسوف والشاعر الكوميدي ديفيلوس . وفي منتصف القرن أسست سينوب مستوطنة ترايزوس Trapezus ، وهى المكان الذى وصل إليه اكسينيفون ورفاقه فى رحلته من بلاد الفرس إلى بلاد اليونان وكانت مستوطنة تجارية كما نجدها قامت بتأسيس مستوطنات تجارية صغيرة هى كيراسوس Cerasus وكوتورا .

وكانت مستوطنة أميسوس تقع شرق سينوب بقليل أو تقع بين سينوب وترايزوس وقد تم تأسيسها على يد أهل ميليتوس وأهل فوكايا حوالى منتصف القرن السادس وسرعان ما أصبحت مركزاً هاماً ورئيسياً لتصدير الحديد الذى كان جيرانها الخالوبيس Chalybes يصهرونه من الصخور المستخرجة من مناجم المنطقة .

وأخر مستوطنة نذكرها على الساحل الجنوبى هى هيراقليا بونتيكا فى بيثينيا، وقد تم بتأسيسها فى النصف الول من القرن السادس على يد الميجارين والبوتيين من تاناجرا Tangra وكان لها ميناء رائع ، وكانت مستوطنة غنية بثروتها السمكية وخاصة اسماك التونة ، وغنية بالخشب ، وفى نهاية القرن أسست هذه المستوطنة بدورها مستوطنتين هما كاللاتيس Kallates على الساحل الغربى للبحر الأسود وخرسونيسوس Chersonesus فى الجنوب الغربى من كريميا بالقرب من اسطنبول .

وهكذا قد سار البحر الأسود جزءاً نشطاً فى العالم اليونانى ، وكان تأثير الحضارة اليونانية كبير على الشعوب القاطنة حول البحر الأسود وفى المقابل فإن الإغريق قد نقلوا أفكاراً جديدة خاصة بالديانة والفن . وكان مصدراً للحبوس

والأسماك المجففة والمملحة ولإمدادات المعادن والعبيد . وفى المقابل فقد صدر الإغريق إلى مناطق البحر الأسود الفخار ومنتجات صناعات المعادن .

سواحل البحر المتوسط الجنوبية :

لقد رأينا أن حركة الاستيطان كانت نشطة للغاية فى الغرب ، والشمال والشمال الشرقى ، ولكن الحركة فى سواحل أفريقيا أقل نشاطاً وقد انحصرت فى انشاء مدينتين هما نقراطيس وقورينى ولكن ينبغى أن ننوه أن هاتين المدينتين قد لعبتا دوراً هاماً فى التاريخ اليونانى .

عرف اليونان مصر منذ فترة باكرة للغاية - كما سبق أن ذكرنا فى الفصول السابقة - وفى فترة الاستعمار اليونانى نجد الأوديسة تورد مغامرات أوديسيوس ووصله إلى مصر مما يشير إلى أن اليونان قد عرفوا طريقهم إلى مصر كتجار وقراصنة وهذا ما يؤكد قول استرابو أن المصريين قد وضعوا حامية فى راكوتيس بالقرب من مصب الفرع الكانوبى لمنع المهاجمين الأجانب وكدليل على انتشار القرصنة فى القرنين التاسع والثامن على ما يرجح ، وقصة هيرودوت التى سبق ذكرها حول التاجر كولايوس الذى أبحر من مصر سنة ٦٣٨ تؤكد أن التجار اليونان قد عرفوا طريقهم إليها وهذا ما أكدته اللقى الأثرية من البرنز المصرى الذى عثر عليها فى كل من كريت وساموس . كما تشير الروايات إلى إقامة واستقرار اليونان فى مصر بشكل دائم . فقد خدموا فى جيش إيسماتيك كجنود مرتزقة ، ويقول هيرودوت إن إيسماتيك فى جهوده لهزيمة الأحد عشر أميراً فى منطقة الدلتا قد استخدم قراصنة أيونيين وكاريين والذين كانوا يهاجمون المنطقة وقد كافأهم وأقطعهم الأرض المعروفى بكامبس Camps الواقعة عند مصب فرع النيل البلوزى ، وقد بقى هؤلاء الجنود وأخلافهم يعيشون فى المنطقة كما نجد أن البعض منهم قد استقر فى دافناى Daphnai "تل دفنه" فى شرق الدلتا وكانت هذه

المدينة قد انشئت كقلعة فى زمن ايسماتيك لحماية مصر من خطر الاعتداءات من قبل بلاد العرب وسوريا وكان اليهود والإغريق هم العنصر الغالب بين سكانها . . وقد تم نقل اليونان من دافناى فى عهد الفرعون أمازيس Amasis إلى ممفيس ليحمى نفسه من المصريين الساخطين عليه .

ويقول هيرودوت إنه عندما هزم أمازيس سلفه ابريس وتوج فرعوناً ، فإن ثلاثين ألفاً من الايونيين والكاريين كانوا يحاربون مع الجيش المهزوم والعدد قد يكون مبالغاً فيه ، ولكن على ما يبدو أن الظروف الاقتصادية ، والاجتماعية فى بلاد اليونان قد دفعت بأعداد كبيرة من اليونانيين للرحيل إلى مصر للعمل كجند مرتزقة . كما أن أيسماتيك قد استعان بهم لحاجته إليهم لتأمين البلاد داخلياً ولطرد الآشوريين من مصر ويبدو أنه قد أعلن فى بلاد اليونان وكاريا عن حاجته لجند مرتزقة وأنه سيكافئهم بقطع من الأرض . وهكذا فقد تقاطر على مصر اليونان زرافات كجند مرتزقة وكمهاجرين مستوطنين فى نفس الوقت .

وتكشف لنا النقوش أن الفرعون أيسماتيك الثانى كان يعتمد على الجنود الإغريق ولعلمهم كانوا من اخلاف الأيونيين والكاريين الذين استقروا فى مصر فى زمن أيسماتيك الأول وكانوا قد منحوا حق الزواج من مصريات . فقد نقش هؤلاء الإغريق أسماءهم على رجلي تمثال رمسيس الثانى أمام معبد أبو سمبل فى النوبة وكان ذلك بمناسبة اشتراكهم فى غزو النوبة سنة ٥٨١ بقيادة الفرعون أيسماتيك الثانى . وتكشف لنا نصوص العصر المتأخر "الهليستى" عن وجود جاليتين فى ممفيس هما هيلنوممفيتاى Hellenomemphitae والكريوممفيتاى Caromemphitae . وهؤلاء كانوا من سلالة الايونيين والكاريين الذين خدموا فى جيش أيسماتيك الأول .

لقد تبع التجار والحرفيون الجنود المرتزقة في القوم إلى مصر وقد أسسوا
نقراطيس على فرع النيل الكانوبى ، ويرى البعض أنه من المرجح أن أبسماتيك
الأول هو الذى منحهم الاذن بالاستقرار فى هذه المنطقة وذلك بسبب أن التجار
الاغريق يمكنهم التحول بسهولة إلى قراصنة وأنه قد رأى أنه من الأفضل بكثير
لمملكته أن كل هؤلاء الأجانب يجمعون فى منطقة أو بقعة واحدة . ويستندون فى
ذلك علىلقى الأثرية من الربع الأخير من القرن السابع . ولكن هيردوت يقول
أن الفرعون أمازيس الذى كان محباً ومناصرأ للاغريق هو الذى منح للاغريق
الذين يفدون للتجارة فى مصر حق العيش فى نقراطيس واعطاهم أرضاً ليقيموا
عليها مذابح ومعابد آلهتهم ولكن هذا الرأى لا يمكن قبوله لأن أغلب المباني التى
كشفت عنها الأثاريون فى نقراطيس تثبت أن الإغريق قد بدأوا فى الاستقرار هناك
قبل حكم أمازيس بعدة عقود .

لقد اجتمع كثير من التجار من المدن اليونانية فى نقراطيس وهم :-
١- الأيونيون من خيوس ، تيوس ، فوكايا وكلازومنياى . ٢- الدوريين من
رودس ، كندوس ، هاليكارنوسوس ، فاسيس . ٣- الايوليون من ميتليني (السبوس)
وأقاموا جميعاً المعبد المسمى هيلينيون Hellenion ، بينما أقام اغريق آخرون من
ايجينا وساموس وميلتوس معبداً لزيوس ، وهيرا وأبوللو وكان هؤلاء التجار قد
استقروا فى المدينة ، كما عرفت نقراطيس الحرفيين اليونانيين فقد تم العثور على
أختام على شكل جعارين من صنعهم .. وقد على المدينة أيضاً تجار عابرين
وكانوا يقيمون فى السوق emporion يعاملوا كمواطنين فى نقراطيس .

فى الواقع عندما يحص الدارس المعلومات المتفرقة والغامضة حول
نقراطيس يدرك أنه لم يكن هناك مستعمرة إغريقية نمطية بالمره ، حيث أنها قد
تأسست على يد التجار من مختلف المدن ، ولم تكن هناك مدينة أم على الرغم من

أنه بعد عدة قرون ادعت ميلينوس هذا الشرف كما أن المستعمرة الاغريقية كانت مدينة مستقلة لها سيادتها وشخصيتها الاعتبارية ، ولم تكن فى الغالب مرتبطة بروابط تبعية بالمدينة المؤسسة لها ، أما بالنسبة لنقراطيس فقد تأسست فقط بعد السماح بذلك من قبل ايسماتيك . كما نجد أن جماعة مصرية كانت تقيم بالمدينة ، كما نجد أن الدولة وقد بذلت جهوداً لمنع الزواج بين المصريين والاغريق وهذا قد يعنى تشجيع اليونان على جلب زوجاتهم للاقامة فى مصر ، كما نجد أن منطقة نقراطيس كانت تدفع ضريبة العشر لمعبد مصرى وهذا ما كشف عنه نقش من القرن الرابع . كما كشفت الحفائر عن وجود قلعة كبيرة بالمنطقة . وكل هذا يشير إلى تبعيةها لمصر وأن اليونان المستقرين بها كانوا بمثابة جالية تجارية لعبت دوراً هاماً فى تنشيط التجارة بين مصر وبلاد اليونان فقد تم استيراد مصر الخم وزيت الزيتون بينما صدرت مصر الحبوب وربما السبرى والكتان والادوات والسلع البرنزية ولم تكن نقراطيس معبراً تجارياً فحسب بل مرت من خلالها الأفكار والفنون المصرية إلى بلاد اليونان مباشرة ودون وسيط . وقد سبق أن عرضنا لهذا فى فصل سابق .

وهكذا فقد انتشر اليونان وعاشوا فى مصر تحت سيادة الفرعون المصرى ، ومنتقل الآن لحديث عن قورينى .

كانت قورينى المستعمرة اليونانية الوحيدة بأدق معنى الكلمة . عرف اليونان النشاط الليبى منذ العصور الباكراة حيث أن الرياح الشمالية قادت سفنهم إلى هناك عندما أرادوا الذهاب إلى مصر . ولحسن الحظ فإن المصادر الأدبية قد قدمت لنا معلومات ضافية عنها وقد أكدتها ودعمتها نتائج التنقيبات الأثرية والنقوش .

قامت جزيرة ثيرا سنة ٦٣١ بتنظيم حركة استيطان المدينة وبرى لنا

هيردوت الظروف التي أدت بأهل ثيرا لخروجهم وتأسيسهم لقوريني . فقد عانت جزيرة ثيرا من الجفاف الطويل نتيجة عدم اطاعة نبوءة دلفية تأمرهم بالخروج لاستيطان ليبيا . وفي الحقيقة إن ذكر هيردوت للجفاف الطويل يشير إلى عدم كفاية موارد الجزيرة لسد حاجة سكانها المتزايدة ، وهذا ما كشفت عنه خطة أهل الجزيرة والتي ذكرها هيردوت وما أكده نقش لوحة المؤسسين في الخلاص من الزيادة الحالية والمستقبلية في السكان . فقد استقر الأمر على : ١- أن يتم اختيار أخ من أسرة بالجزيرة . ٢- إذا نجح المهاجرون لإقامة مستعمرة فإن من ينضم إليهم بعد ذلك من مواطنيهم يتمتع بكل الحقوق المدنية والسياسية . ٣- إذا ما فشل المهاجرون في إقامة مستعمرة في ليبيا خلال خمس سنوات فإنهم يستطيعون عندئذ العودة إلى ثيرا واستعادة ممتلكاتهم وحقوقهم السياسية . ٤- إذا رفض أحد ممن وقع عليهم الاختيار الذهاب إلى انشاء المستوطنة فإنه يكون عرضة للحكم عليه بالاعدام ومصادرة أملاكه وأن ذلك يكون أيضاً شأن من يأويه . ٥- إن موقف أهل الجزيرة الصارم والمضاد لعودة المهاجرين بعد عامين من هجرتهم والاقامة في جزيرة بلاتيا يكشف عمق الأزمة التي كانت تعانيها ثيرا . كما أنه يكشف التزام أهل ثيرا بالعهد والقسم ألا يقبلوهم إلا بعد خمس سنوات من هجرتهم .

لقد نظمت جزيرة ثيرا هجرة المواطنين فقدمت لهم سفينتين حملتا مائتي مهاجر بقيادة باتوس (أرسطو) وقد أثار اسم باتوس مشكلة والتي لها على الأقل ثلاثة احتمالات لحها . فلعن الاسم هو الاسم الحقيقي للمؤسس أو لعله لقب أو كنية ومعناها المتلعثم التي تنطبق على أرسطو ، أو كما يعتقد هيردوت أن المؤسس قد لقب بهذا اللقب لأن كلمة باتوس كلمة ليبية وتعنى الملك . وإذا ما كان تفسير هيردوت صحيحاً ، فمن ثم فإن الإغريق ، ومن بينهم أسرة باتوس ، قد توقفوا عن التفكير في الكلمة كلقب واستعملوها كاسم علم معتاد .

أبحر باتوس وأتباعه إلى اتانا Itana على الشاطئ الشرقى لكريت حيث استأجروا كريتي كمرشد لهم ، ومن المؤكد أن هذا المرشد كان على معرفة ودراية بالساحل الليبي . استقر المهاجرون ، فى البداية ، فى جزيرة بلاتيا الصغيرة بالقرب من الساحل * ، لمدة عامين ولكن لم يطب لهم العيش بها وأصابهم اليأس فقرروا العودة إلى ثيرا ولكن أهل ثيرا منعوا نزولهم بساحل الجزيرة ، فاضطروا للعودة إلى جزيرة بلاتيا ثانية ولكنهم استقروا فى جنوب الجزيرة وامضوا هناك . ست سنوات ولما كانت علاقتهم بالسكان الليبيين حسنة فقد نجحوا بفضل مساعدتهم للوصول إلى مكان قورينى وعند وصولهم قال لهم الأهالى هنا أيها الاغريق يلائمكم السكن لأنه يوجد ثقب فى السماء وفى هذا دلالة أكيدة على كثرة المطر فى المنطقة وملاءمتها للزراعة .

إن اسم قورينى Cyrana فى الدورية من الواضح أنه مشتق من الكلمة الليبية Kura وتعنى نبات البردق وكان هذا النبات يكثر بالفعل فى قورينى . ويقول يوساب القصيرى نقلاً عن المؤرخ الموسوعى أراتوستثيس Eratosthenes القورينى أنه قد تم تأسيس قورينى سنة ٦٣٠ ق.م وقد أكد أقدم الأدلة واللقى الأثرية هذا التاريخ .

أصبح باتوس زعيم المستوطنين ملكاً على المستوطنة الجديدة ، وأسس أسرة ملكية بها ووفقاً للقرائن فإن قورينى كانت هى المستوطنة الوحيدة التى كان

* وكان من عادة المستوطنين أن يستقروا بشكل أولى على جزيرة قريبة من الشاطئ حتى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم والتحصين بالمكان قبل محاولتهم التعرف على موقف السكان المحليين . وسجد مثال مشابه فى سيراكوز حيث أن جزيرة أورتيجا قد استقر بها الكورنثيون أولاً وهذا ما حدث قبل ذلك فى جزيرة بيتكوساى المواجهة لكوماى فى إيطاليا .

بها أسرة ملكية مثل مدينتها الأم التي كانت تحت الحكم الملكي ويتوارث حكمها الخلف عن السلف . وفي خلال عهدي باتوس الأول وابنه أركسيلاوس فقد وفد مستوطنون من ثيرا ومن الممكن أن بعض النساء قد حضرت مع الوافدين الجدد . ولما كان عدد المهاجرين الأول مائتي مستوطن فمن المرجح أنهم قد تناكحوا نساء ليبيات . واستمر وفود المهاجرين في عهد باتوس الثاني سنة ٥٨٠ ثالث ملوك الأسرة والذي كان قد وعد المهاجرين بقطع من الأرض في ليبيا والجدير بالذكر أن المهاجرين الذين كانوا وصلوا إلى قوريني كانوا من البلوبونيز وكريت والجزر وهذا يعنى أنه وجد نشر الدعوة في بلاد اليونان ككل لمن يرغب في الهجرة واعدأ اياه بقطع أرض . ونتيجة لوصول أعداد من المهاجرين ، كان عليه أن يدبر قطع الأراضي التي سيمنحهم إياها نظراً لتقصها في زمام مدينته ولذا نجده استولى على أراضى الوطنيين وكان هذا بداية للعداء معهم . ودارت الحروب بينهم وطلب الليبيون العون من الفرعون ابريس الذي أجابهم وسار بجيشه غرباً لنصرتهم والتقى بجيش باكوس حوالى سنة ٥٧٠. بالقرب من مدينتهم ودارت معركة منى فيها الفرعون بهزيمة قاسية وفي عهد أركسيلاس الثاني ابن باتوس الثاني حدثت سلسلة من المنازعات السياسية بينه وبين أخوته . واستمرت المنازعات فى عهد باكوس الثالث وتشير الروايات أن الأطراف المتنازعة قد حكمت بينها ديموناكس الاركادى وقد اقترح هذا الوسيط أولاً : الغاء تقسيم السكان وفقاً للقبائل الدورية الثلاث . وأحل محله تقسيم السكان إلى ثلاثة أقسام :

١- الثيرانيين والجيران Preoikai ويرى البعض أن الجيران كانوا من سلالة المؤسسين الأول من مدينة ثيرا وجيرانها أو كانوا إغريقاً لأن الإغريق لا يدخلون فى عداد مواطنيهم العناصر غير الإغريقية . ويخالف هذا الرأى باحث آخر ويرى أن الحلفاء أو الجيران كانوا من السكان المحليين الذين خالطهم

الثيرانيون وأن ديموناكس قد وصفهم ضمن الطبقة الأولى لتصحيح وضع خاطئ وأن ديموناكس جاء بعد انتصار أخوة الملك وأنصارهم الليبيين .

٢- المهاجرون البلوبونيز وكريت .

٣- المهاجرون من الجزر .

وثانياً : إقترح تقليص السلطة الملكية ومن الممكن أن يكون قد قصر سلطتها على الشئون الدينية ووضع السلطة الحقيقية فى الدولة فى أيدي من أسامهم هيردوت الشعب Lemas ومن الجدير بالقول أن الهيئات التنفيذية والتشريعية قد تشكلت من الطبقة الغنية والعليا فقط أى الطبقة الارستقراطية أو الاوليغرخية .

فمن القول لقد كانت قورينى مستوطنة زراعية وقد عليها المهاجرون من ثيرا على مراحل كما وقد عليها آخرون من البلوبونيز وكريت والجزر وهذا يعنى أن المستوطنة كانت غنية وذات ثراء عريض . وأن اكتمال سكانها اليونان والمهاجرون إليها استمر فترة طويلة استمرت عدة عقود .

ونستعرض الآن قائمة بأسماء المستوطنات والمدن التى أسستها .

أسماء المستعمرات الأيونية *

١	ميناس	Minacc	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٢	ألوناي	Alonac	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٣	هيمروسكوبوم	Ismeroscopeum	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٥	أجائى	Agathe	اسمها الآن أجدى Agde وأنشأتها مدينة مساليا

* تشير الأرقام إلى موضع المدينة على الخريطة .

اسمها باللاتينية Massilia واسمها المعاصر الآن Masscille وأنشأتها مدينة فوكيا Phocaea	Messalia	مساليا	٦
اسمها باللاتينية تورونتوم Tauroentum وأنشأتها مدينة مساليا Massalia	Taurocis	تورويس	٧
أنشأتها مدينة مساليا Massalia	Olbia	أولبيا	٨
أنشأتها مدينة مساليا Massalia	Athenopolis	أثينوبوليس	٩
اسمها الآن أنتيبس Antibes وأنشأتها مدينة مساليا Massalia	Antipolis	أنتيبوليس	١٠
وهي الآن مدينة نيس Nice الفرنسية الشهيرة وأنشأتها مدينة مساليا Massalia	Nicaca	نيكايا	١١
أنشأتها مدينة فوكيا Phocaea	Alalia	ألايا	١٢
باللاتينية كوماي Cumae وأنشأتها خالكيس Chalchis	Cyme	كومي	١٣
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Phithecusac	بتي كوزاي	١٤
أنشأتها مدينة كومي Cyme	Dicaearchia	ديخايرخيا	١٥
مدينة نابولي الإيطالية الشهيرة الآن أنشأتها مدينة كومي Cyme	Neapolis	نيابوليس	١٦
فيليا Velia باللاتينية أنشأتها مدينة فوكيا Phocaea	Elea	إليا	١٨
مدينة ريجيو الشهير الآن Reggio - أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Rhegium	ريجيوم	٢٤
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis ثم تغير اسمها	Zancle	زانكلي	٢٥

باللهجة الدورية وأصبح ميساننا Messana			
أنشأتها مدينة زانكلي Zancle	Himera	هميرا	٢٧
مدينة لنتيني الحالية Lentini ، أنشأتها مدينة خالكيس	Lcontini	ليوننتيني	٣٦
مدينة كتانيا الإيطالية الشهيرة الآن Catania ، أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Catana	كتانا	٣٧
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Naxos	ناكسوس	٣٨
أنشأتها مدينة كولوفون Colophon	Siris	سيريس	٤٣
أنشأتها مدينة اريتريا Eretria	Methone	ميثوني	٥٥
	Therma	ثيرما	٥٦
أنشأتها مدينة اريتريا Eretria	Mende	مندي	٥٩
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Mccyberna	ميسى برنا	٦٠
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Semerle	سمرلي	٦٢
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Galepsus	جالبوس	٦٣
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Torone	توروني	٦٤
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Singos	سينجوس	٦٥
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Assa	اسا	٦٦
أنشأتها مدينة أندروس Andros	Sanc	سانى	٦٧
أنشأتها مدينة أندروس Andros	Acanthus	أكانثوث	٦٨
أنشأتها مدينة أندروس Andros	Stagirus	ستاجيروس	٦٩
أنشأتها مدينة أندروس Andros	Argilus	أرجيلوس	٧٠
أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos	Galypsus	جاليبوس	٧١

أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos	Ocsyme	أويسيمي	٧٢
أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos	Ncapolis	نيابوليس	٧٣
أنشأتها مدينة باروس Paros	Thsosh	ثاسوس	٧٤
أنشأتها مدينة كلازوميناى Clazomenac	Abdcra	أبديرا	٧٥
أنشأتها مدينة خيوس Chios	Maronea	مارونيا	٧٦
أنشأتها مدينتى ميليتوس Miletus و كلازوميناى Clazomenae	Cardia	كارديا	٧٧
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Limnae	ليمناى	٨٠
أنشأتها مدينة تيوس Teos	Elaus	ايلالوس	٨١
أنشأتها مدينة أثينا Athens	Pactye	باككتيه	٨٤
أنشأتها مدينة ساموس Samos	Pisanthe	بيزنثى	٨٥
أنشأتها مدينة ساموس Samos	Perinthus	بيرنثوس	٨٦
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Apollonia	أبولونيا	٨٧
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Odessus	أوديسوس	٩١
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Calatis	كالاتيس	٩٢
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Tomis	توميس	٩٣
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Istrus	إيستروس	٩٤
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Tyras	تيراس	٩٥
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Olbia	أولبيا	٩٦
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Theodosia	ثيودوزيا	٩٨
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Panticapaeum	بانتيكايوم	٩٩
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Tanias	تانياس	١٠٠

أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Phanagorea	فاناجوريا	١٠١
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Pityus	بيتوس	١٠٢
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Dioscrias	ديوسفورياس	١٠٣
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Phasis	فاسيس	١٠٤
وهي مدينة ترابزوند Trebizond البيزنطية في العصور الوسطى - أما اسمها التركي الآن فهو ترابزوند Trabzond وأنشأتها مدينة سينوبي Sinope	Trapczus	ترابزوس	١٠٥
أنشأتها مدينة سينوبي Sinope	Cerasus	كيراسوس	١٠٦
أنشأتها مدينة سينوبي Sinope	Cotyora	كوتورا	١٠٧
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Amisus	أميسوس	١٠٨
وهي مدينة سينوبي Sinope التركية الحديثة ، وأنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Sinope	سينوبي	١٠٩
	Cytorus	سيتوروس	١١٠
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Tieum	تيوم	١١١
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Cius	سيوس	١١٥
أنشأتها مدينة كولوفون Colophon	Myrica	ميرليا	١١٦
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Miletopolis	ميليتوبوليس	١١٧
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Cyzicus	كيزيكوس	١١٨
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Proconnesus	بروكونيسوس	١١٩
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus أو مدينة كوزيكوس	Priapus	بريابوس	١٢٠

أنشأتها مدينة باروس Paros	Parium	باريوم	١٢١
حاضرتها مدينة ميليتوس Miletus	Coloniae	كولوناي	١٢٢
حاضرتها مدينة ميليتوس Miletus	Pacus	بايسوس	١٢٣
مدينة لابزاعي Lapsaki اليوم وأنشأتها مدينة فوكايا Phocaea	Lampsacus	لامبساكوس	١٢٤
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Abydus	أبيدوس	١٢٦
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Scepis	سكيبيس	١٣٢
أنشأتها مدينة ساموس Samos	Nagidus	ناجيدوس	١٣٥
مدينة جيلنديرة Gilindire الآن أنشأتها مدينة ساموس Samos	Celenderis	سيلنديريس	١٣٦
أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis	Posidcum	بوزيديوم	١٣٨
أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus	Noucratis	نوقراطيس	١٤٢

المستعمرات الأخية Achiain Colonies

مدينة بايستوم باللاتينية	Posidoncs	بوزيدونيا	١٣
	Scidrus	سكيدروس	١٩
	Laus	لايوس	٢٠
	Terina	تيرينا	٢١
	Caulonia	كولونيا	٢٢
باللاتينية كروتونا Crotona وبالإيطالية Crotona	Croton	كروتون	٤١
	Sybaris	سيباريس	٤٢

بالإيطالية الآن ميتابونتو Metaponto	Metapontum	ميتابونتوم	٤٤
	Scione	سيولى	٦٠

المستعمرات اللوكرية Locrian Colonies

أنشأتها مدينة لوكرى ابفزيفيرى Locri Epizephyrii	Hipponium	هيبونيوم	٢٢
	Medma	مدما	٢٣
	Locri Epizephyrii	لوكرى ابفزيفيرى	٣٩

المستعمرات الدورية Doriam Colonies

أنشأتها مدينة امبورياس Ampurias التى أنشأتها بدورها جزيرة رودس Rhodes	Emporac	امبوراي	٤
الآن روزاس Rosas وأنشأتها جزيرة رودس	Rhodc	رودا	٢٤
أو رودى Rhode وأنشأتها جزيرة رودس	Rhodanosia	رودانوسيا	٢٥
الآن بالإيطالية ليبارا Lipara وأنشأتها كيندوس Cindos وجزيرة رودس	Lipara	ليبارا	٢٦
أنشأتها ميچارا هيبالابا Megara Hyblaea	Selinus	سيلينوس	٢٨
بالاتينية أجريجتوم Agrigantum وبالإيطالية الآن أجريجتو Agrigento أو جريجتى Girgenti	Acragas	أكراجاس	٢٩
أنشأتها كنيديوس Cnidus ورووس	Gela	جيلا	٣٠

أنشأتها ميراتوزا	Camarina	كامارينا	٣١
أنشأتها ميراتوزا	Camcnae	كاميناى	٣٢
أنشأتها ميراتوزا	Acrac	أكرای	٣٣
بالإيطالية الآن سيراقوزا وأنشأتها مدينة كورنثى	Syracusa	سيراقوزا	٣٤
باللاتينية تارانتوم وبالإيطالية الآن تارنتو Tasanto أنشأتها مدينة أسبرطة	Taras	تاراس	٤٥
الآن جاليپولى Gallipoli وأنشأتها تاراس Taras	Callipoles	كاليپوليس	٤٦
باللاتينية هيدرونتوم Hydruntum وبالإيطالية أوترانتو Otranto وأنشأتها ربما تاراس ? Taras	Hydrus	هيدروس	٤٧
باللاتينية ديرهاخيوم Dyrrhachium والآن بالإيطالية دورازو Durazzo وبالالبانية دوريش Durrce وأنشأتها مدينة كوريزا Coryza	Epidamnus	ايبيدامنوس	٤٨
الآن بالإيطالية بولينا Pollina وبالالبانية بوجان Pojan وأنشأتها مدينة كورنثى	Apollonia	أبولونيا	٤٩
أنشأتها كورنثى	Corcyra	كورسيرا	٥٠
أنشأتها كورنثى	Ambracia	أمبراسيا	٥١
أنشأتها كورنثى وكورسيرا	Anactorium	أناكتوريوم	٥٢
أنشأتها كورنثى	Lcucas	لوكاس	٥٣
أنشأتها كورنثى وكورسيرا	Sollium	سولليوم	٥٤
أنشأتها كورنثى	Aenea	أينيا	٥٧

أنشأتها كورنثى	Potidca	بوتيديا	٥٨
الآن سيليفرى Silivri و أنشأتها ميچارا Megara	Selimbria	سيلمبريا	٨٧
أنشأتها ميچارا Megara	Byzantium	بيزنطة	٨٨
أنشأتها ميچارا Megara	Mcsembria	ميسيمبريا	٩٠
أنشأتها هيراكليا Heraclia	Chersoncsus	خرسونيوس	٩٧
الآن اريكلى Erekli و أنشأتها ميچارا Megara	Heraclca	هيراكليا	١١٢
الآن كاديكوى Kadikoi أنشأتها ميچارا Megara	Calchedon	كالخيدون	١١٣
أنشأتها ميچارا Megara	Astacus	أستاكوس	١١٤
أنشأتها رودس Rhodes	Phaselis	فاسيليس	١٣٣
أنشأتها رودس Rhodes	Soli	سولى	١٣٧
أنشأتها ثيرا Thera	Cyrene	قورينى	١٤٢
أنشأتها قورينى Cyrene	Barca	برقة	١٤٤
الآن توكرى Tohra و أنشأتها برقة Barca	Touchira	توخيرا	١٤٥
أنشأتها قورينى ربما ؟ Cyrene	Eusperides	يوسبريدس	١٤٦

المستعمرات الأيولية Aeolian Colonia

أنشأتها ميتيلينى Mytilene و ألبوكونيسوس Alepoconcsus	Aenus	اينوس	٧٧
أنشأتها ميتيلينى Mytilene	Aloppoconcsus	ألوبوكونيسوس	٧٩
الآن مايتو Maito	Madytus	ماديتوس	٨٢
	Sestus	سيستوس	٨٣

	Dardanus	داردانوس	١٢٧
	Sigeum	سيجيوم	١٢٨
	Tenedos	تينيديوس	١٢٩
	Assus	أسوس	١٣٠
	Antandrus	أمتاندروس	١٣٢
	Side	سيدي	١٣٤

مستعمرات في قبرص

	Salamis	سلاميس	١٣٩
	Soli	سولى	١٤٠
	Paphos	بالفوس	١٤١

وبعد أن عرضنا لأهم المستوطنات نعرض الآن لأهم مظاهر وسمات حركة

الاستعمار وهى :

١- لم تشترك كل الشعوب الإغريقية بنفس النسبة فى حركة الاستعمار فلم يشترك الاليريون والمقدونيون ، إلا فى الفترة المتأخرة بعد غزوات الاسكندر ، فى غزو وارتياح البحار ، ولكن أنشأت بعض الشعوب اليونانية التى تعيش حياة القبائل الرعوية مثل أهل كل من لوكرى وأخيا مستوطنات زاهرة . وإن كانت المدن العامرة فى بلاد اليونان هى التى قامت بالدور الأكبر فى حركة الاستعمار فبعد أن استقرت أحوالها تماماً فى أراضيها وتعلمت وسائل ارتياح البحار وكانت قد بلغت فى تنظيماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية درجة من التطور مثل كورينثة وخالكيس وارتريا وميجار وناكسوس وباروس

وميليتوس .

٢- اختلفت سياسة المستعمرات تجاه السكان المحليين أو الوطنيين اختلافاً كبيراً وذلك تبعاً لقوة ووفرة أعداد المستعمرين ، ووفقاً للقوة العسكرية ولشروعة وحضارة السكان المحليين والذين سيصبحون سادتهم أو جيرانهم ، فعندما كان الإغريق متعدّدو المواهب يتعاملون مع القبائل البدائية كانوا يعرفون كيف يجعلون أنفسهم مرحباً بهم ، فكان الإغريقي يحضر معه الهدايا التي ترضى وتسر وكان يجد الكلمة أو الإشارة التي تسحر ، فكان يتحدث مع الرجال ويقيم علاقات جنسية مع النساء وكان يحصل من خلال المناقشة على الاتفاق الذي يريده مثل الحق في فتح سوق أو احتلال شريط من الأرض للتوطن فيه ومن الأمثلة على ذلك عندما رسي أهل في فوكايا على أراضي قبيلة ليجورية نجد أن ابنة زعيم القبيلة قد اتخذها زعيم المهاجرين زوجة له وتم تأسيس ماساليا وعندما نزل أهل ثيرا في جزيرة بلاتيا أقاموا علاقات طيبة مع الليبيين ومن خلال ذلك فقد ساعدوهم على الانتقال واستيطان قوريني وعاشوا معاً في سلام ولكن عندما زادت قوتهم استولوا على أراضي الوطنيين مما سبب العداة بينهم . وفي شمال البحر الأسود فإن اكيـميريين Cemmerians والاسكـيـثيين والسارماتيين قد استقبلوا التجار الايونيين استقبالاً طيباً . وبمجرد استقرار الإغريق في أغلب البلاد التي نزلوا بها نجدهم يحاولون أن يتوسعوا وغالباً ما كانوا يستخدمون القوة حيناً ، وبعون من الخديعة والخيانة حيناً آخر أو كلاهما معاً . فالكثير من المستوطنات قد أنشأت على مناطق مفتوحة عنوة مثل سيراكوز وليوننتيون وامبراكيا ونجد أن اللوكريين عندما نزلوا في إيطاليا قد عقدوا معاهدة صداقة مع السكان المحليين ثم لجأوا إلى الخديعة وطردهم . وأيضاً ما قام به القورينائيون مع السكان المحليين في الاستيلاء على أراضيهم وطردهم .

ونجد أيضاً أن بعض المدن ووفقاً لجذورها لم تطرد السكان المحليين ولكن انزلتهم إلى مرتبة العبودية لأنها وجدت من الأفضل أن تستثمر الأراضي من خلال أصحابها الأصليين ، والأمثلة على ذلك قيام المستوطنون في سيراكوز وبيزنطة وهيراقليا بونتيفا بربط أعداد كبيرة من السكان المحليين بالأرض وجعلوهم يحرثونها ويزرعونها . ولكن نجد أن الشعوب المحلية في المناطق الداخلية قد وقفت ضد المستوطنات وحاربتها وأوقفت توسعها . ومن بين هذه الشعوب السكان المحليين في غرب صقلية والقبائل والشعوب المحلية في منطقة البحر الأسود . وكما نعرف أنهم قد أقاموا ببعض الدول القوية بعد الحصول على تصريح مثل ليديا مصر . وفي ضوء ما سبق فقد نجح الكثير من المهاجرين في تأسيس مستوطنات ولكن فشل البعض في محاولاتهم نتيجة للمتابع التي سببها السكان المحليون ومن ذلك ابديرا .

٣- لدينا أمثلة عديدة عن مستعمرات أسست هي الأخرى مستعمرات بعد سنوات قليلة من تأسيسها عندما ضاقت أرضها أو لأنها محرومة من الظهير الزراعي . أو للاضطرابات والنزاعات بين المهاجرين ، بينما نجد أن بعض المستوطنات الأخرى نظراً لقلّة سكانها ولاتساع رقعة الأرض الزراعية المجاورة لها تدعو اليونان إلى الهجرة إليها جيل وراء جيل مثل قوريني .

٤- إن مفهوم حركة الاستعمار اليونانية في العصر العتيق يختلف في معناه في الغالب الأعم عن مفهوم الاستعمار الحديث . فقد كان جل المستوطنات تنشأ وتتطور بشكل مستقل عن المدينة الأم فكانت هذه المستوطنات مدنناً مستقلة بشكل كامل عن المدينة الأم فلا تبعية سياسية لها . ومع ذلك فقد وجدت بعض الأمثلة والاستثناءات التي ربطت فيها المدن المستعمرة مستعمراتها بها وتشدها إليها بأوثق الروابط ومن هذه المدن كورينثة التي أسست سلسلة من

المستعمرات على الشاطئ الشمالى الغربى لليونان وجعلتها تحت سيطرتها
وحكمها المباشر ، والمثال الثانى هو أثينا وتأسيسها مستوطنة فى منطقة
الهلبوبونت فى القرن السادس .

٥- أن المستوطنين ملاك أو حائزى قطع الأرض سيحبون العنصر الارستقراطى
على عكس المستوطنين الذين يفدون إلى المستوطنة فيما بعد فى الغالب الأعم ،
وأعضاء الطبقات الحرفية . فهؤلاء الأرسقراط ، والذين كان الكثيرون من
أجدادهم من الفقراء ، هم الآن ينتمون إلى طبقة الموسرين وطبقاً للطبيعة
الانسانية فقد نسوا ما عانوه هم أو أبائهم أو أجدادهم فى بلادهم الأصلية ولم
يظهروا عطفاً على الأشخاص الأقل حظاً والذين زادوا بمرور الوقت فى
المستوطنات .

٦- من المرجح أن الاجراءات التى اتخذتها المدن بشأن تنظيم وإرسال مستوطنين
وتأسيس مستوطنات قد اختلفت مع بعضها البعض خاصة فى الفترة الباكرة ،
ووفقاً لرواية هيردوت ونقش لوحة المؤسسين لمدينة قورينى كانت الدولة
تشرف على حركة الهجرة بل تنظمها وتمولها ، ولعل بعض المبادرات قد أتت
من بعض القادة ومن بين هؤلاء دوريبوس شقيق الملك الاسبرطى كليومينيس ،
وفى الغالب الأعم فإن الطبقة الارستقراطية أو الاليجرخية الحاكمة هى التى
أرسلت المستوطنين كحل للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تفتلق
الحكومة . وقبل القيام بالاستيطان كان لابد من الحصول على رضاء ومباركة
لاقامة مستوطنة وذلك بسؤال وحى دلفى ودورنا قبل القيام بالعمل أو حتى بعده
بغرض حض وحث المواطنين بالمدينة ومواطنى المدن الأخرى على الهجرة .
وبعد أن تقرر مدينة تأسيس مستعمرة فإنه من الراجح المتبع أنها كانت تدعو
الراغبين للهجرة للتجمع ولكن من الواضح أن الاجراء المتبع فى تأسيس

قوريني أنه إذا لم يأت راغبون كافون في الهجرة فإنه كان يتم استخدام الارغام على الهجرة وفي نفس الوقت ترك الباب للراغبين بمحض ارادتهم . ومن الواضح أيضاً أن الدولة هي التي كانت تعين قائد المستوطنين *ækistis* وتحت اشرافه كانت تؤسس المستوطنة الجديدة وكان واجبه الأول هو تخصيص قطع الأرض للمستوطنين . وبعد موته كان يدفن في مكان مميز في المستوطنة حيث يلقي التكريم كبطل وكمؤسس مبجل للمدينة .

٧- علي الرغم من أن غالبية المستوطنات كانت مستقلة عن المدن الأم وأنها كان من حقها أن تقيم علاقات مع كل بلاد اليونان دون تدخل من مدينتها الأم . إلا أننا نجدها تقيم وتحفظ بعلاقات قوية مع مدينتها الأم ، وأبدت احتراماً بأبطالها، فكانت ترسل السفراء في المناسبات الخاصة ، كما استبعدت النزاعات فيما بينها في الغالب ما وسعها إلى ذلك سبيلاً وإن كان هناك استثناءات مثل الحرب بين كورينثة وكوركورا . كما نجدها قد عقدت معاهدات تجارية ومحالفات عسكرية فيما بينها . وهذا قد قوى الروابط فيما بينهم ، وقد زاد من قوة الروابط أن المستوطنين في الغالب كانوا قد نقلوا المؤسسات السياسية والدينية مثل نظام الحكم ، التقسيم القبلي ، وكانوا يأخذون جذوة من النار المقدسة وتتبعنهم آلهة المدينة الأم لحمياتها ، والابجدية واللغة ونظام التاريخ ، كما أنه صار من العرف والتقاليد أنه عندما تنوى المستوطنة بإنشاء مستوطنة جديدة أن ترسل إلى مدينتها الأم لترشح لها قائد *ækistes* للمهاجرين . فعلى سبيل المثال عندما أسست كوركورا المستعمرة الكورينثة مستعمرة لها وهي اييداموس فقد أرسلت مستوطنينها تحت قيادة زعيم أو قائد من كورينثة .

٨ - لقد حد من حركة الهجرة والاستيطان للإغريق موقف الأمم المتحضرة الأخرى (قرطاج) والتي أوقفنها بشكل تام في الغرب ، كما نجد الظروف الداخلية في بلاد اليونان قد فعلت فعلها في الحد من الهجرة ومن هذه الأحوال اقرا مبدأ الملكية الفردية بدلاً من الملكية المشاعية للأسرة وحق الابن الأكبر في الميراث ، كما أن نمو الصناعة والتجارة قد خلق فرص جديدة للعمل في بلاد اليونان وانعدام البواعث التي جعلت أمثالهم يرحلون في الماضي خارج أوطانهم بحثاً عن الرزق والعمل ، كما أدت الثورات الشعبية إلى تحسين أحوال الجماهير وأصبحت الظروف سانحة لهم للحصول على الأرض الزراعية . ولذا سنجد أن حركة الهجرة قد بدأت شبه متوقفة في القرن الخامس ، وإن كان خروج الإغريق مستمراً للعمل كجند مرتزقة سواء في مصر أو في فارس .

نتائج حركة الاستعمار :

- ١- انتشار الإغريق على سواحل البحر المتوسط والبحر الأسود ، وقامت المئات من المدن الدول وعلى الرغم من أن بعضها قد تأثر بالأحوال المحلية فإن أغلب هذه المدن قد تطور على نفس نسق المدن الأم ولكن نلاحظ أن المدن الجديدة كانت أكثر تنظيماً وثراء من المدن الأم وبالتالي فقد أثر هذا على المدن الأم .
- ٢- لقد عمقت حركة الاستعمار التي خلقت مئات المدن الدول الجديدة ميل الإغريق وتفضيلهم العيش في تجمعات صغيرة مكفية ذاتياً ، وزادت وكرست الانعزالية السياسية عندهم بشكل كبير .
- ٣- أن عيش وإقامة اليونان في المستعمرات قد ولد فكرة التضامن الهليني Panhellenism بصورة كبيرة عما كان عليه الحال في بلاد اليونان ، فالمدنية الجديدة عادة ما تؤسسها عناصر من مدن مختلفة وسرعان ما يشعر هؤلاء

نتيجة لإقامتهم بين شعوب أجنبية تماماً أنهم من أبناء شعب واحد ومن هذه المستوطنات قورينى ونقراطيس . لقد شعروا بالفروق الواضحة بينهم وبين مختلف الشعوب بينما كانت الفروق غير واضحة ، والمستوطنون سواء أكانوا من كورينثة أو ميلنوس أو كوريس أو خالكيس أو ميجارا فإنهم جميعاً يتكلم لغة واحدة ولهم نفس التقاليد الموروثة من عصر الأبطال ويشتركون فى ديانة وأفكار دينية واحدة وطرق الحياة وعلى الرغم من أن الاغريق قد تصاهروا مع بعض السكان المحليين فى صقلية وتراقيا وليبيا ، فإن أغلبهم ظل منغلِقاً على نفسه وكلما مرت السنون وتطورت الحياة فى مدنهم على العكس من التقاليد القبليّة وتقاليد المجتمعات المجاورة لهم فإن الاغريق قد بدأوا يفكرون فى أنهم مختلفون عن هؤلاء الناس الآخرين وأصبحوا مدركين أكثر فأكثر أنهم وحدة واحدة وأصبح يطلق عليهم هيلينيون Hellenes فى مقابل Birbariana .

٤- لقد ولدت حركة الاستعمار الشعور بالوحدة بين الاغريق من جهة أخرى وذلك من خلال المشاركة فى الالعاب الأولمبية التى أقيمت سنة ٧٧٦ وفى الاحتفالات بمناسبة الاعياد الهلينية الأخرى ، البيثية ، والاستمئية والنمية ، ويبدو أن هذه الاعياد كانت أعياد محلية فى البداية ولكن بمرور الوقت فقد أصبحت هلينية لكل الاغريق والفضل فى ذلك يرجع إلى المستوطنات فقد كان المهاجرون سعداء فى أن يعودوا بين الحين والحين إلى المدن فى بلاد اليونان . وفى شهر أغسطس كل أربع سنوات كانوا يذهبون زرافات إلى أوليمبيا لمشاهدة مسابقات الأبطال من كل المدن وللمشاركة فى الاحتفالات الرياضية وأيضاً لعقد بعض الصفقات التجارية وللمشاركة فى الاحتفالات الدينية أمام معبد زيوس وهيرا . وهكذا فقد حافظت هذه المناسبات على روح الوحدة بين الإغريق بل عمقتها .

٥- إن بعض المدن الجديدة خاصة مدن صقلية وجنوب إيطاليا نظراً لما كانت تتمتع به من ثراء عريض قد ساهمت في دفع وتطور الشعر فقد ظهر الشعر الغنائي وظهرت التراجيديات والكوميديا وظهرت النظريات الفلسفية من فيثاغورثية وسوفسطائية ، كما ازدهرت العلوم وتطور الفكر السياسي الذي جاء نتيجة للتغييرات الاقتصادية الهائلة وما نتج عنها من تغييرات اجتماعية . وهو ما سنناقشه في الصفحات التالية . وكان ازدهار العلوم والآداب راجع إلى نقل اليونان للإبجدية الفينيقية ومعرفة الكتابة التي أحدثت ثورة في الحياة العقلية اليونانية ، وفي الواقع فقد دافعهم لاستخدام الكتابة هو إجراء وتسجيل العمليات التجارية .

التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الناجمة عن حركة الاستعمار .

التطورات الاقتصادية

عندما بدأت حركة الاستعمار كان اقتصاد المدن اليونانية اقتصاداً زراعياً رعوياً في المقام الأول بينما لعبت التجارة والصناعة فيه دوراً هامشياً . ولكن بدأت أهمية التجارة والصناعة في التعاضد مع انتشار المستعمرات اليونانية على نطاق واسع في حوضي البحرين المتوسط والأسود ، وهذا قد أدى إلى خلق سوقى البحرين المتوسط والأسود تشجيع تقسيم العمل وإقامة حركة تجارية نشطة بين مدنها المختلفة وقد ساعدت عدة عوامل على ذلك منها :

١- أن السوق agore كانت أرضاً مقدسة محايدة في الأصل حيث كان يفد عليها مختلف أفراد الأسر لإجراء تعاملاتهم التجارية أو عندما زادت سيادة المدينة على منطقة كبيرة ، فقد كانت هناك أسواق التخوم والتي تحميها القوانين الدينية ضد العنف .

٢- كانت مواسم انعقاد الاعياد الدينية مواسم حرم يعم فيها السلام والأمان وهذا قد

ضمن وأكد حماية الآلهة للتجار وتجارتهن ، كما أن قوانين المعابد قد ضمنت وكفلت الحماية لكل المشاركين من مختلف البلدان في أعياد الآلهة المعقودة في دلفي واوليمبيا ونيميا واستموس وتيثوريا Tithorea وفوكيس واندانيا Andania في ميسنيا . فكان من يخرق قانون الحماية معرضاً لعقوبة الحرمان من عضوية الجماعة والموت ، وبمجرد اعلان هدنة الاله ekeileiria فإن الناس كانوا يتوافدون من كل فج عميق وهم أميين ليحضرن الأعياد ويشاهدون المباريات والمسابقات ، وفي نفس الوقت لتبادل المنافع التجارية فيما بينهم . وكما هو معروف فإن الجموع الكبيرة من الحاضرين لتلك الأعياد كانوا بحاجة إلى طعام وأصاحي ، وهدايا والسلع النافعة ومن هنا كان يتم تبادل السلع والمواد وهذا قد خلق أسواقاً رائجة بجوار المعابد . كما أن الحماية التي تتمتع بها الأجانب في الأسواق بالقرب من المعابد قد امتدت غالباً إلى الموانئ التي كانت تقع على حدود السوق وفي أجوار المعبد . ففي نقراطيس فإن السوق كلن له اله خاص . وفي افسوس في الميناء المقدس بالقرب من المخازن والاسواق كان يوجد معبد ربة المدينة ارتيميس . إن قداسة الموانئ وملحقاتها قد جعلتها أماكن حقيقية للجوء asylum فقد كان ممارسة حق الاسر والقرصنة المسموح بهما في البحار يمكن أن يمنع في الموانئ .

٣- زادت حكومات المدن الاهتمام بتشبيد الطرق الداخلية والعناية بها وتأمينها وذلك نتيجة زيادة أهمية المعابد الكبرى . وقد استخدمت هذه الطرق لنقل السلع والبضائع سواء على ظهور البغال أو بالعربات . أو على ظهور الأفراد كما فعل أهل ايجيا في كل أنحاء البلوبونيز وهم حاملين شئطهم .

٤- تطور فن بناء السفن وفن الملاحة ، فقد عرف اليونان بناء السفن التجارية الكبيرة والمستعدة لرحلات طويلة . كما اعتنوا ببناء السفن الحربية السريعة

الحركة والمناورة . وبفضل هذه المدن فقد نجحوا فى الحد من القرصنة وتأمين البحار . وهذا قد سهل حركة التجارة بشكل كبير .

٥- ابتكار العملة قد سهل كثيراً العمليات التجارية المختلفة . كانت بلاد اليونان بحاجة إلى المواد الخام والحبوب وبدأت هذه المنتجات تصب فيها بكميات كبيرة من كل مناطق البحرين الأبيض والأسود . فقد شحنت الحبوب من صقلية وإيطاليا وكريشيا عبر أوليميا ، ومن الراجح من مصر عبر نقراطيس ، كما ضمت بلاد اليونان شحن المعادن التى كانت شحيحة فيها فقد ضمنت وصولها من مصادر كثيرة : فمن ليديا ومصر وثاسوس وتراقيا حصلوا على الذهب ، ومن ثاسوس وتراقيا واسبانيا حصلوا على الفضة ومن قبرص حصلوا على النحاس ومن قبرص وكيليكيا واثورريا وفى نهاية القرن السابع من الساحل الجنوبي للبحر الأسود حصلوا على الحديد . ومن أفريقييا العاج ومن تراقيا ومقدونيا حصلوا على الخشب ومن المحطات التجارية على البحر الأسود حصلوا على الأسماك المجففة والمملحة ومن المرجح مواد رفاهية أخرى ، ومن قوريني السلفيوم ومن الشرق مختلف التوابل وخاصة البخور الذى صار ضرورياً للاغراض الدينية وطقوس العبادة .. هذه المواد والسلع قد أصبحت بشكل دائم جزءاً من الحياة اليونانية . ولدفع ثمن هذه الواردات كان على بلاد اليونان أن تنمى صادراتها ، فقد بدأ اليونان فى العناية بغرس الكروم والزيتون ، كما زادوا من انتاج ورشهم المختلفة وتصديره هو الآخر لسكان المستوطنات والشعوب المجاورة والذين أصبحوا زبائن دائمين للمنتجات اليونانية والتى من أهمها المنتجات الفخارية والخزفية التى استخدموها فى كافة الأغراض مثل الجرار الكبيرة لحفظ الزيت والنيبذ والاطباق وأنية الطهى وأنية العطور . وكان يتم انتاج الفخار فى كل مكان يوجد به مواد خام جيدة . وكان من أشهر

مراكز صناعة الفخار كورينثة فكانت المركز الأول في العالم اليوناني ابان القرن السابع وحلت اثنينا محلها كمركز لتصنيعه في القرن السادس وبعد الفاخورية والخزافية يأتي صناع المعادن وعمال النسيج وهم من الراجح كانوا أكثر الحرفيين نشاطاً فقد أصبحت ميليتوس من أشهر مراكز انتاج المنسوجات الصوفية وهناك العديد من المدن التي أنتجت المصنوعات المعدنية والاسلحة وكانت خالكيس أهم مراكزها . وهكذا فقد صار لكل من التجارة والصناعة أهمية ومكانة خاصة عند اليونان إذ نجدهما قد قدمتا فرصاً جديدة ليس لكسب لقمة العيش لليونانيين الاحرار فقط بل جعلتا الثروة المنقولة تفيض في أيديهم .

لقد كانت التجارة في المجتمع الهومري وكما سبق أن ذكرنا غالباً في أيدي الفينيقيين ، وأن أصحاب الحرف والمهن كانوا أدنى مرتبة من ملاك الأراضي الكريمي المحتد . ومع تطور المدينة في العصر الأرخي ونمو الانتاج فقد قام الناس بمبادلة ما يفيض عليهم من منتجات بمنتجات أخرى ، وهذا ما رواه لنا هيسود من أن الرجل كان يشحن ما يفيض على حاجته سواء أكانت زراعية أو مواد مصنعة لتصريفه في الخارج . ونعرف أن بعض كبار الزراع كانوا يقومون بمبادلة ما يفيض من انتاج أراضيهم من النبيذ وزيت الزيتون بسلع أقطار أخرى ، فقد كانت ملكية السفن الضخمة في أيدي الأرسقراط كبار ملاك الاراضي ، ففي خالكيس فإن طبقة الفرسان Hippobotae الذين كانوا يرقبون خيولهم تجرى في السهل كانوا يشرفون في نفس الوقت على العمل في مناجم النحاس ويرسلون ما يستخرجوه إلى المستعمرات . وفي كورينثة فإن الأسرة الحاكمة الباكخيائية قد جعلت من حرفة التجارة تقليداً عائلياً ثم استولت على حكومة المدينة نفسها . كما نجد من نبلاء بعض المدن من اشتغل بالتجارة ومن بين هؤلاء خاراكسوس Charaxos من لسبوس ، وكان أخصاً للشاعرة سافو ، فقد اعتاد هذا النبيل الذهاب

إلى مصر مع شحنات النبيذ . كما نجد الزراع البسطاء كانوا يشحنون ما يفيض عليهم من منتجات وبيادلوونها بمنتجات هم بحاجة إليها وكان من بين هؤلاء أخو هيسودوس .

كما نجد أن هناك فئة من التجار كانوا صناعاً وتجاراً ، فقد صار الكثير من طبقة الحرفيين تجاراً فى الموسم الذى كان الابحار فيه مأموناً (من ابريل إلى سبتمبر) حيث تكون البحار هادئة . فقد كان هؤلاء يعملون كحرفيين خلال الجزء الأكبر من السنة خلال فصلى الخريف والشتاء . وعندما تصبح الملاحسة مأمونة العواقب فإنهم أو بعض أفراد أسرهم كانوا يشحنون منتجاتهم التى أنتجوها على متن سفينة تجارية ويبحرون لتصريفها فى الموانئ الاجنبية . وابتداء من عصر هيسود فإن الكثير من الرجال قد بدأوا فى اعتبار التجارة مهنتهم الأساسية وليست مهنة موسمية . فعندما بدأت المستعمرات فى التطور والنمو وصار من المعروف أن مدينة ما يكون عندها فائض فى القمح بينما مدينة أخرى مجاورة يكون خشبها جيداً وأخرى قريبة من المناجم التى تستخرج منها المعادن ، بينما مدينة أخرى يكون لها منفذ على السلع الكمالية مثل الذهب والعاج . ولأن التجارة قد اعتمدت على نظام المقايضة إلى أن تم اختراع العملة ، فقد كان على التجار أن يعرف شحنته وبيادلوها بسلع ومواد أخرى ، وحيث أنه لم يكن هناك أسواقاً اغريقية عندها اكتفاء ذاتي ، فيما عدا على ما يبدو فى مراحل تاريخها الأولى ، فإنها كانت أسواقاً لبعض الواردات وبمرور الزمن فإن التجار قد عرفوا بصورة جيدة ما هى الواردات التى تحتاجها المدن المختلفة وما هى المواد المنتجة التى تكون متاحة للتصدير ، إن هؤلاء التجار لم يختلفوا فى أساليب تعاملاتهم التجارية الكثيرة عن الفينيقيين . فكانوا يشحنون سفنهم من الأماكن التى يجدون فيها شحنات نافعة ومربحة ويبحرون بها إلى الموانئ الأخرى حيث يحدهم الأمل أن يفرغوا تلك

الشحنات ويحصلون فى المقابل على شحنات أخرى مربحة ، ولعل سنوات كانت تمر قبل عودتهم إلى مدينتهم الأم . ومع ذلك فإن بعض التجار كانوا مرتبطين بشكل كبير بتلبية احتياجات مدنهم فعلى سبيل المثال كان مالك السفينة من naukleras ميليتوس على علم باحتياجات مدينته من السلع الغذائية وبالتالي كان يقوم بشحن المنسوجات الصوفية والأنية الفخارية المنتجة فى مدينته وإذا ما بقى فراغ فى سفينته كان يأخذ معه تاجر emporas آخر وشحنته ثم يبحران معاً إلى أوليمبيا حيث يستبدلون شحنتيهما بشحنة من القمح والسمك المحفوظ . ولا يوجد لدينا دليل حول طرق وكيفية استبدال هؤلاء التجار لبضاعتهم ، ومن الراجح كان عليهم البقاء فى الميناء إذا ما أتى عليهم فصل الشتاء وهذا يعنى أن يقيمون حتى يبيعوا سلعهم بالتجزئة ، ومن جهة أخرى قد يكون فى مقدورهم العودة فى فترة الأبحار المأمون وهذا يعنى أنهم قد باعوا بضاعتهم للتجار المحليين .

وقد قاموا تاجر ميليتوس والمدن الايولية بالمتاجرة مع منطقة البسفور والدرديل والبحر الأسود ومصر عبر نقراطيس . وقام تاجر فوكايا بالتجارة مع مستوطنات الغرب ، بينما قام التجار الكورينثيون بالتجارة مع الغرب ابتداء من منتصف القرن السابع وقام تاجر خالكيس بالتجارة مع صقلية وإيطاليا ومنطقة الخالكيدكى . وابتداء من القرن السادس فقد دخلت أثينا مجال التجارة وكان لها تجارتها مع منطقة البسفور والدرديل .

وإذا كانت التجارة قد نمت فإن الصناعة هى الأخرى قد نمت وتطورت فقد ظهر فى المدن طبقة الحرفيين demiourgoi منذ بدء نشأتها ولكن نظراً للاحتياجات الكبيرة للمنتجات المصنعة . فقد زادت أعدادهم وأصبحوا يعملون فى ورشهم ergasteria الصغيرة الحجم وبمساعدة عدد من الاجراء thetes والعبيد ولكن بمرور الوقت زاد الاعتماد على العبيد وصاروا أهم عنصر فى الحياة

الصناعية . ونتيجة لرواج التجارة والطلب على المنتجات، المصنعة فقد حقق هؤلاء ثروات كبيرة . وهذه الثروات كانت ثروات منقولة سواء أكانت في شكل سبائك ذهبية أو فضية أو سلع مصنعة وأن بعض الحرفيين والتجار قد صاروا أكثر ثراء من الأرستقراط . وقد زاد هذا الأمر مع اختراع العملة . وهذا يدفعنا للحديث عن التغييرات الاجتماعية كنتيجة للتغيرات الاقتصادية .

التغييرات الاجتماعية :

١ - الطبقة الأرستقراطية :

قد أدى التطور التجارى والصناعى إلى تغييرات فى التركيبة الاجتماعية والعلاقة بين مختلف الطبقات ، وكما سبق أن ذكرنا فإن المجتمع الهومرى كان ينقسم إلى طبقات وهى طبقة الاشراف والحرفيين وطبقة صغار الزراع وطبقة الأجراء والعبيد .. وسنجد أن هذا التقسيم فى العصر الارخى قد استمر مع حدوث تغيير فى الوضع الاجتماعى صعوداً وهبوطاً بالنسبة لبعض الفئات .

كانت الطبقة الأرستقراطية هى المهيمنة على مقاليد الأمور منذ نهاية العصور الهومرية واتخذ رؤساء الأسر طراز الملوك فهم جميعاً أبناء زيوس ولهم الحق جميعاً فى حمل الصولجان وكانوا يلتقون فى المجلس كى تتم الموافقة على القرارات التى يعلنونها للشعب وكونوا محكمة المحلفين التى كان مقرها السوق . وقد استندت قوتهم وسلطتهم على ما كانوا يملكونه من الأراضى ومن قطعان الحيوانات . وإذا كان الأرستقراط قد اعتمدوا على سياسة الاكتفاء الذاتى بالنسبة لاسرهم فى البداية إلا أنهم بمرور الزمن مع قيامهم باستصلاح كل الأراضى التى يمكن استصلاحها وغرسها بالكروم والزيتون . وهذا قد أدى إلى فائض فى الانتاج الذى كان يتم بيعه حيناً واقراضه حيناً آخر لصغار الزراع المحتاجين والحصول على فائدة قدرها ٥٠ % من قيمة الكميات المقرضة وبضمان ممتلكات المقترض

وشخصه وزوجته وابنائيه .

لقد بدأت ظاهرة جديدة أيضاً وهى أن كبار الملاك وأولادهم واتباعهم كانوا فى العصر الهومرى يعملون فى الأرض الزراعية وفى الحرف الأخرى أصبحوا الآن سادة يشرفون على الأرض بها ففى ظل النظم الشبيهة بالنظم الاسبرطية فقد وزعت الأرض بين الغزاة وأنزل السكان الأصليين إلى مرتبة المزارعين المربوطين بالأرض ، ويحصل حائزى الاقطاعات على حصص محددة من الانتاج ، أما فى المدن الأخرى نجد أن كبار الملاك كانوا يعتمدون فى ادارة ضياعهم والقيام وانجاز الاعمال الزراعية المختلفة على العمال الأجراء الأحرار أو العبيد أو من أنزلوا فى درك العبودية نتيجة عجزهم عن سداد ديونهم . وقد كرس الأرسقراط وقتهم للخدمة العامة والتدريب العسكرى الذى توارثوه عن الآباء والأجداد. فقد كان الشريف وحده هو الذى عنده عدة وأسلحة القتال كاملة والتى تجعله رجلاً من البرنز ، العربية والاتباع والحصان الذى يؤكد السمو فى ميدان المعركة ويقول أرسطو أن قيام النظام الاوليجرفى كان طبيعياً والأرسقراط أصحاب الخيول كان لهم امتياز حمل السيف ، وعندما يموت الشريف كان يتم دفن أسلحته معه فى قبره .

ونتيجة للسيطرة على مصادر الثروة والقوة فقد أمسكوا بزمام السلطة السياسية وتصريف شئون الدولة العامة ، ولكن مع نمو التجارة والصناعة وما نتج عنهما من تزايد الثروات المنقولة فى ايدى الصناع والتجار بدأت المطالبة أو التطلع للمشاركة فى الحياة السياسية والخدمة العسكرية . وبالفعل فقد حدث تطور فى أساليب القتال والتسليح فقد ظهر نظام جنود المشاة ثقيلى العدة hoplites ونظم الفيالق . وتشير الأدلة الأثرية من مقبرة فى أرجوس من نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع على وجود ملابس مشاة ودروع وآنية فخارية تعرض لطرق القتال

الجديدة والقديمة ، كما تشير المصادر إلى أن فيدون طاغية أرجوس هو أول من أدخل نظام الفيالق في بلاد اليونان وقد استخدمه بالفعل ضد جيش أسبرطة في موقعة هيسايى حوالى سنة ٦٦٨ ق.م وبدأ جيش المشاة في ثوبه الجديد في أغلب مناطق بلاد اليونان يكون هو الجيش النظام وصار من الممكن لرجاله الادعاء بأنهم حماة الدولة . وكان يمكن لأصحاب الثروات المنقولة في المساهمة في هذا الجيش بل يمكن القول أغلب رجاله قد صاروا من هذه الطبقة ولسذا فقد هدوا الواجهة الاجتماعية والسياسية للأرستقراط . لأنهم شاركوهم في الحياة السياسية ، وتحالفوا معاً ضد الأرستقراط ونجحوا في الحصول على حقوق سياسية متساوية معهم وحقوقاً متساوية للثروة المنقولة والثابتة ولم يعد يفرق القانون بين النوعين من الثروة . ولكن سنجدهم يحاولون الحصول على ملكية الأرض لأنها رمز للوجاهة والنبالة . وقد حدث تزواج بين طبقة الأرستقراط كريمة المحتد وبين طبقة الأغنياء الجديدة . فالنقود قد خلطت الطبقات ولكن سنجد أن بعض الاشراف قد استنكروا هذا الامتزاج وقد عبر عن هذا الشاعر ثيوجنيس بقوله لم يزد الرجال أن يتزاجوا من امرأة وضيعة ابنة رجل وضيع ، لتجلب لهم أموالاً طائلة . فالأموال هى التى يقدروها ولا المرأة تزدري المرأة الكريمة المحتد النوم في سرير رجل وضيع المنبت إذا كان ثرياً ولكن تكون مسرورة أن يكون غنياً بدلاً من أن يكون طيب المحتد .. وقد عبر هيسود هو الآخر بقوله أن الفضيلة والعظمة يتبعان الثراء ويؤيد الشاعر الكايوس بقوله "إن المال يصنع الرجال" .

لقد كان الاندماج بين الطبقتين قد أدى إلى نوع من حكم الأثرياء plutocracy أو الحكم التيموقراطى . والمثال على ذلك والذي سنعرض له هو أثينا .

لقد ظهرت آيات تراكم الثروة في طرق حياة هذه الطبقة في السلع والمواد النفيسة المستوردة مثل السجاد الشرقى والصور والسرر المطعمة والمناضد

المنقوشة والمقاعد المغلفة بالبرنز والفضة والذهب والعبيد الذين يحملون الأكواب المليئة بالمشروبات الباردة والفاكهة الأجنبية والنبذ المعشق ، والملابس البديعة من معاطف وأروية طويلة ومشابك ذهبية تثبت الشعر الملفوف والأساور البديعة الصنعة والعمود الفاخرة الرائحة وكانت النسوة يلبسن الخيطون الطرز ومن خلاله يمكن التعرف على بنات العائلات اللاتي كن يحصلن على دوطهن من الأرض الطيبة بينما قد أعطاهن الآباء ثروة منقولة كبيرة ، كما نجد أن الأسر كانت تبالغ في التباهي في الاحتفالات وفي المآتم وطقوس الدفن ، فكان يلف الميت في أقمشة رائعة ومعها قوارير العطور والجواهر وكانوا يضعون في قبره تماثيل لمصطفى الشعر ولخبازات وطباخين وعلى قبره كان يسكب الخمر من القارورات .

ب - الطبقة الوسطى :

كانت هذه الطبقة تتكون من مواطنين يكسبون قوتهم من الأرض الزراعية ومن الحرف التي يمارسونها . فقد تكونت من صغار الزراع الريفيين وكان يطلق عليهم في أتيكا طبقة الزيوجيتاي Zeugitai لأنهم يملكون زوج من الثيران الضروريين لإنتاج مائتي مكيال من الحبوب . وفي المدن فعن الطبقة الوسطى كانت تتكون من الحرفيين المهرة وقد نجح بعض أفراد هذه الفئة في تكوين ثروات طائلة وانضموا إلى الطبقة الأرستقراطية كما سبق أن ذكرنا ، بينما الفئة التي لم يحالفها الحظ والنجاح في تحقيق الثراء فقد بقيت على حالتها المتدنية وكان من بين هؤلاء الحرفيين الاجراء وتجار التجزئة والبحارة ، كما شملت هذه الطبقة على الرعاة .

لقد كان لتقسيم الأراضي واستخدام النقود آثاره المدمرة على الشريحة الفقيرة من الطبقة الوسطى ، فقد كان من الصعب على الرجل الذي عنده ما يكفيه بالكاد في السنوات جيدة الانتاج أن يدبر أموره في السنوات سيئة الانتاج وأن

يواجه مطالب أسرته ولما كان كل شيء يشتري ويبيع فقد قام بالاقتراض من المالك الكبير ، أو من أصحاب الثروات . وكان الاقتراض هنا مصحوباً برهن لممتلكات المدين وشخصه وكل أفراد أسرته لتأمين حق الدائن . وكان المدين يعد محظوظاً لو قبل الدائن برهن ممتلكاته فقط . وإذا ما حان موعد السداد ولم يكن في استطاعته رد الدين كانت تتول الملكية المرهونة للدائن ، وإذا ما كان هو وأفراد ضامنين أيضاً للدائن فإنه يتم سلب حريتهم ويصبح من حق الدائن بيعهم في سوق النخاسة في الخارج . وكثيراً ما كان يترك الدائن أو المالك الجديد المالك السابق في الأرض لاستغلالها مقابل حصوله على سدد المحصول وكان وضع هؤلاء في أئيكاً سيئاً للغاية . وقد أدى هذا إلى كراهية شديدة بين الطبقة الثرية والطبقات الفقيرة .

لقد كان الأرستقراط يملكون كل مظاهر السلطة السياسية والدينية والعسكرية والقضائية . وقد فسروا الأعراف والتقاليد القانونية لصوالحهم وقد عبر الشاعر هيسودوس عن هذا خير تعبير فنسمع في شعره صيحة الأجيال التعسة فقانون الأثوى هو الذى يسود وقد شبه الضعفاء بالعنديلين بينما الأغنياء بالصقر . وأن الصقر ينقض على العنديلين فينشب مخالفه فيه دون أن يستطيع أن يفعل له شيئاً . وقد حاول هيسودوس جاهداً أن يذكر الأغنياء بأن الإله زيوس يرسل ٣٠ السف رسول ليراقبوا الأحياء وأن ابنته العدالة المعصومة تبلغه كل الآثام والظلم المرتكب . وقد حاولت بعض المدن أن تسن التشريعات وأن تدون القوانين التى تحد من تفاقم المشاكل مثل أثينا بينما استمسكت الارستقراطية فى بعض المدن بالسلطة؛ ولذا فقد قامت عليها ثورات جامحة اطاحت بها . وسنعود للحديث عن تدوين القوانين بعد أن نعرض بإيجاز لحال الطبقة الوضيعة فى المجتمعات اليونانية .

ج - طبقة الأجراء والمزارعين المربوطين بالأرض والعبيد :

كانت الأعراف تضع الأجراء الأحرار فى منزلة وسط بين المواطنين كملى الأهلية وغير المواطنين أو بعبارة أخرى وضعت الأجراء فى طبقة وسط بين الرجل الحر والعبد . فقد كان صغار الملاك يستغيثون بهم فى الزراعة كما نجدهم قد عملوا فى المنازل كما عملوا فى الصناعة وكان وضع هؤلاء العمال الأجراء سينا للغباء .

عرفت المجتمعات الدورية على نطاق واسع نظام استعمال السكان المحليين لزراعة الأرض . فقد ربط الغزاة الدوريون السكان المحليين بالأرض ، فقد وجد فى اسبرطة طبقة الهيلوتس وفى كريت المينويتاى Menoitai والكلاروتاى Clarotae وفى تساليا البنستاى Penestae وفى مناطق أخرى من اليونان وسنعود إليهم عند الحديث عن اسبرطة .

كانت الطبقة الحاكمة من الغزاة الدوريين تحتفظ بحق حيازة وامتلاك الاراضى ورفضت العمل بها وأجبرت السكان المحليين على الارتباط بالأرض وفلاحتها ونظير ذلك يحصلون على حصص ثابتة متفق عليها . وسنجد أن بعض هذه الطبقات قد قامت بثورات عارمة ارهقت المدن الدول ، كما سنجد أن البعض منهم قد انضم إلى الشخصيات الناقمة على الحكم الارستقراطى والاطاحة به وهو ما سنعرض له فى الصفحات التالية .

وبالإضافة إلى المزارعين المربوطين بالارض وجد العبيد الذين احضروا إما من حملة خارجية ، أو تم شراؤهم من القراصنة فى أسواق النخاسة التى انتشرت فى طول وعرض بلاد الإغريق وبالذات فى أيونيا أو الذين استرقوا فى الدين ونلمس هذا فى لعنات أنبياء اليهود على الإغريق الذين يحضرون العبيد إلى طرابلس وعلى الفينيقيين الذين سلموا أولاد اليهود للأيونيين .

وقد سبق الحديث عن العبيد وعملهم فى العصور الهومرية . وكان عملهم هناك رعى الحيوانات والخدمة فى المنازل والمعاونة فى أعمال الزراعة والمساهمة فى غزل وإنتاج ما يحتاجه بيت السيد من أدوات وسلع . ولكن بعد أن تطورت الصناعة وأصبح الإنتاج موجه للسوق فقد وجدنا العبيد والعمال الاجراء يعملون فى الورش . ولكن بمرور الوقت فقد اعتمدت الصناعة بشكل اساسى على عمل العبيد مما قلص فرص العمل أمام الأحرار . وكان عليهم البحث عن مصدر رزق لهم وكان عليهم الهجرة والعمل فى صفوف المرتزقة فى خدمة الدول الأجنبية . ولكن كانت أحوال هذه الطبقة أسوأ من أحوال العبيد فكان العبد على علاقة طيبة بسيده وعائلته وكان يمكن له أن ينال حريته وكان يتم معاملته دون قسوة وتمتع بقدر محدود من الحرية بالذات فى الأعمال الريفية كما كان بإمكانه أن يقتصد رأسمال صغير لنفسه ولذلك كانت أوضاع العبيد فى العصر العتيق فى اليونان أفضل من أحوالهم فى عصر كاتو فى روما . ولكن على العموم فإن أحوال الطبقات الحرة كانت تتسم بالبؤس وتعالق الصيحات بإعادة توزيع الثروة والأرض الزراعية بين الأفراد . كما سنجد المطالبة بتدوين القوانين ، وذلك لكثرة المشاكل التى كانت تواجهها المجتمعات نظراً لتعدد سبل الحياة ونتيجة لاتساع المبادلات . ولكن تدوين القوانين غير المكتوبة كان له آثاره على سيطرة الارستقراطية .

كانت القوانين عند اليونان قبل تدوينها عبارة عن أعراف وعادات الأسلاف والاحكام القضائية التى انتقلت من جيل إلى جيل لتنظيم المجتمع وتعاملاته وجعل الحياة المتحضرة ممكنة . وقد اطلق هوميروس على الأعراف القانونية themestes أو dikai والسمة التى ميزت الكوكلوبيس Cyclopes هى أنهم لا يوجد عندهم قانون themestes ، ويثير هيسبودوس نفس النقطة عندما يقول أن الإله زيوس يمنح القانون dike للإنسان وليس للسماك ولا للحيوان ولا للطير فقد

كان تفسير هذه القوانين غير المكتوبة فى ظل الحكم الملكى ، و الارستقراطى كان مقصوراً عليهم . وكانت هيمنة الأرسقراط على إدارة العدالة والقضاء هى احدى الدعامات التى اعتمدوا عليها ومن المعروف أنهم قد استخدموا هذه السيطرة لخدمة صوالحهم . وهذا ما تشير إليه الإلياذة إذ كان الإله زيوس يغضب من الرجال الذين يصدرن أحكاماً معلة *temestes* فى المجلس ويبعدون عن العدالة *dike* . ويشير هيسودوس إلى نفس النقطة مستنكراً أفعال الأمراء الأرسقراط الذين يأكلون الرشا ويصدرن الأحكام الجائرة منحازة . ولا عجب أن ضحايا الأحكام الجائرة شعروا أن القوانين ، مهما كانت قسوتها ، ينبغى أن تخرج عن سريتها وغموضها . وقد عبر عن ذلك يوربيديس بعد عدة قرون عندما كتب القوانين فإن الفقراء ، والأغنياء قد تساوا فى العدالة أمام القانون . ودائماً ما يقال إن ضغط الجماهير هى التى أجبرت الأرسقراط على أن يذعنوا ويقبلوا قسراً نشر القوانين وبالتأكيد فإن عدم رضاهم كان عاملاً مثيراً ولكن الجموع كانت ، من الراجح ، ما تزال غير منتظمة وبدون قوة وأمية ، ومن المحتمل أن الضغط على الأرسقراط قد أتى من المواطنين من الطبقة الوسطى الذين من خلال الثروة المنقولة الحق بالخدمة العسكرية كجند مشاة ، وهذا ما يؤكد قول ارسطو أن أغلب المشرعين قد أتوا من الطبقة الوسطى ، كما أن ازدياد موارد الثروة وتبوع مصادرها وما نتج عن ذلك من تعقد سبل الحياة والمعاملات التجارية كانت من العوامل التى شجعت على تدوين القوانين . كما أن من العوامل التى ساعدت على تدوين القوانين هى أن المهاجرين كانوا يواجهون الكثير من المشاكل غير المسبوقة نظراً لاختلاف قوانين المدن التى أتوا منها . وكان من الضرورى أن يتم صياغة قانون يكون مقبولاً من الجميع .

ومن المرجح أن غالبية المدن قامت بتنظيم ، وتدوين ونشر القوانين فى

خلال القرنين السابع والسادس (ق.م) ، وكانت القوانين تنقش بشكل دائم على الخشب والبرونز والواح من الصخر وعل جدران المعابد والمباني العامة . وحيث إن هذه القوانين تعكس بدرجة كبيرة العرف المقدس للأسلاف عبر الزمن فإنه من الطبيعي أن نسمع عن القصص المثارة بأن الكثير من المشرعين قد ألهمت القوانين له بصورة مقدسة وهذا الشعور بالورع وأن القوانين كانت وحيأ فقد يساعد هذا على تفسير أن اليونان كانوا يعارضون تغيير قوانينهم ويروى لنا ديموستينيس Demosthenes وآخرون رواية معروفة عن مدينة لوكريس بأنه إذا ما رغب شخص في إدخال قانون جديد أو عدل قانوناً قديماً ، كان عليه المثول أمام هيئة مع حبل المشنقة حول عنقه ، فإذا ما رفض اقتراحه فإنه كان يتم شنقه في الحال ووفقاً لهذه الرواية لم يتم تغيير إلا قانون واحد في غضون قرنين من الزمان . ولسوء الحظ فإن أغلب هذه القوانين قد ضاع ولم يبق منه إلا القليل وهو المدون منها في المصادر الأدبية وهي عبارة عن الأحكام والعقوبات الصارمة لمختلف الاعتداءات ويقول الخطيب ديماديس Demades إن قوانين دراكون لم تكتب بالحبر ولكن بالدم. كما أن هذه القوانين عالجت قضايا المواريث وزواج البنات من الأقارب في حالة عدم وجود وريث ذكر . وقوانين تخص معاملة العبيد والخدمة والإنفاق ، . الخ . ووفقاً للروايات العامة فإن راكميلوس هو أول الشرعين وخارونداس Charondas من كاتانا بصقلية وقد قيل عنه أنه كان معاصر لراكميلوس ولكن نعرف أنه عاش بعده بجيل أو جيلين . وقد ادعت العديد من المدن في إيطاليا نسب قوانينها لواحد من المشرعين السابقين ولكن من المرجح أن قوانين لوكريس وكاتانا قد اقتبسها المدن الأخرى بدلاً من أن راكميلوس أو خارونداس هما اللذان قد شرعا قوانين خاصة لها. ولدينا عدد من أسماء المشرعين فقط ولكن ما يوجد عندنا من معلومات عنهم هم بيتاكوس Pittacus من ميثيليني في جزيرة لسبوس ودراكون

وصولون من أثينا وليكوجوس من اسبرطة . لقد كان بيتاكوس ودراكون وصولون يشغلون مناصب تنفيذية فى حكومات مدنهم عن طريق الانتخاب عندما قاموا بسن تشريعاتهم .

وبعد أن عرضنا لسن القوانين ننقل إلى ظاهرة من أهم ظواهر العصر العتيق ألا وهى ظاهرة حكم الطغاة الذين لعبوا دوراً فعالاً فى اضعاف سلطة وامتيازات الارستقراطية .

قيام حكم الطغاة

إذا كانت حركة الهجرة قد خفت التذمر السياسى ، والقلق الاجتماعى فى بلاد اليونان وأبقت لفترة طويلة على نظام الحكم الأرستقراطى ، فإنها قد أدت إلى نمو وتطور اقتصادى تبعه تغير فى التركيبية الاجتماعية فى أغلب المدن الدول ، كما أن اقرار النظام العسكرى الجديد فى المدن اليونانية قد ساعد هو الآخر على منح بعض الحقوق لبعض الفئات من المواطنين ، فقد قدم الحكم الأرستقراطى تنازلات منها إشراك الحرفيين ، والتجار فى الحكم نظراً لما حققوه من ثروة فاقت ثروة الأرستقراط بالمولد ، وقدم أيضاً الأرستقراط تنازلاً مهماً وذلك عندما سمحوا بتدوين القوانين ، ولكن بالرغم من هذه التنازلات فقد استمرت حالة عدم الرضا فى المجتمعات اليونانية وكان صراع بين الأرستقراط والطبقات الأخرى وبين الأرستقراط والأرستقراط وهذه الصراعات قد أضعفت الحكم الأرستقراطى لأن الفئات الأقل قوة قد انضمت إلى الطبقات الدنيا الأخرى التى حرمت من الكثير من الحقوق السياسية وليس عجباً أن بعض الأفراد الطموحين (عادة من الأرستقراط) قد عملوا على اقتناص الفرص للاستيلاء على السلطة بالقوة وأسماهم الاغريق بالحكام الاتوقراط (autocrats) الطغاة .

ولسوء الحظ تتفصنا المصادر الكافية لفهم نظام الطغاة الباكر وقد أطلق

البعض على تلك الفترة "عصر الطغاة" وهذه التسمية مقبولة بشكل جزئى لأن حكم الطغاة كان منتشرأ فى العالم اليونانى ، فقد عرفته مدن كثيرة مثل كورينثة ونيكيون وميجارا وأثينا ومتيلينى وميليتيوس وأفسوس وساموس ، وناكسوس وفى بلاد اليونان الكبرى فى إيطاليا وصقلية فقد ظهروا فى ليوتينى واجريجتوم وكوماى وسيبارس وفى المدن القوية والثرية مثل سيراكوز ... الخ . وفى الواقع فإن نظام الطغاة قد انتشر فى فترتين أولهما عصر الطغاة الكبار الباكر والذى استمر فى الفترة من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن السادس على الرغم من أنه استمر فى صقلية حتى عام ٤٦١ ق.م وثانيهما عصر الطغاة المتأخرين والذى يبدأ بظهور قوة ريونيسيوس الأول فى سيراكوز سنة ٤٠٥ واستمر حتى الغزو الرومانى للجزيرة فى القرن الثانى ق.م . وظاهرته الأولى أنه قد نشأ نتيجة لانكسار النظم الأرستقراطية بينما فى ظاهرته الثانية كان يمثل علامة على انهيار دولة المدينة .

لم تكن تسمية الطغيان Tyranny سيئة المعنى عند اليونان أول الأمر إذ لا يحمل معناها فى اللغة اليونانية أبداً أفكار الظلم والطغيان مثل لغاتنا الحديثة بل تعنى ببساطة لغوياً "حكم الرجل الواحد" ولكن ليس استناداً إلى حق الحكم الالهى والوراثة مثلما كان الحال فى الماضى استناداً لأحقية قانونية ، ولكن فقط استناداً إلى هيبتهم وقوتهم الشخصية ، كما اعتمدوا كذلك على وفاء الطبقات الشعبية الدنيا. وقوة عسكرية كبيرة مقاتلة لتدعيمهم . وكان أرخيلوخوس هو أول من ذكر مصطلح طغيان عندما تكلم عن الملك جيجيس الليدى بقوله "أننى لا أهتم بثراء وذهب جيجيس الكثير ، أنا لست غيوراً من أعمال الآلهة وليس لدى الرغبة للطغيان العظيم" إن الكلمة هنا توضح الحكم المطلق خاصة وأن جيجيس قد اعتلى العرش اغتصاباً . وحيث أن الكلمة دخيلة على اللغة اليونانية وكانت كلمة ليديّة

والتي تعنى ملكاً وكذلك فهي تشير إلى أن اليونان ربطوها بالثراء الشرقى فإنه من الممكن أنها قد اقتبست من اللبدين والذين كان لهم مع اليونان صلات وطيدة ، وفى بداية القرن السادس استخدم الشاعر الكايوس كلمة طاغية كى يصف بيتاكوس خصمه ولما كان بيتاكوس من الموظفين المنتخبين وليس طاغية بالمعنى الفنى المتأخر فإن الكايوس قد استخدم المصطلح كمصطلح سباب . وفى نفس القرن فإن صولون وثيوجنيس قد استخدموا الكلمة لىصفوا أى شخص يملك سلطة مطلقة وأصبح مفهوم الكلمة بعد القضاء على طغيان أسرة بيزاستراتوس وبعد صد القوة الطاغوتية الفارسية التى كان قد تعاون معها أحد أبناء بيزاستراتوس . وهكذا فإن فكرة السلطة التى تتركز فى يد رجل واحد قد أصبحت مكروهة على نحو متزايد . وعلى الرغم من ذلك فإن مصادر القرن الخامس الأدبية وخاصة الشعرية عندما كانت تستخدم الكلمة Tyrant كبديل لكلمة ملك . وإن كانت تعنى فى بعض الأحيان "الشر" وقد وصف فلاسفة القرن الرابع نظام الطغيان بأنه شكل من الحكومة الشريرة التى سيطر فيها رجل على السلطة بالقوة وحكم مطلق غير مسئول أمام أى سلطة وبدون الأخذ فى الاعتبار قوانين الدولة . ويصفون الطاغية بأنه ديماجوجى demagogue ، قائد الجموع ، وقد أمسك بالسلطة العليا وفى الواقع فإنهم قد تأثروا بالنسبة لهذا المفهوم بحكم الطغاة فى عصرهم فى صقلية . ويبدو من المؤكد أن من المفارقة التاريخية أن نتحدث عن الديماجوجى فى القرنين السابع والسادس لسبب بسيط أن الشعب demos لم يكن حتى الآن قد نظم على نحو كاف كى يقدم اتباع للزعيم الديماجوجى . وهكذا فقد اكتسب مصطلح طاغية مضامين معقدة .

وأمام ظاهرة الانتشار الواسع لحكم الطغاة على الرغم من أن الظروف تختلف من مكان إلى مكان فإنه من المعقول أن ننظر إلى بعض أسياي ظهوره

وهى :

- ١- يرى البعض أن السبب الرئيسى وراء انتشار حكم الطغاة كان معاداة الاحتكار السياسى والاقتصادى والاجتماعى والدينى للطبقة الأرسقراطية .
 - ٢- يرى البعض الآخر أنه فى مدن البلوبونيز قد نجح عنصر السكان الأصليين فى الوصول إلى سدة الحكم من خلال بعض الطغاة الذين كانوا كأبطال لهم وقادوهم فى صدامهم وصراعهم مع الأرسقراطية الدورية .
 - ٣- يرى البعض أيضاً أن ظهور Hopletes قد جعل من شاركوا فيه يطالبون بالمشاركة فى شئون مدنهم وذلك من خلال رجال ناضلوا من أجل هذه الطبقة الحديثة الثراء فى الصراع من أجل كسر شوكة الأرسقراط والقضاء على امتيازاتهم وهؤلاء الرجال هم الطغاة .
 - ٤- ويرى البعض الآخر أن الطاغية هو نبيل نهاز للفرص الذى يمسك بزمام السلطة نتيجة للصراعات بين الأسر الأرسقراطية .
 - ٥- نظر المؤرخون الماركسيون إلى الطغاة على أنهم القادة الملهمين الذين قادوا اتباعهم من العامة فى انتفاضة ناجحة ضد سادتهم الرأسماليين .
 - ٦- ويرى البعض الآخر أنهم كانوا من النبلاء وأحياناً كانوا من العامة والذين تولوا السلطة كقادة للجمهور وهذا هو الديماجوجى .
- وبعد عرض هذه الآراء نقول أن طبيعة المصادر القديمة كانت وراء تعدد الآراء فىمكن لأى من أصحابها أن يجد فيها ما يعضد آرائه وتفسيراته . ولذا ينبغى أن نتناول معلومات تلك المصادر بحبطة وأناة ، فعلى سبيل المثال ، نجد هيردوت قد قدم وصفاً للعديد من الطغاة ، ولكن هذا الوصف لم يكن لطفة معاصرين له بل

كان قد مر على طرد بعضهم ثلاثة أجيال ، أو أكثر وبعضهم كان قد مر على طرده جيلين مثل أسرة بيزاستراتوس . وما وصل لهيردوت هو روايات مصطنعة إلى حد ما ومركزة حول حياة الطغاة كما نجد فى كتابات كل من أفلاطون وأرسطو كثيراً من المناقشات حول الطغاة ولكن ينبغي استخدامها بحذر وحرص شديدين فكل منهما كان متأثراً فى مفهومه حول الطغاة بطراز الطاغية الديماجوجى المعاصر لهما . . وعندما تكون طبيعة المصادر على هذا النحو فإنه من السهل أن نفهم لماذا تكون المادة المكتوبة والتفسيرات حول الطغاة المبكرين والتي قدمها الباحثون المحدثون قد تباينت بشكل كبير ولمعرفة أسباب الطغيان علينا أن ندرس بعض شخصيات الطغاة المعروفة جيداً إلى حد ما . وهذا قد يؤدي إلى معرفة البيئة التي عاشوا فيها والظروف التي أدت إلى إمساحهم بزمام السلطة . وبعدها نعرض لاسباب وصول وقيام حكم الطغاة .

اختلف الدارسون حول تاريخ نشأة نظام حكم الطغاة فالبعض يرى أنه قد بدأ فى كل من كورينثة وسيكيون سنة ٦٥٠ وفى ميمارة سنة ٦٣٠ ، ويرى البعض الآخر أن هذا النظام د نشأ فى كورينثة سنة ٦٢٠ وأنه قد نشأ واسمر فى سيكيون فى الفترة من ٦٥٥ - ٥٥٥ ق.م تقريباً . ولكن وثيقة بردية نشرت سنة ١٩١١ تقدم دليلاً وإن كان غير مقنع على أن تاريخ نشأة النظام وبقائه فى سيكيون ينحصر فى الفترة من ٦١٠ و ٥١٠ ق.م . وسنحاول أن نبدأ بالحديث عن نشأة النظام فى كورينثة .

بعد قضاء العشيرية الباكخيدية Bacchiads على سلطة الأسرة الملكية . فقد حلت محلها فى السلطة وبالإسك بزمام الأمور واعتمدت الطبقة الحاكمة على التقاليد والثروة التي يستخرجونها من الأرض . وإبان فترة حكمهم فقد أرسلت كورينثيين مستعمرين إلى كوركورا وسيراكوز سنة ٧٣٤ وهى الخطوة التي حلت

مشكلة نقص الأرض . وقد ازدهرت صناعتها وهذا ما كشف عنه الفخار الكورينثى الهندسى وقد عثر عليه فى المينا فى الشرق واثروريا فى الغرب . وكان الفخار الكورينثى هو المهيمن فى الغرب وينبغى أن تكون ثروات الحكام الباكخاويين قد زادت على نحو كبير سواء من التجارة ، أو الصناعة ، أو من الرسوم التى حصلوها على الواردات والصادرات ولكن من المرجح أن هناك فئات كورنثية أخرى اشتغلت بالتجارة والصناعة .

بدأت الأسرة الباكخاوية تلاقى بعض المتاعب والصعاب ابتداء من النصف الأول من القرن السابع . فقد استرجعت ميجارا بعض الأراضى التى كانت تستولى عليها كورينثة ، ومن الممكن أن الكورنثيين قد عانوا فى صراعهم مع فيدون حاكم أرجوس ، وفى سنة ٦٦٠ خاضوا حرباً بحرية مع كورسورا هذه المصاعب والنكبات التى لاقتها لعلها قد تكون قد أثرت بشكل كبير على تجارة كورينثة مع زيادة السكان وما نتج عنها من مشاكل . وفى ظل هذه الظروف كانت الأحوال مهيأة للقضاء على الأسرة الأوليخرخية الحاكمة . وكان ذلك على يد الطاغية كيبسيلوس "Cypselus" الذى أسس أسرة حكمت ما يزيده على سبعين عاماً وكان كيبسيلوس ابناً لامرأة تدعى ليدا من أسرة باكخيدية وكانت أمه عرجاء ونتيجة لهذا فقد رفض الزواج منها رجال عائلتها ، ولذا تزوجت من رجل يدعى اينيون. Aetion اللابيثى Lipith الأصل يرجع أنه كان من السكان الأصليين قبل الغزو الدورى . ويقول هيردوت ونيقولاى الدمشقى أن النبوءة قد حذرت الأسرة الباكخاوية من أن وليد ليدا وأيتيون سوف يكون سبباً فى القضاء عليها . ومن ثم فقد حاولت الأسرة الحاكمة قتل الطفل ، ولكنهم قد سأموا من الأم التى نجحت فى إخفاء وليدها فى جرة ، أو صندوق kypsele وقد فر بعد صباه ووصل إلى طور الرجولة فى أوليمبيا وعندما عاد إلى كورينثة فقد أصبح البوليمارخ "الحاكم

العسكري" ووفقاً لهذه الوظيفة كان على كيبسيلوس وطبقاً للقانون أن يسجن الناس الذين أذانتهم محكمة وكان يفرض الغرامات المناسبة ولكن بمعاملته اللطيفة للمذنبين فقد قرب نفسه للناس ، وأنه قد استغل الكراهية للأسرة الحاكمة ككل وقام بتنظيم مجموعة من الاتباع وتحتل الحاكم ثم عينه الشعب ملكاً . ويضيف هيردوت أنه قد عاقب الكثير من الكورنثيين وصادر ممتلكاتهم وبعد حكم استمر ثلاثين عاماً فقد مات مودة سعيدة وترك الحكم لابنه بيرياندر Periander ومن هذه العبارات نستخلص النقطتين التاليتين :

١- أن كيبسيلوس لم ينظر إليه كطاغية ولكن كخليفة للحاكم من الأسرة الباكخيدية ومن الممكن أن هدفه أن يعيد الملكية إلى الشكل الوراثي الذي كان عليه من قبل أن تصبح وظيفة سنوية ومحتكرة من العشيرة الباكخيدية .

٢- أن كيبسيلوس قد تملق الشعب فكان يرمى أن يستولى على الحكم . وبعد استيلائه على السلطة فقد صادر أملاك الكثير من الكورنثيين والمقصود هنا أفراد الأسرة الحاكمة السابقة .

خلفه ابنه بيرياندر من بعده وقام ببرنامج انشائي كبير في كورينثة ، كما قام بدور الوسيط أو المحكم في النزاع بين ميثيليني وأثينا فيما يتعلق بسيجيوم .

ونجد أن حاكم هذه الأسرة قد أصدروا عدداً من القوانين التي تمنع شراء العبيد والتي تحد من الانفاق والاسراف . وكان الهدف منها بالنسبة للأسرة هو منع التفاخر بين الأثرياء وهو مشابه لما صدر على يد مشرعين آخرين ، كما أن منع بيرياندر لاقتناء العبيد لم يكن إجراءً موجهاً ضد الأغنياء ففي الحقيقة أنه ووالده من قبله قد أرسلوا مهاجرين إلى مختلف المستوطنات . وهذا دليل على زيادة السكان وعدم وجود فرص عمل في كورينثة في ذلك الوقت ولذا فإن محاولة الحد

من قوة عمل العبيد كان الهدف منها ، من المرجح ، أن يجعل العمل متاحاً للعامل الحر .

خلف بيرياندر في الحكم ابن أخيه أو أخته الذي اغتيل بعد سنوات قليلة على يد الكورنثيين وقام الشعب بهدم بيوت الطغاة وحفر قبورهم وحطم عظامهم وأقام دستوراً جديد على حد قول نيقولاس الدمشقي . ولكن مما نعرفه عن كورينثة فيما بعد يمكن القول أن حكومة أوليجرخية ذات قاعدة الأسر الباكخيدية السابقة ، حلت محل أسرة كيبسيلوس ، ولهذا فإنه يجب أن يفهم أن الشعب demos الذي ساعد أسرة كيبسيلوس والشعب demos الذي تولى القضاء على حكم هذه الأسرة في كلا الحالتين ينبغي أن يكون المقصود به الطبقة العليا في المجتمع ومن بينها طبقة hoplites أي أن طبعة الحكم هنا هو الحكم التيموقراطي . الذي خلط النبلاء الكريمي المحتد بالأثرياء من الطبقة الوسطى .

وقد قام حكم الطغاة في مدينة سيكيون واستمر بها قرناً من الزمان ، فقد قامت أسرة أورثاجوراس Orthagoras بالاستيلاء على الحكم كما سبق أن ذكرنا في حوالي ٦٥٠ أو في ٦١٠ . ووفقاً لوثيقة بردية والتي من المرجح أن كاتبها قد نسخها من أفوروس ، فإن مؤسس الأسرة أورثاجوراس كان ولده جزاراً megerias ويدعى اندرياس Anderias . ولكن يخبرنا بارسيناس أن أخاه ميرون Myron كان بطلاً في سباق العربات في الألعاب الأولمبية سنة ٨٤٦ . وهذا يعني أنه من أسرة ثرية وأن وصف والده بجزار افتراء متعمد من قبل الأرسنقراط خصوم حكم الطغاة . كما أن البردية تشير إلى شجاعة أورثاجوراس العسكرية وبسببها فد أصبح بوليمارخ . ولسوء الحظ فإن البردية تنتهي بكلمة demos . ويبدو أن تكلمة الجملة هي أن الشعب مكن أورثاجوراس من أن يصبح طاغية . وليس لدينا معلومات عن شغله للمنصب .

خلفه في الحكم كليستينيس حفيد ابن أخيه وكان واحداً من القادة المرموقين في الربع الأول من القرن السادس وأنه تولى الحكم لمدة ٣١ عاماً . ولكن نظراً لقلّة المعلومات عنه في المصادر فإننا لا يمكننا أن نصف أنشطته بتسلسل ولكن من أهم أدواره هو دخول الحرب المقدسة الأولى بشأن دلفي سنة ٥٩٠ ق.م والتي تورط بها الكثير من المدن اليونانية منها سيكيون وأثينا وتساليا . والتي كان من نتائجها تدمير كيرها Cerrha و اباداة سكانها . ووفقاً للمصادر فإن السبب في الحرب أن أهل كيرها كانوا يتدخلون في وظائف معبد دلفي ووحى الاله أبوللو ، ونعرف أن دلفي كانت قد عارضت سياسة كليستينيس الدينية . وأن كليستينيس قد حاصر ميناءها بأسطوله ، وحيث أن كيرها كانت مشهورة باهتماماتها البحرية ، ولذا فإن تدخله قد يكون وراءه أسباب تجارية وليست دينية . كما نعرف من هيردوت أن كليستينيس قد شارك سباق العربات في الألعاب الأولمبية وكسبه سنة ٥٧٦ وأنه أعلن جموع الحاضرين أن أي اغريقي يعتبر نفسه يستحق أن يكون زوجاً لابنته اجاريسى Agriste عليه الحضور إلى سيكيون في خلال ستين يوماً ووصل ثلاثة عشر خاطباً ، اثنان منهم من أثينا والباقي من احدى عشرة مدينة ، وقدم كليستينيس كل صنوف البهجة لهؤلاء الخطاب لمدة عام كان يلاحظ خلالها شجاعتهم وأدائهم في الألعاب البدنية وعلاقاتهم الاجتماعية . وقد أعجبه تصرف وأداء رجلى أثينا . ولكن في اليوم الذي سيتم فيه اختيار العريس لابنته ، خسر أحدهما الفرصة لتصرفاته غير المسئولة ووقع الاختيار على ميغاكليس Megacles بن الكمايون الذي قاد القوات الأثينية في الحرب المقدسة ضد كيرها . وبقيّة الخطاب قد استبعدوا مع شكرهم على تكرمهم بالحضور إلى بلاط كليستينيس ومنح كل منهم تالنتا من الفضة كهدية .

ونفهم من هذه القصة أن شباباً من اثنتى عشرة مدينة من النبلاء قد قبلوا

ضيافة الطاغية وتطلعوا إلى الزواج من ابنته أو اقامة أسرية معه والخطيبان الأثينيان قد انحدرتا من أسرتين أرستقراطيتين كبيرتين ، ويقول هيردوت أن تميز وشهرة أسرة الكمايون قد زاد في بلاد اليونان من خلال زواج ميغاكليس من ابنة طاغية سيكيون . كما كان من بين الخطاب ليوكيديس Leocedes بن فيدون طاغية أرجوس ومع ذلك لم يقع الاختيار عليه . ونستخلص مما سبق أن الطغاة لم يقفوا بالمرصاد للأرستقراط ومحاولة القضاء عليهم وإنما سجد أنهم قد تصاهروا معاً . ولماذا لم يزوج كليستينيس ابنته إلى ليوكيديس بن فيدون الطاغية فهل هذا راجع للعداء بين سيكيون وأرجوس ؟ أم أن الاختيار كان قد تم وفقاً للمعايير التي وضعها كليستينيس ؟ يبدو أنه شبه مؤكد أن الاختيار قد تم وفقاً للمعايير التي وضعها كليستينيس . ولم يكن للعداء بينه وبين طغاة أرجوس هو المانع . وقد كان هذا العداء رجع إلى موقف كليستينيس من إزالة عبادة البطل الاسطوري ادراآتوس الدوري من سيكيون . وكان قد طلب ذلك من وحى دلفي واكن طلبه قوبل بالرفض، وأمام هذا فقد أقام عبادة لميلانبيوس Melanippus العدو الأسطوري لاداراتوس ونقل إليه كل مظاهر التكريم والأضاحي التي كانت تخص الأخير .

كما نجد أن كليستينيس كان قد غير أسماء القبائل الدورية الثلاث هيليس وباجفيلي وديمانيس إلى بيجمن Pigmen وأسمن Assmen ، واسونيمين sainemen بينما سمي قبيلته ارخيلاي . ونعرف من هذا أنه كان يوجد في سيكيون قبيلة رابعة من السكان الأصليين وسواء وجدت قبل كليستينيس أو على يديه بالإضافة للقبائل الثلاث الدورية . وقد يثير هذا التساؤل حول هل تولى بعض الطغاة في البلوبونيز بفضل تأييد غير الدوريين ؟ في حالة أسرة أورثابورس السيكية فإن هذا لا ينطبق على اورثاجوراس ولكن وفقاً لهيردوت فإن كليستينيس كان قد طلب العون من السكان غير الدوريين . وأن هذا يشير إلى وجود عناصر

محرومة من الامتيازات بين السكان الأحرار وكان لها دور مؤيد لطغاة القرنين السابع و السادس .

وقد انتهى حكم الطغاة فى سيكيون بطرد اسخينيس من سسيكيون على يد الاسبرطيين و الغاء تسميات كليستينيس للقبائل و العودة إلى التسميات الأصلية ، كما تم تغيير تسمية القبيلة الرابعة من ارخيلاي Archilai إلى ايجالاي Aigialai .

وقد عرفت أرجوس هى الأخرى نظام الطغاة و معلوماتنا عنه شحيحة . ومن أشهر طغاتها فيدون الذى كان حاكماً قوياً و نجح فى أن يقود أهل أرجوس فى حربهم الناجحة ضد أسبرطة فى معركة هيساي سنة ٦٦٩ وكان سبب نجاحه هو استخدام نظام الفيالق فى الجيش . كما ينسب إليه اختراع الموازين .

قام حكم الطغاة على يد Theagenes فى حوالى سنة ٦٢٠ ق.م وقد دامت فترة حكمه ثلاثين عاماً . وقد سجل أرسطو تفسيراً حول كيفية توليه السلطة . فقد ناقش كيف كان الديماجوجى عديم الضمير يقدر على الاطاحة بالديمقراطية ، وأن الديماجوجى الذى لديه قدرات عسكرية أو أنه يتولى سلطة عسكرية فإنه دائماً ما يصبح طاغية بإقناعه الشعب أن يكره الأرستقراط . وقد قدم لنا ثياجينييس كمثال على ذلك إذ إنه ذبح الناس الأغنياء الذين يرعون بجوار النهر .

لقد نجح ثياجينييس فى الوصول إلى السلطة من خلال تملقه للفقراء و تنديده بالأغنياء ، ثم قاد جماهير الخوغاء الجياع إلى مراعى الأغنياء أصحاب الانعام ، وأفلح على عمل العامة أن يؤلفوا له حرساً خاصاً ، ونجح من خلال الأتباع فى اسقاط الحكومة الارستقراطية القائمة . لقد حرر الزراع وأذل الاغنياء وذلك من خلال ذبح الخراف و القطعان ويرى البعض أنه كان يريد احتكار صناعة الصوف ، ولكن ذبحه لقطعان الاغنام كان يحرمه من مصدر هام للصوف . ويرى البعض

الآخر أنه قصد من نهبه للخراف أنه اراد القضاء على القطعان التي كانت تدمر المحاصيل فى أرض الزراع وبهذا فإنه من الممكن قد أصبح بطلاً وقدم لهم الكثير من اللحوم .

كان ثياجينييس من الاشراف فقد زوج ابنته من شريف اثينى هو كيلون الذى حاول اقامة نظام حكم طغيان فى أثينا ولكنه فشل . إن حركة الطغيان فى الواقع لم تكن حركة للقضاء على الاشراف وإنما تعكس الصراعات والمنازعات بينهم . وهذا ما كشف عنه الشاعر الميجارى الارستقراطى ثيوجينييس . فقد اشار إلى أن ميجارا كانت مسرحاً لاضطرابات اجتماعية فى القرن السادس وأنه قد تم الاعتراف بالثروات المنقولة ، ونتيجة هذا فقد حدث تزواج بين الاشراف بالمولد وطبقة الاشراف الجديدة وكان الدافع وراء هذا الزواج هو البحث عن الثراء فقط . كما يكشف عن ضيقه وضجره واستنكاره حول تطور الاوضاع الجديدة من تزواج بين الاشراف وغير الاشراف ويبين أن المدينة ما تزال مدينة ولكن اناسها رجال آخرون والذين لم يكونوا يعرفون فى السابق الاحكام والقوانين . وهذا يعنى تحسن أحوال الزراع والفقراء .

ولكن الاغنياء انزلوه عن عرش المدينة عام ٦٠٠ . ولكن قامت ثورة شعبية صادرت املاك الاغنياء والغت الديون واصدرت قراراً يحتم على اصحاب الأموال أن يردوا إلى المدنيين ما استولوا عليه من فوائد .

عرفت المدن اليونانية ، على ساحل آسيا الصغرى والجزر المجاورة ، حكم الطغاة عند نهاية القرن السابع وفى القرن السادس . فقد بدأ فى ميثيلينى فى لسبوس . فعندما طردت الاسرة المالكة من ميثيلينى ، من المرجح فى منتصف القرن الثامن ، فإن السلطة قد آلت إلى عشيرة بنثيلوس الملكية وقد زاد فساد

العشيرة الملكية الاوليجرخية على نطاق واسع وأنها كانت قاسية ويذكر أرسطو كيف أنهم كانوا يضربون الناس . ولذا قد تم التخلص منها على يد الأشراف وسيطر الحكم الارستقراطي على السلطة ولكن لم تمض سنوات كثيرة حتى كانت المدينة تحت حكم الطغاة ولعل السبب ذلك الصراع بين اعضاء الاسر الارستقراطية الحاكمة . فقد تولى حكمها الطاغية ميلانخروس Melanchrus ، واجبر على التخلص من السلطة على يد مجموعة من الرجال وكان من بينهم اخوه الشاعر الكايوس وبيتاكوس Pittacus وهو الرجل الذى قضى على متاعب ميتيلينى الداخلية ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى استولى طاغية آخر هو ميرسيلوس Mysilus وقد اقصم كل من بيتاكوس والكايوس ونبلاء آخرون على عزله ولكن لاسباب غير معروفة فقد غير يتاكوس موقفه وانضم إلى ميرسيلوس وبهذا فقد نال كراهية وازدراء الكايوس ، وبعد فترة من الزمن مات ميرسيلوس وقد فرح الكايوس بموته إذ يقول "ينبغي على الرجل أن يسكر الآن ويشرب بشراهة حيث أن ميرسيلوس قد مات" بيد أن فرحته كانت لمدة قصيرة واجبر هو واخوته على ترك ليسبوس ، ولكنهم حاولوا العودة بالقوة بدعم من ملك ليديا ، وكان هذا يمثل خطراً على المدينة لدرجة أن الارستقراط قد انتخبوا بيتاكوس لمواجهة تلك الأحوال والقضاء عليها . وقد وصف الكايوس بيتاكوس بأنه طاغية وبالغ فى ابراز مفااسده وأن أصله وضيع ، ولكن هذا قول موتور لأن بيتاكوس كان من النبلاء وذلك لأنه كان قد تضامن مع الكايوس واخوته ونبلاء آخرون على طرد الطاغية ولو كان من العامة ما قبلوه معهم ، كما أن بيتاكوس كان متزوجاً من امرأة من عشيرة بينثيلوس الملكية ، ويقول ارسطو أنه قد تم انتخاب بيتاكوس ليشغل وظيفة aisymnetes وكانت هذه الوظيفة سنوية فى بعض المدن اليونانية الشرقية ، ولكن يبدو أن شاغلها كان له سلطات واسعة . ولكنه تخلى عن الوظيفة بعد عشر سنوات

(٥٩٠ - ٥٨٠) من شغله لها بمحض اختياره ومع ذلك ، فإن وصفه كرجل دولة قد جعله يكتسب مكانة كواحد من الحكماء السبعة ، ومعلوماتنا عن انشطته قليلة ، ومنها أنه وضع دستوراً جديداً وشرع القوانين ومنها الحد من نفقات الجنازات . ويظهر لنا شعر الكايوس أن المدينة بعد طرد الحكم الاوليجرخى قد وجد فى المدينة مجلس للشورى وجمعية . وبالتأكيد فإن بيتاكوس قد استعمل هذين المجلسين . ومن المرجح أنه كان قد فتح عضويتها إلى فئات جديدة .

وفى نهاية القرن السابع اصبحت ميليتوس تحت حكم الطغاة فقد قام ثراسيبولوس Thresybulus بالاستيلاء على السلطة وكان قبلها يشغل وظيفة عامة فى الدولة وقد استغلها على حد قول أرسطو واستولى على السلطة .

وفى الواقع فإنه بجانب الظروف الداخلية التى قد ساعدت بعض الرجال على تولى حكم الطغاة قد وجدت ظروف خارجية ساعدت على قيام مثل هذا الحكم فكانت حاجة المدن لحكومات قوية تمكنها من رد الاعتداءات الليلية سبباً فى أن العديد من الرجال قد منحوا سلطات عسكرية واسعة . ولهذا فإن الاتجاه نحو حكم الطغيان كان أمراً سهلاً . وبالتأكيد فإن ثراسيبولوس كان قد بذل جهداً كبيراً فى الدفاع عن ميليتوس ضد الليديين وبالمثل فإن محاولة المنفيين العودة من منفاهم بالقوة وبتعزيد من ليديا كانت وراء تعيين بيتاكوس فى وظيفة واسعة الاختصاصات من قبل أهل مدينته .

وقد حكم فى افسوس عدد من الطغاة ، ومن الراجح ، أنهم كانوا من الارستقراطية المعادية للحكم الاوليجرخى من قبل العشيرة البازيليدية Baslidae . ولا نعرف إلا القليل عن حكم طغاة افسوس فيما عدا أنهم قد حلوا المشكلة مع ليديا خلال الزواج من العائلة المالكة بليديا . وكان نتيجة ذلك أن افسوس قد اصبحت

تحت النفوذ الليدى أكثر من غيرها من المدن اليونانية الشرقية ويبدو أن الطغاة قد قاموا باجراء تغييرات فى البناء القبلى بالمدينة . فى القرون الأولى من نشأتها كان السكان ينقسمون إلى اربعة قبائل هى : ارجاديس Argagis وجيليونتيس Geleontes وهوبليتيس Hopletes وايجيكوريس Aigikoreis وقد اضيف إليها قبيلتان بمرور الزمن وهما بوريس Boreis واونوبيس . ومن المرجح انهما قد ضمنا العناصر غير الايونية التى اتت إلى افسوس بعد الهجرة الاصلية .

وفى فترة متأخرة ربما تحت حكم الطغاة فى القرن السادس فإن تعديلاً فى التنظيم القبلى قد تم بدلاً من أن المواطنين كانوا مقسمين بين ستة قبائل قد اصبحوا مقسمين إلى خمسة قبائل . وكان الغرض من هذا التقسيم ، على ما يرجح ، هو مكافأة السكان المحليين والاغريق الذين لم يتم قبولهم فى مواطنة مدينة افسوس لتعويضهم لحكم الطغاة وذلك بمنحهم حق المواطنة الكاملة الاهلية .

وقد عرفت جزيرة ساموس نظام حكم الطغاة ، وكانت قد شاركت فى حركة الاستعمار مثل بقية المدن اليونانية وكما سبق أن ذكرت أن الفصل بعود لاحد تجارها بوصوله إلى تارتسوس ونتيجة لتجارة المعادن المربحة معها ، وقد شارك أهل ساموس فى تأسيس نقراطيس بمصر واسسوا سلسلة من المستوطنات الأخرى فى البسفور . ومن المرجح أن حركة الاستعمار بالنسبة لجزيرة ساموس قد اعقبها وصاحبها رواج تجارى وصناعى مما ترتب عليه زيادة الثروة المنقولة فى أيدي فئات جديدة وهذا بدوره قد أدى إلى خلق مشاكل اجتماعية وسياسية فى ساموس مثل بقية المدن اليونانية الأخرى . وأول دليل على تلك الاضطرابات قد ذكره بلوتارخ . فنقرأ عنده أن ملاك الارض كانوا يسيطرون على الحكومة بعد قتل ديموتيليس Demoteles والقضاء على اسرته . وحيث إننا لا نعرف عنه شيئاً ، فإن من المرجح أنه قد نجح فى اقامة نوع من حكم الطغاة ، ويقول أيضاً عندما

ارسل الميجاريون حملة ضد مستوطنة برنثوس Prentus ؛ فإن أرسقراط ساموس قد ارسلوا تسعة قواد لتقديم العون لمستعمرهم . وبعد تحقيق اهدافهم فقد عاد هؤلاء القادة العسكريون إلى ساموس . وبمساعدة الاسرى الميجاريون الذين جلبوهم معهم فقد نجحوا في قتل اغلب ملاك الارض الذين كانوا مجتمعين في قاعة المجلس . ولكن ليس من الواضح ما هو نوع الحكم الذى جاء بعد الحكم الاوليجرخى . ولكن هذه الاخبار الغامضة تكشف عن أن ساموس قد عانت من اضطرابات اجتماعية وسياسية فى هذه الفترة . وقد تولى بولوكراتيس كطاغية سنة ٥٣٢ - ٥٣١ ق.م بتعزيد من ١٥ جندي مشاة ويقول هيرودوت أنه بعد استيلائه على السلطة فقد شاركه فيها أخزاه ولكن بعد قتل واحد منهما ونفى الآخر وتشهير الروايات إلى قوته البحرية ونجاحه الدائم . وأنه أول إغريقى ، إن لم يحسب الملك مينوس ، جطط ليصبح سيداً على البحر . وبدون شك فقد زاد من قطع اسطوله . لقد قام بدور زعيم المقاومة ضد الفرس . كما نجده قد تحالف مع أمازيس فرعون مصر . ولعل هذا الحلف كان موجهاً للفرس . كما نجده قد شجع الأدباء والفنانيين ، فقد كان بلاطه الرائع المحاط برجال مثل الشاعر ايبكوس Ibycus من ريجيوم واناكريون Anacreon من تيروس . وكان مسئولاً عن تنفيذ برنامج انشائى ضخيم ومن أهم هذه المنشآت بناء ميناء ضخم لتأمين السفن التجارية والحربية وبناء معبداً ضخماً للإلهة هيرا . كما أنه قد شق قناة طولها حوالى نصف ميل لنقل المياه إلى مدينة ساموس . وكانت القناة تنقل المياه من نبع فى جبل امبيلوس Ampelos .

وعلى الرغم من الروايات الكثيرة حول بولوكراتيس ، فإن الكتاب القدامى لم يناقشوا الأسباب الرئيسية لتولييه الحكم . فقد كان بولوكراتيس ارسقراطى المنبت ، فلم نسمع حول اصله نميمة مثلما كان الحال بالنسبة إلى كيبسيلوس واورثاجوراس . ونفهم من المصادر أنه قد عامل الأرسقراط بقسوة ، ولكن ظلوا

اقوياء لدرجة أنهم قد عادوا للسلطة ولكن بشكل مؤقت . ولا يوجد سبب للاعتقاد أنه كان زعيماً شعبياً على الرغم من أن مشروعات قد خلقت الفرص الكثيرة من العمل للحرفيين والعمال . ولعل استمراره في السلطة وتوليه لها كان بسبب الخطر الفارسي المائل على الابواب وكان الفرس لا يحبذون فكرة دولة يونانية قوية مجاورة لاراضى اسيا الصغرى . فدبروا أمر اغتياله وبعدها ضمت ساموس للحكم الفارسي .

كما نجد أن حكم الطغاة قد عرف عن طريق مدن كثيرة نتيجة للصراع الاجتماعى مثل كولوفون واريثراى Erythrae وخبوس ، وليندوس فى رودوس ، وناكسوس . وفى الروايات المتأخرة كان كليوبولوس Cleobulus ، طاغية ليندوس من الحكماء السبعة وكان ليجداميس Lygdemis ، طاغية ناكسوس ، معروفاً بصداقته ككل من الطاغية بيزاستراتوس الاثينى وبولوكراتيس الساموسى . كما وجد نظام الطغاة فى كل من خالكيس وارتريا لفترة قصيرة من القرن السادس .

وتختلف الظروف التى نشأ فيها نظام الطغاة فى المستعمرات اليونانية فى الغرب - صقلية وإيطاليا - حيث إن الروابط والعلاقات الاسرية لم تكن هامة مثلما هى فى بلاد اليونان الام . وكان على المستعمرين أن يواجهوا ويتعاملوا مع السكان المحليين أيضاً فى ظل تنافسهم مع الاتروسكيين والقرطاجيين ؛ ولذا كان ينبغى عليهم أن يكونوا فى حالة استنفار عسكرى دائم والذى كان فرصة رائعة للقادة الطموحين ليمسكوا بزمام السلطة وحدهم ولدينا العديد من اسماء الطغاة الذين حكموا فى العصر العتيق وكان من اشهرهم فالاريس Phalares الذى حكم اكراجاس فى الربع الثانى من القرن السادس . فقد قاتل ضد السيكيين وحاول أن يمد نفوذه للمستوطنات اليونانية المجاورة .

ونكتفى هنا بالحديث عن الطغاة ولكن سنعود للحديث عنهم فى اثينا وعند تناول الحروب الفارسية . وبعد أن عرضنا لعدد من الطغاة وظروف توليهم السلطة وما قدموه لمجتمعاتهم نحاول الآن تذكر الاسباب الحقيقية وراء قيام هذا النظام . يمكننا القول أن الطغاة قد وجدوا فى عصر اضطرابات وتغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وحيث أن نظام الطغاة قد وجدوا فى مدن كانت تجارتها وصناعاتها فى نمو مضطرب مثل كورينثة وميليتوس وساموس وميجارا فمن المعقول أن نستنتج أن الطغاة قد لقوا تعضيداً وتأيداً من التجار والصناع والذين كانت لديهم ثروات منقولة بدلاً من الارض التى كانت معياراً للثروة والمدخل للسلطة والامتيازات ، كما أنهم كجند مشاة ثقيلى العدة كانوا مستاءين من السيطرة الكاملة على شئون الدولة من قبل الأرسقراط ملاك الاراضى ، ولم يكن الطغاة انفسهم من طبقة العمال والحرفيين ولا ينبغى أن نفكر فى اعتبارهم زعماء لثورة عمالية فعلى العكس لقد كانوا عادةً من النبلاء الطموحين والذين كانوا فى صراع مع نبلاء آخرين ، وعلى الرغم من أن بعضهم كان ينتمى إلى الطبقة الاجتماعية المتدنية ، وفى نفس الوقت لا ينبغى أن نقول أنه لم تدعمهم الجموع ، لقد كان وصولهم للسلطة إن لم يكن دائماً ، بدعم من المؤيدين العسكريين ومن الراجح كقواد عسكريين لجند المشاة ،. ونجد أن البعض منهم قد استمر فى السلطة التى كان قد تم انتخابهم لها ولكنهم لم يتقاعدوا بمجرد انتهاء المدة . ولعل الظروف الداخلية والخارجية هى التى ساعدتهم على الاستمرار فى تولى السلطة وما ينتج عنها من البطش بالخصوم بالنفى والتشريد حيناً وبالنفى ومصادرة الممتلكات حيناً آخر . ويمكن أن نقدم بعض الملاحظات حول طبيعة الفترة التى حكموا فيها وهى:

١ - إذا كان الطغاة قد عاملوا نفراً من الأرسقراط بقسوة وشدة بالقتل والنفى والمصادرة فإن العلاقة كانت بين الأرسقراط والطغاة طيبة . وإذا كان الطغاة

قد صادروا الاملاك فإنهم قد وزعوها على اتباعهم ولصغار الملاك .

٢ - من الواضح أن الطغاة لم يُدخلوا تعديلات جوهرية على ادارة الحكم التشريعية فى المدن المختلفة . إن التغيير الأساسى يقع فى وضعهم الوظيفى هم انفسهم والبعض منهم قد استمر بشكل غير دستورى فى الوظيفة التى كان يشغلها ومن بين هؤلاء كيبسيلوس وأروثاجوراس . ومع ذلك فإن قوتهم كانت تعتمد على شخصيتهم الناجحة فى قيادة الطبقة المتذمرة من الأرسقراط والطبقتين الوسطى والدنيا . إن التغيير الأساسى الذى ادخلوه فى الادارة التنفيذية هى أنهم رشحوا اتباعهم واعوانهم لشغل الوظائف الهامة واصبحوا اعضاء فى المجلس .

٣ - اتسمت فترة حكم الطغاة فى مرحلتها الباكرة بالنشاط وحل ومواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية . فقد كان الطغاة بناءين عظام ، ففى مختلف المدن سُيدت المعابد وتطورت الموانئ وعُبدت الطرق . . .

٤ - اهتم الطغاة بالحياة الثقافية والحضارية ، فقد أقاموا أو أعادوا تنظيم الاحتفالات للآلهة المختلفة . وشجعوا اشهر الفنانين والمعماريين والأدباء .

٥ - لقد كانت انجازاتهم قوة رائعة لنمو وتطور المدن ونظمها . فقد اهتموا بشئونها الداخلية والخارجية .

٦ - لقد مثل الطغاة مرحلة حتمية بالنسبة لتطور نظم الحياة فى المدن المختلفة . فقد كان وجودهم ضرورة لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولكن كلما ازدادوا نجاحاً كلما قلت الحاجة اليهم . فقد كان نظام الطغيان يمثل مرحلة انتقالية وعندما يحاول أن يكون دائماً كان يسقط فبعد انجاز الواجبات الانتقالية ، فقد كان يتم اسقاطه وذلك من خلال الأرسقراط المنفيين احياناً ومن

خلال الطبقة الوسطى المؤيدة له ، والذين ليس لديهم الرغبة في السماح لظاهرة انتقالية أن تصبح دائمة . كما أن اسبرطة لعبت دوراً في اسقاط نظم الطغاة فى بلاد اليونان .

٧ - يلاحظ أن الجيل الأول كان أكثر نجاحاً وتوفيقاً وذلك للظروف التي تولوا فيها السلطة يعود أيضاً إلى طبيعة اشخاصهم ؛ ولذا كانت قسوته أقل من الجيل الثانى فى الصرامة وكان عليه عادة أن يحافظ على وضعه ووظيفته من خلال حراس شخصيته .

٨ - لقد وسع الطغاة قاعدة الحكم فى كثير من المدن وذلك بضم الطبقة الوسطى فى بعض الاحيان وبضم العناصر السكانية الاصلية فى احيان أخرى .

شهد العصر العتيق ابتكاراً عظيماً ، وهو اختراع العملة . وقد واكب ظهور العملة "عصر الطغاة" وكان ظهورها مواكباً لتراكم الثروات المنقولة . كانت المقايضة هى وسيلة التبادل فى العصر العتيق وهذا اكدته اللقى الأثرية فى المقابر وما قدمته لنا الاشعار الهومرية من معلومات فقد كانت مخازن الابطال مكتظة بالآنية الفخارية والمعدنية الجميلة ومختلف المواد المصنعة من الذهب ، مثل الكؤوس والاطباق ، والمصنوعات أو المشغولات الذهبية والملابس الجميلة وسبائك الذهب والفضة والبرونز والحديد وكلما زادت ثروة الشخص المنقولة زادت واجهته . وحيث إن التجارة اعتمدت على المقايضة فإن هذه المواد يمكن تبادلها بمواد أخرى وأحياناً كان يتم استخدام سبائك الذهب والفضة والنحاس والحديد وفى هذه الحالة فإن الحاجة لمعرفة الوزن والنقاء إن أمكن وفى بعض مناطق البلوبونيز فإن عملة حديدية من فئة الأوبل والست أو بلات كانت مقبولة . ووفقاً لبعض الروايات فقد قدم فيدون لمعبد الزيرة هيرا بعض هذه العملات. ويرى

البعض أن هو الذى ابتكر الاوزان والعملية المقروبة من الفضة ، ولكن من المؤكد أن فيدون لم يخترع العملة . فهناك اتفاق بين عدد كبير من الباحثين من علماء العملة أن أول اصداراتها قد سُك في اسيا الصغرى .

كما يوجد الآن شك حول رواية كل من اكسينيفون وهيرودوت حول روايتهما بأن أول سك للعملة الذهبية والفضية كان بمملكة ليديا لأن لدينا عملات تم العثور عليها في افسوس والتي تؤرخ بالثلث الأخير من القرن السابع . والمدن الأيونية لا تقدم دليلاً مشابهاً ولكن يمكن أن نرجح أنها قد عرفت العملة في نفس فترة معرفة افسوس لها . ثم انتقل سك العملة إلى ايجينيا سنة ٥٩٠ وفى كورينثة ظهرت أول عملة لها سنة ٥٧٥ بينما أول عملة اثينية تعود إلى سنة ٥٦٠ . وكان نتيجة ادخال والاعتراف بالعملات تغيرات اقتصادية واجتماعية هامة . وأصبح الاقتصاد النقدى هاماً ، ومع ذلك فإن الاقتصاد الطبيعى - المقايضة - لم ينته فى كثير من مناطق بلاد اليونان .

وقد رأى البعض أن الغرض من اختراع العملة كان الرغبة فى تسهيل التجارة المحلية ولكن رأى العلماء حديثاً فى ضوء فئة أو نوعية العملة يدحض هذا الرأى . إن غياب الفئات الصغيرة من العملة بالمدن الكثيرة يؤكد أن اختراع العملة لم يكن بهدف تسهيل التجارة المحلية ، وعلاوة على ذلك فإن فئات العملة الكبيرة لا يبدو أنها قد شاع استخدامها على نطاق واسع خارج مناطق اصدارها مثل العملة الصغيرة . إن فئات العملة الصغيرة كانت لا تخدم تسهيل الأعمال اليومية ، فأجرة العامل فى اثينا فى القرن الخامس هى دراخمة واحدة فى اليوم ، بينما كانت فئات العملة هى فئة الدراختين أو الأربعة دراخمات . وهذه العملات تكون عديمة الفائدة للتجارة الداخلية وللأنشطة الأخرى . ولكن الرأى الأقرب إلى الواقع أن هناك حاجة إليها لدفع رواتب المرتزقة كما كانت تصدر كميات كبيرة إلى مصر

وقد نُظِرَ إليها كمعدن لا كعملة كما استخدم سك العملة لاطهار الاستقلال السياسى
فكانت تحمل شعار المدينة ، كما أن سك العملة كان يخدم الغرض العام بالدولة من
رسوم وضرائب وانفاق على المشروعات العامة ولكن كان ذلك فى نهاية القرن
الخامس .

اسبرطة

إن دارس تاريخ اليونان يواجه معضلة نقص المصادر بالنسبة للفترة الباكرة من تاريخ اليونان خاصة في فترة العصور المظلمة أي بعد انهيار الحضارة الموكينية ، لذا لا يجد الباحث أمامه سبيل سوى استخدام المادة المتاحة لوصف أهم الأحداث ، والتطورات التي مرت بها بلاد اليونان ، بيد أنه ابتداء من القرن السادس فقد بدأت المصادر تجود بفيض من المعلومات حول أجزاء بلاد اليونان المختلفة مما يمكن الباحث من دراسة مناطقها المختلفة دراسة مسهبة .

ونتيجة لكثرة المادة العلمية فإنه لا يوجد كتاب جامع يعالج بإسهاب شئون المدن اليونانية . وأمام هذا فإننا لا نستطيع أن ندرس أحوال تلك المدن جميعها وإنما سنحاول أن نخص بالدراسة نموذجين للمد اليونانية وتطور أحوالها ونظمها هما اسبرطة وأثينا . فالأولى كانت محافظة في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ثم فقد كانت رمزاً للأوليجرخية ، كما أن نظمها كانت تجمع بين اشكال مختلفة من أنظمة الحكم في المن الأخرى وكان دستورها دستوراً مختلطاً يجمع بين النظم الملكية والأرستقراطية والديمقراطية بينما كانت أثينا متطورة في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية ولذا فهي ركز للديمقراطية . وسنتناول في الصفحات التالية عرض موجز لتاريخ اسبرطة .

ترجع أهمية دراستنا لتاريخ اسبرطة إلى أنها كانت تحتل مكانة عليا وفريدة بين المن الدول اليونانية ، ولا يرجع هذا إلى الدور الذي لعبته في الشئون السياسية اليونانية بقدر ما يرجع إلى غرابة اسلوب الحياة الذي أخذت به نفسها ، وما انعكس من أثر هذا الاسلوب في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لقد نالت اسبرطة ونظمها الفريدة شهرة عظيمة في العالم القديم وأثارت نقاشاً كبيراً بين المفكرين الأقدمين والمحدثين فمنهم من أعجب بها أيماً إعجاب ومنهم من كرهها

وانتقدها أشد الانتقاد . والمصادر المتاحة من تاريخ اسبرطة فى العصور الباكرة ، إبان القرنين الثامن والسابع شحيحة ولذا سنعتمد على الأدلة الأثرية والروايات الغامضة والمتناقضة عند الكتاب المتأخرين مثل باوسنياس والشذرات الباقية من شعر الشعراء الذين عاشوا فى اسبرطة فى القرن السابع ، مثل تيرتايوس والكامان Alcaman اليدى وترباندر Terpander من لبسوس خاصة وأن هذه الأشعار الباقية تقدم لنا معلومات مفيدة عن تلك الفترة ، وذلك لأن أغلب ما كتبه الكتاب القدامى عن اسبرطة لم يتم حفظه .

وفى القرن الخامس ، فقد كتب كل من هيرودوت وثيوكديدس عن أسبرطة والاسبرطيين ، ولكنهما كانا يصبأ اهتمامهما على العلاقات الخارجية وإذا كان هيرودوت قد ركز فى كتاباته على فترة الحروب الفارسية وعل الجيل السابق عليها أو الجيلين السابقين عليها ، فننا نجد ثيوكديدس قد ركز على حرب البلبونيز . وفى القرن الرابع ، كتب لنا اكسينيفون بأسهاب هن اسبرطة والاسبرطيين ولكنه مثل ثيوكديدس فقد عالج الأحداث المعاصرة له . كما تقدم لنا شذرات من كتابات أفوروس معلومات طريفة ، وهذه الشذرات قد وجدت طريقها لكتاب متأخرين ، فقد كتب لنا عن العلاقات العدائية بين أرجوس واسبرطة ، وفى نفس القرن فإن كل من أفلاطون ، وأرسطو قد ناقشا أوضاع اسبرطة بشكل مطول فى كتابتهما عن الفلسفة السياسية وبينما كان أفلاطون محباً لنظمها ، كان أرسطو ناقداً لها أشد النقد . وفى العصور الهلنيسية نجد الشاعر رهيانوس الكريتى الذى قدم لنا معلومات عن الحروب مع ميسينيا . ومن الكتاب الذين وجهوا لتاريخ اسبرطة باوسانياس وبلوتارخ . فالأول قدم لنا معلومات مفيدة فى كتابه الثالث حول العبادة والجوانب التاريخية وعالج به الكثير من الأساطير ، بينما قدم لنا بلوتارخ دراسة بعنوان ليكورجوس وقدم فيها صورة قانونية لنمط الحياة الاسبرطية وهى

الصورة التي أسست الأسطورة الاسبرطية ، ومع ذلك ، فإن هؤلاء الكتاب لا يعرفون الكثير من المعلومات عن تاريخ اسبرطة الباكر وعلى نحو مثير لا يعرفون إلا القليل حول نظام اسبرطة الداخلى فى عصرهم ويقدم لنا ثيوكيديديس السبب حول جهل الكتاب بتاريخ اسبرطة إذ نجده يشتكى من أن الاسبرطيين كانوا يحاولون أن يمنعوا كل المعلومات عنهم . وفى الواقع فإن الاسبرطيين قد نجحوا فى بناء سياج بينهم وبين بقية العالم اليونانى . وينبغى أن نذكر بعض الملاحظات حول تلك المصادر وأن نأخذ الحيطه عند تناولها . فقد كانت اسبرطة دولة اوليجرخية محافظة أو من الأفضل رجعية فى نظر الكتاب أصحاب العقليّة الديمقراطية ، بينما كانت بالنسبة للكتاب الارستقراطيين دولة نموذجية قدموها فى ثوب قشيب وقد ساعدوا على تطوير ورسم صورة اسطورية لاسبرطة ، ومن ثم ينبغى علينا أن نكون على دراية بالخلفية السياسية والاجتماعية لهؤلاء الكتاب وحتى لا نقبل معلوماتهم كما هى . فعلى سبيل المثال فإن بلوتارخ فى كتاباته عن حياة ليكوجوس يقرر حقيقة حول شخص ليكوجوس فلا نعرف من هو ومتى عاش ، وقدم وصفاً رائعاً لنمط الحياة الاسبرطية التى ربطها باسم ليكوجوس ولكن نقول إنه تأثر فى كتاباته بمصباحين من القرن الثالث وهما الملكان الاسبرطيان أجيس وكليومنيس . فقد حاولا القيام بثورة اجتماعية وذلك بإدخال سلسلة من الإصلاحات : منها - على سبيل المثال - الغاء الديون ، وإعادة توزيع الأراضي معتنقين أنهم يعيدون نظام ليكوجوس ، ولهذا فمن الواضح أن بلوتارخ عندما كتب عن حياة ليكوجوس قد نقل بغير وعى بعض الأحوال والأوضاع من القرن الثالث إلى الأيام الباكرة للتاريخ الاسبرطى . وبعد أن عرضنا للمصادر ننتقل الآن للحديث عن اسبرطة فى ضوء ما هو متاح لنا من معلومات .

إن اسم لاكونيا ينطبق على أرض اسبرطة ، وهي تشكل الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلوبونيز ويحدها من الجنوب والشرق البحر ويفصلها من الشمال عن كل من أركاديا وسهل أرجوس سلسلة من الجبال والتي يكون امتدادها سلسلة جبال تايجتوس Taygetus ويحدها من الغرب سلسلة من الجبال منها جبل بارنون الممتد إلى رأس ماليا . ويقع نهر يوروتاس بين سلسلة جبال تايجيتوس ومرتفعات أركاديا وترويه عد جداول تتساب من هذا الجبل الذي يبلغ ارتفاعه ثمانية آلاف قدم . وكانت لاكونيا من أكثر اقاليم بلاد اليونان انعزالاً .

وقد كشف لنا المسح الأثرى عن وجود أكثر من ٥٠ موقعاً لمحلات سكنية من القرن الثالث عشر . وإن كان أغلبها قد عانى من الخراب والدمار ابان الكارثة الكبرى التي ضربت الحضارة الموكينية حوالى سنة ١٢١٠ ق.م ، وقد سمي هوميروس مملكة مينلاوس باسم "لاكيدايمون" ويسمى عاصمتها باسم اسبرطة "Sparte" . وهذه المملكة كانت موجودة فى لاكونيا . وإن كنا لا نعرف عى وجه التحديد عاصمتها ولعلها كانت تقع بالقرب من ثيرابنا Therapna على الضفة الشرقية من نهر يوروتاس حيث كانت تقع مدينة مينلايون Menelaion فى العصور التاريخية . وقد شهدت مدينة ثيرابنا مولد عبادة مينلاوس الحاكم الاسطورى لللاكيدايمون زوج هيلينا أو لعلها تقع على الضفة الغربية عند بلدة أميكلاى Amyclae الواقعة على بعد أربعة أو خمسة أميال من اسبرطة ، فقد عثر فى هذا الموقع على كؤوس ذهبية بديعة الصنعة فى مقبرة بالقرب من فافيو Vaphio بجوار المخلفات الأثرية فى أميكلاى .

وقد سبق أن ذكرنا أن اسباب انهيار الحضارة الموكينية ما يزال موضع نقاش وجدل بين الباحثين وسواء أكانت المسئولية تقع على الهجرة الدورية أو ثورة الموكينيين الدوريين أو شعوب البحر فإنه لا يوجد دليل أثرى حول وجود الدوريين

فى كل من سهلى أرجوس ولاكونيا حتى السنوات الأخيرة من القرن الحادى عشر . فقد بدأ وصول الدوريين إلى سهل أرجوس ولاكونيا وميسينيا ابان فترة الهجرات فى القرن العاشر . ويرى نفر من الباحثين أنهم قد أتوا من كريت كى يستقروا فى جنوب بلاد اليونان ولكن هناك الآن إجماع على أنهم قد وصلوا من وسط بلاد اليونان إلى البلوبونيز وأن منطقة سهل أرجوس هى أول منطقة نزلوا بها واحتلوها ومن هنا فإن تأثيرهم قد انتشر إلى شمال خليج كورينثة كما وصلوا إلى سهول لاكونيا وميسينيا وأسسا العديد من البلدات وهذا ما كشف عنه لنا فخار ما قبل الهندسى والذى يعود تاريخه إلى الفترة ما بين ١٠٠٠ و ٩٥٠ ق.م وكان من أهم البلدات اربع بلدات هى بيتانا Petana ، وميسوا Mesoa ، وليمناى Lemnae ، وكونورا Conooura ، وتقع هذه البلدات على بعد أربعة أو خمسة أميال من أميكلاى الموكينية . وقد تطورت هذه البلدات الدورية ببطء ، وعلى ما يبدو فإنه قد قام بينها اتحاد فى القرن التاسع وأطلق عليه اسم اسبرطة . وظلت هذه البلدات غير ميسورة حتى بُنى حولها سور فى العصر الهلينستى .

اختلف الباحثون فى تفسير اسم اسبرطة ، فالبعض يفسره على أنه مشتق من النبات المنتشر هنا وهو Spartos وهو نبات الوزال الاسبانى ويرى فريق آخر أن الاسم اشتق من Sparte بمعنى الارض المبذورة وعلى الرغم من أن المصادر الأدبية قد استخدمت تسمية اسبرطة على نطاق واسع ، فإن الاسبرطيين قد أطلقوا اسم لاكيدايمون Lacaedaemon على مدينتهم والارض التابعة لها . ففى كل المعاهدات والوثائق المشابهة فقد كان الاسبرطيون يوصفون باللاكيدايمونيين .

كانت محاولة اللاكيدايمونيين السيطرة على سهل لاكونيا عملية بطيئة وصعبة فقد لاقوا مقاومة من الآخيين وهذا ما توضحه حقيقة أن بلدة أميكلاى الأخية والواقعة على بعد ثمانية كيلو مترات تقريباً لم تنضم إلى اسبرطة حتى وقت.

ما فى النصف الأول من القرن الثامن . ومن المرجح أن أميكلاى قد وصلت مع اسبرطة لشروط مرضية جعلتها تنضم إلى اتحاد القرى الأربع ودليلنا على ذلك أنها لم تدمر بل أدمجت كبلدة خامسة فى مدينة اسبرطة ، وكان من نتيجة اندماجها أن تعاظمت قوة اسبرطة وفى المقابل أضعف ذلك الاندماج البقية الباقية من القوى الموكينية فى منطقة لاكونيا بحيث وصلت اسبرطة بسيطرتها جنوباً حتى البحر فى غضون جيل واحد . ولا يمكننا أن نعطى معلومات مفصلة عن التوسع اللاكيدايمونى فى خلال القرنين الثامن والسابع فى لاكونيا ، وذلك لقلّة المصادر الناحة عن هذه الفترة . وفى ضوء النص الأثرية والروايات الرومانسية التى أوردها باوسينياس فى كتابيه الثالث والرابع والذان خصصهما الكاتب للاكونيا وميسينيا كان توسع اسبرطة فى لاكونيا يتم على حساب البقية الباقية من الآخين وأيضاً على حساب العناصر الدورية التى استقرت فى بعض الأماكن فى لاكونيا فى نفس الفترة التى كانت تتكون اسبرطة فيها ، ومن المرجح أن التجمعات الدورية والآخية لم تدمر كلها ولكن على ما يبدو قد تحالف بعضها مع اسبرطة ولكنها اصبحت تابعة لها من الناحية السياسية وأصبح يطلق على هذه الجماعات الحلفاء أو الجيران Peroicoi ، وقد احتفظت تلك الجماعات باستقلالها الذاتى المحلى ، ولكن على الأقل كان عليهم أن يقدموا خدمات لاسبرطة . وفى نفس الوقت الذى قبلت فيه اسبرطة التحالف مع بعض الجماعات فإننا نجدها قد ضمت أدمجت إليها وانزلتهم إلى مرتبة من مراتب الأفنان حيث قسمت أراضيهم بين الاسبرطيين والذين كانوا ملاكاً متغيبين . وربط السكان الأصليين بالأرض وأصبحوا يعرفون باسم Helots وسنعود للحديث عنهم فيما بعد . ومنتقل الآن للحديث عن ضم ميسينيا .

كانت ميسينيا جزءاً من العالم الموكيني ، فقد قامت بها مملكة نستور فى بيلوس Pylos ، ويانحدر وتدهور الحضارة الموكينية بها فى نهاية القرن الثالث عشر فقد دخلت ميسينيا العصور المظلمة وقد توافدت عليها الهجرات الدورية إبان تلك الفترة ، ويمكننا أن نتصور وجود تجمعات صغيرة بعضها كان دورياً صرفاً وبعضها موكينياً ، وبعضها مختلطاً من العناصر الدورية والموكينية .

تكشف لنا المصادر عن اسباب غزو الاسبرطيين لميسينيا الواقعة غرب اسبرطة وترجعها لحبهم الشديد للقتال والغزو وفى نفس الوقت لحاجتهم إلى مزيد من الاقطاعات من الأراضى الزراعية لمواجهة زيادة عدد المواطنين الاسبرطيين والذين أصبحت أراضى لاكونيا لا تكفيهم .

ومعلوماتنا عن الغزو الاسبرطى لميسينيا تكاد تكون محدودة ، فقد بقى لنا منها شذرات من أشعار تيرتايوس والوصف والروايات الرومانسية التى قدمها باوسينياس فى كتابه الرابع والذى يقرر فيه أنه استقى معلوماته عن الحرب الميسينية من كاتبين من القرن الثالث وهم ميرون Myron من برينى Priene ورهيانوس من بينى Bene الكريتية وعاش فى الأسكندرية . وقد كتب الأول نثراً حول جزء من الحرب الميسينية الثانية فى ملحمة بعنوان Messeneaca وبطلها أرسنوميس Arestomenes الميسينى ، كما نجد أن المؤرخ كالليستينيس Callesthenes فى تاريخه اليونانى Hellenic History قد قدم استطراداً عن الحرب الميسينية وابطالها . كما نجد أن المؤرخ أفوروس المعاصر لكالليستينيس قد ميز بين حربين ميسينيتين باكرتين . أولهما قد استمرت عشرين عاماً ولم تكتمل سيطرة اسبرطة على ميسينيا فيها ثم نشبت الحرب الثانية بعد فترة من الزمن (٦٨٥ - ٦٦٨ أو ٦٤٠ - ٦٢٠) وكان بطلها أرسنوميس .

وفى المصادر السافة الذكر يبدو أنه من المرجح أن الاسبرطيين قد قاموا قبل الحرب الميسينية الأولى بعبور جبال تايجيتوس وهيمونا على منطقتى نيدون Nedon ودينثيلاياتيس Dentheleates وأثينا على الساحل الشرقى والشمالى لميسينيا ، وقد فرض الاسبرطيون على بعض التجمعات المغلوبة التحالف معهم كأتباع وجيران .

أما عن الحرب الميسينية الأولى فيبدو أنها وقعت فى الفترة ما بين ٧٣٦ - ٧١٦ ونعتمد فى ذلك على قول تيرتايوس "أن ملكنا ثيوبومبوس Theopompus الذى من خلاله استولينا على ميسينيا" . ثم يستطرد قائلاً إن أباء أبنائنا قد قاتلوا من أجل ميسينيا لمدة تسعة عشر عاماً وفى العام العشرين وأن الميسينيين قد هربوا عبر جبال إثومى Ithome وأثينا على قائمة المنتصرين فى الألعاب الاوليمبية فى الفترة الممتدة من ٧٧٦ - ٧٣٦ والمسجل بها اسماء اصحاب الانتصارات وكان من بينهم سبعة من الميسينيين ، والجدير بالذكر انه لم يظهر بها ميسينى آخر حتى القرن الرابع مع استثناء واحد سجل سنة ٦٨٤ ، والذى يمكن أن يستخدم كدليل على أن اسبرطة استولت على جزء فقط من ميسينيا فى الحرب الميسينية الأولى فقد سيطروا على سهل نهر باميسوس Pamisus بعد أن فر بعض الميسينيين من قلعتهم على جبل إثومى ، والباقيين منهم والذين لم يكن لديهم القدرة على الهرب إلى مناطق أخرى من البلوبونيز قد انزلوا إلى مرتبة helots ، أى الذين وضعت عليهم أعباء وفروض كثيرة مثل الحمير على حد قول تيرتايوس . أما المنطقة الساحلية المحيطة بخليج ميسينيا فقد قامت اسبرطة بتنظيم مجتمعات حليفة Peroicoi ومن المرجح أنهم كانوا من بين الميسينيين والذين كانوا بشكل رئيسى من الدوريين .

والمؤرخون المحدثون يرون أن الحرب الميسينية الثانية قد وقعت في الفترة ما بين (٦٦٠ - ٦٥٠) وهى الحرب التى عاصرها تيرتايوس والذى يذكر أن أحفاد الذين خاضوا الحرب الأولى هم الذين قاموا بها لإخماد ثورة الميسينيين الذين كانوا ينتظرون أول فرصة للاستفادة من كوارث أسبرطة على حد قول أرسطو . ويفترض كثير من الدارسين أن الحرب الميسينية الثانية قد بدأها الميسينيون بعد أن هزم الأرجوسيون اللاسبرطيين فى موقعة هيسياى Hysiai سنة ٦٦٩ ، بدأ الميسينيون الحرب بعد أن حصلوا على وعود بتلقى العون من الأرجوسيين والأركاديين وغيرهم فى حربهم ضد الاسبرطيين ، وكانت هذه الحرب حرباً مريرة استغرقت رداً من الزمن وقد أثار فيها تيرتايوس روح الوطنية لدى الاسبرطيين بما كان ينشده من أشعار مثل قوله "إنه لشيء طيب ، وعادل للرجل الطيب أن يسقط ويموت فى القتال من أجل أرضه" ونعرف من هذا الشاعر أيضاً أن الاسبرطيين قد تبنوا أسلوب القتال المعتمد على جنود المشاة ثقيلى العدة ، وفى هذه تحصن الميسينيوية فى القلعة الجبلية "هيرا" الواقعة بالقرب من الحدود الأركادية . ويروى لنا باوسينياس نقلاً عن الشاعر رهيانوس روايات رومانسية عن بطولات ارستومينيس القائد الميسينى بيد أن النصر كان حليفاً للاسبرطيين فى النهاية . وكان من نتائجه أن أكمل الاسبرطيون غزو ميسينيا وخاصة فقد توسعوا صوب الشاطئ الغربى ، واما كان هذا الجزء جبلى وغير ملائم للزراعة ، فإنه من غير المحتمل أن أعداد سكانه القليلة لم يصبحوا على الأقل بالمفهوم المرتبط بربطهم بالأرض مثل لبذين فى سهل بامبوس . وبعدها أقام الاسبرطيون حزاماً من المجتمعات الحليفة Peroicoi ولعل بعضهم كان من العنصر الدورى الميسينى والآخرين كان من اللاجئيين من مدينتين فى سهل أرجوس وهما مدينة اسينى Asine ونوباليا Nauplia التى كان قد دمرها الارجوسيون فقد تم إنشاء أسينى

جديدة على الشاطئ الغربى لخليج ميسينا بينما استقر النوباليون فى ميثونى Methone على الساحل الغربى لميسينيا . ولكن يبدو أن بعض القلائل والمتعاب قد استمرت للاسبرطيين فى ميسينيا ولم يسيطروا عليها كلية وهذا ما يؤكد قول القائد الطبيى إيامونيديس Epamonides والذى قاد القوات الطبيية وحلفاءها سنة ٣٧٠ / ٣٦٩ فى البلوبونيز وغزوة لاكونيا واستعادته استقلال ميسينيا . إذ نجده يقول "أنه أسس ميسينيا بعد ٢٣٠ سنة فقد رأى - أو اعتقد - إيامونيديس أن نضال الميسينيين قد انتهى فى سنة ٦٠٠ ق.م وهذا يعنى أن بعض القلائل والثورات أو أن اجزاء من ميسينيا لم تضم إلى اسبرطة إلا فى سنة ٦٠٠ ق.م . وبهذا فقد اكتملت سيطرة الاسبرطيين على الجزء الجنوبى من البلوبونيز وفيما وراء منطقة ايليس وأركاديا وأرجوس . ولم تكف اسبرطة بفتح ميسينيا بل نجدها قد دخلت فى حروب مع أركاديا وأرجوس وهو ما سنتناوله عند الحديث عن سياستها الخارجية . قصارى القول أنه يمكننا القول أن فى نهاية القرن السابع كانت اسبرطة تسيطر على كل لاكونيا وميسينيا بعد حروب مريرة . وأنها وصلت إلى أقصى اتساع لها . وسنحاول أن نعرض لنظمها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وعلاقاتها الخارجية فى الصفحات التالية .

التنظيم السياسى

لم تعرف اسبرطة مثل المدن اليونانية الأخرى فى العصور الباكراة القوانين المكتوبة بل كانت كلها تعتمد فى تصريف شئونها على العرف ، والتقاليد . وتتفق الروايات على أن المشرع ليكورجوس هو الذى قدم للاسبرطيين القوانين والنظم الأولى التى اتبعوها ، وإن أعقبها تعديلات من قبل الملوك الاسبرطيين والرقباء وفقاً للظروف والأحوال . كانت شخصية ليكورجوس محل خلاف فى العصور القديمة إذ يقول عنه بلوتارخ "لا نسمع كلمة عن ليكورجوس المشرع إلا وسمعت

ما ينافيها فقد اختلفت الأقوال فى أصله ، وأسفاره ، وموته حتى شرائعه والحكومة التى أنشأها وأشدّها اختلافاً ما قيل عن زمن وجوده ، وهل كان بشراً مصلحاً أم من الآلهة آخر الأمر" . ووفقاً للروايات القديمة فقد كان ليكورجوس ملكاً بعد وفاة أخيه ولكن ما أن ولدت زوجة أخيه ولداً ذكراً حتى اعلن تخليه عن العرش وأن الطفل الوليد هو الملك واعلن نفسه قيماً عليه ولكن حيكمت ضده المؤامرات والشائعات عن رغبته فى أن ينتزع الملك من ابن أخيه من قبل زوجة أخيه وأخواتها لأنها كانت قد شعرت أن غدر بها ولم يتزوجها فأرادت الانتقام منه وأمام هذه الاتهامات الكاذبة والشائعات المغرضة قرر ليكورجوس أن يغادر اسبرطة والقيام بعدد من الاسفار والتى كان أولها سفره إلى كريت حيث درس نظمها وخالف كبار رجالاتها ، فاستحسن بعض قوانينها وحرص عليها ليجربها فى اسبرطة متى عاد إليها واقنع أيضاً حكماؤها بالانتقال إلى اسبرطة . وثانى أسفاره كانت إلى أيونيا حيث عرف لأول مرة قصائد هوميروس ، وثالث أسفاره كانت إلى مصر حيث اعجب بأنظمتها وخاصة تفريقهم بين رجال الحرب ، والطبقات الأخرى فنقل ذلك عنهم إلى اسبرطة . وكانت له اسفار أخرى عديدة .

عم الاسبرطيون الأسف لغيابه ورجوه غير مرة أن يعود قائلين : إن ملوكهم لا تختلف عن عامة الشعب إلا بألقابهم ومقامهم ، ولكنهم يعرفون فيه قدرة طبيعية على القيادة وقدرة على اجتذاب الناس إلى رأيه ، وكان الملوك أنفسهم راغبين فى عودته أملين أن يروع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد ، وقد وجد العقول مهيئة ، فبدأ بالقضاء على عوامل السوء وتغيير هيئة الحكومة اقتناعاً منه بأن القوانين الجزئية عديم الجوى وأنه يجب أن يبدأ بمداوة الأجسام المشوهة المريضة طبائع الفساد بالعقاقير ، والأشربة وتغيير المزاج قبل رسم نظام جديد .

ولما استقر رأيه على ذلك ذهب إلى مهبط وحى دلفى لاستشارة واستتباء
 الاله أبوللو وبعد أن قدم إيه القرابين تلقى النبوءة والوحى المعروف ، حيث رعى
 صديق الآلهة وأنه إله أكثر منه انسان يضاف إلى ذلك أن الإله أبوللو أجاب سؤاله
 وأنه سيمنحه القدرة على إيجاد قوانين صالحة تمتاز بقوتها على جميع أنظمة
 الشعوب وقد منحه الوحى أيضاً النبوءة الآتية لتنظيم المجتمع "عندما تقيم هيكلأ
 لزيوس سيلانيوس Syllanios واثينا سيلانيا Syllania وتقسم الشعب إلى قبائل
 وObae وأنشئ مجلساً للشيوخ Gerousia مؤلفاً من ثلاثين عضواً بما فيهم
 الملكان Archagetai دعهم يجتمعون من فصل إلى فصل للاحتفال بلابلأ Apella
 بين بابيكا Babyka وكناكيون Knakion ، دع الشيوخ يقدمون مشروعات القوانين
 ولكن دع الشعب يكون له القرار النهائي" .

وقد حدثت إضافة إلى هذه الـ Rhetra وهى "إذا حاول الشعب الخداع فى
 التداول فعلى الملكين Archagetai والشيوخ أن ينسحبوا" وهذه الاضافة على حد
 قول بلوتارخ قد قام بها كل من الملكين بوليدوروس وثيوبومبوس وذلك بعد أن أخذ
 الشعب يفسد قرارات المجلس بالحذف والاضافة ، كما علق على هذه العبارة بقوله
 "أنهم لا يوافقون على القرارات وأن يؤجلوا الجلسة ويبلغوا قرارات الشعب لأنها
 غير مشروعة" ويضيف إن الملكين قد اقنعا مواطنيهم أن هذه أوامر الإله وإلى
 هذا المعنى أشار الشاعر ترتايوس بقوله "سمعوا الحى من فم الاله أبوللو" كما نجد
 أن هذا الشاعر قد أشار إلى النبوءة التى تلقاها ليكورجوس بقوله : "بعد الاستماع
 إلى فويبوس" Phoebus فقد أحضروا من بيثو Pytho إجابات النبوءة والكلمات
 الكاملة للإله ! دع أخذ المبادأة بعزم من قبل الملكين المؤلفين المبجلين ، الذين
 اعتنوا بمدينة اسبرطة الحبيبة ، وبواسطة الشيوخ وبعد ذلك دع الناس من الشعب
 يجيبون مع التشريع المباشر" .

والريترا وفقاً لبلوتارخ وترتايوس هي عبارة عن الوحي أو النبوءة التي نطق بها الإله أبوللو والتي سار عليها الإسبرطيون واعتبروها قانوناً . ولكن دارت التساؤلات الآتية : هل هي تشريع اسبرطي قد تم وضعه استجابة لنصيحة وحي دلفي؟ أم أنها نبوءة منطوقة والتي قادت الإسبرطيين لسن تشريع ، أو بعض التشريعات أم هي الوحي والنبوءة التي نطق بها الإله وأخذها الإسبرطيون كما هي؟

نعرف أن الإسبرطيين كانوا يعتبرون الريترا قانوناً دائماً ، وأن الريترا في مناسبتين كانتا وحي من دلفي وأن هذا الوحي كان يمثل التشريع والانون أو هي قانون موحي به من الإله . كما نفهم منها أن القوانين ومشاريحها كان يسنها ويصدق عليها الملوك والشيوخ والشعب . ونلاحظ على الريترا ما يأتي :

أولاً : أنها مهشمة وأن كلماتها في حالة الصيغة المصدرية ، والاشتقاقات تؤكد أنها مختصرة لدرجة أنه لا يمكن أن نكون متأكدين ما هو الموضوع أو الموضوعات التي يمكن أن تفهم .

ثانياً : أن الريترا بدون الملحق ، كان الهدف منها تنظيم الإجراءات لسن القوانين وتقرير السياسة وكان اجراء سن القوانين يتم على مرحلتين أولهما :- هو أن يقوم مجلس الشيوخ بتقديم الاقتراحات أو مشاريع قوانين الجمعية الشعبية . وثانيهما :- أن الجمعية الشعبية كانت تلتقى في عيد يسمى الأبلأ Apella (عيد أبوللو؟) كي تتخذ القرار النهائي بالنسبة للاقتراحات بحيث تقبلها أو ترفضها فإذا ما قبلتها أصبحت قوانين سارية المفعول .

ثالثاً : الحث على بناء هيكل لكل من الإله زيوس والالهة أئينا وتنظيم الناس في قبائل و obai وإنشاء مجلس الشيوخ ، ولكن لا ندرى إن كانت الريترا هي التي أدخلت العناصر الثلاثة أم أنها تشير إليها على أنها كانت موجودة فعلاً

وفقاً لتشريع سابق . ويمكن أن نقول أن الريترا قد حثت على بناء هيكل للإله زيوس وإبنته أثينا وهذا يعنى أن هذا الهيكل كان غير موجود ، كما أن الحث على إنشاء مجلس للشيوخ يشير هو الآخر إلى أنه لم يكن موجوداً بهذا الشكل والسلطات وإن كان على ما يبدو موجوداً فقد كان على شاكلة مجلس الشيوخ الهومرى ؛ أى أن المشرع هنا قد زاد من سلطة هذا المجلس ، كما نفهم أن المجتمع الاسبرطى كان مقسماً إلى قبائل و obai . وستحدث عن هذه النقطة فيما بعد عند الحديث عن المواطنين الاسبرطيين الخّص .

رابعاً : نفهم من الملحق أن الشعب قد بدأ يتغير ويرفض مشاريع القوانين ويغير فيها بدلاً من التصديق عليها وهذا يعنى محاولة الحد من سلطة كل من الملكين ومجلس الشيوخ اصحاب الحق فى اقتراح وإعداد مشاريع القوانين مما دعا كل من الملك ثيوبومبوس المنتصر فى الحرب الميسينية الثانية والملك بولودوروس إلى إضافة الملحق للحد من سلطة الشعب وذلك وفقاً لقانون زعما أنه من وحى إلهى .

خامساً : تستعمل الريترا مصطلح Archagetai لتعنى الملكين الاسبرطيين ولكن معنى هذا المصطلح الأصلى لا يعنى الملك ولكن يعنى المؤسس وقد استعمل أيضاً ليطلق على منشئ عبادة أو مؤسس مستعمرة . وقد حاول البعض تفسير استعمال هذا المصطلح فى الريترا بقوله إن الملكين كانا يحكمان وفى نفس الوقت كانا مؤسسين للدستور الجديد .

سادساً : يرى البعض أن الريترا قد اعيد صياغتها وتم تعديلها من قبل مصلحين فى العصور الباكراة قبل تراتايوس وأن هؤلاء المصلحين كانوا قد ائقنعوا

الاسبرطيين بقبول اقتراحاتهم برغم أن هذه الاقتراحات قد وجدت فى النبوءة ، أو التشريع الصادر منذ فترة طويلة وخير مثال على ذلك الخدمة سلطة الشعب ، وفى المقابل بعد فترة أضيف الرقباء (الافوروى) إلى أجهزة الحكم التنفيذية ، والتشريعية كسلطة تنفيذية رقابية على الملكين إذ يقول اكسينيفون : "كان الرقباء كل شهر نيابة عن الدولة والملك نيابة عن نفسه يتبادلون القسم، فقد كان الملك يقسم بأنه سيحكم طبقاً للقوانين المقررة ، وفى المقابل كان الرقباء يقسمون على المحافظة على الملكية إذا ما ارتبط الملك بقسمه ووفقاً لبلوتارخ كان الملك أيضاً تحت رحمة الرقباء فكل تسع سنوات كان الرقباء يختارون ليلة صافية غير مقمرة ويراقبون وجه السماء فى صمت ، فإذا ما شاهدوا شهاباً يعبر السماء فإنهم يقررون أن ملوكهم قد يكونوا قد عصوا الآلهة ، ويعزلونهم من الوظيفة حتى تصدر نبوءة من دلفى ، أو أوليمبيا لتبرئة الملوك الذين وجدوا أو ظلوا مخطئون .

جملة القول : إن الريترا قد شهدت تعديلات وإضافات كان من شأنها فى بعض الأحيان تعضيد سلطة الملك والشيوخ وفى بعض الأحيان وجدناها تؤكد على دور وتعضيد سلطة الشعب . وأن ليكورجوس قد قام بسلسلة من الإصلاحات بالمجتمع الاسبرطى وتنظيم حياته السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والحربية وقد عدد لنا هيرودوت بعض منجزاته وهى : (١) تنظيم اسبرطة العسكرية (٢) نظام الموائد العامة (٣) الجروسيا (٤) الرقباء . وقد اضاف اليه بلوتارخ انجازات اخرى منها : (١) اعادة تقسيك لاونيا بين الاسبرطيين والحلفاء (٢) الغاء نظام استعمال العملة الذهبية والفضية واستبدالها بالعملة الحديدية كوسيلة للتبادل (٣) التدريب والانضباط (٤) تنظيم القبائل الرئيسية و obae واخيراً فإن

أرسطو يعتقد أنه هو الذى ، أو البوليس السرى ، وسنتناول هذه الإنجازات بعد أن نعرض بايجاز للنظم السياسية التى أوجدها .

النظام السياسى

قدم لنا المؤرخون القدامى وصفاً للدستور الإسبرطى الذى كان يحتوى على أربعة عناصر أو أركان هى : الملكان ، ومجلس الشيوخ ، والجمعية الشعبية ، والرقباء . وسنحاول أولاً أن نعرض للسلطة التنفيذية والمكونة من الملكين والرقباء .

النظام الملكى :

كان النظام الملكى القائم فى اسبرطة يختلف عن النظم الملكية القائمة فى المدن اليونانية الأخرى ، فقد كان الحكم الملكى فى اسبرطة حكماً ناتياً بينما كانت المدن اليونانية الأخرى محكومة من خلال ملك واحد . وإذا كانت اسبرطة قد احتفظت بهذا النظام الملكى الوراثةى راسخ الاركان لفترة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى قرابة نهاية القرن الثالث ، فإننا نجد أن النظام الملكى فى المدن الأخرى وقد اصبح الحكم الملكى غير وراثى ، فى اثينا أصبح الملك واحداً من الحكام المنتخبين وكان يشغل وظيفته لمدة عام . ولكن يعن لنا السؤال الآتى : متى قام النظام الملكى الثنائى فى اسبرطة ؟ وهل هو نظام ملكى فردى ؟ يختلف الباحثون فى الإجابة على هذين السؤالين ، فقد رأى أنه من الراجح عندما استقر الدوريسون أولاً فى اسبرطة كان يحكمهم ملك واحد مثل بقية الملوك فى العصور المظلمة والذى كان محاطاً ، على ما يرجح ، بأصحابه والذين كانوا قد شغلوا نوعاً من مجلس الشيوخ والناس العاديين - الشعب . وأنه يمكن تصور أنه كان يتم دعوتهم فى مناسبات فى جمعية مثل تلك التى ورد ذكرها عند هوميروس ، ويرى هؤلاء النفر من الباحثين أن اسرة أجيس هى الأسبق فى توليها الحكم الملكى وزمام

السلطة ويستندون في ذلك على أن المصادر تؤكد على ما كانت تلقاه من احترام وتقدير وهيبة اكبر من قبل الاسبرطيين ، كما أنهم يستندون في تعضيد رأيهم أيضاً على تسلسل واتساق شجرة نسب هذه الاسرة ، كما نجدهم يحاولون أن يستخدموا ما ورد من معلومات في أسطورة البطل أريستودموس الهرقلي ، الذى قاد الدوريون في لاكونيا ، لتعضيد رأيهم فقد كان لهذا البطل ولدان توأمان هما إيوروستينيس Eurysthenes وبروكليس والذان أصبحا ملكين فيما بعد . والأول هو والد الملك أجيس والثانى هو الأب أو الجد للملك إيوريبون Eurypon . ويستخلص هؤلاء العلماء من الاسطورة أن إيوروستينيس هو أول مولود من الابنين وأن هذا ربما يشير إلى أن الملكية كانت تخص أسرته وأن أسرته هى الأسبق ، كما نجدهم يستخدمون عدم التسلسل والاتساق بل الاضطراب فى شجرة نسب الأسرة الملكية الثانية دليلاً على أنها أتت بعد الأسرة الأولى وأنها قد حاولت أن تضع قائمة من الاسماء فى شجرة نسبها بحيث تعود بها إلى الوراثة قبل أسرة أجيس . ويرى نفر من الباحثين زياً مخالفاً للرأى السابق إذ يرون أنه كان الدوريون ينقسمون إلى ثلاثة قبائل هى هيليس Hylleis وديمانيس Dymanes ويامفيلي Pamphyle وأن كل قبيلة كان يحكم عليها ملك ولذا فقد كان هناك ثلاثة ملوك وأن واحداً منهم قد ضغط عليه من قبل الملكين الآخرين ، بيد أن هذا التفسير غير محتمل لأن كل من الاسرتين الملكيتين من الراجح أنهما كانا ينتميان إلى قبيلة هيليس - على الأقل - فكل من الاسرتين ادعت أنها من سلالة هيليس بن هرقل .

ويقدم فريق ثالث من العلماء رأياً ثالثاً إذ يقول أنه عندما اندمجت اميكلاي فى اسبرطة فى الفترة من ٨٠٠ - ٧٥٠ ق.م. فإن الاسرة الملكية الموكينية القديمة من الاجيديين فى اميكلاي قد شاركت فى الحكم مع اسرة إيوريبون الاسبرطية

ويعتمد هذا ارأى على قول الملك كليومينيس لكاهن أثينا "أنه كان أخياً وأنه موكينياً وليس دورياً" وأن هذه العبارة تشير إلى أنه كان هناك امتزاج كبير بين الدوريين والموكينيين فى الأيام الأولى للهجرة الدورية عن الدوريين المتأخرين ، ويقولون أن أصحاب النظريات القدماء ، والمحدثين قد أحبوا أن يقرأوا فى ضوء السيطرة الدورية فى اسبرطة أنه من الصعب الاعتقاد أن الأسرة الملكية الرئيسية قد انحدرت من السكان الاصليين قبل الدوريين .

ويقدم لنا فريق رابع من الباحثين رأياً رابعاً ، وهذا الرأى الرابع يعتمد على قرائن أثرية لتفسير أصل الملكية الثنائية ، فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن قريتين قد تأسستا أولاً ثم أعقبهما تأسيس قريتين فى وقت لاحق ، ولذا فإن هناك مجموعتين من الدوريين ، وكان على رأس كل مجموعة منهما أسرة ملكية ، وأنه عندما حدث اندماج بينهما فإن الملوك من العائلتين الملكيتين قد اشتركوا فى الحكم واقتسموا السلطة الملكية . فكان من كل أسرة ملك . ويرى فريق خامس رأياً آخر: إذ يرى أن تولى ومشاركة الأسرة الملكية الثانية الحكم نتيجة لضعف السلطة الملكية فى اسبرطة مثلما حدث فى أماكن أخرى فى بلاد اليونان حيث تحول الحكم من الأسرة الملكية إلى الارستقراطية ، ولذا فإننا نجد أن أصحاب هذا الرأى يرون أن افراد أسرة ايورييون كانوا قادة للارستقراطية والشعب damas وأنهم ، من الراجح ، كانوا ملاكاً للأراضى وقد خدموا كجنود وفى محاولتهم للحد من السلطة الملكية المطلقة للملوك من أسرة أجيس وأنهم قد حققوا أهدافهم ليس بالغاء الملكية ، ولكن بحد وسط وهو أن يكون مع الملك من أسرة أجيس زميل من ايورييون ، ولكن من الصعب الاعتقاد فى أن الارستقراطية فى صراعها ضد السلطة المطلقة قد أسسوا أسرة ملكية ثانية وانهم قد اختاروا أسرة ايورييون لتولى المنصب الرفيع ومقاسمة الأسرة الأولى شرف الملكية وأنهم أسروا على أنفسهم تلك الأسرة .

وفى ضوء نقص المعلومات ، شبه الكلى ، حول التطور الباكر فى اسبرطة فمن الافضل أن نفترض أن الملكية الثنائية قد وجدت منذ فترة مبكرة ومع ذلك فإن أسرة ايورييون قد كان لها دورٌ فى الحصول على ما دعاه أحد الباحثين مرسوم دينى للجمهورية الجديدة وهذا المرسوم هو الريترا السالفة الذكر .

إن طبيعة النظام الملكى الاسبرطى كانت شبيهة بتلك الموصوفة عند هوميروس ، ولكن سلطاته كانت قد تقلصت من خلال طبيعتها الثنائية وأيضاً لزيادة أهمية مجلس الشيوخ ومجلس الرقباء ، ومثل الملوك الهومريون ، فإن ملوك اسبرطة كانوا يتولون قيادة الجيش فى الحرب وسلطة اعلان الحرب على البلد التى يختارونها ولا يعترض اسبرطى على ذلك ، ونذكر هنا مقال على ذلك إذ جمع الملك كليومينيس (٥٢٠ - ٤٨٠) جيشاً من كل انحاء البلوبونيز بدون توضيح الغرض الذى من اجله تم حشده وقاده ضد اثينا وقد صاحبه الملك الآخر فى هذه الحملة - كما كانت سيطاتهم مطلقة فى ميدان القتال على الرغم من أنه غير واضح كيف كان الملكان يشتركان فى القيادة ، ونعرف أنه فى القرن السادس دب نزاع بين الملكين فى الحملة على اثينا وانسحب احدهما ونتيجة لهذا فقد اضطر الملك الآخر أن يسرح الجيش وأن يعود إلى اسبرطة ، ونتيجة لهذا الخلاف فقد تقرر أن ملكاً واحداً هو الذى يخرج فى الحملات العسكرية . ولا نعرف على وجه التقريب الذى بدأ فيه اثنان من الرقباء مصاحبته فى الحملات العسكرية ، ولكن سلطة اعلان الحرب وحشد القوات قد شارك الملوك فيها الجمعية الشعبية والتى كان يحق لها اصدار القرارات المؤيدة للحرب ، ثم بعد ذلك صار من حق الرقباء استدعاء وحشد القوات بحملة ما ولكن هذا لا يعنى أن الامتياز الملكى فى حق إعلان الحرب قد ابطل على نحو محدد وبدلاً من ذلك فإن السلطات العامة الاخرى فى اسبرطة قد زادت سلطاتها واصبحت تشارك فى تقرير مسائل الحرب والسلام .

واستمر الملك يخدم كضابط عسكري يمارس القيادة فى ساحات الحرب ، وإن كنا نجد أن الاسبرطيين قد اختاروا قواداً آخرين فى بعض الحملات .

كان الملوك الاسبرطيين يشابهون فى سلطتهم الدينية سلطة الملوك الهومريون ؛ فقد كان الملكان يمثلان دور رئيس السلطة الدينية بالدولة ، فقد كانا يقومان بتقديم الأضاحى ككهنة للمجتمع فى كل شهر لئلا يؤولوا ، وتولوا كهانة زيوس اللاكيدايمونى وزيوس اورانيوس Uranius ، وفى الحرب كانوا يقدمون الأضاحى من أجل الجيش وفى السير وقبل الحرب ، وكانوا يسكبون السوائل ، وكان يحق لهم الحصول على نسبة من الأضاحى ، وكانوا يعينون الرسل Pythai السنويين لدلفى ويشاركونهم المحافظة على الوحي والنبوءات الخاصة بالدولة . لقد لعبوا دور الوسيط بين الآلهة والبشر .

كان الملوك يتمتعون أيضاً بسلطة مدنية وقضائية إذ يقول هيرودوت إن الملكين كانا يتمتعان ببعض قداسة الكهنة والحصول على نسبة من الأضاحى ويجلسون فى صدارة الموائد وكانوا اعضاء فى مجلس الشيوخ ، ولكن لا يوجد ما يؤكد عضويتهم هذه كان لها تأثير خاص ، وعلاوة على ذلك فقد مارسوا سلطة قضائية فى ثلاثة أنواع من القضايا هى : إذا مات الرجل وكانت وريثته غير متزوجة فإن الملك يقرر من يتزوجها ، وكانوا يحكمون أيضاً فى القضايا الخاصة بالطرق العامة وأن تبنى أبناء كان يتم فقط فى حضرة الملوك ، كما كان للملوك سلطة تحديد الحدود بالعلامات المقدسة معتمدين فى ذلك على العرف الدينى .

وكانوا يقومون بتعيين البروكسينى Proxene ؛ المشرفين على ضيافة الغرباء ، والتي كانت واجباً دينياً ، وكان هؤلاء الغرباء يزرون اسبرطة إما للتجارة ، أو لمهام دبلوماسية .

كان الملكان يتمتعان بامتيازات كثيرة منها تملكهم لضسيّاع فى أراضى الحلفاء Peroicoi ، وامتيازات خاصة فى الأضاحى العامة والحق فى استلام خنزير من كل بطن ، ومن المرجح أن هذه العادة بقيت من العصور المبكرة عندما كان الملك يعيش محاطاً بالاصدقاء والاقربان ، فقد كان عليه أن يطعمهم ، وعندما يموت الملك فإن جنازته كانت تتم على النحو القديم للاحتفالات والتي كان من المعتاد أن يخرج للمشاركة فيها من كل بيت حر رجل وامرأة وعدد كبير من الحلفاء و الهيلوتس .

الرقباء الأفرورى Ἐφφοροι

تتفرد اسبرطة وبعض المستوطنات الدورية بوجود مجموعة من الرقباء والذين شبههم شيشرون بترابنة العامة ، وهناك الكثير من المشاكل والقضايا غير المؤكدة حول أصل مجلس الرقباء اكثر من المشاكل حول أصل الاسرتين الملكيتين . ويرى بعض الباحثين أن الرقباء كانوا فى الاصل كهنة وحتى بعد أن اصبحوا حكاماً مدنيين فقد احتفظوا باحدى الوظائف الدينية ألا وهى مراقبة السماء ، على الرغم من أنه يكون مدهشاً أن نجد الفئة الكهنوتية راغبة فى التخلّى عن أغلب مهامها وامتيازاتها الدينية . ويرى نفر اخر أن كلمة Ephoros تعنى الشرف أو المراقب وأن أصل وظيفة الرقباء كانت النظر فى القضايا المدنية وربما كان هذا هو أصل وظيفتهم .

ويذكر هيرودوت أن ليكورجوس هو الذى أوجدها على الرغم من أنها لم تذكر فى الريترا ، والحقيقة أن اسبرطة كان بها قوائم الرقباء والتي من المفترض انها تعود إلى سنة ٧٥٤ / ٧٥٣ ق.م مما يجعل هذا التاريخ يشير إلى أن الذى أوجد هذا النظام هو ليكورجوس . بينما يقول بلوتارخ أن الملوك نظراً لغيابهم

الطويل فى الحرب الميسينية الأولى قد عينوا نواباً عنهم فى اسبرطة لتصريف شئونها وخاصة الفصل فى القضايا المدنية ولعله يشير هنا إلى الملك ثيوبومبوس . بينما يرى البعض الآخر أن سبب وجودهم وجود صراع بين الأشراف والعامه من الاسبرطيين وأن العامة قد برز دورهم فى تحقيق النصر فى الحرب الميسينية وأن هذا قد أعطاهم الفرصة ليحتلوا مكانة سياسية أفضل وأن هذا قد انعكس فى تعيين موظفين يمثلون العامة ويراقبون السلطة التنفيذية ممثلة فى الملكين . ويكونون أوصياء على الحقوق العامة ورعاة لها . ومما يظهر أن الرقباء كانوا يمثلون قضية العامة اليمين التى كان يقسمها الملكان أمامهم كل شهر بأن يحترما القوانين . وقد كانوا هم يقسمون أمام الملكين يميناً مماثلة باحترام السلطة الملكية طالما أن الملكين قد احترما القوانين .

لا يمكننا أن نرجح رأى على رأى فكل رأى له وجهته وما يعضده فعمل الذى أوجد هذا النظام هو ليكورجوس وذلك لأنه لم يكتب شرائعه بل من سننه ما يحرم كتابة الشرائع ومن ثم لا ندرى أو لا نستطيع نقول بجزم أنه هو الذى أوجد النظام ، كما أن الرأى الثانى له وجهته فغيبة الملكين لفترات طويلة كان يترتب عليها وقف صوالح الناس ولذا فقد اقتضت الضرورة اختيار موظفين تنفيذيين يحلون المشاكل الداخلية وحتى يفرغ الملوك للحرب الخارجية . والرأى الثالث له وجهته أيضاً إذ نعرف قبل اصلاحات ليكورجوس كان هناك صاع بين الأشراف والعامه ولذل نجده قد اعاد تقسيم الثروة ، كما أن الحرب الميسينية الأولى هى الأخرى كان من نتائجها خلق التوتر الاجتماعى فى المجتمع الاسبرى لقصرهم إعطاء الأراضى على الاسبرطيين النبلاء وحرمان أبناء الاسبرطيات غير المتزوجات من اسبرطيين وأن الحرب الميسينية ووفقاً لرأى البعض فإن عامه الاسبرطيين لم يشاركوا فى اقتسام الغنيمة بعد الاستيلاء على جانب من ميسينيا

وإن كنا نستبعد هذا . وفى الحرب الميسينية الثانية والتي برز فيها دور العامة وذلك نتيجة لتغيير أساليب التسليح فبدلاً من الاعتماد على الفرسان فقد تم الاعتماد على جنود المشاة ثقيلى العدة . وفى ضوء ما سبق يمكننا القول إن غيبة الملوك لفترات طويلة فى ميادين القتال وازدياد قوة الشعب هى التى مكنت وأدت إلى إضافة هذه الهيئة التنفيذية إلى أجهزة الحكم . ويختلف الباحثون أيضاً حول تقرير عددهم إذ يرى البعض أنهم فى البداية كانوا يمثلون القبائل الدورية الرئيسية الثلاث أى أن عددهم كان ثلاثة ثم زيد العدد إلى خمسة فى نهاية القرن السابع ليتطابق مع عدد القبائل الاسبرطية والتي كانت تتطابق مع القرى الخمسة . وقد زادت أهمية مجلس الرقباء فى نهاية القرن السابع وصار قسماً من الحكومة الاسبرطية . ويرى البعض أن هذه الهيئة قد ظهرت أهميتها على يد الرقيب خيلون الذى اعتبر من الحكماء السبعة وكان معاصراً لدورة الألعاب الاولمبية السادسة والخمسين (٥٥٦ - ٥٥٣) وأنه قد أوجد التعاون بين الملكين والرقباء ، ولكن المصادر لا تحدد نوع وماهية هذا التعاون . فهل كان الرقباء متساوين مع الملوك فى السلطة أم تابعين لهم أم فاقت سلطاتهم الملوك ؟ توجد فقرة عند هيرودوت من منتصف القرن السادس والتي تقول اتت الأخبار للملك اريستون عن ميلاد ولد له عندما كان جالساً على كرسى مع الرقباء ، ربما كان كرسى العدالة . ولكن الأمر ، من الفقرة السابقة ، ما يزال غير واضح إذا ما كان الرقباء مساوين للملوك أم أنهم تابعين لهم .

ولكن نص ثيوكديدس يجيب عن التساؤل إذ نجده يقول إن الرقيب كان يتمتع بسلطة القبض ، أو السجن للملك ولكن هذه الفقرة تشير فقط إلى سلطة القبض وليس سلطة الحكم والادانة . وتقدم لنا رواية هيرودوت دليلاً على العلاقة بين الملك والرقباء والتي نجد فيها الرقباء يحاولون إقناع الملك أناكساندريدس

الذى كان متزوجاً من امرأة عاقر بأن يطلقها ويتزوج من امرأة أخرى ، ولكنه رفض بغضب ورد الرقباء على ذلك بعقد جلسة مع مجلس الشيوخ حثوه فيها على أن يحتفظ بزوجته العاقر وأن يتزوج من امرأة أخرى ، وحذروه إذا ما رفض فإن الاسبرطيين ربما يتخذون موقفاً غير عادى ضده وأمام هذا فقد قبل الملك نصيحتهم. وهذه الرواية تظهر أن الرقباء ومجلس الشيوخ قد أجبروا الملك على الانحناء للارادة المزدوجة للرقباء ومجلس الشيوخ ولكن الامر هنا يشير إلى أن الملك يستجيب لكل من الرقباء ، ومجلس الشيوخ إلا بعد أن هددوه بعرض الأمر على الشعب الاسبرطى وربما يأخذون موقفاً . وهنا يثور سؤال من صاحب السلطة لمحاكمة ، ومحاسبة الملك هل الرقباء أم مجلس الشيوخ أم الجمعية الشعبية ؟ من النص نفهم أن الجمعية الشعبية هي صاحبة القرار النهائى ، كما أن النص يشير إلى أن الرقباء كانوا يأخذون المبادرة الأولى لصالح الدولة فإذا ما فشلوا فى اقناع الملك كان يتجهون إلى مجلس الشيوخ ، فإذا ما أقنع الرقباء مجلس الشيوخ برأيهم كان يعارضهم ، ويساندهم ، وإذا ما رفض الملك رأى ونصيحة الرقباء والشيوخ كان يعرض الأمر على الجمعية الشعبية لاتخاذ القرار . ونفهم أن الملك كان يحال للمحاكمة إلى الجمعية الشعبية فى حضور الرقباء ومجلس الشيوخ . ويؤكد دور الشعب هنا حادثة أخرى سنة ٤١٨ ق.م عندما كان الجيش الاسبرطى فى مواجهة جيش أرجوس وتصور الملك أجيس أن الجيش الاسبرطى سيلقى هزيمة ففضل أن يعتمد على الدبلوماسيين بدلاً من المعركة ، وقد تبعة الاسبرطيون وحلفاؤهم إلى الوطن بسبب القانون وهو أن الملك له القيادة العليا فى ميدان المعركة ولكنهم كانوا غير راضين عن ادائه وتصرفه ، وبعد عودتهم للوطن كانت الاخبار قد انتشرت حول سياسة الملك الخاطئة وتجمع الاسبرطيون وصاروا يبدأ واحدة وقرروا فى غضب تدمير منزل الملك وفرض غرامة عليه قدرها ١٠٠ الف دراخمة ، ولكن

الملك طلب منهم ألا يفعلوا وينفذوا ذلك على الأقل حتى يدافع عن نفسه ، ويبدو بعد أن دافع الملك عن نفسه وشرح وجهة نظره ، فقد الغوا الغرامة وقرار هدم المنزل ولكن مروراً قانوناً والذي يضع قيوداً على سلطاته كقائد وهذا يشير إلى سلطة الجمعية الشعبية في زمن الغرامات وتقرير العقوبات على الملوك . وفي حادثة أخرى وقعت في سنة ٢٤١ ق.م حيث نجد أن مشروع الاصلاح الذي قدمه الملك أجيس الرابع قد أثار القلاقل والاضطرابات مما اضطر أحد الرقباء إلى القبض عليه كي يقدمه للمحاكمة أمام مجلس الرقباء ومساعدة الاسبرطيين ووضعه في السجن ، ولكن حصار الملك ليونديس للسجن لم يغير من الأمر شيئاً . فلم يهرب هذا الاجراء الرقباء إذ نجدهم قد ذهبوا إلى السجن ودعوا بعض الشيوخ لعقد المحاكمة والتي قضت بالفعل بموت أجيس ، وطالب أقارب الملك أن تتم محاكمة أقرانه من الموظفين ولكن هذا المطلب لم يتحقق إذ تم اعدام الملك على يد امفاريس Amphares ؛ بل نجده قد أدخل اقراره السجن وقتلهم . ويرى البعض أن الرقيب خيلون قد أدخل مادة في الدستور الاسبرطى تخول للرقباء الحق في أن يخلعوا الملوك إذا ما اقتضى الأمر ذلك ولعل اليمين المتبادل بين الرقباء وبين الملكين هو أوضح دليل على ذلك ، كما أن نظر الرقباء في السماء كل تسع سنوات من حكم الملكين لمعرفة إذا ما كانا قد اجادا أو فشلا في أداء مهامهما فإذا ما ثبت فشلهما كان يتم عزلهما إلى أن تأتي نبوءة بعكس ما لاحظته الرقباء . وهنا نجد سلطة الرقباء على الملوك كبيرة ويؤيد هذا أيضاً أن الملك كليومينيس قد تعاون مع الرقباء في تبادل الرأي والمشورة بشأن مديد المساعدة لمايلندريوس Maeandrius الساموسى الذى كان الفرس قد طردوه ، ولكن رأيهما كان واحداً وهو ألا يساعده بل يطردوه . . . وهنا إشارة إلى مقاسمة الرقباء الملكين في اتخاذ القرار .

لقد استمد الرقباء القوة والسلطة من الدستور ولأنهم كانوا يمثلون الشعب الاسبرطى ، فقد أصبحوا بسرعة المدراء الرئيسيين بالدولة ، وكان رئيس مجلس الرقباء هو الحاكم المدنى الذى تؤرخ السنة باسمه ، وقد تفاقمت سلطتهم وأصبحت تضاهى سلطة الملوك فى منتصف القرن السادس ولكن بعد ذلك أصبحت سلطتهم فوق سلطة الملوك وهذا ما يؤكده الحصول على القسم من الملكين ، ومراقبة السماء كل تسع سنوات لمعرفة إذا كانت الألهة راضية عن اعمال الملك أم لا ، وكما نعرف فقد صار اثنان منهم يصاحبون الملك فى الحملات العسكرية وذلك لمراقبة تصرفاته ، وكانوا مسئولين عن حشد الجيش الاسبرطى واستدعاء قوات الحلفاء ويقررون من الذى ينبغى استدعاءه للجيش ، وكانوا يستقبلون السفراء للجانبا ويقدّمونهم إلى الجمعية الشعبية ، كما أصبح لهم الحق فى دعوة كل من مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية للانعقاد ، وأنهم أصبحوا هم وحدهم أصحاب السلطة فى إدخال واقتراح مشروعات القوانين أمام الهيئات السالفة الذكر ، كما كان عليهم تنفيذ القرارات الصادرة عن مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية وكانت سلطتهم مطلقة على الموظفين الأدنى أيضاً . كما كان اول أو امرهم أو مراسيمهم الرسمية بعد توليهم السلطة للموظفين هو أنه عليهم أن يقصوا شعورهم ويحترموا القوانين .

وفى المجال القضائى فقد كانوا يستمعون لأغلبية القضايا المدنية (مثل حقوق ملكية وإرث والحقوق العائلية) ، كما نجدهم قد شكلوا بالتعاون مع مجلس الشيوخ محكمة تعرض امامها القضايا الجنائية ، وعلى ما يبدو فقد أشرفوا على تعليم الشباب وحفظ النظام الاجتماعى ، ومن اختصاصاتهم أيضاً ادارة شؤون الحلفاء وتعيين الشرطة السرية لمراقبة الهلوتيس ويحق لهم أن يطردوا من البلاد كل غريب ، وفى الواقع فإن مظاهر قليلة فى الحياة الاسبرطية هى التى لم يُشرفوا

عليها أو يمارسوا سلطتهم عليها . ولما كانت الشريعة الاسبرطية غير مكتوبة فإن بعض الكتاب القدامى قد شبهوا الرقباء بالطغاة ، فنجد أرسطو لا يقبل فكرة أن الرقباء يحكمون بمفردهم فى القضايا العامة دون الرجوع إلى نصوص مكتوبة ويصدرون الاحكام طبقاً لتقديرهم الخاص ولذلك يتفق هنا مع اكسينيفون وافلاطون فى تشبيهه وفى ضوء ما سبق عرضه فإن الرقباء كانوا موقف ضعيف مقارنة بالملوك لانهم معينون سنوياً بينما الملك مستمر فى الحكم ويملك زمام السلطة ، وأن الرقيب عندما يترك كرسى الحكم فإنه يصير مواطناً عادياً بينما الملك يمسك بزمام الحكم ، ولذا فمن المحتمل أنهم لم يقفوا ضد الملوك الاقوياء . ولكن لا يمكن قبول هذا الرأى فى ضوء السلطات الواسعة التى تمتع بها الرقباء . كما أن المصادر تذكر دائماً ملوكاً تم عزلهم بينما تصمت عن الرقباء ، كما أن أحدهم وهو خيلون قد صنّف بين الحكماء السبعة . كما أن عدم شيوع ذكرهم فى المصادر يعود إلى أنهم يشغلون المنصب لمدة عام ، ولذا كان أسهل على الغرباء أن يذكروا أو يتذكروا أسماء الملوك الذين يحكمون لفترة قد تطول بدلاً من بذكر أسماء رقباء يتغيرون كل عام ، كما أن أهمية الرقباء تتضح من أن رئيسهم تورخ باسمه السنة التى تولى فيها كرسيه . وكان يتم انتخابهم فى الجمعية الشعبية وكان يتم اختيارهم بطريقة الصياح فمن يحصل على أعلى صياح فهو الكاسب ولكن إذا كان حجم الصياح متساوياً كان الرقيب يقوم بإجراء تصويت بأخذ الاصوات ، وكان الاسبرطيون يوافقون تماماً على أن يكون لمسئولهم هذه السلطة . ومن كان يشغل الوظيفة من المرشحين كان لا يعاد ترشيحه مرة أخرى ، مما يعنى التوسع واتاحة الفرصة أمام الجميع لشغل الوظيفة . ويرى الكثير من الكتاب القدامى أن الرقباء بسبب انتخابهم من قبل كل المواطنين فى الجمعية الشعبية يمثلون الوجه الديمقراطى للدستور الاسبرطى ، ولعل هذا يكون حقيقة خاصة عندما أصبحوا

لأول مرة موظفين هاميين وبعد أن تنامت سلطاتهم وقوتهم مع نهاية القرن السابع . وكان ذلك لصالح الشعب على حد قول بلوتارخ ، ويقول أحد الكتاب أن الرقباء فى نفس الوقت قد جعلوا الارستقراط أكثر قوة ، وقد رأى البعض أن الرقباء كان يتم اختيارهم من بين الفقراء غالباً وبسبب فقرهم كانوا يقبلون الرشاشا ، ولكنه طبقاً للقانون فإن كل اسبرطى كامل الاهلية كان من حقه أن يرشح نفسه لشغل الوظيفة ، ولذا يمكننا القول أن شاعلى الوظيفة لم يكونوا دائماً من الفقراء بل كان من بينهم أغنياء أيضاً وإذا كان البعض يتهمهم بالرشاشا وأن هناك ملوك قد قبض عليهم لارتشاشتهم وهم فى حالة تلبس ، فهل كان الرقيب المرتشى يتم فصله وعقابه كما كان يعاقب مثل الملك ؟ لعله من المؤكد أن هذا هو القاعدة التى كانت تطبق على الجميع .

ثانياً : المؤسسات ذات الطبيعة التشريعية

أ - مجلس الشيوخ :

كان المجلس يسمى الجروسيا Gerousia والمصطلح يعنى الشيخوخة وكان اعضاؤه يسمون Gerontes . وكان هذا المجلس مكون من ثلاثين عضواً ومن بينهم الملكان . ولا يوجد تفسير مقنع قد تم العثور عليه لتحديد العدد المنتظم الدائم وهو ٢٨ عضواً . وإن كان بلوتارخ يقدم تفسيراً لذلك إذ يقول "أنه لما كان ليكورجوس يريد تنفيذ اصلاحاته اختار ثلاثين رجلاً من عليا القوم ، ولكن رجلين من الثلاثين رجلاً الذين كان قد اختارهم تولاهما الخوف وابتعدوا عن المشروع . بينما يؤكد اخرون أن العدد الذى أختير من البدء هو ثمانية وعشرون رجلاً . وأنه إذا ما أضيف الملكان صار العدد ثلاثين رجلاً ويوضح بلوتارخ أن ليكورجوس كان هو المسئول عن انشاء الجروسيا وأن ذلك قد أكدته الريترا التى تلقاها المشروع من الاله أبولو وحياً . وبالتأكيد فإن بلوتارخ كان مخطئاً فى اسناده انشاء المجلس

لليكورجوس لأن الملوك الأول يجب أن يكون عندهم مجلس للشيوخ سببه لتلك المجالس التي وجدت في المدن اليونانية الباكراة والتي سبق أن نوهنا إليها ، ومع ذلك ، فمن المحتمل فعلاً أن عضوية وسلطة الجروسيا قد تأكدت وتحددت ماهيتها في فترة وضع الريترا موضع التنفيذ والتي أعتبرت كميثاق لحكومة الجمهورية الاسبرطية .

وقد تحددت أهمية مجلس الجروسيا منذ انشائه على حد قول بلوتارخ نقلاً عن افلاطون ؛ إذ يقول فقد كان قوة تشارك الملوك في سيادتهم لتهدب من حيرتهم ولا يقل سلطان المجلس عن سلطان الملوك ، يمهد للحكومة في الأوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة . كان دأب الحكومة أن تسبح في لجج من الاضطراب يميل بها الملوك إلى الاستبداد ويجتذبها الشعب إلى الديمقراطية . وقف مجلس الشيوخ بين هاتين القوتين المتعارضين قوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، وبذلك استقرت الحال واستقامت الشؤون .

وقد تحددت شروط عضوية المجلس بالآقل عمر المرشح للوظيفة عن ستين عاماً وكان يتم شغل عضوية المجلس بالانتخاب فيما عدا عضوية الملكين التي كان شغلها مرتبط بمنصب الملك . وأن عضوية الملك لم يكن يشترط فيها وصوله إلى سن الستين إذ يصبح عضواً فيها بمجرد توليه كرسى الحكم وهنا نقول أن العضوية هنا وراثية ، ولكن هل كان يحق لكل اسبرطى من الذين بلغوا سن الستين التقدم للترشيح لشغل العضوية الشاغرة في المجلس ؟ يرى نفر من الباحثين أن من حق كل اسبرطى بلغ سن الستين أن يرشح نفسه للانتخاب واصحاب هذا الرأي قد تأثروا بأسطورة تساوى كل الاسبرطيين وينكر أن هناك مجموعة متميزة من الاسبرطيين بيد أن لدينا العديد من المصادر القديمة والتي تؤيد بشكل جلى أن هناك مجموعة متميزة من الاسبرطيين شكلت الفئة الارستقراطية الاسبرطية فيقول

اكسينيفون "أن الرجال العظام هم الأغنياء بينما الرقباء ذوى السلطات المشابهة للطغاة من الفقراء فى أحوال كثيرة على الأقل" ويقول أرسطو فى كتابه السياسة "والسبب الثانى لوصف اسبرطة كدولة ديمقراطية هو حق المواطنين أن ينتخبوا اكبر هينتين وهما مجلس الشيوخ وأنهم هم أنفسهم لهم الحق فى تولى وظيفة الرقباء" وهذه العبارة تثبت بشكل واضح أن المواطنين فى الجمعية يمكن أن ينتخبوا بعض الرجال للجروسيا ، وليس هم أنفسهم ، وفى موضع آخر يقول فى تعليق على الحاجة إلى كل العناصر فى الدولة كى تكون مقتنعة بالدستور ، إذا ما كان ينبغى أن يبقى ، يلاحظ أن هذه الحالة موجودة فى اسبرطة ، بسبب أن الملكين كانا راضيين بالتكريم الذى يسبغ عليهما من قبل الارستقراط Kaloi Kagathoi مع الجروسيا ؛ فقد كانت هذه الوظيفة هبة أو مكافأة للسمو ، والشعب مع الرقباء ، وكان يحق للجميع الترشيح لها . كما توجد عند هيرودوت وثيوكيديديس وارسطو وبلوتارخ اشارات عديدة عن الاسبرطيين الاثرياء ولذا فقد كان هناك ارستقراطية بين الاسبرطيين . ومن المرجح أن هؤلاء الاعضاء للاثرياء بالجروسيا كانوا هم المسئولون بشكل شائع عن رشوة الرقباء والتى اشار اليها أرسطو ، وهذا قد جعل نظام الرقباء يقوى الارستقراطية ، وكما أوضح بلوتارخ أن هؤلاء النبلاء بالسيطرة على الجروسيا بممارسة النفوذ والتأثير على الرقباء والموظفين الآخرين ، كنوا هم القوة الحقيقية فى دولة اسبرطة ، ويقول ديموستينيس فى تعليقه على الانتخاب لمجلس الشيوخ يصبح الزجل السيد المطلق للكثيرين .

قصارى القول أن هناك نفر من الاسبرطيين شكّلوا ارستقراطية بين الاسبرطيين وأن ثروتهم قد فاقت ثروة الاسبرطيين الآخرين ، كما أن هؤلاء الارستقراط هم الذين يتم انتخابهم لمجلس الشيوخ وهذا ما يؤكد قول بلوتارخ أنه

إذا ما توفى شيخ انتخب بدلاً منه أوفر المواطنين فضلاً ممن تجاوز سن الستين وكان التنافس معركة من أمجد المعارك فى العام وخير ما تبذل فيه جهود المتنافسين ، لم يكن القصد انتخاب انشط النشطاء ولا أقوى الأقوياء بل أحكم الحكماء وأفضل الفضلاء ، يستمتع المُنتخب طوال حياته بأجر الفضيلة ، وهو السيادة المطلقة فى الحكومة . . . الخ .

كانت طريقة انتخاب اعضاء المجلس طريقة بدائية طفولية فى نظر أرسطو بينما اعتبرها بلوتارخ طريقة نموذجية ، وقد قدم لنا وصفاً للعملية الانتخابية وما يليها بالكلمات الآتية "يجتمع الشعب فى الساحة العمومية ويجتمع المختارون المرشحون فى غرفة مجاورة لا يرون أحداً ولا يراهم أحد ولكنهم يسمعون هتاف وصياح الجماعة لأن الشعب كعادته يعطى صوتاً عالياً . ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات الأول والثانى والثالث وهلم جرا . ولا يدخل المتنافسون دفعة واحدة بل يجتازونه الواحد تلو الآخر صامتين فمن كان موقن كان الهتاف له أكثر وأقوى كان المنتخب فيتوج بإكليل من الزهور ، م يذهب إلى الهيكل ليقدم الشكر للآلهة ، يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شمائله ويطرون فضائله ، ثم طائفة من النساء تنشد الأناشيد تهنئة بحياته الفاضلة ، ثم يعد له كل أصحابه طعاماً ويقولوا له أن المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، ويعد أن يزورهم جميعاً ، يعود إلى الساحة العمومية حيث يقضى الثنون عادة ، غير أنهم يعدون له وجبتين من الطعام فيترك واحدة منها بينما يتناول الأخرى فى العشاء وبعد تناوله العشاء تحضر ذات قرباه يقفن عند أبواب الساحة فيدعو أكثرهن احتراماً فى نظره يقدم إليها الوجبة الثانية قائلاً "أعطيت هذا جزاء الفضيلة وبهذه الصفة أقدمها إليك" ، فتصحبها النساء إلى منزلها وتكون هى أيضاً موضعاً للحفاوة والتكريم . وإذا ما صار الاسبرطى عضواً فى المجلس فإن عضويته كانت أبدية ،

وكان لا يقبض عليه بسبب كلمات أو أقوال أى أنه كان يتمتع بالحصانة طالما التزم الطاعة للقوانين ونواميس الدولة .

كان المجلس يتمتع بسلطات واسعة فى الدولة فكان ينظر بالدرجة الأولى فى شئون السياسة الخارجية ، كما كان يعد مشاريع القوانين التى يتم عرضها على الجمعية الشعبية بعد أن يكون قد درسها ، كما كان من حقه هو والملك الاعتراض على قرارات الجمعية الشعبية ، ولكن هذا الحق شاركهم فيه فيما بعد الرقباء . وكان الرقباء يترأسون جلساته وليس الملكين . كما كانوا هم الذين ينفذون القرارات الادارية للمجلس وانهم كانوا هم الذين ويقدمون للجمعية مشروعات القوانين لقبولها أو رفضها .

وقد خدم المجلس كهيئة قضائية ، فقد كان له الولاية فى القضايا الجنائية وقضايا الاعدام . وإن كان الرقباء قد شاركوه النظر فى القضايا كما كان له حق النصح للملك فيما يتعلق بمستقبل الملكية إذ نجده ينصح أحد الملوك كى يتزوج زوجة ثانية لأن زوجته الأولى عاقر ورغم نصيحته بالتهديد ، ولعل السبب فى ذلك الرغبة فى أن تكون له ذرية يخلفه أحدها على العرش وقد خضع الملك لتهديد المجلس والرقباء .

لقد كان هذا المجلس مجلساً محافظاً إذ لم يكن رجعياً ، وفى الحقيقة فإنه يمثل الوجه الاوليجرخى الارستقراطى فى اسبرطة . وبعد أن عرضنا لهذا المجلس ننتقل الآن للحديث عن الجمعية الشعبية .

الجمعية الشعبية :

كما هو الحال فى المدن اليونانية الأخرى فإن الدستور الاسبرطى قد احتوى على الجمعية الشعبية كركن من أركان النظام السياسى . كانت الجمعية الشعبية

تضم المواطنين الكاملو الأهلية الذين بلغوا سن الثلاثين واجتازوا مراحل التدريب والخدمة والتي يفرضها القانون ويقال أن عدد اعضائها فى أزهى فترات ازدهار المدينة قد بلغ عشرون ألفاً ولعل فى هذا الرقم بعض المبالغة . لأن عدد الاقطاعات تتراوح ما بين عشرة وتسعة الاف قطاع . وحيث أنه لا يوجد دليل يؤكد على أن هذه الجمعية قد سميت Apella فمن الافضل أن نستعمل المصطلح العام وهو الاكليزيا Ecclesia .

كانت الجمعية الشعبية تلتقى مرة كل شهر عندما يكتمل القمر أى فى منتصف الشهر القمري . وكان يتولى رئاستها فى البداية الملوك ولكن فى العصور التالية انتقلت رئاستها ودعوتها لانعقاد للرقباء .

وكانت الجمعية الشعبية تقوم بانتخاب اعضاء مجلس الشيوخ واعضاء مجلس الرقباء والموظفين الآخرين وذلك بطريقة الصباح . وكان يعرض عليها المسائل التى تهم المواطنين مثل اعلان الحرب أو اقرار السلم أو عقد محالفة مع مدينة من المدن الأخرى ، وكان يعرض عليها مسألة وراثه العرش حيث يكون هناك خلاف حول شخص الوريث . كما كان يعرض عليها مشاريع القوانين المقدمة من الملكين والشيوخ والرقباء للموافقة عليها أو رفضها . وفى البداية كان من حق الملكين والشيوخ الحديث أمامها ، ولكن على ما يبدو حدث فى موقفها وناقش اعضاؤها مشاريع القرارات المقدمة اليهم وحاولوا تعديلها أو تبديلها وهذا قد أدى إلى اضافة ملحق الريترا الذى يمنح الملكين ومجلس الشيوخ الحق بفض الاجتماع إذا ما شعروا أن الجمعية قد تفرأ أموراً خاطئة ، وبهذا التعدين فإن ما تفرره الجمعية لا يصبح نافذ المفعول إلا بعد موافقة الملكين ومجلس الشيوخ وهذا يعنى أن سلطتها سلطة اسمية ، ولكن وجود نظام الرقباء قد أضاف لها ثقلاً كبيراً وقد دار جدلاً بين الباحثين حول من له أهمية أكثر مجلس الشيوخ أم الجمعية

الشعبية؟ فقد رأى أرسطو أن مجلس الشيوخ كان له وزن كبير بينما الجمعية الشعبية لم يكن لها أهمية كبيرة . وقد تبعه نفر من المؤرخين المحدثين فى هذا الرأى وحاولوا أن يتبنوه ، فعلى سبيل المثال فنجد أن المسورخ De Sle Croix يعلى من دور الجروسيا واهميتها فى مجال المحاكمات السياسية ، واقترح القوانين والاعتراض على ما تبديه الجمعية الشعبية من تعديلات فى مشاريع القوانين المقدمة من مجلس الشيوخ ، وأن الاسبرطيين العادين لم يكن لهم سلطة الحديث فى الجمعية سوى الملكين واعضاء مجلس الشيوخ والرقباء . وأن الجمعية الشعبية لم يكن لها سلطة اقتراح القوانين . ويقول موسى فينى "هل يمكن أن نقصور أن الجنود الاسبرطيين المطيعين والملتزمين أن يتخلوا عن عاداتهم فى مثل هذه المناسبات عندما يجتمعون ليس كجنود وإنما كمواطنين ، بينما هم يستمعون للمناقشة بين هؤلاء الذين علموهم أن يأخذوا الأوامر بدون نقد أو تردد" ولذا فهو يقترح أن وظيفة الجمعية الشعبية فى اسبرطة اقرب إلى وظيفة الجمعية الهومرية .

ويعارض هذا الرأى نفر آخر من الباحثين . إذ يرون أن المصادر التاريخية ، على العكس ، لا تقدم إلا القليل حول الجروسيا ولكنها تحتوى على الكثير من المادة حول الجمعية الشعبية . فالجمعية هى التى تنتخب هؤلاء الشيوخ والرقباء وحسم الخلافات حول وراثه العرش إن كان هناك خلاف ، كما أن السلطة المخولة لها فى إقرار القوانين تعنى أنه لا يمكن أن يصبح هناك قانون سارى المفعول دون أن يلقى القبول والتصديق عليه من قبل الجمعية الشعبية . وإذا كان مجلس الشيوخ هو الذى يدير جانب من السياسة الخارجية فإن مخاطبة السفراء للجمعية الشعبية يشير إلى أن رأى الجمعية كان له ثقله ووزنه ، وفى ضوء المادة فإن الجمعية كان لها سلطة ما فى التعديل وأخذ زمام المبادرة . ففى صيف ٤١٨ ق.م عندما كان جيش اسبرطى بقيادة الملك أجيس ذاهب لقتال أرجوس ولكن

الملك رأى أن يستخدم الدبلوماسية بدلاً من حوض الحرب ضد أرجوس وذلك خشية أن يلقى الهزيمة ، وبالفعل فرر الانسحاب ، وعلى الرغم من عدم رصم الاسبرطيين وحلفاءهم عن فرار السلك إلا أنهم تبعوه إلى الوطن تنفيذاً للفانون إذ أن الملك كانت له القيادة العليا والسلطة المطلقة في ميدان المعركة . وبعد أن عادوا إلى الوطن فإن الاخبار قد وصلت عن أفعال ونصرفات الملك كانت خاطئة وعلى حد وصف ثيوكيدديس فقد أصبح الاسبرطيون أكثر تقارباً أى اجتمعت كلمتهم ، وقرروا وهم في حالة غضب ، وهذا ضد طبيعتهم ، أن يدمروا منزل الملك أجييس وأن يخرموه مائة الف دراخمة وطلب الملك منهم الا ينفذوا ما فرروه الا بعد الاستماع إليه والدفاع عن نفسه وبالفعل فقد عدلوا عما فرروه بشأنه ولكن سرروا قانوناً والذي بمقتضاه قد فرضت بعض القود على سلطات الملك كقائد ، كما أن مجلس الرقباء كان هو المحرك للدولة كلها فكانوا هم الذين يرأسون المجلسين عند انعقادهما . كما أن قصة الملك الذي نروج بعافر ، والى سبق أن ذكرناها أن الرقباء حاولوا اقتاعه بنطليقها ثم مع الشوح بأن ننروج عليها لتمسكه بها وهددوه إذا لم يفعل فسوف يحتكمون للشعب أى الجمعية الشعبية ما يشير إلى سلطة الجمعية الشعبية . وفي النهاية يمكننا القول أن أجهزة الحكم والأجهزة التشريعية الاسبرطية كان يكمل بعضها بعضاً كما أن السلطات المخولة للأجهزة التنفيذية والتشريعية لم تكن ثابتة ومقصورة على هيئة بل تحد تبدل في السياسة والسلطات وكل ذلك قد حدث لصالح الدولة وليس لصالح هيئة على هيئة أو مجلس على مجلس . وبعد أن عرضنا لأركان النظام السياسي الاسبرطى ننقل الآن للحديث عن ملامح النظام الاقتصادي والاجتماعي الاسبرطى .

النظام الاقتصادي ١: - حيازة الارض

لمّا كان النظام الاقتصادي والاجتماعي يرتبط بنظام الارض وحبارتها ، فإنه

من الضروري أن نعرض لمشكلة الارض المحيرة . إن أفضل وأكمل عرض لنظام الاراضى فى اسبرطة قد دونه لنا بلوتارخ فى حياة ليكورجوس والذى سنذكره هنا كاملاً إذ يقول "والثانى من انظمة ليكورجوس هو تقسيمه الاراضى . كان عدم التساوى بالغاً أشده لا يملك الكثيرون شيئاً ولا مورد لهم وهم سواد المواطنين ، بينما أن الثروة كلها مستفيضة بين أيدي نفر قليل العدد ، عمد ليكورجوس رغبة فى اجتناب الاعتداء والحسد والبخل والفضيحة وما هو أضر. منها بالحكومات أى الغنى والفقر إلى اقناع الاسبرطيين بالنزول عن اراضيهم وتقسيمها من جديد وجعل كل الثروات على قر واحد ومساواة تامة ، تتولى الفضيلة وحدها توزيعها إذ لافرق بين الناس الا ما يخجل وحبهم للخير ، نفذ المشروع وذلك بتقسيم ليكورجوس اراضى لاكونيا إلى ثلاثين ألف اقطاع لأهالى الريف (أى الحلفاء) وتسعة آلاف لأهالى اسبرطة مراعاة لعدد الاسبرطيين الداخلين فى القسمة . ويزعم البعض أن ليكورجوس لم يزد عدد نصيب الاسبرطيين عن ستة ألف اقطاع ثم أضاف اليها الملك بوليديوروس ثلاثة آلاف اقطاع ، ويزعم البعض أن وضع نصف التسعة آلاف اقطاع والآخر النصف الثانى من الاقطاعات . وكل اقطاع كان ينتج سبعين ميدمينوس من الشعير لكل رجل واثنى عشر ميدمينوس لكل امرأة مع ما يماثلها من الثمار السائلة (أى النبيذ وزيت الزيتون) وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طمأنينة وصحة وما يسد حاجتهم وحدث بعد ذلك بسنوات. أن ليكورجوس مر بلاكونيا وهو عائد من رحلته وكان ذلك ابان الحصاد وإذ رأى أكوام الحزم مصفوفة صفوفاً منتظمة ومتساوية قال لأحد رفاقه "كان حصاد لاكونيا ميراث يتقاسمه أخوة" وسنحاول أن نحلل هذا النص فى ضوء المصادر المتاحة فى النقاط الآتية :

١- يرى البعض أن الدوريين كانوا رعاة وقت وصولهم إلى بلاد اليونان وعندما

غزو الارض الزراعية فى وادى نهر يوروتاس واستولوا عليها بعد أن استرقوا أهلها . ويختلف الكتاب القدامى حول تقسيم الاراضى الزراعية فى لاكونيا فالبعض يرى أن التقسيم قد حدث بعد استقرار المهاجرين الدوريين وأن هذا التقسيم كان فى اقطاعات متساوية Klaroi ، بينما يرى البعض الآخر أن المشرع ليكورجوس هو الذى قام بهذا العمل وأنه قد قسم الاراضى الزراعية إلى قطع متساوية . وعلى ما يبدو لنا فإن توزيع الاراضى كان قد حدث منذ البداية وإن كنا لا ندرى قد كان بالتساوى أم لا ! ولعل ذكر بلوتارخ لحالة عدم ارضى والحسد والحقد بين السواد الأعظم من الاسبرطيين والحلفاء عن تلك الاوضاع مما يهدد بالقتال والاضطرابات ، وأنه عندما أتى ليكورجوس كانت الأرض مهيأة لتحقيق الاصلاح . ولذا فقد قام بتوزيع الارض ليس فى اسبرطة فحسب بل أيضاً فى مدن الحلفاء فى قطع وزعت بالتساوى على المواطنين الاسبرطيين والحلفاء ، ولكن على ما يبدو فقد حدثت استثناءات لتلك القاعدة إذ نجد بعض الملوك والاشراف كان لهم ضياع خاصة بهم فى زمام اراضى الحلفاء بجانب الاقطاع الممنوح لهم حيازته فى اسبرطة وهذا ما نستخلصه من قول اكسينيفون أن الملوك الاسبرطيين قد وفروا الارض فى الكثير من مدن الحلفاء ، ولكن العلماء المحدثون لا يتفقون حول معنى هذه العبارة ، إذ من المعروف أنه عندما توسع الاسبرطيون فى المناطق المجاورة للاكونيا لم يضيفوا اراضى جديدة لاراضى المدينة Politika Chora ، فقد تركوا السكان المحليين احراراً وفى نفس الوقت يبو أن هناك ضياعاً والتي صارت ممتلكات خاصة بالملوك وربما بعض الاشراف ، وفى رأينا لم يحدد اكسينيفون كيفية توفير الاراضى ، فهل تم الحصول عليها بالاتفاق مع المدن الحليفة بعد تحالفها على سبيل الهبة أم نزلت عنها تلك المنن طواعية لصالح الاسبرطيين أم أن هذه

المدن قد سمحت للملوك بشراء اراضى بها ؟ لا نستطيع فى ضوء معلوماتنا الحالية أن نرجح احتمال على آخر وأيهما أقرب إلى الصحة . وإن كان الأول قد يكون من الجائز لأن اراضى الحلفاء قد خضعت هى الأخرى للتقسيم مثلها مثل اراضى اسبرطة ، ولكن على ما يبدو أنه كان مسموحاً فسى تلك المدن الحليفة التنازل عن الاقطاعات بالبيع والشراء ، ولذا فقد استثمر الملوك والاشراف ثرواتهم فى شراء اراضى فى المدن الحليفة التى كانت قوانينها تسمح بالتصرفات القانونية فى الاراضى .

٢- إن عدد المقسمة والمذكورة سواء فى لاكونيا (٩ آلاف) أو فى اراضى الحلفاء والمنسوبة إلى ليكوجوس على ما يبدو مبالغاً فيه إذ أن الكاتب قد حسب اراضى ميسينيا هنا ولم تكن قد فتحت وضمت بعد ، وهذا يكون جلياً من قوله يزعم البعض أن ليكوجوس كان قد خصص ستة آلاف اقطاع للاسبرطيين وأن الملك بوليدوروس أضاف إليها ثلاثة آلاف ، بينما يزعم البعض الآخر أن الأول وضع نصف التسعة آلاف والثانى النصف الثانى . ولعل ذكره لاضافة الملك بوليدوروس به جانب من الحقيقة . إذ أن فتح ميسينيا والاستيلاء على اراضيها الزراعية لم يتم مرة واحدة ، وإنما بعد حربين طويلتين كما سبق أن ذكرنا ، وأن إضافة هذه الاراضى قد ترتب عليها توزيعها بين الاسبرطيين والحلفاء وأن جملة ما حصل عليه الاسبرطيون بعد غزوهم لاراضى ميسينيا ليس ثلاثة آلاف اقطاع بل أربعة آلاف وخمسمائة اقطاع وأن هذا لم يتم على مرحلتين واحدة وإنما على مرحلتين ، فقد حصلوا على حصة منها بعد ضمهم لجانب من اراضى ميسينيا فى الحرب الاولى والحصة الأخرى حصلوا عليها بعد اكمالهم لضم الجزء الثانى من ميسينيا فى الحرب الميسينية الثانية .

٢- يرى البعض أن الملوك والنبلاء فى الحرب الميسينية الأولى هم الذين حصلوا

على نصيب الأسد من الاراضى المخصصة كإقطاعات للاسبرطيين فى ميسينيا لأنهم هم الذين تحملوا عبء فتحها لأنهم كانوا يعتمدون على اساليب القتال الفردية والفروسية ويرون أن نتيجة لهذا أن الأشراف قد خصوا انفسهم بنصيب الاسد فقد حدث صراع فى المجتمع الاسبرطى وكان أحد أثاره هو تأسيس مستعمرة تاراس فى نهاية القرن الثامن ، مما يؤكد هذا الصراع الملحق الذى اضيف للريتا عندما عدل وحرف الشعب مشروعات القوانين المقدمة اليه ، كما أن الشاعر تريباندر قد حث الاسبرطيين واقنعهم بأن يسقطوا خلافاتهم ، وعلى الرغم من الجانب الاسطورى لهذه الرواية إلا أنها تظهر النزاعات الداخلية التى حدثت فى اسبرطة ، كما أن الشاعر الكمان قد عبر عن التوتر بين الارستقراطية والناس العاديين بقوله "إن الناس فى اسبرطة يعتمدون على طعام سيئ وبسيط" ، ولعل حالة عدم الرضا يمكن أن نستخلصها من قول أرسطو "إن بعض الاسبرطيين قد عانوا نتيجة الحرب الثانية ولهذا فقد طالبوا بضرورة اعادة توزيع الاراضى" .

ويقولون ان الحرب الثانية قد شارك فيها الجيش الاسبرطى المكون من مشاة ثقلى العدة وأن الفقراء قد شاركوا فى القتال ونظراً لذلك فقد وافق النبلاء أن يمنحوا نسبة كبيرة من الاراضى المفتوحة للعامة . ولكن لا يمكننا قبول هذا الرأى إذ أن نظام التربية الاسبرطية العسكرية لم يكن قاصراً على النبلاء فحسب بل على جميع الاسبرطيين الخالص وهذا يعنى ضمان اقطاع لكل وليد سليم البدن ، ولعل نقص الاقطاعات هو الذى أدى إلى التوسع خارج لاكونيا وعلى حساب المناطق المجاورة ، فقد كان حيازة الاقطاع ضرورة من ضرورات المواطنة . وعلى ما يبدو أن عدد المواطنين قد زاد عن عدد الاقطاعات ولذا فقد اقتضت الضرورة توفير اقطاعات لهم وذلك بغزو اراضى

ميسينيا ؛ كما أن عدم الرضا من قبل الابناء غير الشرعيين من الامهات الاسبرطيات قد يكون سببه أن هؤلاء ليسوا ابناء مواطنين اسبرطيين خالصين ولذا فقد كانوا مواطنين ناقصي الاهلية ولذا لم يحصلوا على جميع الامتيازات الممنوحة للمواطنين كاملي الاهلية . ولكي تحل اسبرطة مشكلتهم فقد سعت إلى توطيئهم في مستوطنة تارنتوم . أما عن عدم رضا الاسبرطيين الفقراء فيمكن الرد عليه أن الحلفاء قد حصلوا على حصص في هذه الاقطاعات في ميسينيا وايضاً خلق مجتمعات حليفة في ميسينيا وكان يمكن أن يسترقوا هذه المجتمعات بدلاً من جعلها حليفة وتوزيع اراضيها على فقراء الاسبرطيين وبذلك تتخلص اسبرطة من القلال التي قد يثيرها فقراؤها . ويمكن أن نقول أن عدد الاسبرطيين كان قد زاد قبل الحرب الميسينية الثانية واقتضى ذلك كسب اراضى جديدة لتوزيعها عليهم وهذا ما حدث بالفعل بعد النصر على الميسينيين في حربهم الثانية . فقد وزعت الاراضى بين المواطنين الاسبرطيين كما نجدها قد خلقت مجتمعات حليفة ايضاً في بعض مناطق ميسينيا .

٤- إن حيازة إقطاع من الارض العامة هو شرط اساسى من شروط المواطنة ، فقد كانت الدولة تخصص اقطاعاتاً لكل مواطن من ابوين اسبرطيين منذ ولادته ، لأن فلسفة الدولة لا تدع المواطن يمارس أى نشاط خاص يدر عليه دخلاً أى أن ممارسة أى عمل خاص يحرمه القانون ، وفي المقابل تقدم الاعاشة الكاملة لكل مواطن منذ ميلاده وحتى بعد تكوينه اسرة وفي المقابل كانت الدولة تطلب من مواطنيها خدمة طويلة وهذه الخدمة كانت تتضمن واجبات وأعمال حكومية ومهام عسكرية أى أن المواطن كان يكرس نفسه في المقابل في خدمة الدولة والدفاع عنها . ولما كان محرماً عليه القيام بأى عمل غير خدمة الدولة فإن الإقطاع المخصص له كان يتم زراعته واستغلاله من قبل مزارعين مربوطين

بالارض Helots والذين كان عليهم أن يسلموا حصة محددة من المحصول وهي الحصة التي رأت الدولة أنها كافية لحياته ولاسرته . وهي ٨٢ ميدمينيس وكمية من الزيت والنبيد والفاكهة . وكان على المواطن للمحافظة على حق المواطنة أن يتم استغلال اقطاعه والذي يتراوح مساحته ما بين ٧٤ و ٨٠ فدان. وايضاً كان ينبغي عليه أن يقدم حصة شهرية من دخل اقطاعه للمشاركة به مع رفاق المائدة من اقاربه Syssition والتي سنتحدث عنها فيما بعد . ويرى البعض أن المواطن الاسبرطي كان يحصل على ثلث غلة اقطاعه فى منطقة لاكونيا بينما فى ميسينيا كان يحصل على نصف انتاج اقطاعه ولعل السبب فى ذلك حسبما يرى البعض يعود إلى المعاملة القاسية التى تم معاملة الهلوتيس الميسينيين معتمدين على وصف تيرتايوس بأنهم حملوا أعباءً مثل الحمير وذلك بعد الحرب الميسينية الثانية وقد يكون هذا الرأى جائز ولكن علينا أن نأخذ فى الحسبان أن الدولة كانت قد حددت الحصص المخصصة من الانتاج للمواطن الاسبرطي من الاقطاع ومعنى أن تفرض أعباء أعلى على زراع الاقطاعات فى ميسينيا فإنها بذلك قد أخلت بمبدأ التساوى فى الدخل بين المواطنين الذين لديهم اقطاعات فى لاكونيا وبين المقطعين فى ميسينيا . ولذا يمكننا افتراض أن التباين فى خصوبة و انتاجية التربة فى كل من لاكونيا وميسينيا فتربة الأولى كانت أكثر خصوبة من الثانية ولذا فقد كانت الحصة المحددة والمقررة ثلث المحصول بينما كانت الحصة المحددة تساوى نصف المحصول .

٥- تشير الروايات القديمة إلى أن عدد المواطنين كان فى تناقص مستمر فكيف كان ذلك ؟ وفقاً للروايات القديمة كان عدد المواطنين الاسبرطيين الذكور يتراوح ما بين تسعة آلاف وعشرة آلاف وعلى ما يبدو أن عدد التسعة آلاف كان بعد أن ضمت اسبرطة لاراضى ميسينيا إذ بلغ عدد الاقطاعات تسعة آلاف

اقطاع . ويقول هيرودوت أنه في سنة ٤٨٠ كان عدد المواطنين الاسبرطيين ثمانية آلاف مواطن ، وهنا نلاحظ تناقص العدد بشكل مضطرب وهذا يؤكد حرص الاسبرطيين على عقد الصلح مع أثينا سنة ٤٢٥ حتى يستردوا مائة وعشرون اسبرطياً تم اسرهم في معركة اسفاكيتريا . واستمر هذا العدد في التناقص إذ يقدر الكتاب أن عدد الاسبرطيين في عام ٣٧٠ كان يتراوح ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مواطناً ، وهذا التناقص في عدد المواطنين يدفعنا للتساؤل حول كيفية عمل وتنفيذ نظام منح الاقطاعات عبر الاجيال ؟ يقدم لنا بلوتارخ في حديثه عن حياة ليكورجوس صورة عن كيفية عمل هذا النظام إذ يقول "إذا ما فحص مواطنو الدولة الطفل الحديث الولادة ووجدوه صحيح البدن يأمرون الأب بأن يرعاه ويخصصون للطفل اقطاع من التسعة آلاف اقطاع . وهذا يعنى أن الدولة كانت تشرف على الاقطاعات التى لم يتم تخصيصها بعد أو الاقطاعات التى كانت تؤول اليها بعد موت حائزها . فعندما يموت الأب كان الابن لا يرث اقطاعه بل كان يعاد للدولة لأن هذا الابن كانت الدولة قد خصصت له اقطاعاً في حياة ابيه ووفقاً لقانون المساواة فلا يفترض أن يحوز أحد القطاعين من الأرض العامة فى اسبرطة . أما إذا كان الأب له عدة ابناء ذكور أصحاء البدن ، فإنه كان من حق كل واحد منهم الحصول على اقطاع ولعل نقص الاقطاعات فى لاكونيا فى القرن السابع هو السبب فى غزو ميسينيا والاستيلاء على اراضيها الزراعية وتقسيمها بين المواطنين الاسبرطيين الخالص والذين لا توجد لهم اقطاعات فى اراضى لاكونيا .

٦- أن نظام منح الاقطاعات لم يبق مستقراً وثابتاً بل شهد تطورات وتغيرات ونستخلص هذا من بلوتارخ الذى يشير إلى أنه قد سمح للأب أن يترك لابنه اقطاعه أى أن هذا الابن أصبح يرث حيازة اقطاع ابيه ، ومن الواضح هنا أن

رب الاقطاع كان لا يملك القطاع ملكية رقبة ولكن كان له حق الحصول على الحصة المقررة من انتاج الاقطاع وأن ما نزل عنه لابنه هو أن نزل عن حقه فى الحصول على هذه الحصة . ولعل السبب فى هذا التطور هو تناقص عدد المواطنين الاسبرطيين على نحو حاد ، فقد كان على الدولة ، فى البداية ، عندما كان اعداد مواطنيها كبيرة ، أن تشرف بحزم وصرامة على عملية توزيع وتخصيص الاقطاعات حتى تضمن الحصول لكل مواطن على اقطاع ، ولكن ماذا حدث مع النقص الحاد فى السكان فى مقابل مساحات الاقطاعات التى لا حائل لها . إما أنها كانت تتلقى حصة الدخل منها مباشرة وإما أنها لتشجيع المواطنين على الانجاب قد منحتهم الحق فى النزول عن الحيازة لبنائهم بجانب ما تخصصه لهم من اقطاعات وهنا على ما يبدو أن قبضة الدولة قد خفت بالنسبة لنقل حيازة الاقطاع . ويقول أرسطو أن ليكورجوس قد جعل من العار من العار بيع الاقطاعات بالنسبة للاسبرطيين ويؤكد هذا القول الفيلسوف هيراقليديس بونتيكوس (من القرن الرابع)بقوله "إنه يُعد عاراً للاكيدايمونيين أن يبيعوا الاراضى ولم يكن مسموحاً ببيع الجزء القديم "Archaiia morira" وقد فسر أحد الباحثين قول هيراقليديس على النحو التالى : أنه من المفترض أن بعض الاسبرطيين الحائزين على اقطاعات فى ميسينيا كانوا قد باعوها كما أن المقصود بالارض القديمة هنا اقطاعات الاسبرطيين فى لاكونيا . وهذا التفسير قد يكون فيه جانباً من الحقيقة خاصة عندما تحدث من أن الارض القديمة المقصود بها ارض لاكونيا . بينما فيما يخص الاقطاعات فى ميسينيا قد يكون قد جانبه الصواب فى اعتبار أن الاسبرطيين الحائزين على اقطاعات فى ميسينيا يمكنهم التصرف بها . ولعل المقصود هنا هو أن بعض الاسبرطيين كانوا يملكون اقطاعات فى اراضى الحلفاء ولعل المقصود هنا بيع شالشه

لاراضيها فى تلك البقاع كان يُعد عاراً بينما كان التحريم هنا يخص الاقطاعات التى تخصصها الدولة . ولكن هذا التحريم لم يدم إذ حدث تطور فى الاوضاع بالنسبة للاقطاعات فى لاكونيا ذاتها فنجد هناك من يعطون أو ينزلون عن اقطاعاتهم فى لاكونيا . وعى حد قول أرسطو كان من نتيجة هذه التطورات أن خمس مساحة الارض قد لآل للنساء لأن هناك الكثيرين الوريثات ولأن المهور كانت مرتفعة . . . الخ . وقد حدث هذا التطور فى مستهل القرن الرابع وهذا ما حدثنا به بلوتارخ فقد روى أن الرقيب بيتاديوس قد شرع قانوننا (Rheta) وبمساعدة الاقوياء ، جعل من الممكن للرجل أن ينزل أو أن يعطى منزله ومتعلقاته واقطاعه لمن يريد فى حياته وأن ينزل عنهم بوصية . وكان من نتائج هذا القانون أن الاقوياء الاغنياء قد استفادوا من هذا القانون واستغلوه ، والذى سرعان ما أوضح الابطال الكامل للتقاليد التى تمنع النزول عن الاقطاع ورهنه، فقد وسعوا من مساحات اقطاعاتهم واستعملوا كل حيلة ممكنة للاستيلاء على الاراضى مثل الهبة والتنازل وبتقديم المهور الكبيرة ، وهكذا كان الرقيب بيتاديوس قد ساعدهم بقانونه والذى جعل تصرفاتهم قانونية ومما زاد من المشكلة أنه بعد سنين أتت كارثة للوكترا ٣٧١ ق.م وبمساعدة طيبة استردت ميسينيا استقلالها وكان لهذا الاستقلال آثاره الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة ، فقد كان من نتاجه فقد الكثير من الاسبرطيين اقطاعاتهم واصبحوا بغير اقطاعات وأصبحوا فى مصاف الوصفاء ، وعلى ما يبدو فإن فئة الاسبرطيين الذين كانوا ليس لهم اقطاعات فى لاكونيا لم تقدم يد العون للفئة الاولى فحسب بل سنجد أنها قد سعت للسيطرة أكثر فأكثر على الاراضى إلى أن وجدنا فى النهاية حيازة وملكية الارض قد أصبحت فى أيدي ٧٠٠ اسبرطى . ونتيجة لتركيز الارض فى أيدي فئة قليلة ، بعد أن فقد

الاسبرطيون اصحاب الاقطاعات فى ميسينيا ، أو نتيجة للسماح للفقراء من الاسبرطيين فى لاكونيا ذاتها بالنزول عن اقطاعاتهم أن تأثرت مكانة هؤلاء القانونية وأصبحوا غير قادرين على دفع حصة الرفقة ، وقد اختلف الباحثون حول هذا الوضع ، فهل كان المواطن الذى ينزل عن أرضه سواء بالهبة أو البيع أو أى تصرفات أخرى يفقده المواطنة الكاملة ؟ إن الماد المتاحة لا تمكننا من الاجابة مباشرة على هذا السؤال ولكن إذا ما استخدمنا المادة عن نظام الرفقة العسكرية Syssitia والموائد المشتركة والتي تعطينا بعض اسباب فقد المواطنة الكاملة ، فى ظل هذا النظام كان على كل مواطن اسبرطى أن يقدم حصة شهرية من انتاج اقطاعه إلى سريته العسكرية . ويقول أرسطو أنه إذا ما عجز المواطن عن تقديم تلك الحصة ، فإن ذلك يفقده حق المواطنة ، بيد أن اكسينيفون يخالف ذلك إذ يقول لكل هؤلاء الذين قنعوا باحتياجات دستوره فإنه (ليكورجوس) قد أعطى حقوقاً متساوية للمواطنة بغض النظر عن العجز البدنى أو الحاجة المادية - نقص المال - ويرى بعض الباحثين أن الحاجة للمال أو العجز المالى تعنى أنها تشتمل على عدم القدرة على مواجهة مطالب الرفقة العسكرية أى دفع الحصة الشهرية ، ومن ثم فإن عدم القدرة المادية لا تؤدى إلى فقد حق المواطنة ، ولكنها تؤدى إلى عدم تساوى بين القادرين وغير القادرين من الاسبرطيين وأنهم ينزلون إلى مرتبة أدنى .

وبعد أن عرضنا لنظام الاراضى فى اسبرطة وأن الاسبرطيين الخُصّ كلنوا ممنوعين بالقانون من ممارسة أعمال الزراعة والتجارة والصناعة ، بينما اقتصوت حياتهم وجهودهم على حياة الجنديّة وخدمة الدولة ، واعتمدوا على ما ينتجه الحلفاء والمزارعون المرابطون بالارض فى تقديم ما يحتاجونه من سلع ومواد مصنعة ، فقد كان الحلفاء قد عملوا بالزراعة والصناعة والتجارة وكان يصدر جانب من

انتاجهم الصناعى والجانب الآخر والأكبر كان يستهلكه الإسبرطيون . فقد ازدهرت
الصناعة والتجارة الخارجية والداخلية قبل اصلاحات ليكورجوس وبعده .

الصناعة:

عُدت اسيرطة من بين المدن الكبيرة المزدهرة الصناعة لفترة طويلة ومن
المدن التى بها اثار عريقة وقد ساعد على ذلك وجود المواد الخام فى أراضيها وما
كان ينقصها كانت تستورده بحيث راجت صناعة استخراج الحديد (والذى كانت
توجد مناجمه فى لاكونيا) فقد كان يوجد فى اسيرطة حى للحدايين حيث كانوا
يصنعون الاسلحة والأدوات ومفاتيح النصر والتماثيل . وقد عثر فى أطلال أحد
المعابد على "٣٥ الف تمثال" التى تمكننا من تتبع مراحل التطور الصناعى والفنى
فى مجال صياغة وسباكة المعادن ابتداءً من العصر الهندسى إلى القرن السابع وقد
نال العاملون فى تشكيل البرنز شهرة واسعة والتى أكدتها الآثار فقد برعوا فى
صناعة الكئوس وتروى لنا المصادر القديمة عن براعة جيتياداس Gitiadas فى
صناعة المراجل الثلاثية الأرجل وكل رجل هى عبارة عن تمثال وتشير المصادر
إلى أنه قام بتزين معبد أثينا ، كما نعرف أنه قد تم استدعاء ثيودوس من ساموس
كى يزين ويزخرف سكياس Scias ، ولتكريم الملك كروسيوس ملك ليديا فقد أرسل
إليه الإسبرطيون اناء بديع الصنعة من مصنوعات اراضيهم .

وبالنسبة لصناعة الاخشاب فقد ازدهرت تلك الصناعة ومنذ فترة كبيرة كان
عند الإسبرطيين ورش نجارة ممتازة صنعت الاساس الممتاز مثل السرر والمنضد
والمقاعد وخاصة المحفات المنحوتة التى استمرت فى العصر الكلاسيكى تمثل
ملمحاً من ملامح الازدهار الصناعى .

وقد روت لنا المصادر أن من أقدم نحائى لاكونيا هيجيلوس Hegylos
وثيوكليس Theocles ودوتاس Dutas ودوريكليداس Durycleidas فقد استخدموا

العاج وخشب الصفصاف والزيتون والرخام فى تنفيذ منحوتاتهم . ويمكننا أن نحصل على فكرة من موهبتهم من تلك المنحوتات . كما ازدهرت عنده صناعة المنسوجات الصوفية وصناعة الاحذية وتكشف لنا الآثار عن موهبتهم فى صناعة الخزف والفخار . فقد انتشر الفخار اللاكونى فى الفترة الممتدة ما بين ٦٥٠-٥٥٠ ق.م فى مواقع بعيدة إذ تم العثور فى افسوس فى الشرق واثوروا وماساليا فى الغرب ، ونقرطيس وقوربنى وقرطاج فى شمال افريقيا .

ولكن هذه الصناعة قد مرت بفترات ازدهار وفترات اضمحلال إذ نجد أنها تأثرت إلى حد ما بتشريع ليكوجوس الذى اراد به أن يقضى على جميع اسباب التفاوت بين الاسبرطيين وذلك بتقسيم الممتلكات غير العقارية ولكنه وجد أن اصحاب تلك الاموال لا تطيب لهم نفوسهم لذلك ، ولذا فقد سلك طريقاً آخر ، إذ نجده قد هاجم الترف بشكل غير مباشر وذلك بالغاء استخدام النقود الذهبية والفضية وأحل محلها النقود الحديدية الثقيلة الوزن الزهيدة القيمة بحيث أنه كان يلزم لوضع مبلغ عشرة مينات "الف دراخمة" غرفة كاملة ولا يمكن نقلها إلا على عربة يجرها ثوران ، وكان لالغاء العملة الذهبية والفضية وقصر التداول على العملة الحديدية أثره الكبير على صناعة وتجارة سلع الرفاهية . إذ يقول بلوتارخ لا يستطيع الاسبرطيون شراء بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيداً ، ولم ترسل مراكب تجارية فى موانئهم ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جوهري يتجر فى الذهب والفضة . ونستخلص مما سبق أن اصلاح ليكوجوس النقدي قد أثر بشكل كبير على الصناعة فى اسبرطة وخاصة صناعة سلع الرفاهية واقتصرت الصناعات على الادوات والسلع الضرورية مثل السرر والقاعد والمناضد والكنوس . ولكن يبدو أنه بعد فترة قد عادت صناعة سلع الرفاهية إلى اسبرطة وأراضى الحلفاء وهذا ما كشفت لنا عنه التنقيبات الأثرية

والمصادر الادبية والتي قدمت لنا قرائن وبراهين من القرنين السابع والسادس والتي تشير إلى استيراد العاج من مصر والذهب من ليديا وذلك لاستخدامها من قبل صناع لاكونيا فقد برعوا في تشكيل العاج وصياغة الذهب والفضة وتشكيل البرنز ، كما نجد أنهم قد برعوا كخزافين وصناع فخار مهرة لدرجة أن فخارهم المصنع في الفترة ما بين ٦٥٠ - ٥٥٠ ق.م قد وجد طريقه إلى خارج البلوبونيز وتم العثور على البعض منه في الناطق المختلفة على سواحل البحر المتوسط والتي سبق أن ذكرناها . كما نعلم ازدهار صناعة البرنز من الكأس البرنزي الرائع ومن المرجح أنه قد صنع في النصف الثاني من القرن السادس في مقبرة أميرة كلتية في Vix في فرنسا . ولمن حدث في نهاية القرن السادس تدهور أو توقف في الصناعات الاسبرطية . وهذا ما كشفته لنا التنقيبات الأثرية وتذكرنا بما تم في عهد ليكوجوس ؛ فقد تم الاستغناء عن السلع غير الضرورية الكمالية . فقد اختفى صانعو الذهب والفضة وتم الاهتمام بصناعة السرر والمناضد والمقاعد . فما سر هذا التدهور ؟ يرى البعض أن الذي قرر هذا النظام أو أعاد النظام الليكورجى هو الرقيب خيلون (٥٦ ق.م) ونضيف هنا أن هذا النظام التقشفى قد تطورت خشونته وقسوته وإن كنا لا نستطيع تتبع هذا التطور بدقة ، ولكن على ما يبدو ، قد بلغ ذروته في بداية القرن الخامس والقرن الرابع ولعل السبب في ذلك أحداث الزلزال الخطير الذي تعرضت له اسبرطة سنة ٤٨٩ ق.م وانتهزه الهلوتيس فرصة للثورة وأن هذه الثورة قد أنزلت بالبلاد أشر الويلات وعرض المدينة لأشد الاخطار وأمام هذا وأمام كثرة أعداد الهلوتيس ونقص عدد الاسبرطيين في المقابل ولكى ينجح الاسبرطيون في السيطرة عليهم فقد كان عليهم أن يأخذوا أنفسهم بالشدّة والصرامة والحياة الخشنة وذلك باحياتهم لشرائع ليكوجوس وتطبيقها بصرامة . وهذا ما سنعود للحديث عنه فيما بعد .

التجارة :

كانت تجارة اسبرطة تجارة نشطة فى بعض الفترات من تاريخها وكان ذلك قبل وبعد اصلاح ليكورجوس . وقد سبق أن ذكرنا اصلاحه النقدى والغائه استخدام العملات الذهبية والفضية واحلال استخدام العملة الحديدية وكان لهذا الاصلاح آثاره على التجارة الخارجية وخاصة استيراد سلع الرفاهية . ويقول بلوتارخ "لم يعد الاسبرطيون قادرين على شراء بضاعة وسلع من الخارج مهما كان ثمنها زهيداً ولم ترس مراكب تجارية فى موانئهم ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا سمسار عاهرات ولا جوهري يتجر فى الذهب والفضة" . ونفهم من هذا أن الاسبرطيين كانوا يستخدمون العملات الفضية والذهبية وأن تجارتهم كانت رابحة مع المدن اليونانية والعالم الخارجى ، ونتيجة لهذا فقد شاع استخدام سلع الرفاهية والفخفة بين الطبقات العليا من المجتمع الاسبرطى ، واصلاح ليكورجوس قد أدى إلى بوار وكساد تجارة سلع الرفاهية . ولكن على ما يبدو ليس بشكل حاد ويبدو أن بلوتارخ قد بالغ عندما اشار إلى عدم قدرة الاسبرطيين على شراء بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيد ، ولم ترس مركب تجارية فى موانئهم . . . ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جواهرى يتجر فى الذهب والفضة . وقد كشفت لنا التنقيبات الاثرية والمصادر الادبية من القرنين السابع والسادس التى تشير إلى رواج تجارتهم مع الاقطار الخارجية فقد كان هناك واردات من العاج والجعارين من مصر والعنبر من الشمال ، والملابس الغالية والذهب من ليديا . وفى المقابل فقد كانت صادراتهم قد عرفت طريقها إلى البلدان الخارجية فقد كشفت التنقيبات الاثرية عن وجود الفخار اللاكونى فى مناطق عديدة من حوض البحر المتوسط . فقد تم العثور عليه فى افسوس فى الشرق واثورريا وماساليا فى الغرب ونقراطيس وقورينى وقرطاج فى أفريقيا ، كما

نعرف أنهم قد صدروا مصنوعاتهم البرنزية ، فقد عثر على كأس برونزى رائع ومن المرجح أنه مصنع فى النصف الثانى من القرن السادس ، فى مقبرة أميرة كلتية فى Vix فى فرنسا ولكن هذا القول قد ينطبق إلى حد ما على القرنين الخمس والرابع حيث تكشف الآثار عن توقف تجارة سلع الرفاهية المستوردة وأن صانعى الذهب والفضة قد اختفوا ويرجع البعض أن السبب فى ذلك هو أن المدن اليونانية الأخرى فى القرن السادس قد استخدمت العملات الفضية والذهبية ، بينما استمرت اسبرطة فى استعمالها لعملتها الحديدية وأن عملتها لم يكن لها قيمة فى اسواق بلدان العالم اليونانى . وقد يحتوى هذا الرأى على جانب من الحقيقة ولكن لنا عليه الاعتراضات الآتية : أولاً أن التجارة اليونانية كانت تقوم على المقايضة . وثانياً على استخدام النقود . وثالثاً ازدهار تجارة وصناعة اسبرطة فى القرنين السابع والسادس . ولذا فقد كان يمكن لاسبرطة فى ظل ازدهار صناعاتها أن تبادل منتجاتها مع منتجات البلدان الأخرى وإما أن تبيع منتجاتها وتشتري فى مقابلها ما تحتاجه بالعملات الأجنبية الذهبية والفضية التى حصلت عليها نتيجة بيع سلعها فى الأسواق الخارجية وهذا ما يؤكد قول ديكايارخوس Decaearchus بأن على عضو الرفقة العسكرية أن يقدم بين ما يقدمه للموائد العامة مبلغ عشرة أبولات إيجينية وهذا يشير إلى أن اسبرطة قد استخدمت عملة دولة صديقة وفى ضوء ما سبق فإن هذا الرأى لا يعد مقبولاً وعلينا أن نبحث عن تفسير آخر أكثر معقولة ، ويرى البعض أن الذى أعاد العمل بالنظام الليكورجى هو الرقيب خيلون . وهذا الرأى هو الآخر به جانب من الحقيقة فقد يكون هذا الرقيب مسئولاً عن إعادة جانب من النظام التشفى ولكن زادت وتطورت قسوته وخشونته فى القرنين الخامس والرابع ولعل السبب فى ذلك هو الزلزال المدمر الذى تعرضت له اسبرطة سنة ٤٨٩ ق.م وما خلفه من خسائر مادية وبشرية للاسبرطيين وزاد

الطين بلة أن انتهزه الهيلوتس فرصة للثورة والتي أنزلت بالبلاد شراً وبيلاً على الرغم من قهرهم لها . كما أن كثرة الهيلوتس وقلة عدد الاسبرطيين فى المقابل جعل الاسبرطيين يأخذون أنفسهم بالشدة والصرامة وأن يكرسوا أنفسهم كلية للجندية والعيش الخشن وذلك باحيائهم شرائع ليكورجوس وتطبيقها بصرامة مثل حرمان المواطنين من السفر والطواف فى العالم إذا كان يخشى عليهم أن يجلبوا معهم عادات البلاد الاجنبية والأمثلة السيئة أو يرون فى الحكومة رأياً غير رأيه . وكان يتم طرد الاجانب الذين أتوا لغير مصلحة خوفاً من أن يكونوا فى اسبرطة معلمين للرزيلة وخوفاً من ادخال آراء جديدة ومع الآراء الجديدة وجهات نظر جديدة ولا تلبث هذه أن تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب فى النظام .

وهكذا من اجل السيطرة على اعداد الهيلوتس الغفيرة فقد كان على الاسبرطيين أن يأخذوا أنفسهم بالشدة وأن يكونوا رجالات حرب وقتال وعزلوا انفسهم عن العالم الخارجى واصبحت اسبرطة كمعسكر حربى مغلق على نفسه أمام العالم الخارجى وسوف نتحدث عن صرامة النظام الاسبرطى عند الحديث عن النظام الاجتماعى فى اسبرطة .

جملة القول أن اسبرطة لم تفعل شيئاً لتشجيع التجارة الخارجية فى العصر الكلاسيكى لأنها عازمت على أن يكون عندها اكتفاء ذاتى ولا تطلب من الدول الأخرى إلا أقل ما يمكن ، ولفترة طويلة فقد اعتمدت على نظام المقايضة والاسواق الداخلية لم تكن بحاجة إلى عملة ذهبية أو فضية بل اكتفت بعملتها . وفى الفترة التى بدأت فيها المدن اليونانية تسك عملاتها من المعادن النفيسة للتجارة الدولية ، فإن اسبرطة كانت قد قررت أن تغلق ابوابها أمام الغرباء والاجانب وكان للرقباء الحق فى اصدار القرارات الادارية لطرد الزوار والمقيمين من الاجانب . وبعد أن عرضنا للنظم الاقتصادية ننتقل للحديث عن الحياة والنظم الاجتماعية .

الحياة والنظام الاجتماعى :

كان المجتمع اللاكيدايمنى ينقسم إلى ثلاث طبقات هى : الاسبرطيون والحلفاء والهيلوتس . وكان الاسبرطيون يمثلون قمة السلم الاجتماعى بينما كان الهيلوتس يمثلون أدنى درج السلم الاجتماعى والحلفاء كانوا يقعون موقعاً وسطاً بين الطبقتين وسنحاول أن نتحدث عن الطبقة الأولى الآن .

١- الاسبرطيون Spartiatai

كان الاسبرطيون الخُصّ يمثلون الطبقة الحاكمة ، وكانوا خليطاً من العنصر الدورى والعنصر الأخرى وإن كان العنصر الدورى هو الغالب عليهم . والعنصر الأخرى يتمثل هنا فى سكان أميكلاى الذين انضموا لاتحاد القرى الأربع الدورية . وكان على المواطنين الاسبرطيين الخُصّ العيش اسبرطة على الرغم من أن البعض منهم كان له اقطاعاته فى لاكونيا وميسينيا .

كان الاسبرطيون مثل بقية مواطنى المدن اليونانية الأخرى ينقسمون إلى قبائل وعشائر وهذا ما نعرفه من Rhetra ومن اشعار تيرتايوس ومن النقوش . فقد ورد فى الريترا التى تلقاها ليكورجوس "بعد أن نظم الناس انفسهم فى قبائل Phylai و Obai ووفقاً للجدازة البرية التى تحتوى على بعض ابيات تيرتايوس ؛ فقد كان عدد القبائل فى اسبرطة ثلاث قبائل هى هيليس وديماتيس وبامفيلى وهذه القبائل الثلاث السالفة الذكر قد وجدت أيضاً فى المدن الدورية الأخرى مثل سيكون وأرجوس . ووفقاً لأثيناىوس فإن هذه القبائل الاسبرطية كانت تنقسم إلى عشائر Phratrai . إذ يقول إن الاسبرطيين كانوا ينقسمون إلى تسع عشائر Phratrai عندما شاركوا فى احتفال Kareneia . وهذا يشير إلى أن كل قبيلة دورية كانت مكونة من ثلاث عشائر ، ويختلف الباحثون المحدثون فى تقدير عدد القبائل فأحد الباحثين أن الاسبرطيين مكونون من تسع قبائل وهذه القبائل كانت تكون سبع

وعشرين عشيرة ، بينما يرى باحثون اخرون أنه من المرجح أن عدد القبائل كان خمس قبائل اقليمية ، نعرف أربع منها وهي تتطابق مع أربع قرى Komai من قرى اسبرطة الخمس وأنه شبه مؤكد أن Phylai كانت تقسيمات اقليمية أو محلية صرفة .

وبجانب القبائل تم الاعتراف بالـ Obai كتنظيم اجتماعي اقتصر وجوده على اسبرطة وحدها دون المدن اليونانية الأخرى ، ولا يوجد لدينا معلومات عنها في الفترة المبكرة والمعلومة التي وصلت عنها بعد الريترا ؛ ويرجح أنها من القرون السادس أو الخامس ، نعرفها من نقش يشتمل على قانون لاكونى باكر يعالج قضايا خاصة بالعبادة وأغلب النص غير مؤكد ولكن احدى فقراته المؤكدة تذكر جماعة Oba اركالوى Arkaloi . ثم وصلتنا عدة نقوش من العصرين الهلينستي والرومانى والتي ورد بها ذكر كلمة Obai والتي تعنى الجماعة التى تحقق الانتصارات فى المنافسات الرياضية ، وتعنى أيضاً قرية إذ اطلق على قرينتى ليمناى وأميكلاى . وقد دار جدل كبير بين الباحثين حول تعريف ماهية Obai . فىرى بعض الباحثين أنه من المحتمل فى فترة كتابة الريترا أن Obai كانت فعلاً هى الوحدات المحلية أو القرى Komai والتي تكون اسبرطة والمشملة على قرية أميكلاى . وهذا يعنى أن اسبرطة فى العصور التاريخية كانت تتكون من خمس قبائل (Obai) اقليمية وأن عضوية هذه القبائل الاقليمية كانت تعتمد فى الاصل على السكنى فى قرية ، ويستخدم أصحاب هذا الرأى الأدلة والبراهين المتاحة حول المؤسسات والتنظيمات الاسبرطية . فيقولون أنه قد ورد عند هيرودوت أن كل Oba تمثل جماعة بشرية ومن هذه الجماعات جماعة بيتانى Pitane ، ويقول لى موضع آخر أن القوات الاسبرطية شكلت فرقة منفصلة عن الحلفاء والتي بلغ عدد افرادها خمسة آلاف مقاتل فى معركة بلاتيا وقد يعنى هذا أن كل Oba كانت تقدم

الفأ من المقاتلين ويعتمدون أيضاً عل ما سجاه أرسطو إذ يقول أن هناك خمسة تجمعات مثل أدولس Edols وسينيس Sinis وأريماس Arimas وبلووس Ploas وميسوجيس Messoages ، بينما Obai المسجة هى ميسوا Mesou وبيتانى Pitane وكونورا وليميناي ومن المرجح أميكلاى . كما يقولون أن عدد التنظيمات الخماسية الاسبرطية مثل تنظيم الرقباء وتنظيم الرسل Agathoergoi وتنظيم الملحقين يعكس عدد Obai وأن المعنى المقصود هنا هو القبائل الاقليمية .

ويعلل البعض أن اسبرطة تبنت هذا التنظيم الاجتماعى رغبة فى توزيع الاعباء بالتساوى على المواطنين الاسبرطيين ، فقد كان توزيع الاعباء يتم بين القبائل الدورية الثلاث بالتساوى ، ولكن نظراً لتباين عدد افراد تلك القبائل بمرور الزمن فلم يكونوا متساويين فى تحمل الاعباء ؛ ولذا فإن الاسبرطيين قد أوجدوا التنظيم الاجتماعى الجديد Obai وأن عضوية هذه الـ Obai كان يعتمد على السكن والاقامة فى القرى الخمس التى تكونت منها اسبرطة ، وهكذا فإن خلق هذا التنظيم كان للرغبة فى توزيع الاعباء بشكل عادل . وأن كل Obai يمثل قبيلة إقليمية وبذلك تتكون اسبرطة من خمس قبائل اقليمية ، ولكن يدحض هذا الرأى نقش نشرة Beattie ، من الراجح أن يعود إلى القرن السادس أو القرن الخامس ، ويحتوى على قانون لاكونى باكر يعالج قضايا خاصة بالعبادة ، وأغلب النص غير مؤكد ، ولكن احدى فقراته المؤكدة تذكر تجمع Obai فى اركالوى Arkaloi وهذا يعنى أن عدد Obae كانت ست تجمعات وهكذا فإن الرأى القائل بأن عدد Obae كان خمس يصعب لبدفاع عنه وأن الـ Obae هنا هى القبائل الاقليمية . ويرى هوكسلى أن هناك ثلاث قبائل دورية فى اسبرطة ، وأه نظراً لزيادة الارض التى سكنها الاسبرطيون فقد تم تقسيمهم إلى عدد أكبر من الـ Obae وفقاً للمناطق . وكان عدد هذه الـ Obae خمس قبل ٦٧٦ ق.م وابتداء من هذه السنة فقد تم زيادة

عدد الـ Obae إلى تسع وأن كل Oba كانت تنقسم إلى ثلاث عشائر Phratriai وأنه لتحديد عضوية العشيرة كان لابد من تحديد القبيلة . بيد أن النص الذي اعتمد عليه الباحث لا يذكر قط القبائل Phylai ولا Obae ولكنه يذكر Phratra ، وقد عارض هذا الرأي هوكر ، وفقاً لأثيناينوس ، أن القبائل الدورية ثلاث وأن كل منها كانت تنقسم إلى ثلاث عشائر Phratriai ويرى روفائيل سيلى R. Sealey أن الأسبرطيين في فترة ما قد انقسموا إلى خمس وحدات بغرض الخدمة العسكرية ، وأنه من الممكن أن هذه الوحدات سميت قبائل Phylai وانها وضعت على اساس التوزيع الاقليمي مع الـ Obai كتقسيم داخلي للقبائل وأن هذا الرأي ربما يلقى بعض التأييد من الريترا ، حتى على الرغم من أنها معدلة ، فإن المؤلف كان يالف أو على دراية بالمؤسسات الاسبرطية ولانه يذكر القبائل و Obae في نفس اللحظة فمن المرجح أنهم كانوا عناصر متساوية في نظام واحد ، وأن نقوش من العصر الروماني توضح أن Obae قد وضعت على اساس تقسيمات اقليمية ، ولعل اسباب في التعديل بقوله أن هذا التنظيم القبلي الثلاثي قد أبقى عليه لاغراض دينية بينما التنظيم الجديد قد استعمل لاغراض عسكرية . وهذا الرأي يؤكد على وجود تغيير في التنظيم القبلي وأنه قد أصبح لدينا تنظيمان قبليان أولهما التنظيم القبلي القديم المكون من ثلاث قبائل دورية والتنظيم الجديد الذي يعتمد على التوزيع الاقليمي وهو مكون من خمس قبائل وأن هذه القبائل الاقليمية كانت تشتمل على Obae دون أن يحدد عددها . وهذا الرأي ايضاً يصب قبوله لما يأتي فمن قرأنا للريترا نجد أن كل من Phylai و Obae قد ذكر بجانب بعضهما البعض وهذا يعني أن هناك تنظيمين أولهما تنظيم القبائل الدورية الثلاث وتنظيم Obai ولما كان ذكر القبائل Phylai أولاً فإن هذا التنظيم هو الأقدم وأن Obae قد تم ايجاده بعده وهنا نتساءل هل وجد لاسباب عسكرية أو بغرض تحقيق المساواة في الاعباء أو لظروف نشأة

اسبرطة وقيام الاتحاد بين قراها ؟ كما نعلم أن تحقيق الوحدة بين قرى اسبرطة قد تم على مراحل وأن الوحدة كانت بين أربع قرى أولاً ثم انضمت قرية أميكلاى الآخية إلى الاتحاد فى مرحلة تالية ، وكانت القرى الاربع الأخرى دورية أى يسكنها العنصر الدورى بينما كانت اميكلاى اخية أى يسكنها عنصر غير دورى وهنا أصبح مواطنو اسبرطة يتكونون من عناصر دورية وأخرى أخية مؤثرة واصبح التنظيم القديم لا يفى بالغرض منه ولذا فقد ظهرت الحاجة إلى اعادة التنظيم الاجتماعى أو خلق تنظيم جديد وربما حدث تغيير فى النظام السياسى أيضاً فقد ادعى أحد الملوك أنه ينتمى إلى العنصر الآخى ، ومن المرجح أن الضرورة قد اقتضت المحافظة على التنظيم القبلى القديم مع خلق تنظيم جديد يتلاءم وبتناسب مع انضمام العناصر غير الدورية إلى الاتحاد وحتى يمكن ادماجها فى خدمة الاتحاد وتحقيق أغراضه ، كما قد يكون خلق التنظيم الجديد لتوزيع الاعباء المدنية والعسكرية على اعضاء الاتحاد بالتساوى . وهكذا فقد اصبح لدينا تنظيمان اجتماعيان يعملان جنباً إلى جنب ، وبعبارة أخرى نظاماً جديداً قد فرض ليعمل بجانب النظام القديم وأن هذا النظام الاجتماعى الجديد هو Obae وأن هذين التنظيمين قد خدما مؤسسات الدولة الاسبرطية المختلفة سواء من الناحية الدينية أو السياسية أو العسكرية ، كما أن عدد الـ Obae لا يمكن تحديده فالمعروف منها ست وليس خمس .

إذا كان المواطنون الاسبرطيون الكاملو الاهلية اعضاء فى Phylai و Obai فإن عضويتهم كانت تتطلب أن يكونوا مولودين من أبوين اسبرطيين وأن ينهوا تدريبهم العسكرى وأن يسهموا بخدماتهم فى خدمة الدولة مديناً وعسكرياً وأن يشاركوا فى الموائد العامة وبهذا يكون الاسبرطى الذى يستوفى الشروط السابقة من المواطنين الكاملى الاهلية المتساوين فى الامتيازات ، وكان يطلق عليهم النبلاء

ὄμοιοι ومن يفشل منهم في الوفاء بأحد الشروط السلفة فإنه يفقد حقوقه السياسية ويحتفظ فقط بالحقوق المدنية وكان يطلق عليه الوضيع (ὄμομείονες) أي أنه مواطن ناقص الاهلية . وعلى الرغم من أن كل المواطنين الاسبرطيين الكاملي الاهلية كانوا نبلاء بالنسبة للعناصر الأخرى (الحلفاء والهيلوتس) ؛ فقد كان يوجد بينهم طبقة نبيلة بأدق معنى للكلمة καλοὶ καγαυοὶ وطبقة فقيرة δημος ولكن نظراً لنظام الحياة العامة في اسبرطة فقد كانت الفوارق بسيطة بين الفئتين مقارنة بمدن يونانية أخرى حيث كان مستوى الحياة يتسم بالخشونة بشكل عام في اسبرطة . وهذا يعود إلى النظام الصارم لحياة الاسبرطيين وهذا ما نلمسه في نظام الموائد العامة الذي فرض على جميع المواطنين المشاركة فيه ونظام التربية والتدريب الاسبرطى حيث كان الهدف منهما محاربة الترف والقضاء على شهوة المال وتكوين المواطن الاسبرطى الخشن العريكة .

فقد كان ينبغي على المواطنين الاسبرطيين جميعاً والذين بلغوا سن العشرين وأنهوا تعليمهم وتدريبهم المشاركة في نظام الموائد العامة ويقول اكسينيفون أن ليكوجوس قد شرع وجوب تناول الطعام جماعة بحيث يراهم الجميع وذلك لأنه كان يعرف أن الناس كانوا يتصرفون في منازلهم باسترخاء تام ، ويضيف إلى ذلك بلوتارخ قائلاً "إن ليكوجوس هو الذى ألزم المواطنين أن يأكلوا جميعاً معاً وأن يتغذوا لحوماً واحدة ومن الاطعمة التى تبيحها القوانين ، وحرّم عليهم تناول الطعام فى منازلهم أو اقتناء الاسرة الناعمة أو الموائد الفخمة فلا يجعلوا أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهارة وأن تسمن أبدانهم فى الظلام شأن الوحوش النهممة ، والحقيقة أن فى ذلك فساد للعقول والأجسام واطلاق سراح الشهوات والدعارة . ثم إلى الاضطراب إلى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة والالتزام عيش المرضى وهذه مسألة عظيمة الشأن ولكن نتيجتها أعظم ؛ ذلك أنها جعلت الأموال

فى أمان من السرقة ، أو كما يقول ثيوفراستوس أقل من أن تشتتهى أو كأنها صارت لاشىء بتلك الولايم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن فى وسع أحد أن يبذخ أو يباهى بشىء لأن الفقير والغنى يشتركان فى غذاء واحد .

وكانت الرقابة شديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام مع الآخرين ، فكانوا يعييون عليه علانية ترفيهه وضعفه عن تناول الاغذية التى يجب أن يتقاسمها الجميع . ويقول اكسينيفون إن ليكورجوس قد طرد من جماعة المواطنين كل فرد لا يقبل التقاليد الاسبرطية الصعبة ، ويخبرنا بلوتارخ أن الاغنياء الاسبرطيين عندما فرض ليكورجوس هذا النظام قد غضبوا غضباً شديداً وطاردوه واضطر إلى اللجوء إلى مذبح للحماية ومع ذلك فقد تعرض للايذاء وفقد عينه بسبب هذا الاجراء ولكنه فى النهاية يقول إن الاسبرطيين قد قبلوا هذا النظام .

وإذا كان بعض المؤرخين يسندون نظام الوجبات العامة إلى ليكورجوس إلا أنه لم يكن قاصراً على اسبرطة إذ نجده منتشراً فى المجتمعات الدورية ومنها على سبيل المثال كريت . ومن المفترض أنه قد وجد عقب انهيار الحضارة الموكينية . لقد اطلق الاسبرطيون عليه عدة تسميات منها Syssitia وهى بمعنى الوجبة المشتركة و Pheiditia وهى بمعنى الوجبة الفقيرة والفعل Pheidesthai يعنى أن يكون بخيلاً أو شحيحاً . والتسمية الثانية أكثر شيوعاً من الأولى . وأسماء الكريتيون Andreia بمعنى تجمعات الرجال .

كان يتم ضم المواطنين الذين بلغوا سن العشرين حيث إنهم كانوا مؤهلين قانوناً لأن يصبحوا أعضاء سرايا وكل سرية مكونة من خمسة عشر عضواً ويرى بلوتارخ أن طريقة دخول وانضمام الاعضاء الجدد للسرايا كانت تقتضى اجماع اعضاء السرية على قبوله زميلاً وعضواً فى سريتهم . فقد كان الاعتراض من

عضو واحد فقط كقيل برفض طالب الانضمام لعضوية السرية ، بيد أن هذا القول يصعب علينا قبوله للأسباب الآتية :

(١) أنه من غير المعقول رفض اعضاء خاصة فى الفترات الصعبة والعصيبة من تاريخ اسبرطة حيث كانت الحاجة ماسة للجنود .

(٢) أن بلوتارخ نفسه يقول إن ليكورجوس الزم المواطنين بأن يأكلوا جميعاً معاً وأن يشاركوا فى الولايم العامة .

(٣) إن نقص الاسبرطيين فى بعض الفترات قد اضطرهم إلى الرجوع عن قرارات نزع صفة المواطنة عن المواطنين وهذا ما حدث مع الاسبرطيين الذين استسلموا فى موقعة اسفاكتيريا Sphakteria . إذ ردت الدولة اعتبارهم بإعادة حق المواطنة لهم .

وفى ضوء ذلك يبدو أن وصف بلوتارخ ينطبق على فترة متأخرة إلى حد ما عندما تفسخت Pheiditra من الناحية العسكرية واصبحت تعنى اتحاد ارسنقراطى مغلق فى العصر الرومانى وهذا يشير إلى ما حدث من تطور بالنسبة لهذا النظام فى الفترات التى انتشرت فيها سلع الرفاهية مال بعض الاسبرطيين إلى حياة الاسترخاء وأن البعض قد حاول الخروج عليه ، وعدم الالتزام بقواعده مثلما فعل الملك أجيس عندما كان عائداً من حملة عسكرية ورغب فى تناول وجبة العشاء مع زوجته مما جعل الرقيبان يفرضان عليه غرامة . ومن المرجح أن السلطات الاسبرطية قد مالت إلى الشدة والخشونة فى تطبيق هذا النظام كما سبق القول لزيادة الشعور بروح الجماعة من جهة ، ومن جهة أخرى فرض حياة التقشف والخشونة على الاسبرطيين حتى يمكنهم أن يخضعوا وأن يسيطروا على الهيلوتس . وهكذا فقد صار حضور الموائد العامة اجبارياً والعضو الجديد كان يستمر فى الجلوس على نفس المائدة لمدة اربعين عاماً أى عندما يبلغ سن الستين . وحتى سن

الثلاثين فقد كان يتناول وجباته وينام فى مأوى مشترك ، وإذا ما تزوج يمكنه أن يزور زوجته لفترة قصيرة فى الليل وبعد تناول وجبة العشاء ، وبعد سن الثلاثين يتناول وجبة واحدة مشتركة فى المساء وبعدها يمكنه أن يمضى الليل فى منزله حيث صار مواطناً أكتملت أهليته . وكان يتغيب عن هذه الوجبات فى فترات الاعياد فقط . وكان على كل عضو أن يقدم لافراد سريته (رفقاء المائة) حصاة شهرية تتكون من ميدمينوس من الدقيق وثمانية كونج من النبيذ وخمسة ارطال من الجبن ورطلين ونصف الرطل من التين ، وعشرة أبولات إيجينية لشراء اللحوم ، كما كان على الاسبرطى أيضاً أن يقدم حصاة من لحوم الحيوانات التى يضحى بها أو يصيدها . وكانت الوجبة الشائعة عند الاسبرطيين هى الشربة السوداء وهى خلطة معدة من الخنزير المطبوخ فى الدم والمعالج بالخل والملح . ويرى البعض أن ما كان يفيض من حصص الاعضاء فى السرايا كان يستخدمونه الاولاد الذين هم فى مرحلة التدريب وفى المناسبات فقد كان هؤلاء الاولاد يحضرون إلى Pheiditra حيث تسنح لهم الفرصة لمراقبة كبارهم والاستماع إلى مناقشاتهم السياسية ، بيد أن هذا الرأى يناقضه أن كل طفل اسبرطى سليم البدن واصبح عضواً فى الجماعة كان يخصص له اقطاع وكان يتم الانفاق من دخله اساساً عليه طوال فترة تعليمه وتدريبه حيث كان عليه العيش فى المعسكر من سن السابعة إلى أن ينهى تدريبه فى سن العشرين ، وكانت الدولة هى المسئولة عن تعليمه وتربيته وتدريبه ، وقد ينطبق هذا الرأى على الفترة المتأخرة من تاريخ اسبرطة حيث تركزت الملكية فى أيدي فئة قليلة من الاسبرطيين . كما أن بلوتارخ يقول فى موضع آخر إن الشباب كجزء من تدريبهم كانوا يسرقون جانباً من طعامهم وذلك بتسلقهم أسوار الحدائق أو السلالم إلى أماكن الموائد العامة بمهارة وحذر ومن أُوخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته ، يسرقون ما يستطيعون سرقة من اللحوم

ويفنون في اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والخافلين عن إيجراسة ، ومن يقبض عليه يعاقب بالجلد والحرمان من الاكل ولا يأكلون عادة الا قليلاً . وهذا يشير إلى أن الشبيبة قد اعتمدوا في تغذيتهم على السطو والسرقة سواء من الموائد العامة أو الهيلوتس .

طورت اسبرطة نظاماً تعليمياً مفصلاً لمواطنيها يؤدي إلى الانضباط والطاعة العمياء من قبل المواطنين ويمكن بناء الوصف الشامل لهذا النظام في ضوء ما قدمه لنا ثيوكيدديس واكسينيفون وارسطو وارسطوفانيس وبلوتارخ . وقد انقسم هؤلاء الكتاب إلى فريقين أولهما انتقد النظام ومنهم ارسطو وارسطوفانيس ، بينما تحيز كل من اكسينيفون وبلوتارخ لنظام التربية الاسبرطية .

لم يكن الأب حراً في تربية الابن حسبما يرى ، إذا كان هناك اشراف من الدولة على عملية التربية ولذا فقد كان على الأب أن يقدم وليده إلى شيوخ القبائل لتقرير إذا ما كان صحيح البدن أم لا . والوليد الذي يثبت الفحص أنه ضعيف وذو عاهات كان يلقي به في منطقة مهجورة بجبل تايجيتوس لأنهم لا يرون فائدة من لا له ولا للدولة إذ خلق ضعيفاً مقضياً عليه بالحرمان من الصحة والقوة ، ولي تضمن الاطفال سلامة الاطفال لا تغسلهن النساء بالمياه بل بالنبيذ لأن المصروعين والمرضى من الاطفال لا يحتملون حمام الخمر ، بل يذيلهم ويميتهم ولكن تزيد متانة الاصحاء وتقوى اعضاءهم ، ثم تتولى المرضعات الاسبرطيات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا تشدهم في قماط بل تدع جميع اعضائهم طليقة حرة ، تظهر هيئتها على طبيعتها ، يتعلمون منهن ألا يتأثروا من طعام وأن يقتنعوا بالبسيط منه ، وأن لا يهابوا الظلام أو العزلة ، لا صياح ولا تهيج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجن ، يظل الاطفال في حجور امهاتهم حتى يبلغوا سن السابعة ، وهنا يبدأ دور الدولة التربوي وفي نفس الوقت تبدأ خدمتهم الطويلة

للدولة . وكان يشرف على هذا النظام موظف يسمى Paedenimos فكان يتم أخذهم وتقسيمهم صنفوا تتلقى تربية مشتركة على نظام واحد يعودونهم العمل واللعب معاً ، ويرأس كل صف أذكاهم وأبسلهم فى القتال ، تتجه إيه انظارهم يطيعون أوامرهم ويحتملون ما يأمر به من عقاب بلا تدمر . كان الشيوخ يحضرون العابهم ويحدثون بينهم اسباب الخصام والعراك ، ليروا اختلافهم ، ويتبينوا أجرأهم وإذا كانوا لا يهربون من القتال ولا يأخذ من العلوم الأدبية إلا الضرورى وما بقى فمحصور فى تلقينهم الطاعة واحتمال المتاعب بشجاعة والانتصار فى المعارك ، وكلما تقدموا فى السن أخذوهم برياضة أشد ، يحلقون رؤوسهم ويعودونهم السير حفاة واللعب معاً أكثر الوقت عراة .

ومتى بلغوا الثانية عشر ، لا يلبسون جلباباً بل يعطى لكل منهم رداء فى السنة ، ويبقون قذرين لا يستحمون ولا يتطيبون إلا فى ايام معدودة يسمح لهم فيها بتذوق هذا النعيم . ينام كل فريق فى خيمة على فراش من القش الخشن يصنعونها بأيديهم من اطراف العيدان التى تنمو على شاطئ نهر يوروتاس ، يحصدوننها بأيديهم دون أن يستعملوا حديداً . وفى هذه السن تتطلع أعين العاشقين إلى الممتازين وقد حاول كل من بلوتارخ واكسينيفون أن يجعلها هذه العلاقة مثالية ؛ مؤكدين كيف أن الولد الأكبر سوف يكون نموذجاً للأصغر وكيف أن هذا الأخير فى المقابل سيحاول أن يعيش كما يعيش خليله وأنه سيتقلده ويسلك مسلكه ، بيد أنه من الواضح أن التدريب القاسى وحياة المعسكرات يؤديان إلى الشذوذ . وفى هذه المرحلة تزداد عليهم رقابة الشيوخ فيلازمونهم فى العابهم ومعاركهم ويقوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أباء ومعلمين ومهذبى جميع الأطفال . يضاف إلى ذلك أن معلمى الأطفال يختارون من خيرة الناس ، فكانوا يختارون من كل فرقة أوفر شبابها عقلاً وشجاعة على أن يكونوا تجاوزوا سز

الطفولة بسنتين (أى بلغوا سن العشرين) يتولى قائد الفريق وهو فى العشرين من عمره قيادة فريقه فى القتال ويستعمل افراده ايام السلم فى خدمة الموائد العامة ، ويكلف الكبار بجمع الأخشاب والصغار باحضار الخضروات والبقول . يسرقون ما يحضرون سواء بتسلقهم اسوار الحدائق أو انسلالهم إلى اماكن الموائد العامة بمهارة وحذر ومن أخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته ، يسرقون ما يستطيعون سرقة من اللحوم ويفنون فى اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة ، يعاقبون من يقبض عليه بالجلد والحرمان من الاكل . ويرى اكسينيفون أن الاطفال كانوا يسرقون ليكونوا من افضل المحاربين ، وكانوا لا يأكلون إلا قليلا ، ويربونهم على قوة الاحتمال والتستر على سرقاتهم . فقد سرق أحدهم ثعلباً واخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه بأظفاره وانيابه دون أن يبدو من الولد صيحة ألم ومات فى الساحة العمومية حريصاً على سره ، ويقول بلوتارخ ولا نرى فى هذه الحادثة شيئاً من الغرابة إذ اعتبرنا حالة شبان اسبرطة اليوم ، فقد رأيت غير مرة شباناً يموتون صامتين تحت سيأط الجلاد على مذبح الربة أروديتى ، كما كان الضرب بالسوط من الامور الشائعة التى يفرضها المشرف على التربية . ويذكر بركليس أن الصبية الاسبرطيين يتعلمون تحمل الالم وهم صامتون وذلك لأن تربيتهم تجهزهم لاطهار شجاعة الرجال ، ويقول أرسطو إن الاسبرطيين يجعلون ابناءهم مثل الوحوش كى يصلوا إلى شجاعة الرجال . . .

وفى السنتين الأخيرتين كان يتم تدريب الشباب تدريباً عسكرياً عنيفاً وحلداً . وعندما يصلوا إلى سن العشرين يكونوا قد أنهما تعليمهم وتدريبهم العسكرى وكان اشدهم وأقواهم ينضم لمدة عام للخدمة فى نظام الشرطة السرية Krypteia وهو أكثر التنظيمات المحيرة والشريرة فى نظام التدريب الاسبرطى وقد كتب عنه بلوتارخ ما يأتى : إن الحكام كانوا يرسلون اشد الشبان حذراً وقوة يقطعون الطريق

غير مسلحين إلا بالخنجر والمؤنة . يتفرق الشبان نهاراً ويختفون فى أماكن بعيدة عن الانظار ، يستريحون فيها حتى إذا جن الليل يخرجون وينتشرون فى مفارق الطريق يذبحون من يلاقونه من جماعات المزارعين المربوطين بالأرض وقد يغيرون نهاراً على المزارع يقتلون اشد المزارعين المربوطين بالأرض بوسلاً . . . ويستطرد فى ذكر ما كان يلقاه المزارعون المربوطين بالأرض من اعمال وحشية ومن معاملة قاسية بربرية من قبل الاسبرطيين . ويقول أن هذه المعاملة السيئة لم تكن من عهد ليكورجوس بل تعود إلى فترة متأخرة جداً ، ومن المرجح أنها بعد الفترة الواقعة بعد زلزال ٤٨٩ ق.م. وانتهازه من قبل الهيلوتس بمساندة الميسينيين فى الثورة على الاسبرطيين الناجين منه . وبهذا التبرير فإن بلوتارخ يعارض أرسطو الذى جعل نظام الشرطة السرية متزامناً مع ليكورجوس ، ويرى أحد المؤرخين المحدثين أن هذا النظام كان قديماً جداً وانه مثل موروثات الايام القليلة فإنه كان يخدم وظيفة جديدة فى اسبرطة وانه يمثل المرحلة الاخيرة فى تدريب الشباب الاسبرطى والتي تستغرق عاماً كاملاً قبل أن يعترف به كرجل ، وأن كل الشباب الاسبرطى كان يشارك فى تنظيم الشرطة السرية . ولكن هذا الرأى فيه مبالغة وهذا ما نستشفه من قول بلوتارخ السالف الذكر "إن الحكام كانوا يرسلون أشد الشباب حذراً وقوة" أى أن هذا النظام كانت عضويته قاصرة على نخبة منتقاة من شباب اسبرطة ، وعلى ما يبدو أن هذا النظام قد مر بتغييرات عبر الاجيال وهذا ما يؤكد قول بلوتارخ السابق كما أنه يقول إن الشرطة السرية كانت تشكل فرقة طوارئ فى الجيش الاسبرطى ، وكانت مسئولة ، بين واجبات أخرى ، عن القيام بمهام الاستطلاع .

وبعد أن ينهى الشباب تدريباتهم ويصلون إلى سن العشرين كانوا ينضمون إلى Pheiditra والتي سبق الحديث عنها وفى الفترة ما بين سن العشرين والثلاثين

كان يقضى أغلب وقته في المعسكر وخاصة للخدمة العسكرية بشكل دائم وبعد بلوغه سن الثلاثين يكون لديه المزيد من الوقت والحرية ، ولكنه يخصص الجانب الأكبر من وقته للشئون العامة وصوالح الدولة ويمكن أن يستدعى للخدمة العسكرية إذا ما كان هناك ضرورة لذلك ، ويعفى من الخدمة العسكرية عندما يصل إلى سن الستين وعلى جد قول ارسطو أن المشرع كان يريد أن تكون المدينة كلها خشنة .

نقطة أخرى تشير إلى شدة النظام الاسبرطى وهى الاهتمام بالنباتات فقد اعتقد الاسبرطيون أن المرأة القوية البنية الصحيحة البدن تنجب أطفالاً أصحاء أقوياء ، ولذا فقد مارست المرأة الاسبرطية الجرى ورمى القرص والرمح وذلك بغرض تقوية جسمها ، وذلك كله من أجل انجاب الأطفال الاصحاء ليكونوا جنداً للدولة وصمام أمنها في المستقبل . وسنحاول الآن أن نعرض لدور ومكانة المرأة الاسبرطية .

المرأة الاسبرطية :

كان وضع المرأة الاسبرطية بصفة عامة فى اسبرطة خيراً منه فى أى مجتمع يونانى آخر فقد احتفظت فيها اكثر من سائر المدن اليونانية بمكانتها العالية وبالمزايا التى بقيت لها من ايام المجتمع القديم الذى كان الابناء ينسبون إلى أمهاتهم . ويقول بلوتارخ إن النساء الاسبرطيات كن يتميزن بالجرأة والرجولة وبالثامخ على أزواجهن وكن يتحدثن بصراحة فى أهم الأمور ويقول إن امرأة اجنبية قال لزوجة ليونيداس "أنتن نساء اسبرطة وحدكن تسيطرن على الرجال" . فأجبتها "ذلك لأننا وحدنا نلد رجالاً" . ويرى أن ذلك جاء نتيجة للتربية التى قررها ليكورجوس وليس كما يذكر أرسطو أن ليكورجوس فشل فى اصلاح المرأة الاسبرطية ولم يستطع كبح جماحها أو الاقلال من الحرية التى اباحها لهن . أزواجهن إذ كان هؤلاء ملزمين بالابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب؛ تركوا

ادارتها للنساء فاستفحلت سيطرتهن حتى كانوا يدعون "سيدات" . لقد استمدت المرأة الاسبرطية قوة شخصيتها من طريقة تربيتها . فلم تكن البنات الاسبرطية حرة في حياتها بل كانت خاضعة لقيود فرضتها الدولة عليها ، فإن كانت الدولة قد تركتها لتربي في منزل ابيها فقد كان يطلب اليها أن تقوم ببعض الالعاب العنيفة ، الجرى والمصارعة ، ورمى القرص ، وإطلاق السهام من القوس وذلك كي تقوى عضلاتهن وكى يصبحن قويات البنية صحيحات الجسم صالحات في يسر للأومومة الكاملة وبذلك يكون أطفالهن أقوياء النبات شديدي الاصلاب يشبون شجعاناً . لقد ابعدت البنات عن رخواتهن وتربيتهن في ظلال الحياة الناعمة مما يضعف جنسهن، وقد عودت الدولة ظهور البنات عاريات أمام الجمهور كالشبان ، والرقص والغناء في الحفلات أمامهم وعلى مرأى منهم وكان يفرض على البنات مشاهدة المسابقات وكن يوبخن من لم يفلح ويثنين على من اصاب وحقق الفلاح . فكن بذلك يؤخذن الشبان بمنجاس ذى حدين يثرن فيهم التنافس فى حب الخير وحب الفضيلة ، فمن نال منهن مديحاً واحس بالشهرة بينهن عاد مفاخراً بثائهن كذلك كانت وخزائهن لغير المفلحين أشد الاماً لنفوسهم من التوبيخات العلنية لأن الحفلات لم تكن قاصرة على المواطنين بل كان يشهداها الشيوخ والملوك أنفسهم . ويعلل لنا بلوتارخ عرى النساء إذ يقول " لم يكن فى تعريهن شيئاً من الخجل إذ كان لهن فى الفضيلة والحياة حمى ولم يكن أحد يفكر فى سوء ، بالعكس كان لهن ذلك اعتياد البساطة والعناية باجسامهن وسمو قلوبهن إلى ما فوق عواطف جنسهن إذ يرين انفسهن قادرات على مساواة الرجل ومشاطرته المجد والفضيلة ، كما أنه اعتبر سير البنات عاريات فى المواكب وقيامهن بالتمارين الرياضية تحت انظار الشبان من مثيرات الشهوة للزواج عند الشبان الذين ينجذبون اليهن بدافع الغرام" .

وقد كانت قوانين اسبرطة واعرافها تحض على الزواج وانجاب الاطفال ،

فقد جعلت العزوبية عاراً ويحرم على العازب حضور الحفلات التي يرقص فيها
الفتيان والفتيات عراة الاجسام . ويضطرهم الحكام أن يطوفوا الساحة عراة
ينشدون وهم سائرين اناشيد ضد انفسهم منها " أنهم يعاقبون بعدل لعدم طاعته
الشرائع" وكثيراً ما كانت جماعات النساء تهاجم فى شوارع اسبرطة الرجال الذين
يعزفون عن الزواج وتمعن فى ضربهم وإيذائهم ، كما كان يحرم العزاب ممن
الاحترام الواجب على الشباب للشيوخ ولذلك لم يلم أحد ما قيل للأعزب درسيليداس
رغم كونه من مشاهير القادة ، ذلك أنه دخل على جماعة وكان بينهم شاباً لم يقف
له احتراماً "ليس لك ولد يقف لى احتراماً" حتى الرجال الذين يتزوجون ثم لا
يرزقون أولاداً يصبحون أيضاً عرضة للنقمة ، فإن أمثال هؤلاء لا يستحقون فى
نظر الاسبرطيين شيئاً من الاحترام ، وقد سبق أن ذكرنا قصة الملك الذى لا تنجب
زوجته وموقف الرقباء والشيوخ منه واقناعه بالزواج عليها حتى ينجب أطفالاً كما
كان يطلب من الرجال والنساء أن يهتموا بصحة من يريدون أن يتزوجوهم . فقد
فرضت على الملك أرخيداموس Archidamus غرامة لأنه تزوج بامرأة ضئيلة
الجسم .

كان الزواج يمهد له عادة من قبل الابوين ، ويرى البعض أن الخطيب كان
لا يدفع مهراً ولن أرسطو يقول أن مهورهن كانت ملكاً لهن ، وبعد اتفاق الاسرتين
كان ينتظر من الشاب أن يخطف خطيبته بالقوة وأن تبدى هذه من جهتها أشد
المقاومة وإذا لم يتم الزواج على هذا النحو فإنه جرت العادة أن يتم جمع عدداً من
الرجال غير المتزوجين ومثلهم من النساء ويتم دفعهم إلى غرفة مظلمة ليخطف كل
واحد منهن زوجة له ، ويعتقد الاسبرطيون أن مثل هذا الانتقاء ليس أكثر عمى من
الحب . وكان ينبغى أن لا تكون الزوجة طفلة دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة
للزواج وسن الرشد بالنسبة للفتاة عندما تبلغ سن العشرين ومتى اختطفها الخطيب

سلمها إلى القيمة أو المشرفة على الأعراس فكانت تقص شعرها وتلبسها ثياب وحذاء رجلها وتقيمها على طبقة من أوراق شجر الأسل وتدعها وحدها بلا نور ، يأتي الشباب غير مخمور ولا منهك القوى بملاذ ، بل في اعتداله العادى بعد تناول طعامه في الوليمة المشتركة ، ينسل إلى جانب عروسه ويحل حزامها ويحملها إلى فراشه فإذا ما كان دون سن الثلاثين فإنه كان يقضى معها وقتاً قصيراً ثم يعدو في وقار إلى الخيمة التي أعتاد النوم فيها مع الشبان يستمر على ذلك زمناً يقضى نهاره وليله مع رفاقه لا يذهب لمشاهدة أمراته إلا حذراً كأنه يختلس ذلك اختلاساً يخجل أن يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها على اختلاس الفرص المناسبة لزيارتها سراً ، وقد تستمر هذه الحالة زمناً طويلاً حتى إنه ليحدث أن يصير الأزواج أباءً قبل أن يروا نساءهم على ضوء النهار" كان من شأن هذه العلاقات مران الأزواج على القصد والحكمة فقط بل تبقى لأجسامهم قوتها وخصبها وتحفظ نشاط الخدة الأولى وتجدد الحب وتمنعها اشباع شهواتها التي ينهك الإفراط فيها الرغبات والقوى ، أما إذا افترق الزوجان على قد من بقيت في نفس كل منهما بقية من لهب الغرام وذافع الحب والعطف . ويقول أكسينيفون إن الزوج كان لا يشجع كثيراً في أن يبقى كثيراً مع زوجته أثناء فترة زواجه الأولى" ويقول أن السبب هو أن نظرية الاطفال الذين يولدون لزوجين في شوق أحدهما للآخر يكونون أفضل من الذين ولدوا بعد معاشرة عادية . ويرى أحد الباحثين المحدثين أن هذا التفسير من قبل كتاب العصر غير مقبولة لأنها لا تفسر التخفى الذكري للعروسة ولا النقل السرى في الظلام من مكان إلى آخر قبل اتمام الزواج ، ويرى أن هذا باء لطقس عتيق قبل اتمام الزواج استخدم كحيلة أو خدعة مصممة لخداع يقظة القوى الغيورة التي تحرس العذرية ، ولحماية المغتصب من نتائج فعلته وأن اتمام الزواج بالنسبة للزوج ، على الأقل نظرياً ، لم يكن دائماً عملاً مأموناً ويقول إنه ليس من العجيب

أن تبقى مثل هذه الطقوس حية في اسبرطة التي كانت أكثر المدن محافظة على التقاليد . وفي رأينا أن هذا قد يفسر طقوس ليلة الزفاف ولكن لا يفسر الغياب عن الزوجة ولعل السبب وراء ذلك هو الانضباط العسكى خاصة لمن هم أقل من سن الثلاثين من الرجال والذين لم يكن يسمح لهم بشكل شائع الذهاب إلى السوق ولكن كان عليهم أن يرسلوا اصدقاءهم لشراء ما يحتاجونه لمنازلهم . ومن يفعل هذا كان يستحق اللوم ، حتى بالنسبة للرجال الكبار أن ينشغلوا بشئونهم الخاصة بدلاً من توجيه انشطتهم لصالح الدولة . كما أن الاسبرطيين - على ما يبدو - قد قصدوا من ذلك أيضاً الرغبة في إثارة العواطف وانجاب الاطفال الأصحاء كبانت وراء انقطاع الأزواج في الفترة الأولى من الزواج ، ولعل ما كان يحدث من ممارسات وأمور في اسبرطة من أجل انجاب أبناء أصحاء أقوياء يؤكد ذلك ومن هذه الأمور أنه كان يطلب من الرجال والنساء أن يهتموا بصحة من يريدون أن يتزوجوهم وبأخلاقهم . فقد فرضت غرامة على الملك أرخيداموس لأنه قد تزوج بامرأة ضئيلة الجسم ، كما أن ليكورجوس قد عمل لتعليل فكرة الغيرة الكاذبة المتخنة التي تحدث الشجار والاضطراب في الحياة الزوجية ، فقد اباح الشركة في الأولاد لمن اراد ، ومن آرائه أنه تجب السخرية بمن يريدون جعل الزواج ميزة شخصية لا يشاركهم فيها أحد ينتقمون ممن يعتدى عليهم فيها بالعدو والحرب وقد جعل من المباح لشيخ تزوج من فتاة غضة الشباب أن يدخل إليها فتى شريف يحترمه ويحبه ، وأن يعترف بمن يولد له من دم ذكى كابن له ، كذلك يباح للرجل المتأنق الذي يولع بجمال حسناء متزوجة ذوات أولاد أن يطلبها من زوجها ليغرس في تلك الثبنة الخصيبة ويلد أولاداً أقوياء يمنحهم كبار النفوس دماءهم والقابهم . لقد اعتقد ليكورجوس أن الاولاد ليسوا لأبائهم خاصة بل جميعهم ملك للدولة ، أن يكون النسل للأكثر جدارة من المواطنين ، ونجده يسخر من حماقة وكبرياء ما سنه

المشروعون الآخرون للزواج وقال منتقداً إياهم أنهم يبحثون لكباتهم وافرأسيهم خير الكلاب وأكرم الخيول يتوسلون إلى اصحابها بالرجاء والأموال ويحجرون على نسائهم يحتمون عليهم ألا يكون لهم أبناء إلا من بعولتهن وليجو كانوا اغبياء ، عاجزين ، مرضى ، كأن ليس من الخزي للآباء والمربين قبل غيرهم أن يكون لهم أبناء ضعفاء من سلالة آباء ضعفاء ، وكان ليس من السعادة أن يكون لهم أبناء أقوياء يشبهون آباءهم فى القوة وسلامة البنية . وهكذا لقد كان الغرض من هذه الاجراءات وفقاً لاجماع الاقدمين هو انجاب الذكور الأقوى اجساماً والأجمل وجوهاً من سائر رجال اليونان وأن تكون نساؤهم أصح وأجمل من سائر نساء اليونان ، ولكن أغلب الظن أن هذه النتيجة يرجع أكثرها إلى التدريب لا إلى العناية بالنسل وحدها . وفى ذلك يقول ثيوكوريديس على لسان الملك أرخيداموس "قَلَمًا يكون ثمة فرق بين الرجل والرجل ولكن الذى يتفوق فى آخر الأمر هو الذى ينشأ فى أفسى مدرسة" وهكذا فإن الانضباط العسكرى والرغبة فى انجاب اطفال اصحاء كان وراء انقطاع الزوج عن الزوجة . وإن كان انجاب اطفال اصحاء قد أدى إلى الممارسات السالفة الذكر .

لقد رأينا أن الزوج قد يختار لزوجته الرجال الاقوياء والنبلاء أو أن النبلاء كانوا يسألون أزواج النساء أن يقيموا علاقات معهن كما نعلم فى بعض الحالات أن هناك تعدد الازواج ويرى البعض أن هذا النظام كان سببه عدم تقسيم الاقطاع وأن الوالى قد استقر فى عدة حالات بالنسبة لزوجة الابن الأكبر أن تكون أيضاً زوجة لكل أخوته ، كما أن تعدد الازواج للزوجة الواحدة قد جعلها سيدة الاملاك .

ويقول بلوتارخ أن نظام ليكورجوس لم يؤد بالاسبرطيات إلى التساهل بأكثر

مما كن عليه ، فقد قيل أن الزنا ^(١) لم يعرف فى اسبرطة . ويستشهد بلوتارخ باجابة قالها أحد الاسبرطيين رداً على سؤال لاجنبى ما هو عقاب الزانى فى بلادكم ؟ فاجابه الاسبرطى لا زنا فى بلادنا ، قال الاجنبى وإذا حدث ؟ يلزم الزانى بثور طويل العنق يستطيع أن يشرب من نهر يوروتاس وهو فى أعلى جبل تايجيتوس ، قال الاجنبى وكيف يحصل على ثور فى مثل هذا الطول ؟ فاجابه الاسبرطى ضاحكاً وكيف يوجد فى اسبرطة زنا ^(٢) .

والطلاق كان نادراً وغير مستحب ، ولكن كان يتم فى حالة عدم الانجاب وإذا لم يتم طلاق فى حالة عدم الانجاب كان الزوج يتزوج بامرأة ثانية وهذا ما نعرفه من قصة الملك الاسبرطى الذى كانت زوجته عاقراً ورفض تطليقها ونصح بالزواج من أخرى عليها من قبل الرقباء والشيوخ وامتلل للأمر . ولكن على ما يبدو أن هجر الزوجة بدون سبب وجيه والزواج من أخرى كان يعاقب عليه الزوج فقد عوقب القائد الاسبرطى المشهور ليساندر لأنه هجر زوجته واراد الاقتران بامرأة أجمل منها .

وكانت المرأة الاسبرطية ترث وتورث وتوصى بثروتها إلى من تشاء ، وكانت تخرج للأسواق وتشتغل بالتجارة ، وكونت ثروات طائلة وقد أتى عهد على اسبرطة كانت فيه نصف ثروة البلاد فى أيدي النساء بفضل ما كان لهن من سيطرة قوية على الرجال ونظراً لأن الرجال كانوا ممنوعين من تملك المعادن

(١) إن الحالات السالفة الذكر من اختيار الزوج الشاب القوي لزوجته أليس زنا ؛ كما أن اسطفوان الشاب الوجيه القوي للزوج كى يخالط زوجته أليس هذا زنا كما أن تعدد الأزواج للمرأة الواحدة أليس هذا هو الآخر زنا !

(٢) تأثر أفلاطون بهذه الممارسة وقد انعكس ذلك فى كتابه الجمهورية حيث منع الزواج بين طبقة الحكماء .

النفيسة ، كما أن الكثير من الاسبرطيين الذين كانوا يحصلون بمختلف الطرق غير المشروعة على ثروات طائلة ويخافون افتضاح امرهم يسجلون املاكهم فى اراضى الحلفاء باسم الزوجات . وكان النساء هن اللواتى يقمن بشراء هذه الاراضى وبيعها واستثمارها . ويصدق هنا قول أفلاطون أنه قد نظم الرجال فقط فى اسبرطة بينما تركت النساء حرة وتعيش حياة ثرية . وقد وجدت ثلاث عوامل أدت إلى حرية النساء الاسبرطيات خارج منازلهن أكثر من المدن الأخرى وهى :

(١) وضعهن المالى فقد تركزت الثروة فى أيدهن وكلما زادت ثروة المرأة ازدادت سلطتها وقوتها .

(٢) التمرينات الرياضية وظهورها عارية فى شبابها أمام الشباب .

(٣) غياب الرجال فى المعسكرات وعدم الانتظام فى المبيت فى البيت إذا ما كان الزوج تحت سن الثلاثين أو الغياب فى الخارج فى عصر الامبراطورية الاسبرطية إذ يقول أرسطو ناقداً : اثناء فترة امبراطورية اسبرطة كانت النساء تدرن عدة اشياء وما الفرق هنا بين حكام يحكمهن نساء وحكومة فعليه من النساء ؟ ونستشف من هذا أن اسبرطة كانت محكومة بحكومة النساء Gynaikakratia وبعد أن عرضنا لاوزاع الاسبرطيين سنحاول أن نلقى الضوء على بعض سماتهم .

(١) إن نظام الوجبات المشترك قد جعل الاسبرطيين الاغنياء والفقراء على السواء يأكلون نفس الطعام وكان طعاماً رديئاً دائماً ، وهذا النظام أزال الاحتكاك بين فئات المواطنين ؛ لأن اختلاف نوعية الطعام يؤدي إلى التفرقة والثورة ، ويقول أفلاطون على لسان ميغيليس Megilles فى كتاب الجمهورية أنه لا توجد حفلات شرب وسكر فى اسبرطة ولا فى أى مدينة تابعة لها كما يعاقب

كل سكير . ويقول اكسينيفون أن الملك أجيسلاوس Agesilaos كان يعتبر السكر والثمالة نوعاً من الجنون . فلأن حالات الثمالة الجماعية في مهرجانات أو حفلات يمكن أن تكون فرصة ينتهزها الهيلوتس للثورة . ويقول كريتاس Kritas في نهاية القرن الخامس ، إن الاسبرطيين قد اشتهروا بعدم رغبتهم في تناول المشروبات الروحية . ولكن يمكن أن يدل السكر والثمالة على حالة ثراء من يقومون بذلك أمام الفقراء وهذا ما ترفضه اسبرطة .

(٢) كانت ملابس ابناء الاغنياء والفقراء واحدة ولا فرق بينهم ويشيد ثيوكديديس باعتدال الاسبرطيين في الملابس ورغبة الطبقات الثرية في أن تكون ملابسها مثل المواطنين العاديين . ومع ذلك فقد ظهر التفاوت على سبيل المثال بالنسبة لسباق المركبات . ففي بداية القرن الرابع للميلاد تدفقت الثروة على اسبرطة من امبراطوريتها وأدى ذلك إلى حدوث التوتر ويذكر اكسينيفون أن الملك أجيسلاوس قد ذكر أن صناعة المركبات الفاخرة التي تجرها الجياد لم تكن أبداً من الصفات الحميدة ولكن فقط لاطهار الثروة ومع ذلك نعرف أن شقيقته كينيسكا Kyniska كانت تنفق على فري انتصر في سباق المركبات . ولا ندري إذا ما استطاع أجيسلاوس الاقلال من اهتمام الاثرياء بهذه الرياضة . ولكن تكشف المصادر أن هناك سيدات ثريات قد قمن بالانفاق على فرق عربات أخرى والدخول في سباقات ولا شك أن الغرض من هذه السباقات كلن الغرض منه استعراض الجاه والثراء وليس شيء آخر .

(٣) لجأت اسبرطة إلى إثارة روح التنافس والغيرة والشجاعة في مواجهة الموت بين الاسبرطيين منذ نعومة اظافر الاطفال ويقول اكسينيفون إن اسبرطة كانت تبث عمداً روح المنافسة والاسبقية بين شبابها عمداً فكان المتنافسون ينقضون على بعضهم بعضاً في ملاكمة عنيفة حيثما اجتمعوا ، وقد سبق أن تحدثنا عن

تشجيع الفتيات للمنتصرين وتوبيخهن للمهزومين وصلابة الشباب والاطفال في تحمل الآلام . وكان اليونان يؤمنون تماماً بشجاعة الاسبرطيين الاستثنائية ، ويقول ثيوكيدديس إن قرار ١٢٠ مقاتلاً اسبرطياً أن يستسلموا عند محاصرتهم في اسفاكتيريا بدلاً من الموت اثناء القتال اعظم وأغرب أمر شاهده العالم اليونانى كله اثناء حرب البلوبونيز . وأيضاً نجد أن اسبرطة بعد أن استردتهم قد حاكمتهم ونزعت عنهم صفة المواطنة ولكنها اعادت لها اليهم فيما بعد . تكشف لنا المصادر عن أن الاسبرطيين كانوا يحترمون ويمجدون الموت في ميدان المعركة . يقول اكسينيفون إن الحزن قد عم اسبرطة بعد الهزيمة الكبيرة في ليخانيون Lekhanion اثناء الحرب الكورنثية . فيما عدا الذين قُتل اباؤهم وأخوتهم هناك ، فكانوا مسرورين كما لو كانوا قد كسبوا المعركة وذلك لأنه قد تم تمجيد عائلاتهم . وفي موقعة لوكترا نجد أن الرقباء قد شعروا ببعض الحزن وأمروا النساء بالأل يصرخن ، ولكن في اليوم التالي خرج الذين فقدوا اقاربهم في أبهى حال وسرور بينما أن اقارب الباقين على قيد الحياة كانوا في حالة كآبة وتعاسة . لقد كانت الفاة في ساحة الوعى شرطاً لحفر اسم الرجل على شاهد قبره وأن الموت بشجاعة كان قد خلا للتكريم وقللاً لتشريع ليكورجوس . حيث كان الاسبرطيون يحتفرون كل من كان يرفض أن يكون شجاعاً في المعركة ويذكر لنا هيرودوت حكاية جنديين من جيش ليونيداس في موقعة ثيرموبولاي والذين هربا من المجزرة . ويقال أن أحدهما واسمه بانتيثيس Pantites قد تم تخفيضه أو تنزيل فنته الاجتماعية بعد عودته لاسبرطة فشئق نفسه ، أما الآخر فهو ارستوديموس Aristodemos فلقد أهين كذلك ونعتوه "بالرعاش" ورفض الاسبرطيون الكلام معه ، ولكنه في موقعة بلاتيا قاتل قتلاً عنيفاً ومات ويقول ثيوكيدديس نقلاً عن براسيداس أن اخوف

من الإهانة أحد علامات الجنديّة وقد عدد لنا أكسينيفون الإهانات التي يلقاها الجبناء في اسبرطة منها على سبيل المثال : لن يجدوا زوجات ولن تجد نساء عائلتهم أزواجاً لهم ولا يسمح لهم بأن يكونوا سعداء ، أى بالظهور في الاحتفالات العامة وإلا ضربوا ، كما كان يجب عليهم اخلاء مقاعدهم لرجال أصغر سناً . وكما سبق أن ذكرنا سحب المواطنة أو تنزيل الفئة الاجتماعيّة لهارب .

(٤) كان الاسبرطيون مقتصدون في الكلام ويرفضون الكتب ، يقول بلوتارخ إن الاسبرطيين كانوا يعودون الاطفال على اسلوب من الكلام الحاد والقارص في ملاحظة ورقة ، يتضمن معان كثيرة في كليّات قليلة وكانوا يطبعون الطفل على الصمت الطويل ويجعلون همهم في مناقشة وفرة المعاني في قليل من الكلام . وكانت خطب الاسبرطيين موجزة واضحة الغاية أشد الوضوح سريعة النفوذ إلى عقول السامعين لقد كان ليكورجوس قصير العبارة جلي المعنى . ومن الامثلة : أن اشار البعض عليه بأقامة الديموقراطية في اسبرطة فأجابه "ابدأ باقامتها في بيتك . وجوابه على سائل سأله ، كيف نستطيع دفع غارة الاعداء ؟ فكان جوابه متى كنتم فقراء لا يطعم أحد في نصيب أوفر من نصيب سواه . وقوله عن الاسوار "ما من مدينة بلا سور متى كان سياجها لا الطوب بل قلوب الشجعان" . كما نجد رد الملك أجيس على الاثيني الذي قصو سيوف الاسبرطيين بقوله "إن المصارعين يبتلعونها بسهولة على مسارح اللعب" فأجابه الملك : "بهذه السيوف القصيرة نصيب اعداءنا عن بعد" وسئل خاريلا دس لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع ؟ فقال : لأنه يلزم قليل الكلام قليل من الشرائع . ويقول أرخيداميداس "إن من يعرف مواطن الكلام يعرف ايضاً متى يجب الكلام" . وحتى في هزلهم لم ينطقوا شيئاً أو

الثانية وهى فئة المزارعين المربوطين بالأرض .

(٢) المزارعون المربوطون بالأرض :

ترينا المصادر الأدبية أن الغزاة الدوربين ، القائلين الارنبسة ، والنسالبية قد تصرفوا فى المدن التى احتلوا وحلوا بها ، بأن اسرقوا الالهالى البسافس فيها ، وصار هؤلاء يمثلون أدنى طبقة فى السلم الاجتماعى فى تلك المدن . وهذا ما كشفت لنا عنه التنظيمات الاجتماعية فى أرجوس وسيكون و ابيداروس و ميجارة وفى تساليا ولوكريس و تراخيس وفى المستوطنات التى استنتها المدن الدورية فى هيراقليا بونتيكا Heraclia Pontica وبيزنطة وسيراكوز . فقد وجد فى أرجوس ، وهى واحدة من أقدم المدن الدورية فى البلوبونيز ، طبقة الـ Gymnetes أو Gynnesitoi والكلمة تعنى "عراة" وقد اشار اليهم هيرودوت بقوله "إن كل شىء كان فى أيدى العبيد لبعض الوقت فى أرجوس" كما قارن كل من بولبوس بوللو كس J. Pollux (من نهاية القرن الثانى م.) و استيفانوس من بيزنطة (من القرن السادس) ، بن هذه الطبقة وطبقة الهيلوتس الاسبرطية وقد وجد قسم مماثل فى سيكون أسماء الكتاب القدامى "ثيوبومبوس" وبوللو كس و استيفانوس "الكورينبيوروى Korynephoroi" وفى ابيداروس كان هناك جماعة مماثلة اطلق عليها تسمية Komepoks التى تعنى اصحاب الأقدام المتربة و استخدمت لوصف سكان الريف بالمنطقة ، وفى تساليا نجد جماعة مماثلة هى جماعة "البنساي Penestai" وهى الفئة التى كانت تعمل فى الارض المملوكة للسادة التسالبيين . وفى لوكريس وجدت جماعة مماثلة هى الـ "ويكاتاي Woikeatai" التى عاشت تحت نفس الظروف وأيضاً ربما جماعة Kyllekranes التى عاشت فى تراخيس على خليج مالسا . وكانت جماعات الزراعة فى سيكون و أرجوس و ابيداروس تتمتع بحريته شخصية أكبر من الهيلوتس الاسبرطيين ولم يتم ربطهم بالارض مثل الهيلوتس .

وتقدم لنا المصادر معلومات عن جماعات مماثلة في بعض المستوطنات التي أسستها من الدورية في عصر الاستعمار . ويقدم لنا بولوكس وبعض الكتائب القدامى قائمة لمجموعة من تلك الجماعات الخاضعة ذات الوضع المندنى ومنها جماعة Mariandynoi وهم السكان الاصليون والذين كانوا يخضعون لمستوطنى هيراقليا بونتيكا في شمال غرب اسيا الصغرى والتي أسسها المستوطنون الميجاريون في القرن السادس . وقد وصف الـ Mariandynoi بحملة الهباب (Derophorai) لأنهم كانوا يسلمون حصة محددة أى سادتهم من انتاجهم . وقد قيل أن البيثينيين كان لهم وضع مشابه للـ هيلوتيس وكانوا يخضعون للمستوطنين الميجاريين الذين أسسوا مستوطنة بيزنطة في بداية القرن السابع ، وفي سيراكوز فقد وجدت جماعة Kylliryoi أو Killykrioi وهم السكان الاصليون والذين استرقهم المستوطنون الكورينثيون . ويقول هيرودوت إن الـ Kylliryoi كانوا عبيداً لملاك الارض Gamoroi في سيراكوز . أما عن كريت فقد كانت تتشابه في نظامها إلى حد كبير مع النظم الاسبرطية فقد وجدت جماعة الـ Klaratae والتي تعنى المقيمين على الاقطاعات وكانوا مناظرين للهيلوتس . وسنعود للحديث عنهم عندما ننتهى من الحديث عن الهيلوتس والطفاء الاسبرطيين . فلماذا وجد الزراع المربوطون بالارض بشكل رئيسى في المدن الدورية ومستعمراتها ؟ ولمعرفة الاجابة ينبغي أن نبحث الوضع العام الذى ساد بلاد اليونان عند نهاية الالف الثانية وخاصة في مرحلة تطور القبائل الدورية والقبائل المرتبطة بها ، فمن المرجح أن هؤلاء كانوا رعاة عند وصولهم إلى بلاد اليونان وأنهم عندما غزو الارض الزراعية قد استرقوا ما بقى من السكان الاصليين واستخدموهم في زراعة الارض التي استولوا عليها وفرضوا عليهم تسليم حصص من انتاجها وذلك لعدم درايتهم هم أنفسهم بشئونها وتفرغهم للعمل العسكرى وإذا ما عرضنا الآن للهيلوتس

الاسبرطيين ، نقول إن الاسبرطيين كانوا قد قسموا أراضى نهر يوروتاس إلى اقطاعات ووزعوا حيازتها وليس ملكيتها فيما بينهم ، وكان يقوم بزراعتها جماعة الهيلوتس وهم الأخيين والدوريين وارتبطوا بالارض ولم يكونوا ملكاً لحائز الاقطاع وقد اختلف الباحثون حول وضعهم القانونى فيرى ثيوكيديديس أن كلمتى Oiketes و doulos "بمعنى عبد" تتطابقان تماماً مع الهيلوتس وهنا فإنه يرى أنهم عبيد . وفى نص المعاهدة المعقودة بين اسبرطة وأثينا عقب صلح نيكاس سنة ٤٢١ يوجد بند ينص على أنه إذا ما ثار douleia فإن الاثينيين سوف يساعدون اللاكيدايمونيين بكل طاقتهم . ويصفهم باوسانياس بأنهم عبيد الجماعة كلها من اللاكيدايمونيين بينما يصفهم بوللوكس مع جماعة Penestai والجماعات المشابهة السالفة الذكر من الزراع الخاضعين بأنهم كانوا إلى حد ما فى وضع بين الرجال الاحرار والعبيد . واعتقد البعض فى العصور القديمة أن الهيلوتس كان لهم وضع مختلف عن عبيد باقى المدن اليونانية لأن اسبرطة قد رأت أنهم ملك للدولة وليسوا ملكاً لافراد من المواطنين ونجد نفس التردد فى تحديد وضعهم بالنسبة للكتاب المحدثين ، فالبعض يصفهم بأنهم عبيد الدولة والبعض الآخر يقول أنهم اقنان أو اشباه عبيد والوصف المناسب لهم هو وصف بوللوكس لهم على الرغم من أنه لا يكون دقيقاً ولكنه يكشف على الأقل نقص الوضوح فى مفهوم الحرية والعبودية فى المجتمعات القديمة. فوصفهم بأنهم عبيد الدولة أو الجماعة أى أنهم كانوا على وجه الحصر تحت تصرف سلطة الدولة التى تملكهم فيمكنها أن تحررهم متى أرادت ومكنها لا تبيعهم فهم خارج نطاق المبادلات التجارية القانونية أى أنهم ليسوا سلعة قابلة للبيع والشراء . وقد وزعتهم الدولة مع الارض المقطعة للمواطنين الاسبرطيين ومن ثم فإن الحائز على الاقطاع كان بشكل آلى سيد الهيلوتس المقيمين على اقطاعه ولكنه لا يملكهم ولا يمكنه أن يبيعهم أو يتصرف فيهم

بالاعتاق ولا يمكنه طردهم من الارض فهم ليسوا سلعة قابلة للبيع والشراء أو لأى شكل من اشكال التصرف ، كما أن حائز الاقطاع لا يملك السلطة أو الحق فى زيادة أو طلب زيادة للحصة التى قررتها الدولة له من الاقطاع تحت عقوبة اللعنة، بل أن الهيلوت لا يدين بشىء للحائز سوى الحصة المفروضة عليه يسلمها له والدولة وحدها هى التى لها الاهلية لتغيير شروط العقد والذى فرضته وحدها وهكذا فقد كانت حقوق السيد محدودة . وفى المقابل فإن الهيلوت لا يمكنه أن يترك الاقطاع بل ينتقل بانتقال الاقطاع لحائز آخر فقط وكان للهيلوت حقوق منها أنه يمكنه أن يزرع نسبة من الارض التى يزرعها بالطريقة التى يرغبها ، كما أن الاقطاع كان فى انتظار اخلافه وورثته . وفى ضوء ما قدمنا فلا يمكن أن نعتبرهم عبيد بالمفهوم القانونى . فكنوا يتزوجون ولا يمكن للمرء أن يشتري هيلوت من سوق العبيد . كما أن الزيجات كانت تتم بين النبلاء والهيلوتس وكانت تثمر ذرية وهذه الذرية كان لها الحق فى المواطنة إلى حد ما . كما أن ملاك الارض فى اسبرطة بعد أن ابيح اجراء التصرفات القانونية لم يكن لهم الحق فى بيعهم أو التصرف فيهم إنما كان هذا الحق قاصراً على الدولة ، فتخبرنا المصادر أنه فى القرن الثالث باع الكلك كليومينيس الحرية للهيلوتيس بخمس مينسات للفرد منهم وحصل على مبلغ خمسمائة تالنت من شراء ستة آلاف هيلوت لحریتهم وبعدها صاروا مواطنين من الدرجة الثانية . كما أن هناك سمات تميز الهيلوتس عن العبيد الأثينيين على سبيل المثال . فالهيلوتس كانوا يشكلون مجموعة جنسية واحدة وهم السكان الاصليين . ويتحدثون نفس اللغة وانزلوا على نحو مشترك إلى مرتبة الاتباع من خلال الفتح عند وصول الدوريين الذين اصبحوا سادتهم والذين كونوا ارستقراطية . وعلى العكس فإن العبيد الاثينيين كانوا من أصول مختلطة بشكل كبير ولا يمكن أن يكون لهم اسم جامع لهم كما أنه لا هوية لهم وكان يتم شراءهم

واستيرادهم مثل أى سلعة من الاسواق وكان من النادر استخدامهم فى الخدمة العسكرية والحالات المعروفة قليلة وقد حدثت فى ظروف طارئة ، بينما كان الهيلوتس يخدمون بشكل معتاد فى الحرب وكانوا يحصلون على حصة من الغنائم، ومن يتحرر منهم كان يعتبر من المواطنين الجدد Neodamades ، كما أننا نسمع عن ثورات الهيلوتس ولا نسمع عن ثورات العبيد . كما نسمع عن زيجات بين الهيلوتس وبين الاسبرطيين وأن ابناء هذه الزيجات كان لها الحق فى المواطنة إلى حد ما . بينما نجد فى أثينا بعد قانون بركليز سنة ٤٥١ - ٤٥٠ والذى اعترف بالزواج بين الاثينيين الخُص فقط . ومن قبل كان يعترف القانون بذرية الاب الاثينى ولم يكن زواج الاثينى من أمه له شرعية . هذه لعبة الفروق بين العبيد وبين الهيلوتس . وفى ضوء هذا يمكننا أن نقول إن الهيلوتس كانوا يمثلون فئة خاصة حرمت من الحقوق السياسية والمدنية فى الدولة واعطيت بعض الحقوق ورفض عليها الكثير من الواجبات والاعباء .

أما رأى القائل بأنهم فى وضع الاقنان وأنهم كانوا يتمتعون بجميع الحريات التى يتمتع بها أقنان الاقطاع فى العصور الوسطى فكان للواحد منهم أن يتزوج كيف شاء وأن يكون له ابناء لا يهتم بعددهم أو ما سوف يؤول إليه أمرهم ، ويستغل الارض بطريقته هو ، ويعيش فى قريته مع جيرانه ولا يقلقه مالك ارضه الغائب عنها ، مادام يؤدى إلى هذا المالك بانتظام ايجارها الذى حددته الحكومة وكان هذا القن مرتبطاً بالارض ولكن مالکها لم يكن فى مقدوره بيعه أو بيعها ، وكان فى بعض الحالات يؤدى خدمات منزلية فى المدينة ، وكان ينتظر منه أن يقوم على خدمة سيده فى الحرب وأن يحارب دفاعاً عن الدولة إذا ما طلب إليه أن يحارب من أجلها . وردنا على هذا الرأى أن الاقنان كانوا جزءاً من الأمة فى العصور الوسطى بينما الهيلوتس ليسوا جزءاً من الأمة ولكنهم كانوا فئة مختلفة فقد

كانوا من السكان الاصليين اصحاب البلاد فى الغالب استعبدوا من قبل غزاة اجناب سلبوهم جانباً من حريتهم والفارق الاساسى بين الاسبرطى والهيلوت هو أن الأول يتمتع بامتيازات سياسية ومدنية بينما الثانى لا حقوق له أو حرم منها وبهذا المعنى فإن الهيلوتس كانوا احراراً طالما أنهم لم يكن لهم سيد ولكن القانون وحكام الدولة قد ربطوهم بالارض ولم يكن لهم حق اختيار محل اقامتهم أو تركها . ومن ثم يصدق عليهم قول بولوكس فإنهم كانوا بين الرجال الاحرار والعبيد ولا يمكنهم أن يتحرروا من ربطهم بالارض إلا من خلال الدولة وقد يكون ذلك لشجاعة يظهرونها فى الدفاع عن الدولة فينالون حريتهم أو يمكنهم دفع مبالغ لتحريرهم من الارتباط بالارض كما سبق أن ذكرنا وإذا ما تحرروا حقاً فإنهم كانوا يعاملون كمواطنين ناقصى الأهلية ويعاملون معاملة الحلفاء .

ولعل اسم Helots قد تم اشتقاقه من الجذر اليونانى Heli الذى يشير إلى الأسر على الرغم من أنه قد يكون قد اشتق من الكلمة Hele مستتقعات ويقول استرابون أن كلمة هيلوت مشتقة من Helos وهو اسم بلدة فرض الاسبرطيون على اهلهما الاسترقاق وهى بلدة قريبة من مصب نهر يوروتاس . والمرجح أن الاسم كان اسم بلدة هيلوس القريبة من مصب نهر يوروتاس والتي كان بها مستتقعات وتم اسر واسترقاق اهلهما ثم امتد الاسم ليطلق على تجمعاتهم فى لاكونيا كما اطلق الاسم على المهزومين فى ميسينيا بعد اسرهم .

كان الهيلوتس فى لاكونيا ، على ما يرجح ، من الآخيين الذين انزلهم الاسبرطيون إلى مرتبة الهيلوتس ولعل البعض منهم كان من ابناء للاسبرطيين الخالص ذوى العاهات والذين القوا بهم عند جبل تايجيتوس والتقطهم الهيلوتس للاستفادة بهم ومعاونتهم فى الاعمال الزراعية . وقد زادت أعدادهم زيادة كبيرة بانزال بعض العناصر الدورية والآخية فى ميسينيا لمرتبة الهيلوتس ، ويقول

هيرودوت أن عدد الهيلوتس كان سبعة مقابل اسبرطى واحد فى موقعة بلاتيا حيث كان الجيش الاسبرطى بكامل قوته ، ويقول اكسينيفون أن الاسبرطيين فى اسواقهم يكادون يضيعون بين الفئات غير المواطنة والأولى منهم وربما كان معظم هؤلاء من الهيلوتس .

لا نكاد نعرف عنهم إلا الشيء القليل ، فلا نعرف اسماً لواحد منهم وربما نصل إلى اسم احدهم ولعل الفتاة أولون Aulon كانت من الهيلوتس والتى كانت أجمل فتاة فى المدينة وكانت تجذب الاسبرطيين كبارهم وصغارهم هناك .

كان على الهيلوت أن يسلم حصة من انتاج الأرض التى يزرعها من الاقطاع وهذه الحصة كانت تمثل ثلث المحصول فى لاكونيا ، بينما كانت تمثل نصف المحصول فى ميسينيا . والمصادر لا تحدد لنا مساحة الاقطاع ؛ وكم كان عدد قطع الارض التى يقسم اليها ؟ لا يمكن أن نستخدم ما ورد من معلومات فى بداية القرن الخامس بأن نسبة الجنود الاسبرطيين بالنسبة للهيلوتيس فى موقعة بلاتيا كانت ١ - ٧ ، أى أن كل اقطاع سبع سبع اسر ولما كانت كل اسرة تزرع قطعة أرض من الاقطاع فإن الاقطاع كان مقسم إلى سبع قطع من الارض . ولكن هذا الافتراض بعيد الاحتمال فنعرف أن الهيلوتس كان عليهم أن يقدموا ايجاراً ثابتاً قدره ٨٢ ميدمنى فضلاً عن مدفوعات أخرى ، وأنهم كانوا يسلمون ثلث المحصول بلاكونيا أو نصف المحصول فى ميسينيا وأنه مع أخذ متوسط سنوات وفيرة الانتاج وأخرى قليلة الغلة ، فإن انتاج الاقطاع يكون ٢٤٦ ميدمنى يحصل منها حائز الاقطاع على ٨٢ ميدمنى و ٢٦ ميدمنى للبذور و ٤ ميدمنى للعلف وتغذية الطيور الداجنة ، أما المقدار الباقى ١٢٢,٥ ميدمنى فإنه يكفى لعشرين فرداً على اساس ما يستهلكه الفرد يومياً ؛ ولذا فإن الاقطاع كان يزرعه اربعة اسر بمتوسط خمسة افراد ، وكال اسرة كان عليها أن تفلح مساحة تقدر بحوالى ٢٠

فداناً والجزء الأكبر منها حوالي ١٧ فداناً كان يخصص للقمح والشعير . وكل عام كان يتم بذر نصفها بالحبوب ونصفها الآخر يترك مراحاً ومن مساحة ٨,٥ فدان فإن الهيلوت يجنى ٦٢ مدميني من الحبوب في المتوسط وثلاث الكمية إلى الحائز وبقيّة الارض كان يقسم إلى ارض خضراء في المناطق الرطبة ، وحدائق واعناب وزيتون وتين ، وكان الهيلوت يقدم من محصولها حصة مناسبة لحائز الاقطاع ، وكان الهيلوت يحتاج إلى ثور وربما ثورين لأن الحاجة تكون ملحة اليه خاصة إذا كان الجار غير طيب ولا يعيره ثوره في أوقات الحرث ، ويحتاج إلى حمار لنقل الحبوب والنبيد . . . الخ ، إلى لمدينة ، وعدد قليل من الماعز والاغنام التي يستخدم لبنها في صنع الجبن ، وخنزيرة وذريتها ، وعدد من الاوز ، ولا ينبغي أن ننسى وجود خلية أو خليتي نحل لانتاج العسل المطلوب للتخلية ، وكان الهيلوتس يعيشون في منازل فقيرة مقارنة ببيوت الاسبرطيين . كان وضع الهيلوتس الاقتصادي طيباً ، فقد كان ميسوراً أو بعيداً عن الفقر وضامناً بقائه في الارض وأنه لن يطرد منها ومن ثم فإنه يتمتع بقدر من الامان ، وكان يقدم ايجاراً ثابتاً لا يتغير ، ولكن قد يكون الايجار ثقيلاً عليه في السنة السيئة المحصول ، ومن جهة أخرى فإنه كان يجعل على كل الربح في السنوات الوفيرة المحصول ، فكان يحصل على ميزة الزيادة في الانتاج إذا ما قام باجراء تحسينات على قطعة الارض التي يزرعها والتي تؤول له ولأسرته . وكان يملك كل الممتلكات غير العقارية وهذا لا يكون امتيازاً صغيراً ، كما أن الهيلوتس الذين يذهبون مع الجيش في كل حملة كان لهم الحق في المشاركة في الغنائم وفي نفس الوقت كان يمكنهم بيع حصصهم في الغنيمة .

ولم يكن دور الهيلوتس قاصراً على الزراعة ولا أنشطتهم كانت قاصرة على زراعة قطعة الارض التي كانت صغيرة إذا ما زاد عدد افراد الاسرة عن

سنة افراد ، ويرى البعض أنه إذا ما زاد عدد الابناء عند الهيلوت ؛ فإن البعض منهم كانوا يدخلون فى خدمة الارستقراط سادتهم حائزى الاقطاعات ، وأنهم يصيرون Mothaces أو Mothones وهم نوع من الخدم والاتباع المنزليين الذين يعيشون مع السيد ، ويشكلون جزءاً من بطانته وحاشيته فى الاجتماعات والاعباد ويصاحبونه فى الحرب ويشاركون فى التدريب الاسبرطى . وكان هؤلاء رجالاً احراراً وليسو من المواطنين كاملى الاهلية بالميلاد ، وكانوا من خلال جدارتهم وقدرتهم يمكنهم الحصول على الامتيازات كاملة ويرى البعض انهم على ما يبدو كانوا الابناء غير الشرعيين من الاسبرطيين من نساء الهيلوتس ومن هذه الفئة ليساندر وجيلبيوس Gylippus وربما Callicratidas كالليكراتيدياس ، وربما كان من هذه الفئة ايضاً رجال من الهيلوتس تم اختيارهم (واطلق عليهم Epeunactoi) كى يتزوجوا النسوة الاسبرطيات وذلك لسد الثغرات بسبب استنزاف ونقص طبقة المقاتلين فى الحروب الميسينية فى القرنين الثامن والسابع ونجدهم قد تبعوا الجيش وقاموا بالخدمات المعاونة ، وكان عددهم فى موقعة بلاتيسا سبعة اضعاف الاسبرطيين ، ونجد منهم من خدم كرامة للحجارة بالمقاليع Ophetai ، وفئة المدفين Desposenautai فى الاسطول الاسبرطى ، كما كانوا يسلحون تسليحاً خفيفاً ، كما نجد انهم قد خدموا كجنود مشاة ثقلى العدة مثلهم مثل الاسبرطيين . وتشير المصادر إلى أنه قد تم تسليح ٧٠٠ هيلوت ارسلوا للقتال تحت قيادة براسيداس Brasidas بصفة استثنائية وكانت مكافأتهم أن صوت الاسبرطيون بأن الهيلوت الذين حاربوا مع الاسبرطيين يجب أن يكونوا احراراً وأن يتم اعتاقهم ولهم مطلق الحرية فى أن يعيشوا أينما أرادوا ، كما يخبرنا ثيوكيديديس عن وعد الاسبرطيين لأفنين من اشجع الهيلوتس بالحصول على حريتهم وبعد انتهاء المعركة قد منحهم حريتهم . وهكذا فإن الهيلوت الذى كان يتميز بالشجاعة فى القتال كان

يلقى احتراماً ويفتح له الطريق للحصول على المواطنة هو وأبناؤه ولكن لن تكن المواطنة الكاملة الاهلية وإنما يصير واحداً من جماعة المواطنين الجدد (Neodamodae) وهذه الفئة ذكرت لأول مرة أثناء حرب البلوبونيز ، ويبدو أنها اختفت بعد عهد اكسينيفون ، وكانت هذه الفئة مساوية لفئة الحلفاء فى الحقوق . ومن المرجح أن افرادها كانوا يتسلمون اقطاعات .

كانت نساء الهيلوتس تقوم بالخدمة فى منزل حائز الاقطاع وحمل وربما تربية الاطفال غير الشرعيين للاسبرطيين ، ويشير اكسينيفون إلى الاعداد الكبيرة من الاولاد الاسبرطيين غير الشرعيين بوصفهم شباب حسنى المظهر وأنهم اشتركوا فى حملة عسكرية اسبرطية فى بداية القرن الرابع ومن المحتمل أن امهاتهم كن من الهيلوتس ؛ وهكذا فقد كانت حياة الهيلوتس محتمة على ضفاف نهر يوروتاس ، ولكن هل كان وضع الهيلوتس فى ميسينيا مختلفاً عن اقرانهم اللاكونيين ؟ يرى البعض أن وضعهم كان مختلفاً للغاية ، فبعد فتح ميسينيا فقد وزعت الارض بين المنتصرين وقد حالفت اسبرطة بعض التجمعات فى ميسينيا بينما أنزلت نفراً من الميسينيين إلى مرتبة الهيلوتس ، وكان على هيلوتس ميسينيا أن يقدموا لحائزى الاقطاعات للاسبرطيين نصف المحصول ، وكان عليهم أن يخزنوا بذورهم للعام التالى من نصف حصة المحصول التى يحصلون عليها والباقى كانوا يستهلكونه وعلى العكس فإن هيلوتس لاونيا كانوا يقدمون حصة ثابتة المقدار ومعقولة جداً ، ولذا فإن حالة هيلوتس ميسينيا كانت أكثر بؤساً . واستند اصحاب هذا الرأى على قول تيرتايوس الآتى : "هكذا أنزل الميسينيون إلى مستوى العبودية مثل دواب الحمل وفرضت عليهم اعباء ثقيلة وارغموا على أن يجلبوا لسادتهم نصف غلة الارض" ولكن على ما يبدو أن هذا القول به مبالغة فكيف كانت الدولة تسمح لحائز اقطاع على أن يحصل على حصة أكبر من الانتاج عن حصة

زميل خصص له اقطاع فى لاكونيا ، وكما سبق أن قلنا أن درجة خصوبة الارض كانت هى الفيصل والاساس التى جعلت الحصة هكذا كما أن الدولة كانت تعرف ما هى الحصة التى يحتاجها المواطن من انتاج الاقطاع وضمنته له للأبد وهذه الحصة كانت توزع هكذا ١٥ ميدمى للزوج سنوياً أى ٢ خونيتس يومياً ومقدار ١٢ ميدمى للزوجة والمقدار الباقى هو ٥٥ ميدمى للأطفال والخدم ، ولهذا فالايجار كان يكفى لأسرة العدد . وإذا ما قررت الدولة زيادة هذه الحصة فى منطقة عن منطقة أخرى فإن ذلك سيحدث خللاً فى الدخول وبالتالي فلن يثير الاضطراب فقط بل سيؤدى إلى التفاوت المادى بين المواطنين .

جملة القول أنه نتيجة للايجار الثابت ومن مساحة الاقطاع الواسعة كان يحصل الهيلوتس على دخل طيب . إذ أن الايجار قد قدر على أساس معدل انتاج سنة منخفضة الخل كم أن أية تحسينات يدخلها الهيلوت فى الارض لرفع انتاجها وغلتها فإن الزيادة فى انتاج السنوات الجيدة والزيادة الناتجة عن التحسينات كانت تؤول إلى الهيلوتس . وإنه وبمرور الزمن نتيجة لتطور الزراعة ومضاعفة الانتاج فى لاكونيا فقد كون بعض الهيلوتس ثروات كبيرة مكنتهم من شراء حريته بمبلغ خمسمائة ذراخمة لكل واحد منهم . ومما يدل على ثرائهم أن ستة آلاف قد اشتروا حريتهم . وعلى الرغم من رخائهم الاقتصادى النسبى فإنهم قد حرّموا الحقوق السياسية وبعض الحقوق المدنية . فقد عاملهم الاسبرطيون بقسوة وشدة ، وكلما زادت حاجتهم إليهم فقد شعروا أنه من الضرورى أن يحتفظوا بقبضتهم قوية عليهم. فقد كان عدد الهيلوتس وموقفهم من العمل ورخاؤهم الاقتصادى وشجاعتهم كجند يمثل ميزة عظيمة لهم ولكن فى نفس الوقت فقد مثل خطراً شديداً على الاسبرطيين فقد كانوا محاطين بهم وهم أكثر إذ قدر عددهم ٢٢٤ ألفاً ، ومن ثم فقد لجأوا إلى الشدة فى معاملتهم . ولم تضمن لهم قوانين اسبرطة أية حماية لهم ، وقد

انتقد بلوتارخ موقف الاسبرطيين منهم بقوله "إنه نظام قاسى وإنه غير شرعى" ، ويذكر أن الاسبرطيين كانوا يجبرون الهيلوتس على الافراط فى شراب الخمر ومتى ثملوا ساقوهم إلى ساحة الطعام العمومية ليرى الشباب ما هو السكر ، وكنوا يكرهونهم على أن يغنوا ويرقصوا أغانى ورقصات وقحة مزرية ويحرمون عليهم كل ما تحتوى عليه هذه الملاهى من خير وشر ، كما أنهم قد أجبروهم على ارتداء ملابس خاصة وأن يجلدوا سنوياً كى يذكروهم بأنهم عبيد . وفى النهاية فإنه يصف العلاقة بين الاسبرطيين والهيلوتس بإيجاز شديد بالقول "أنه فى اسبرطة أن الأحرار كانوا أكثر حرية وأن العبيد كانوا أكثر استعباداً ويقول أيضاً نقلاً عن أحد كتب أرسطو التى ضاعت أن الرقباء كانوا يعلنون الحرب سنوياً على الهيلوتس حتى تعينوا قتل الهيلوتس وحتى لا يعد فعل ذلك رجساً ، كما أن هذا الاجراء كان يمثل برهاناً على قهر الاسبرطيين للهيلوتس ، وكان اعلان الحرب عليهم مصحوباً بسلسلة من الاجراءات ضدهم مثل استخدام الشرطة السرية بشكل دائم لقتلهم فى الليل وفى وضح النهار وكان ذلك يمثل خطة منظمة لقتل الأقوياء لمعهم من تولى الزعامة وابقاء الهيلوتس خاضعين ، كما أن قتل كل هيلوت يقابل ليلاً ربما كان لمجرد إثارة الرعب ، ولكن من الافضل افتراض أن الهيلوتس كانوا تحت حظر تجول ليلى كوسيلة لمكافحة أعمال قطع الطريق والحركات الثورية ، وكان أى هيلوت يقوم بالسير ليلاً يخرق قوانين سادته الاسبرطيين ويرجح هذا الرأى قول ثيوكيدديس إن الأثينيين قد استولوا على بيلوس Pylos الميسينية بمساعدة اللصوص الميسينيين إذ كانوا متواجدين آنذاك ، ويذكر أيضاً أن الاسبرطيين لم يتدربوا قبل ذلك على أعمال اللصوصية ونوع الحرب التى حدثت بعد ذلك . ونفهم من هذا القول أنه كان هناك حرب غير نظامية استمرت فى الاراضى الاسبرطية أكثر مما عرف و التى كان يقوم بها الهيلوتس الذين أبوا حياة الذل فى كل من

لاكونيا وميسينيا .

كما أن الاسبرطيين قد عملوا ليس فقط على قتلهم بل على نهب أرزاقهم وأملاكهم من خلال إباحة السرقة للشباب المتدرب تحت سن الثانية عشر ، وأيضاً لشباب الشرطة السرية ، ويرى البعض أن ذلك كان يمثل نوعاً من التدريب على حرب العصابات وقتل كل من يقابلون من الهيلوتس يلقونه فقد يكون من العصابات الخارجة عن القانون ، كما كنا يقتلون كل هيلوت يشتبهون فيه دون محاكمة . وفى الواقع فإن الاجراءات قد عبرت عن قلق الاسبرطيين إذ يقول ثيوكيديديس إن الاسبرطيين كانوا قلقين بشكل دائم على أمنهم الداخلى ، وبشكل رئيسى من ثورة الهيلوتس ويروى لنا سوء معاملة الاسبرطيين لهم من خلال روايته أن الاسبرطيين كانوا قد اختاروا الفئ رجل من الهيلوتس الشجعان لتحريرهم وتوجههم بأكاليل الزهر وساروا بهم إلى الهياكل ليقدموا واجب الشكر للالهة على ما أصابوا من الحرية وحدث بعد ذلك أن اختفى أولئك المحررون . ووفقاً لبعض الروايات فإن الاسبرطيين كانوا لا يدعوا أسلحتهم جانباً وأنهم كانوا على نحو دائم فى حالة استنفار لمنع وقوعها فى أيدي الهيلوتس ، كما أن أبواب منازلهم كانت مزودة بالمزليج كى تساعد فى مقاومة الاعتداءات غير المتوقعة . ويقول أفلاطون أن الاسبرطى كان دمئ الاخلاق مع الاحرار ولكنه متوحشاً مع العبيد *douloi* ويعتبرهم أدنى منه مثلما يتصرف أى انسان مثقف . ويذكر أرسطو أن الهيلوتس كانوا يعيشون حياة عذاب ، تأمر وكراهية للاسبرطيين ، وقد قدم لنا بعض المؤرخين معلومات عن كراهية الهيلوتس للاسبرطيين إذ يقول المؤرخ ثيوبومبوس أن الهيلوتس كانوا متوحشين وعدوانيين فى طرق تعاملهم مع الاسبرطيين ، ويلاحظ اكسينيفون الكراهية الكبيرة التى يكنها الهيلوتس والعناصر المقهورة للاسبرطيين وأن هذه الكراهية كانت كبيرة لدرجة أنهم كانوا يسودون أن يأكلوهم

حتى وهم أحياء .

و على أى الأحوال فإنه على الرغم من المعاملة القاسية والشديدة من قبل الاسبرطيين للهيلوتس وكرهية الآخرين لهم فقد حظوا بوضع يقترب أكثر من حالة المواطنين الفقراء فى المدن اليونانية الأخرى أكثر من اقترابهم من حالة العبيد ، فقد كانوا من الدوريين والآخيين على السواء ويفوقون سادتهم عدداً .

٣ - الحلفاء :

كان يطلق عليهم مصطلح Peroikoi والذي يعنى السكان المحيطين أو الجماعات المحيطة التى تقيم بجوار أو حول اسبرطة . وكانت هذه الجماعات أو المدن لا تشكل ظاهرة فريدة قاصرة على اسبرطة بل وجدت قرائن تشير إلى وجودها فى بعض المدن اليونانية الأخرى مثل تساليا ، وأرجوس ، وإيليس . وكانت لهذه المدن الحليفة حكوماتها الخاصة ، ولكنها كانت موالية لتلك المدن وتتبعها فى سياستها الخارجية وتقدم لها الخدمات العديدة .

كان حلفاء الاسبرطيين يسكنون المناطق الجبلية التى تحد وادى نهر يوروتاس والمناطق الساحلية فى لاكونيا ، وزادت أعداد المدن الحليفة بعد غزو الاسبرطيين لميسينيا ؛ إذ أنهم قد جعلوا بعض التجمعات السكانية فى ميسينيا من الحلفاء ، أو أقاموا هم تجمعات حليفة لهم كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغ عدد المدن الحليفة مائة مدينة ولكنها كانت مدناً صغيرة وبلغ عدد سكانها مائة وعشرين ألف نسمة . ويتحدثون اليونانية باللهجة الدورية . وقد فرضت اسبرطة على هذه المدن أن تعيش متفرقة لكل منها حكومة محلية واتبعت سياسة فرق تسد حتى تمنع التوافق والعمل المشترك بينها هذا بالإضافة إلى منع الهيلوتس من معرفة أعدادهم الحقيقية مثلما فعلت بالنسبة للاسبرطيين ذاتهم حتى يظلوا يجهلون كل شىء عنهم وبذلك يضمنون أن يظلوا على خضوعهم لهم .

إن أصل الحلفاء الاسبرطيين يكتنفه الغموض فبعض العلماء يرى أنهم من الدوريين الذين أسسوا تجمعات عديدة في لاكونيا وميسينيا ، وأن البعض منهم كان من الأخيين كما أن البعض الآخر كان ثمرة امتزاج كلا العنصرين السابقين في منطقة اسشموس Hshmus وجيثيوم Gythium ، وهناك رأى آخر يرى أن البعض منهم كان من الاسبرطيين الخّص الذين أقاموا في حاميات وعسكروا في المناطق الاستراتيجية خاصة في ميسينيا وأنهم على الرغم من أنهم اسبرطيون قد نزلوا بالتدريج إلى مرتبة Peroikoi بسبب بعدهم وعزلتهم عن اسبرطة ولأنهم أقاموا في مجتمعات صارت مدناً قائمة بذاتها كما هو مرجح ، ومن ثم فقد سكَانها مواطنهم في اسبرطة لأن الرجل لا يمكنه أن يكون مواطناً في مدينته الجديدة وفي اسبرطة في أن واحد . ومن المرجح أن رأى من قالوا بأنهم من الدوريين والأخيين ومن اختلاط كلا العنصرين أقرب إلى الحقيقة فبقايا العناصر الأخرى كانت ما تزال تعيش بين الحلفاء وخاصة في جنوب لاكونيا وإن كان العنصر الدورى هو الغالب بينما رأى الأخير والقائل بأن هناك اسبرطيين بينهم فهو غير مقبول لأن الاسبرطى كان لا يقيم إلا لفترة قصيرة خارج اسبرطة ، كما أن جنود الحاميات المتمركزة في المناطق الاستراتيجية كانوا يخدمون لسن معينة يرجعون بعدها إلى اسبرطة . وترينا المصادر أن هذه المدن الحليفة قد شكّلت مع اسبرطة اتحاداً فيدرالياً كان لاسبرطة فيه الكلمة العليا إذ كان من حقها رسم السياسة الخارجية لهذا الاتحاد بينما تركت اسبرطة لحكومات تلك المدن الحليفة تنظيم شؤونها الداخلية ولكنها كانت تحرص أن تكون تلك الحكومات أرستقراطية كما نجدها تتدخل في شؤونها الداخلية في بعض الاحوال إذ يوجد في المصادر ما يشير إلى وجود الحكام والقضاة الاسبرطيين في المدن الحليفة ، ولكن لا يمكننا القول أن هذا الوجود كان بشكل دائم ولكنه حدث في ظروف استثنائية كما تكشف لنا المصادر عن أنه كان

من حق الرقباء القبض على الحلفاء واحضارهم إلى اسبرطة فى القضايا التى تخص اسبرطة . أما القضايا التى تخص الحلفاء وحدهم ، فإنه من المؤكد أن الحكام المحليين هم الذين ينظرونها . ويرى البعض أنهم كانوا يدفعون ضرائب للاسبرطيين ، ويقول البعض الآخر أنهم كانوا يدفعونها بشكل غير منتظم والبعض الآخر يقول لا ندرى إن كانوا يدفعون الضرائب لاسبرطة . ولكن المعلوم أن جانباً من دخل الملكين كان يأتى من اقطاعها Temenas فى اراضى الحلفاء ، وفى الغالب فإنهم لم يدفعوا الضرائب لاسبرطة لأنهم كانوا يقدمون لاسبرطة العون العسكرى عند الحاجة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن مواطنى هذه المدن قد وصفوا بأنهم لاكيديمونيون مثلهم فى ذلك مثل الاسبرطيين . وعلى الرغم من أنهم كانوا خاضعين سياسياً للاسبرطيين إلا أنهم كانوا متساوين معهم مدنياً .

كان الحلفاء ملزمين بالخدمة العسكرية فى الجيش والاسطول وكان يمكنهم الوصول إلى المراتب العسكرية العليا . وكانوا فى البداية يخدمون فى قوات منفصلة عن الاسبرطيين وكان تسليحهم مثل تسليح الاسبرطيين ، فقد خدموا كمشاة تقبلت العدة مع الاسبرطيين فى موقعة بلاتيا سنة ٤٧٩ ق.م وكانت قواتهم تساوى قوات اسبرطة فى العدد ، إذ نجدهم قد قدموا خمسة آلاف مقاتل . وفى السنوات التالية فقد قدوما أعداداً كبيرة من القوات وصاروا عماد الجيش وذلك نتيجة لتناقص أعداد الاسبرطيين كما نجدهم يخدمون مع الاسبرطيين فى وحدات مختلطة ولعل هذا التغيير قد حدث بعد الزلزال المروع سنة ٤٦٥ ق.م والذى انزل خسائر كبيرة فى اسبرطة وكانت اسبرطة تثق فى ولائهم إذ يشير اكسينيفون إلى حملة اسبرطية فى بداية القرن الرابع التى اشترك بها متطوعون من الحلفاء kaloi kagathoi ارستقراط أو سادة الريف كما نجد أن السلطات الاسبرطية فى سنة ٤١٣ / ٤١٢ ق.م قد كلفت أحد الـ Peroikoi ويدعى فيرنيس Phyrnes أن يقدر الوضع

العسكري فى جزيرة خيوس ، وبناء على تقريره ارسلت اسبرطة اسطولاً .
وترينا المصادر أنهم كانوا يخدمون فى الاسطول وأنهم كانوا جنوداً مهرة
وشكلوا عماد الاسطول الاسبرطى فى جيثيوم ، كما وصل بعضهم إلى قيادة
الاسطول ومن هؤلاء ديمايداس Deimaidas الذى قاد اسطولاً اسبرطياً فى فترة
الحروب البلوبونيزية .

وعلى الرغم من اشتراكهم فى الجيش والاسطول فإننا لا نعرف شيئاً عن
تعليمهم وتدريبهم العسكرى . ويبدو أنهم لم يتبعوا النسق الاسبرطى فى حياتهم فقد
عرفناهم زراعاً وصناعاً وتجاراً .

قدم الحلفاء ايضاً خدمات كثيرة لاسبرطة فى المجال الاقتصادى فقد اعتمدت
عليهم فى الصناعة والتجارة ، لأن الاسبرطيين قد حرّموا بالقانون من القيام بأى
أنشطة تجارية أو صناعية ، ولذا فقد امسك الحلفاء بزمام التجارة والصناعة فى
لاكونيا وميسينيا . وبذلك كانوا الفئة الوحيدة فى اسبرطة التى مارسّت نشاطات
متعددة من تجارة وصناعة وزراعة .

كان الحلفاء مثل مواطنى المدن اليونانية الأخرى زراعاً ، ويرى البعض أن
زراعة الارض لم تجذب البعض منهم لأن أفضل الأودية كانت موقوفة على الآلهة
وعلى الدولة . وأن الفئة التى كانت تشغّل بالزراعة تمثل الفئة الأكثر فقراً ، كما
أن بعض الحلفاء عملوا بالرعى وكانوا أكثر ثراءً من الزراع لكثرة ارباحهم ،
ولكن فى بعض الأماكن ، على الأقل ، فإن الغالبية العظمى قد اشغلت بالأعمال
المحرمة على الاسبرطيين وغير مسموح بها للهيلوتس ، ومن المرجح أن الغالبية
العظمى من المواد والسلع التى ذكرها الكتاب الكلاسيكيون على أنها صنعت فى
لاكونيا مثل الاسلحة والملابس الصوفية والاحذية والأثاث قد قام بصنعها حرفيون

من الحلفاء . وهذه السلع قد وجدت سوقاً رائجة فى اسبرطة وخارجها .

وتكشف لنا المصادر عن أن بعض الحلفاء قد عملوا بالتجارة وهذا ما نفهمه من عبارات اكسينيفون فى دستور اللاكيدايمونيين التى يقول فيها "إن ليكورجوس قد منع الحلفاء من اكتساب الثروة بصورة خاطئة" وقد كانت جيثيوم ميناء اسبرطة الرئيسى نظراً لموقعها الجيد كما كانت كوثيرا مركزاً لتجارة لاكونيا ويرى البعض أن ازدهار التجارة والصناعة فى هذه المناطق يعود على امتزاج الدماء الدورية بالأخية مما جعل الدوريين يتحولون إلى الصناعة والتجارة .

تباينت ثروات الحلفاء وذلك لتعدد الحرف التى مارسوها ولذا فقد انقسموا إلى فئة ارستقراطية ثرية *kaloï kagathoi* وفئة أخرى فقيرة وضعيفة .

حافظ الحلفاء على ولائهم ووفائهم لاسبرطة فى أحلك الظروف ولكن ليس هذا غريباً إذا ما نظرنا إلى سياسة اسبرطة تجاه الحلفاء فقد كانوا حوالى ١٠٠ مدينة صغيرة لكل منها حكومتها المستقلة عن الأخرى ولذا لم تكن هنالك فرصة لتوحدهم ضدها ، كما أن الحرية التى منحت لهم فى مجال التجارة والصناعة قد جعلت البعض منهم يحقق ثروات كبيرة ، فقد كان تجار الحلفاء امنين على أنفسهم وبضاعتهم من السلب ، كما أن شعورهم بالتفوق على الهيلوتس - والبعض منهم كان لديه هيلوتس - قد عوضا استيائهم من وضعهم الأدنى مرتبة بالنسبة للاسبرطيين ، ومع ذلك نجد هناك استثناءات إذ شارك بعض فى الثورة على اسبرطة فعندما اندلعت ثورة الهيلوتس الكبرى فى الستينات من القرن الخامس فقد أيدتهم مدينتان حليفتان فى ثورتهم ضد اسبرطة ، ومن المرجح أن بعض الحلفاء كان سيساند كونادون *Konadon* فى مؤامرتة الفاشلة فى بواكير القرن الرابع وهذا ما نلمسه من رواية اكسينيفون عن هذه المؤامرة . فقد قدم لنا وصفاً لتفاصيل

المؤامرة وكيف نجحت السلطات فى مواجهتها والقضاء عليها قبل اشتعالها ونوجز هنا وصفه لهذه المؤامرة إذ يقول "فعندما كان الملك يقدم الأضاحى نيابة عن المدينة قال له عراف أن الآلهة كشفت له عن مؤامرة مخيفة ، وعندما قدم الاضاحى للمرة الثانية وللمرة الثالثة أكد العراف أن اسبرطة تتعرض للخطر لأن العلامات المقدسة تظهر له وكأنهم وسط أعداء . وبعد خمسة أيام من تقديم الاضاحى وقراءة العراف أتى شخص إلى السلطات وكشف عن تفاصيل المؤامرة وقائدها كونادون ويقول الواشى إن كونادون طلب منه أن يحصى الإسبرطيين الموجودين فى السوق وبعد أن عددهم وحسب الملك والرقباء واعضاء مجلس الشيوخ وآخرين وصل عددهم اربعين رجلاً . وبعد أن أتم العدد والاحصاء سأله عن سبب هذا فرد عليه كونادون أنه يعتبر كل هؤلاء الإسبرطيين كأعداء ، أما بقية من كانوا فى السوق فإنهم حلفاء . وكان هناك ما يزيد على أربعة الاف . . . كما كشف الواشى عن سيناصرون المتآمرون فقال إن التأييد سياتى من المواطنين والحلفاء والهيلوتس ، وأن البعض من هؤلاء كان عنده الاسلحة وأنهم يمكنهم شراء الاسلحة مثل السيوف والمناجل والبلط والخناجر . . . الخ . وعندما سمع الرقباء لكل تفاصيل المؤامرة ، لم ينتظروا عقد الجمعية الخاصة بل جمعوا نفرأ قليلاً من الجروسيا لتقرير ما ينبغى عمله لمواجهة هذه المؤامرة ، واستقر الرأى على استخدام الحيلة فى القضاء على مخططى المؤامرة وعلى رأسهم كونادون ، وقد بنوا خطتهم على أن يتم ابعاد كونادون عن اسبرطة بالحيلة وأن يتم القبض عليه خارجها حتى لا يثور الآخرون ، ويتم استجوابه وهو خارجها لمعرفة الشركاء فى المؤامرة وقد بدأ تنفيذ الخطة بأن طلب الرقباء من كونادون أن يذهب إلى ميسينيا ومعه نفرأ من الإسبرطيين لاحضار عدد من الهيلوتس واحضار الفتاة بديعة الحسن والجمال التى سحرت الشيوخ والشباب على حد سواء . وبالفعل نجحت الخطة وتم

اخرجه من اسبرطة وتم القبض عليه خارجها وتم أخذ اعترافاته وتم القبض على شركائه وبعها اعيد إلى اسبرطة ونال الجزاء والعقاب المناسب .

ونستخلص من هذه القصة أن هناك تأييد من المواطنين ناقصى الأهلية ومن الحلفاء ومن الهيلوتس للثورة على الاسبرطيين الخّص .

وبعد أن عرضنا للنظم الاسبرطية سنعرض بإيجاز للنظم الكريتية الدورية الشبيهة وليست المتطابقة مع النظم الاسبرطية . وردت اشارة عن الدوريين فى كريت فى الاوديسة ، ومع ذلك لا يمكن الاعتداد بها كدليل على استقرار الدوريين فى كريت قبل وصولهم إلى البلوبونيز . وقد عرفت كريت القبائل الدورية الثلاث هيليس وديمانيس وبامفيلى مثلها مثل المناطق الدورية فى بلاد اليونان . ومن الواضح أن العناصر الدورية قد توافقت مع السكان الأصليين فى بعض مناطق الجزيرة على نحو أكبر مما حدث فى بلاد اليونان القارية . وتكشف لنا المصادر أن الهيمنة الدورية كانت قوية فى مدن وسط كريت مثل كنوسوس وأكوس Akos وليثوس Lythos وجورتن .

قام أرسطو بعقد مقارنة بين كل من النظم الاسبرطية والنظم الكريتية وكان من نتائج هذه المقارنة أن الاسبرطيين قد اقتبسوا الكثير من سمات نظامهم من النظم الكريتية . ويؤكد ذلك أيضاً بلوتارخ فى روايته عن زيارة ليكورجوس لكريت ومعرفته للنظم الكريتية ورغبته فى الاستفادة منها واصطحابه لأحد الشعراء الكريتيين إلى وطنه للمساعدة فى تطبيق ما رآه فى كريت من نظم . وكلن النظام الاسبرطى نظاماً فريداً مقارنة بنظم الجزيرة . فقد وجد النظام الملكى فى الجزيرة ولكنه ألغى وحل محله مجلس Kosmoi بينما بقى النظام الملكى فى اسبرطة راسخ الأركان . كان يتم انتخاب أعضاء مجلس Kosmoi من الأسر

النبيلة والثرية فى الجزيرة بينما كان مجلس الرقباء الاسبرطى يتم انتخابه من كل الشعب . كما عرفت مدن الجزيرة مجلساً للشيوخ وكان يتكون من الرجال الذين تولوا منصب الحكام Kosmoi ووفقاً لأرسطو فإن عدد اعضاء هذا المجلس كان مساوياً لعدد أعضاء مجلس الجروسيا فى اسبرطة . والفرق بين المجلسين أن مجلس الجروسيا يتكون من شيوخ تعدوا سن الستين بإضافة للملكين بينما كان مجلس الشيوخ فى المدن الكريتية يتكون من الحكام السابقين .

كما نود أن ننوه إلى أن نظم المدن الكريتية لم تكن متطابقة فى جميع الوجوه فى الجزيرة وهذا ما يؤكد نقش رسمى فى دريروس Deros بشرق كريت ويعود تاريخه إلى نهاية القرن السابع ، ويلقى هذا النقش بعض الضوء على نظام الحكم ، إذ يكشف عن أن المواطن الذى شغل وظيفة kosmos لا يمكن أن يعاد انتخابه قبل عشر سنوات ، وأن هناك عقوبات لخرق القانون ، ويشير النقش أيضاً إلى مجلس العشرين ومن المرجح أنه مجلس الشيوخ . كما وجدت اختلافات أيضاً بين النظم الاسبرطية والنظم الكريتية . فقد عرفت المدن الكريتية واسبرطة نظام الموائد العامة ولكن نجد أن حكومات المدن الكريتية هى المتكفلة بالانفاق على هذه الموائد وليس المواطنون كما هو الحال فى اسبرطة ، إذ أن المواطنين كما سبق أن ذكرنا هم الذين يدفعون حصصهم فى الموائد العامة . وإذا ما فشل واحد منهم فإنه يصبح مواطناً من الدرجة الثانية . وعرفت المدن الكريتية نظاماً تربوياً شبيهاً بالنظام الاسبرطى . فقد تم العناية بالاطفال وتدريبهم على الخشونة ولم يخدموا أنفسهم فحسب بل كانوا يخدمون الرجال البالغين أيضاً . وكان الأولاد الأكبر سناً ينظمون فى مجموعات للتدريب البدنى وتعلم القراءة والكتابة والأغاني والموسيقى ، وكانت مجموعاتهم تشترك فى منافسات عسكرية بمصاحبة القيثارة والمزامير .

أما بالنسبة لحيازة الأرض ، فقد كان لتنوع الأجناس والاختلافات بين المدن الكريبتية أثره الواضح فى اختلاف أشكال حيازة الأرض فقد انقسمت الأرض إلى قسمين أولهما الأرض العامة وثانيهما الاقطاعات الممنوحة للمواطنين . وكان يقوم بزراعة السكان الأصليون بعد أن اخضعهم الغزاة الدوريون . وكان يطلق على مزارعى الأرض العامة mnoitai وعلى مزارعى الاقطاعات الممنوحة (klaroi) يطلق عليهم klaeiotai وأحياناً aphemestai وأحياناً woikees . وقد أدرجه بوللويس مثل helots مع الجماعات الأخرى التى سبق الحديث عنها فى العناصر المسترقة ووصفهم بأنهم يقعون موقعاً وسطاً بين الأحرار والعبيد .

أما فيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية فإن مدونة جورتن القانونية تقدم لنا ملامح غريبة : والقسم الأول منها يسجل الغرامات على مرتكبى الاعتداءات والمخالفات . وهذه الغرامات كانت تختلف باختلاف مرتبة مرتكبها ومرتبة الضحية ، فكانت أشد العقوبات تلحق بالفئات الدنيا وأخفها يوقع على الفئات العليا . ونعرف من المدونة أن المجتمع بالمدينة ينقسم إلى ثلاث طبقات هى :

١ - طبقة المواطنين كاملى الأهلية وهى الطبقة صاحبة الامتيازات السياسية والمدنية وكانت تدفع أدنى الغرامات فى حالة ارتكاب المخالفات .

٢ - طبقة apetairoi وتتكون من الرجال الأحرار الذين لم يكونوا أعضاء فى hetaireiai والتى لعلها تناظر phratries الاسبرطية .

٣ - طبقة الزراع woikees وبجانب هذا المصطلح فقد وجد مصطلح dola بمعنى العبد ومن الواضح فإن المصطلحين قد استخدموا بنفس المعنى ولكن المصطلح الثانى على ما يبدو كان يشير إلى عبيد المنزل .

وتشير المدونة إلى أنه كان هناك تداخل بين هذه الطبقات وأن الزواج كان

ممكناً بين الاحرار والمزارعين المربوطين بالارض إذ تنص على أنه إذا ما انتقل عبد للعيش مع امرأة حرة وتزوجها فإن أطفالهما يكونون من الاحرار ، أما إذا ما انتقلت امرأة حرة للعيش مع عبد ، مع ذلك ، فإن أطفالهم كانوا يولدون عبيداً ، كما تشير المدونة إلى أن المجتمع كان يسمح بالعلاقات غير الشرعية وقد حدد الوضع القانوني للاطفال خاصة اطفال السيدات من طبقة المزارعين المربوطين بالأرض ، فكان أطفال نساء طبقة المزارعين المربوطين بالأرض غير المتزوجات يتبعون سادة آبائهم أو أخوتهم إذا ما كان الآباء قد ماتوا ، وطفل المرأة المطلقة كان يتبع سيد زوجها السابق إذا ما كان يرغب في ذلك وإذا لم يرغب فإن الطفل يتبع سيدها . كما تحتوى المدونة على بنود خاصة بالميراث والتبني والتي كانت تهدف دائماً للمحافظة على ممتلكات الاسرة غير مقسمة ، وإذا ما كانت المرأة هي الوريثة الوحيدة لممتلكات اسرتها فكان عليها أن تتزوج من اقارب والدها . كما تشير المدونة إلى حالة المرأة التي كان لها ابناء أحرار وعبيد وأن القانون أباح أن يرثها الأبناء الأحرار ، بينما حرم أبناءها العبيد من الميراث وإذا لم يكن لها ابناء احرار فإن الوريثة كانوا يرثونها . ويبدو أن خناك تشابه بين وضع الابناء من زيجات غير متكافئة في كل من اسبرطة وجورتن .

السياسة الخارجية :

وبعد أن عرضنا بايجاز للنظم الاسبرطية سنحاول أن نعرض فى عجاله، الخطوط العامة لسياسة اسبرطة الخارجية . ذكرنا من قبل محاولة اسبرطة حل مشكلة الزيادة السكانية بها على حساب المناطق المجاورة لها وأنها ضمت لاكونيا وميسينيا كلها وأمنت حدودها فى القرنين الثامن والسابع بأن أبقّت على العديد من المدن حليفة لها ، وفى نفس الوقت استرقت مجموعات كبيرة من المواطنين فى تلك المناطق وكان من نتائج ضم لاكونيا وميسينيا أيضاً أن صارت اسبرطة أقوى

الدول اليونانية .

وكان على اسبرطة بعد ذلك أن تؤمن حدودها الشمالية ؛ ولذا نجدها قد اشتبكت فى سلسلة من الحروب مع الاركاڊيين والأرجوسيين . . ووفقاً لهيرودوت لم يمنع الاركاڊيون من غزو أركاديا إلا نبوءة دلفية تلقوها والتي حذرتهم من غزوها ، ولكن النبوءة الدلفية فى نفس الوقت قد شجعتهم على مهاجمة مدينة تيجيا الواقعة فى القسم الجنوبى من سهل أركاديا ووفقاً لهذه النبوءة فقد سار الاسبرطيون اليها بقيادة الملكين ليون leon واجيسيكليس Agesicles وهم يحملون الأغلال التى سيسترقون بها التيجيين ، ولكن الدائرة دارت عليهم وتم تقيدهم فى الأغلال التى أحضروها معهم . ويروى هيرودوت أن التيجيين أهدوا بعض هذه الأغلال لمعبد الربة أرتيميس فى تيجيا كتقدمة شكر على انتصارهم على الاسبرطيين ، ومن المرجح أن هذه الهزيمة قد حدثت فى مستهل القرن السادس ، بيد أن هذه الهزيمة لم تمنع الاسبرطيين من ارسال الحملات العسكرية إلى تيجيا فى عهد الملكين اناكساندريديس وأرسنون ؛ وعلى الرغم من أن اسبرطة كان لها اليد الطولى والمبادأة فى الحرب إلا أن الفشل كان من نصيبها فى مواجهتها مع تيجيا ؛ ولذا نجدها أمام منعة وصلابة التيجيين يبدو أن الاسبرطيين قد سألوا الوحي فى دلفى عن السبيل لنجاح خططهم فى مواجهة تيجيا وأنتهم النبوءة التى وعدتهم بالنصر ودلتهم على مفتاحه وهو أن ينقلوا عظام أوريسيتيس بن أجامنون من تيجيا إلى اسبرطة ، ووفقاً لهيرودوت فقد نجح رجل اسبرطى فى زمن الهدنة بين كل من اسبرطة وتيجيا فى حمل عظام رجل ضخم كانت موجودة فى ورشة حداد تيجى إلى اسبرطة ؛ حيث دفن فيها مع تقديم التكريم المناسب له ، وقد قدم لنا باوسانياس وصفاً لمقبرة البطل أوريسيتيس فى اسبرطة . ويبدو أن اسبرطة قد غيرت من سياستها العدوانية تجاه تيجيا فبدلاً من محاولة ضمها والاستيلاء عليها واسترقاق

أهلها فقد عملت على محالفتها والتصالح معها ومعاملتها على أنها دولة مستقلة . ونجدها قد عقدت معها معاهدة بالفعل والتي التزمت تيجيا بتقديم العون العسكرى لاسبيرطة عند الضرورة وهذا ما حدث بالفعل فى موقعة بلاتيا إذ شارك التيجيون فى المعركة . أما عن النبوءة السالفة الذكر فعل ما يبدو أن الاسبرطيين قد استغلوا أفضل استغلال ، فقد رموا من ورائها ضمان ولاء العناصر غير الدورية فى البلوبونيز ، وأن تظهر اسبرطة ، على الرغم من أنها دورية ، كحامية للعناصر السكانية الأصلية . وبذلك تضمن ولاء العناصر غير الدورية فى صراعها مع أرجوس القوية والذي امتد لأجيال كان النصر النهائى فيها حليفاً للاسبرطيين . وعلى ما يبدو فإن الحرب قد اشتعلت سنة ٥٤٤ بين الأرجوسيين والاسبرطيين ، فقد هاجم الاسبرطيون سهل ثيريا Thyria وكان محل نزاع بين كل من اسبرطة وأرجوس ، وقد قدم لنا هيرودوت وصفاً للمعركة والتي يمكن أن نسميها معركة البطولة . فقد اقترب الجيشان وبدلاً من التحمها فى القتال ، فقد خرج من كل جيش ثلاثمائة مقاتل واحتفظ كل طرف بباقى قواته . واتفق الطرفان على أن من يكسب فى القتال يكون له الهيمنة والسيطرة على السهل ، ولكن لم يتفق الذين بقوا على قيد الحياة من المقاتلين من كسب ؛ ولذا فقد دخل الجيشان لتقرير من هو المنتصر وانتصر الاسبرطيون . ولكن ليس واضحاً إذا ما كان الطرفان قد عقدوا اتفاقية سلام فالمسألة غير معروفة ولا نعرف شيئاً عن القتال بين كل من أرجوس واسبرطة حتى عام ٤٩٤ ق.م ، وما نعرفه أن اسبرطة قد نجحت فى ضم ثيريا وسهلها إلى أملاكها هذا فضلاً عن السهل الساحلى الطويل الضيق الواقع جنوب ثيريا وعلى المنحدرات الشرقية لجبل بارنون وجزيرة كوثيرا . وهكذا أصبحت اسبرطة تهيمن على خمس مساحة البلوبونيز ، وكان من جراء ذلك أيضاً أن تمتعت بشهرة كبيرة ونالت احتراماً عظيماً بين العديد من

المدن اليونانية وصار لها لواء القيادة على أغلب الدول اليونانية من خلال المحالفات .

ويبدو أن اسبرطة كانت قد غيرت من سياستها التوسعية والعدوانية ولجأت إلى سياسة التحالف وتوسيع دائرة نفوذها بالوسائل السياسية ، وكان الرقيب خيلون هو صاحب هذه السياسة إذ رأى أن قلة عدد الاسبرطيين لا تسمح لهم بالتوسع والغزو ، كما لاحظ في الوقت نفسه أن الحكم الاسبرطى أخذ ينهار فى أكثر المدن اليونانية وفى المدن المجاورة لاسبرطة ليقوم مكانه حكم الطغاة ، وأن الطغاة يسعون إلى تأسيس حلف بينهم والذى كان غايته أولاً : أن يساعد الطغاة بعضهم بعضا على دعم نظم حكمهم ، ثانياً : توحيد جهودهم لدرء الخطر الفارسى الذى كان يهدد بلاد اليونان كلها . ولذا فقد وقف موقفاً عدائياً من حكم الطغاة وعارض سياسة الاحلاف بينهم وقد عمل على أن تبقى اسبرطة بعيدة عنها وف نفس الوقت محاطة بحكومات ارستقراطية حليفة . ولهذه الغاية فقد أسس خيلون حلف البلوبونيز ولتشجيع هذه المدن للانضمام لهذا الحلف فقد جعله يستند على مبادئ واهداف تؤكد على مصلحة الدول والحلف ومن هذه المبادئ والاهداف ما يلى :

١- الاستقلال المطلق للدول الداخلة فى الحلف ، فهى ليست مكلفة بدفع أية ضريبة أو عسكرة قوات اسبرطية فى أراضيها ، بل يترك لكل واحدة منها الحرية التامة فى علاقاتها الخارجية مع جميع الدول الأخرى شريطة ألا يكون فى ذلك ما يهدد الحلف .

٢- إذا ما نشبت حرب بين الحلف ودول أخرى ، فإن القيادة تكون لاسبرطة ، ويتعهد جميع اعضاء الحلف بتقديم الفرق العسكرية التى تطلب منهم عند الحاجة ؛ أى أن هذا الحلف كان حلفاً دفاعياً هجومياً .

٣- تعضيد الحكومات الارستقراطية والأوليغرخية وفى نفس الوقت العمل على اضعاف بل القضاء على حكومات الطغاة كلما ساحت لها الفرصة والمثال على ذلك مساعدتها للارستقراطية الأثينية للقضاء على حكم الطاغية هيبياس .

٤- لقد رغبت اسبرطة أن تضمن مناصرة الحلفاء لها ضد الهيلوتس وثوراتهم وخير مثال على ذلك موقف تيجيا من قضية الهيلوتس إذ أغلقت حدودها فى وجه الأبقين منهم .

لقد حرصت اسبرطة أن يكون لها دور القيادة والرياسة بالنسبة لهذا الحلف إذ كانت هى التى تدعو الحلف للاجتماع وترأس جلساته وكانت القرارات تتخذ فى الاجتماع وفقاً لنظام الأغلبية .

وفى ضوء هذه المبادئ والأهداف فقد عقدت العديد من المدن الدول معاهدات بينها وبين اسبرطة على نسق المعاهدة المعقودة بين اسبرطة وتيجيا . ومن دول الحلف العديد من المدن فى أركاديا وإيليس وسيكيون وبعض المدن الواقعة غرب أرجوس مثل ميكيناي وترينس وهيرميونى و *Hermione* وتروتزون و *Trozen* وابداروس وربما جزيرة ايجينا وكورينثة وميجارا . ودليلنا على ذلك أن الجيش الاسبرطى عبر اراضى الدولتين فى طريقه إلى أتিকা للقضاء على الطاغية هيبياس وهذا يعنى أن اسبرطة كان لها نفوذها وعلاقاتها الودية مع كل من كورينثة وميجارا . وربما حاولت اسبرطة كسب حلفاء جدد فى اخايا إذ سعت لنقل عظام البطل تيسامينوس *Teesamenus* بن أورستيس من مدينة هيلكى *Helice* إلى اسبرطة ، ولكن هذه المدينة رفضت الطلب الاسبرطى بل رفضت عقد معاهدة معها .

كان هذا الحلف يسمى حلف البلوبونيز والاسم القديم له هو حلف

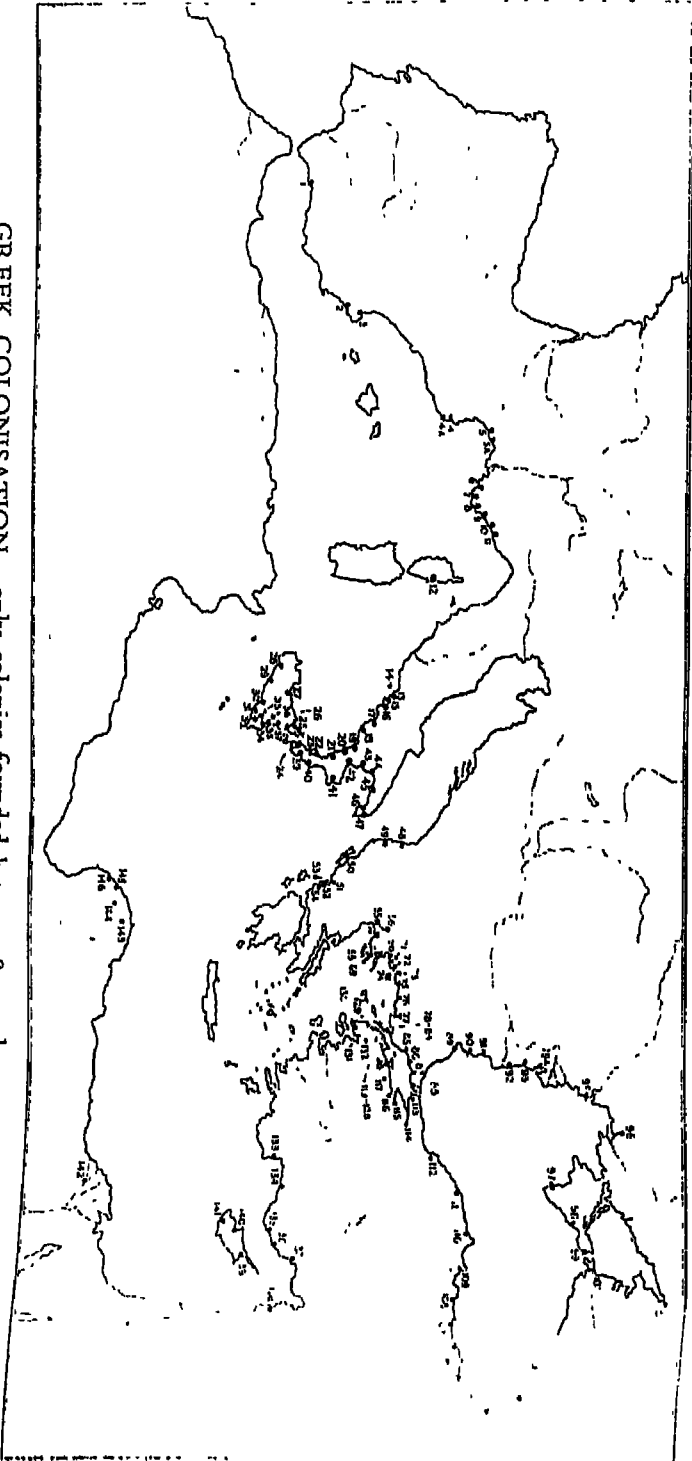
اللاكيدايمنيون وحلفائهم . ففي وقت ما فإن المعاهدات الثنائية بين اسبرطة من جهة والمدن الأخرى الحليفة من جهة أخرى قد حل محلها معاهدة متعددة الأطراف وهذه المعاهدة ربطت كل الاعضاء فى المجلس الفيدرالى والذى كانت ترسل اليه المدن الاعضاء مندوبيها ومن هنا تغيرت الالتزامات الثنائية إلى الالتزامات المتعددة المتبادلة بين اعضاء الحلف ومن المرجح أن هذا التغيير قد حدث فى مؤتمر عقد فى فترة متأخرة من القرن السادس . وأن هذا الحلف قد استند على ما يأتى : أن الدول المشتركة فيه كان لها جانب من الحرية ، كما كان يحق لاسبرطة ممثلة فى الملكين مطالبة الحلفاء بتقديم بعض المطالب والوفاء بالالتزامات . وإن حدث تعديل فيما يخص وجوب حضور أو طلب الملكين معاً لهذه المطالب . ونستخلص هذا من رواية لهيرودوت على الرغم من أنها تثير الكثير من القضايا إذ يقول "توقت كثير قبل أن يعبئ الملك كليومينيس قوات حلف البلوبونيز ضد أثينا ، لكن تمردت القوات الكورينثية فى اليوسيس وعادت إلى وطنها ، ثم بعد ذلك فإن الملك الاسبرطى دماراتوس انسحب من الحملة ، ونتيجة لهذه الاحداث انسحب الملك كليومينيس وسرح القوات ، وبسبب الخلاف بين الملكين فقد سن الاسبرطيون قانوناً نص على أن يخرج ملك واحد فى أية حملة عسكرية ، ويقرر أن مؤتمراً قد عد فى اسبرطة حيث أن الاسبرطيين قد عرضوا سياسة جديدة نحو اثينا والتي رفضها الحلفاء . ويذكر هيرودوت أيضاً أنه بعد عشر سنوات أى ٤٩١ ق.م ذهب الملك كليومينيس إلى أيجينا وحاول الحصول على رهائن ولكن القائد الأيجينى تحداه وزعم أن الأيجيين لم يرتبطوا ليطيعوا" كما رفض تسليمه الرهائن لأن الأمر قد صدر من قبل ملك واحد فقط ، وليس من الملكين ، ولهذا فقد عاد كليومينيس إلى اسبرطة ، وبعد مشاورات واستخدام الحيل فقد نجح فى أن يرافقه الملك الثانى إلى أيجينا وبالفعل حصل على الرهائن حينئذ من أيجينا . وهذه الواقعة ربما تشير

إلى وجود قاعدة فى الحلف وهى ينبغى طاعة الحلفاء للامر الصادر من قبل الملكين ، كما أن انسحاب الملك دماراتوس قد ترتب عليه أن الحلفاء لم يعودوا مرتبطين وملتزمين بالطاعة للملك كليومينيس ولذا فقد أجبر هذا الملك على تسريح القوات ، كما أن حادثة أيجينا تؤكد هذا الامر وأن الامر ينبغى أن يكون من الملكين وليس من ملك واحد . وأمام اصرار ايجينا فقد خرقت اسبرطة قانونها الذى اتخذته من قبل والذى لا يسمح إلا لملك واحد بقيادة الحملات العسكرية وخرج الملك الثانى بصحبة كليومينيس كى تحصل اسبرطة على الرهائن .

أقامت اسبرطة أيضاً علاقات وصلات خارج بلاد اليونان مثل مملكة ليديا ، ويقول هيرودوت أن الملك كروسيوس قد جهز حملة لحرب الملك قورش الفارسى سنة ٥٤٤ ق.م وقد ارسل مبعوثيه لعقد محالفة مع اسبرطة ، وأرسل كروسيوس إلى ذهباً لصنع تمثال للاله أبوللو ، ووافق الاسبرطيون على التحالف معه وأرسلوا من جانبهم هدية له عبارة عن اناء برنزي مزخرف ، وعندما بدأت الحرب بين الفرس والليديين ، طلب الليديون العون من حلفائهم الاسبرطيين ، وكانوا متورطين فى هذا الوقت مع أرجوس ، ويقال أن الاسبرطيين كانوا قد أعدوا اسطولاً من السفن لارساله إلى ليديا وقبل أن يبحر هذا الاسطول وردت الاخبار عن سقوط سارديس وأسر كروسيوس .

كما أقامت اسبرطة علاقات مع مصر ، فقد أرسل الفرعون امازيس للاسبرطيين هدية من الكتان المطرز بالذهب .

GREEK COLONISATION . only colonies founded between 800 and 500 B.C., and the earlier settlements in Cyprus, are shown.



المحتويات

٦ - ١	تمهيد	*
	التأثيرات المتبادلة بين الحضارة اليونانية والحضارات	*
٥٤ - ٦	الشرقية القديمة	*
٦٤ - ٥٥	الموقع الجغرافي	*
٦٨ - ٦٥	بداية التاريخ اليونانى	*
٧٤ - ٦٨	أصل الشعب اليونانى	*
١٣٧ - ٧٤	عالم بحر إبجة وحضارته فى عصر البرنز	*
١٠٧ - ٧٥	١ - الحضارة الكريتية	*
١٢٨ - ١٠٨	ب - حضارة بلاد اليونان القارية	*
١٣٧ - ١٢٩	ج - حرب طروادة وعصر الأبطال	*
١٥٣ - ١٣٨	العصر المظلم والهجرة الدورية	*
٢٧٣ - ١٥٤	الأشعار الهومرية مصدر تاريخى للعصور الباكرة	*
٣٨١ - ٢٧٤	العصر العتيق	*
٤٨٦ - ٣٨٢	أسبرطة	*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

